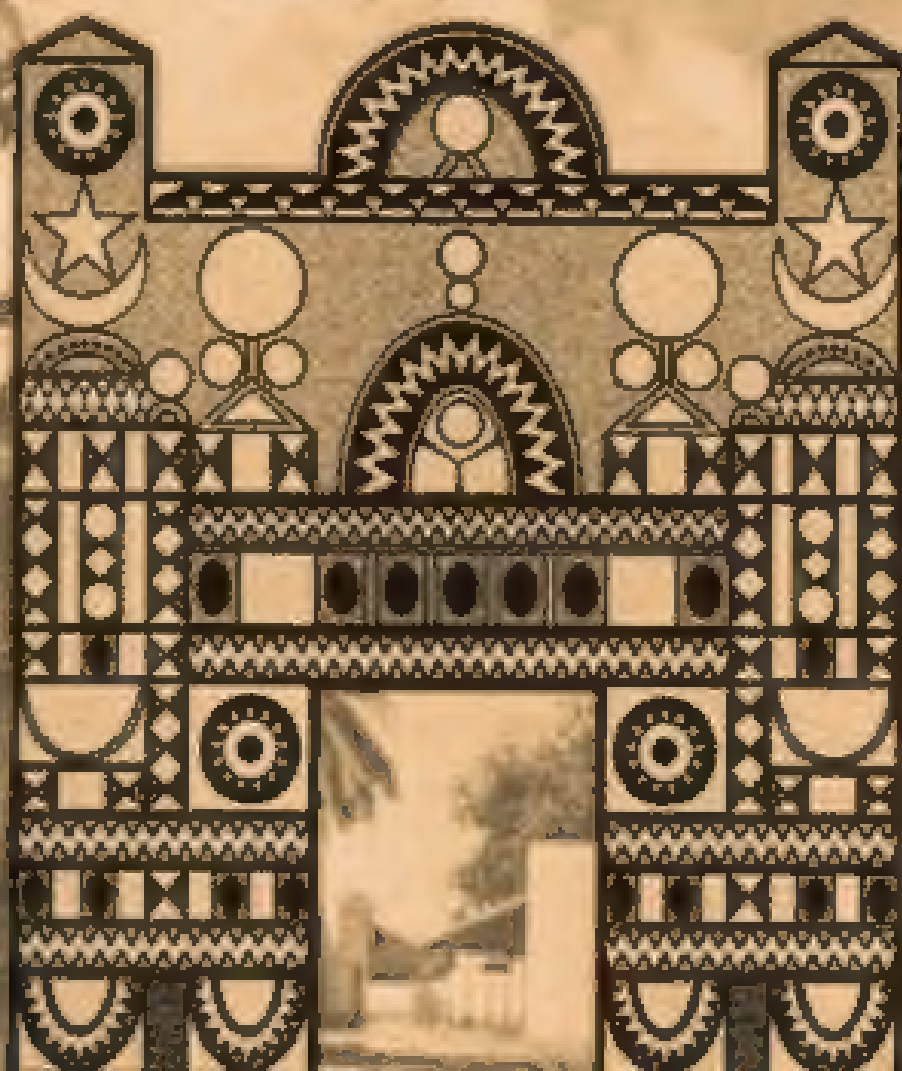


ترجمة  
عبدالله حميده

تأليف  
حسن دفع الله

# هجرة النوبيين

قصة تهجير أهالي حلفا

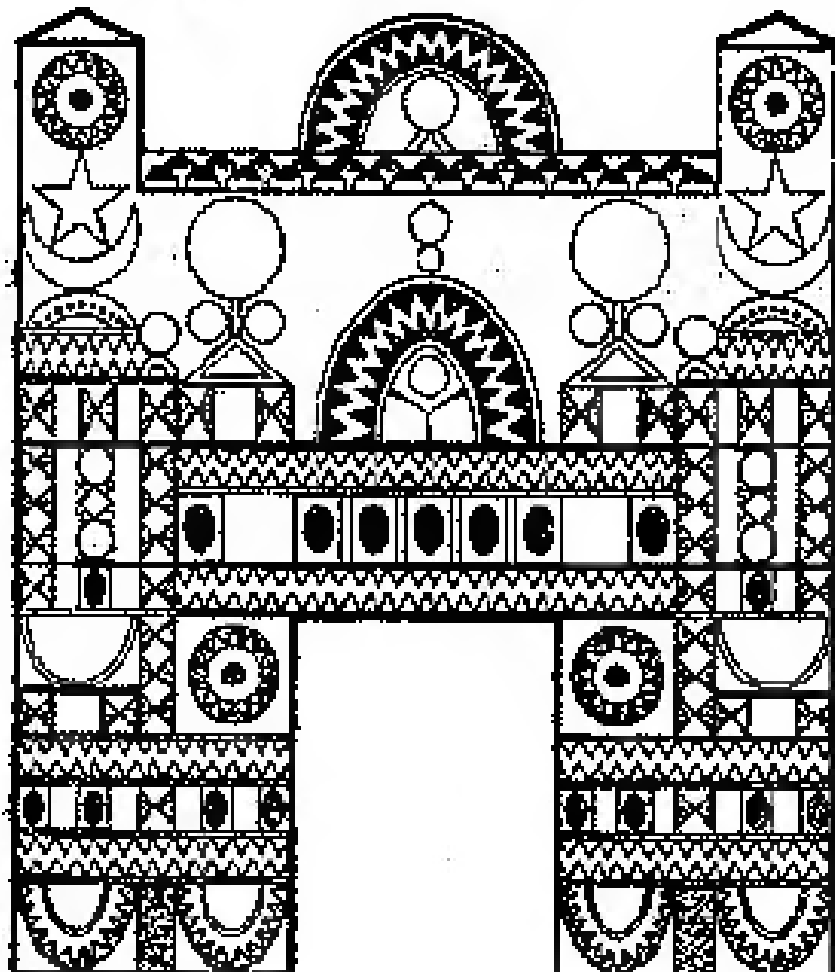


ترجمة  
عبدالله حميده

تأليف  
حسن دفع الله

# هجرة النوبيين

قصة تهجير أهالي خالما



# هجرة النوبيين

قصة تهجير أهالي حلفا

المؤلف

حسن دفع الله

المتروجم

عبدالله حميدة

الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م

# الإهداء

إلى :

النوبيين الذين عشت بين ظهرانيتهم ستة أعوام  
شهدتُ الفترة الحاسمة لتهجيرهم وإعادة توطينهم .

وإلى :

أجيالهم القادمة ، أهدي هذا الكتاب .

حسن دفع الله

## تقديم

بقلم : (ايان كنيسون)

أرسل الإداريون الذين عملوا في السودان تقاليد راسخة في مجال التدوين منذ ما يعرف بـ ( يوميات غردون في الخرطوم ) وساهم (ملاطين وونجت ومنكمايكل وهندرسون وديفس وجاكسون ودنكان وجنكل) في هذا السبيل . وتفاوتت أعمالهم ما بين مذكرات بحثة - غالباً ما تكون ذات نغمة حنين للوطن - إلى سير ذاتية تمتزج بتقارير موضوعية وملاحظات ، أو هي دراسة أكاديمية هامة . وقد بلغ مستوى هذه المدونات درجة عالية من حيث المعلومات والجودة ، أضاف إليها (حسن دفع الله) عملاً ممتازاً من خلال كتاب فريد في نوعه .

لم يكن السودانيون يلوثون بالصمت طيلة هذا الوقت ، لكنهم بالطبع كانوا يكتبون بالعربية ، فلفظ واقف قارئ الإنجليزية - مؤخراً - على الكنوز التي ترخر بها السير الذاتية السودانية عندما صدر المجلد الأول من كتاب بابكر بدري (تاريخ حياتي ) هذا بالإضافة إلى ما نشره السودانيون من دراسات أكاديمية بالغة القيمة باللغة الإنجليزية ومن بين هؤلاء : (مكي شبكة ومكي عباس ويوسف فضل حسن ومحمد عمر بشير وممدثر عبد الرحيم وسعد الدين فوزي وزكي مصطفى وفرانسيس نينقي) . هذا إلى جانب مؤلفات أحدها صحفيون مفكرون مثل (بشير محمد سعيد) وروائيون من أمثال (الطيب صالح) . لكن (حسن دفع الله) جاءنا بشيء جديد تماماً . فهو هنا - إداري - لا يسجل ما يستلطفه أو يشغل باله - ولكنه - على العكس - أوقف كتابه كله

لمعالجة مشكلة إدارية رهيبة وجد نفسه فجأة يبذل فيها كل قواه ووقته على مدى سنوات . فالكتاب يتناول كيف استطاع المؤلف أن يحل تلك المشكلة ، وكيف حافظ على هدوء أعصابه حتى أنجز العمل .

كان عليه أن يقوم بإجلاء ٥٠,٠٠٠ من السكان وأن يعرضهم عن أراضيهم وتخليهم وأن يتعامل مع معارضي التهجير وأن يواجه الوضع الناجم عن رفض المسؤولين لنصائحه . وكان عليه أن يحرك البواخر العتيقة عبر الشلالات وأن يرعى أفراداً من بعض الأسر الأجنبية المالكة وأن يصنف المشاكل التي تواجه اثنتين وعشرين بعثة أثرية وأن ينسق حركة خمسة وخمسين قطاراً ( بما في ذلك إجراء الاستعدادات اللازمة لحالات الولادة المتوقعة ) وأن يخرج رفات عثمان دقنة من قبره . وإلى جانب كل هذا قام بما قد لا يعتبره البعض ضرورياً حيث أنه واطب على تسجيل يومياته .

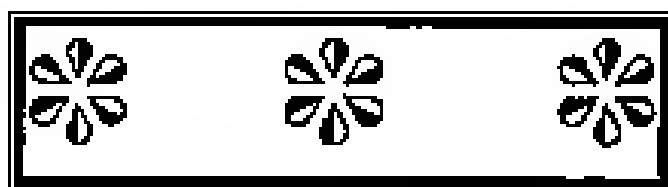
كانت مصادر الكتاب تعتمد على يومياته وعلى الأوراق الرسمية . ويبدو أن اليوميات كانت عملاً غير عادي . فلم تحو مجموعة واضحة من القرارات الإدارية التي تم اتخاذها فقط ، وإنما أعطت صورة جلية للانطباع والأثر الذي خلفته منطقة النوبة على وجدان أحد موظفي الخدمة المدنية القادم من منطقة أخرى من السودان . اتجهت عيون (حسن) في كل اتجاه تستمع بأساليب الحياة عند النوبيين . فالنوبيون بالنسبة إليه - جزئياً - أغراب ، ولكنهم - جزئياً أيضاً - لهم شاطئونه من جوانب عديدة ثقافة شمال السودان العريضة . فإذا بمعرفته العامة توجب إدراكه وتعاطفه غير المألوف ، وإذا بملاحظاته وردود فعله تغدو ملاحظات وردود فعل إداري متحرر عالي الثقافة ... ذلك الذي يدس قطعة كفن في يد الموظف المسئول

عن حركة القطارات تحسباً لموت أحد في الطريق إلى منطقة إعادة التوطين .. والذي لا يصيبه الضرر إذا ما توقف القرويون ساعات لوداع أسلافهم الغائبين قبل أن يغادر بهم القطار .. والذي يقطع من زمنه جزءاً ليأمل ما يكون عليه حال قرية من القرى حين تخلو من أي أحد من الناس ... والذي يسجل بألة تصويره انهيار المنازل في غمرة المياه المتدفقة... والذي تتوجه عاطفته الصادقة إلى أولئك الذين كتبت عليهم أسماء الهجرة من ديار أجدادهم .. والذي يضيف بروحه المرححة مسحة من الحياة على فصول هذه القصة .

لقد كانت القرى المتأثرة بالتهجير مأهولة - وباستمرار - منذ مئات السنين بأجداد السكان الحاليين . وكانت صدمة التهجير عظيمة لأن هؤلاء النوبيين عاشوا حياة متميزة ومعزولة في منطقة متفردة من القطر ، وتحركوا إلى ديار ومكن نمطي عادي .. هنا لا وجود لنهر النيل .. لا غابات نخيل توفر جهد العمل .. لم تعد آثار أجدادهم تحرس أعتاب الأبواب . وبالرغم من أن سكان وادي حلفا وضواحيها قد قبلوا الهجرة على المدى الطويل كأمر واقع ، وضحوا من أجل الوطن الكبير ( هنا يشير حسن دفع الله إلى شعور متزايد بأن التهجير لم يكن كسباً مطلقاً لأصدقائهم المصريين الذين حصلوا على زيادة في حصة الماء ولكنهم فقروا الطمي الخصيب ) .. لكن - على الأكل - فإن خزاناً جديداً قد أقيم في خضم القرية و إن زراعة مروية قد حلت مكان الصحراء .. وربما تمكن السودان من إقامة مجتمع جديد حول بحيرة السد العالي عندما تبلغ ذروة منسوبها وعندما يتم اكتشاف ترواات طبيعية في تلك المنطقة .. ولكن في نهاية الأمر - فإن القصة التي يرويها حسن دفع الله تثير أسئلة لا فكاك منها حول للربح والخسارة في عملية التهجير .

لقد ملأني هذا الكتاب - شخصياً - ببهجة عظيمة وأقنعني بأنه إذا كان لا بد من تنفيذ المهمة التي وصفها (حسن دفع الله) فإنه أو شخصاً آخر يمانته هو الإنسان المناسب ليتولاها . وإنني لأرجو من الذين يديرون مشروعات مشابهة أن ينتبهوا إلى ما أنجز هذا الرجل وبأي الطرق كان هذا الإنجاز .  
أما بالنسبة للجانب الأدبي من الكتاب فيأتي شديد الإعجاب بالمزاوجة بين شخصية المؤلف الإنسانية .. المسامحة والعملية .. وشخصية الكاتب الذي يسرد بأسلوب شديد الوضوح والحبكة قصة هذا العمل للتنفيذي المعقد .

حاشية ( قبيل الطبع ) نلم نعلم (حسن دفع الله) ليري هذا الكتاب مطبوعاً  
لقد توفي في مايو ١٩٧٤م وكان حينها قد بلغ الخمسين من العمر .





## مقدمة المؤلف

عندما قررت مصر إقامة خزان السد العالي عند أسوان ، لفتت أنظار العالم بهذا للمشروع المدهش تصميماً وحجماً وتكلفة وفائدة ، لكن آثاره الضارة على أرض النوبة لم تسترع انتباه أحد . فالبحيرة التي خلقها الخزان كانت ذات أثر مدمر على كل النوبة المصرية وامتد أثرها على مسافة ١٥٠ كيلو متراً داخل السودان . ففي السودان - وحده - ابتلعت مياه البحيرة سبعاً وعشرين قرية بالإضافة إلى مدينة ولدي حلفا . وقد ٥٠ ألف نوبي سوداني مأواهم وكل أراضيهم ومساكنهم ونخلهم ومقومات حياتهم . أما في مصر فقد قرر عدد النوبيين المتأثرين به ( في القطرين ) ١٢٠ ألف نفس .

والموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب يتلوق بالنوبيين السودانيين الذين كانوا يقطنون الجزء الشمالي من مركز وادي حلفا ويعطي صورة لعملية تصفية أملاكهم الثابتة ، وتهجيرهم وإعادة إسكانهم في موطنهم الجديد بخشم القرية . وباعتباري مفتشاً لمركز وادي حلفا ، ثم - في وقت لاحق - مسئولاً عن التهجير ، وعشت بين أبناء حلفا لمدة ستة أعوام شهدت خلالها المصير المفجع الذي آل إليه وطنهم ، ووقفت على بناء منطقة إعادة إسكانهم ، فقد ألتى على عاتقي كل أمر يرتبط بالتهجير من كافة وجوهه المادية والعاطفية .

ولأنني لم أجد ما يسعفني من السوابق ، فقد كان علي أن أعتمد على خيالي وعلى الحاسة المعنوية للمكان . وانطلاقاً من حقيقة أنني عشت بين ظهرانيهم مدة طويلة مكنتني من التعرف عليهم بصورة جيدة ، فقد ساعدني ذلك كثيراً في تقييم مختلف الأوضاع وتحديد القضايا واتخاذ القرارات .

يصف الجزء الأول من كتاب أرض النوبة المفقودة وقراها ومدينة وادي حلفا ، ويروي شيئاً عن النوبيين وأساليب حياتهم وتقاليدهم والطبيعة التي من حولهم

ولفصلهم المحلي . وقد جمعت هذه المادة أثناء إقامتي في وادي حلفا وهي في زعمي تحتوي على معلومات أولية ذات قيمة عن النوبة المفقودة . ويعالج الجزء الثاني موضوع التهجير ومعضلاته المعقدة (الإنساني منها والمادي) وحتى إكمال إخلاء السكان بسلام إلى موطنهم الجديد قبل أن ترحف مياه بحيرة السد العالي على موطنهم القديم . ويناقش هذا الجزء بالتفصيل كيف أن صحراء البطانة في منطقة خشم القربة قد تم تعميرها من لا شيء لتصبح إحدى أفضل مناطق الإسكان في إفريقيا .

لقد جمعت مادة هذا الجزء بعناية أثناء عملي معتمداً للتهجير ، فكانت احتفظ بصور من التقارير الشهرية التي أبعث بها إلى لجنة التوطين بالخرطوم حول الأحوال في حلفا ، وبصور من وقائع كل الاجتماعات المهمة في الخرطوم وفي وادي حلفا . بالإضافة إلى ذلك فقد كانت في حوزتي مجموعات كاملة لكل تقارير الإحصاءات السكانية والمسوحات الاجتماعية التي أجريت في المناطق المتأثرة بالتهجير . وأخيراً وليس آخراً اعتمدت على مفكرتي الخاصة .

وإذا وضعنا في الاعتبار الوقت الذي أتاحته إتفاقية مياه النيل لتنفيذ خطط إعادة للتوطين ونرحيل أهالي حلفا ، والمستوى الممتاز والكفاءة للعالية التي تم بها إنجاز هذا العمل ، فإن ذلك يعد مقبرة للجهل الإداري لنظام عبود . وكان للتعاون الملموس بين الخدمة المدنية والحكومة أثره على جودة تخطيط وتنفيذ هذا المشروع الكبير الذي أصبح حقيقة مثالية . ولا أحتاج إلى تقديم أي أمثلة هنا ، لأن القارئ سيجدها في ثنايا الكتاب ، ويكني أن أذكر أنه خلال فترة ثلاث سنوات تم بناء خزان كامل تتفرع منه شبكة ري كاملة ، وتم تخطيط كل القرى ومدينة حلفا الجديدة بمستوى لا تضارعه أي مدينة سودانية أخرى . وفي حلفا القديمة تمت تصنيفية الأملاك الثابتة كما تم نرحيل كافة السكان بممتلكاتهم المنقولة بسلام قبل أن تغمر المياه ضفتي النيل في ١٩٦٤ م .

لشكر البروفسير ( د. كنيسون ) الذي باقتراحه وتشجيعه عندما كان يعمل في جامعة الخرطوم . فمت بكتابة هذا العمل والذي ماعسي مؤخر في صياغة مادته بجامعة (هل) . وأذكر كذلك البروفسير (ف. ريفش) الذي راجع المادة وأسدى إليّ اقتراحات قيمة وأق مدني لدكتور (يوسف فضل حسن) ودكتور (م. س. جدرج) من جامعة الخرطوم للاهتمام الذي أسياه بقراءة المادة ولقيسهما بالاتصال بممثل المجلس الثقافي البريطاني بالخرطوم السيد (م . س . دالزيل) الذي رمحي للمحة التي مكنتني من الصياغة النهائية لهذا الكتاب . ولمحرر بورية ( للسودان في رسائل ومدونات ) لسماحة باقتباس أجزاء من مادة الفصلين الرابع والسابع والتي ظهرت قبلاً في محتويات تلك المطبوعة لكل هؤلاء أق مدني بكثير من الشكر والعرفان .

ح . دفع الله



## كلمة المترجم

استرعي انتباهي -ممد عشريين- علماً -كتاب ( هجرة النوبيين )  
لمرحوم حسن دفع الله باعتباره توثيقاً بالغ الأهمية لتجربة إنسانية مادرة  
الحدوث في تاريخ البشرية غير أن هذه التجربة العريضة لم تكن حين صدرت  
في متناول الدارسين والمهتمين والرابعين في التعرف عليها لسببين : السبب  
الأول هو أن مادة الكتاب -والسبب الثاني- فقد كان شح الكمية المطبوعة منه وتداوله في  
الإنجليزية أما السبب الثاني فقد كان شح الكمية المطبوعة منه وتداوله في  
نطاق ضيق لا يتعدى الأكاديميين وقارئى الإنجليزية الذين يتابعون إنتاج  
المطابع وحركة النشر علي وجه العموم

ودر بخلدي مرات عديدة أن أشرع في ترجمة هذا العمل النادر  
بمواقع ثقافية بحثة حتى غصص الله لي -علي مدي عام كامل- أن أفرع من  
ترجمته وأصعبه بين يدي القارئ الكريم .

لقد اشتهدت -ما وسعتني الحيلة أن تكون الترجمة وافية وشاملة وبلغه  
تعبه اللغة الرصيدة التي كتب بها الكتاب . ونشياً مع هذا السق رأيت أن  
أصيب بعض الحواشي لشرح بعض المعاني والألفاظ التي قد تسعج علي  
القارئ من غير السودان كما صحت بعض الهبات الطوعية التي لم يكن  
المؤلف في طبي -سبأ- فيها .

إنني لجند شاكر لأفراد وجماعات كثر أبدوا اهتماماً بهذه الترجمة  
وتابعوا صدورها بقدر جريل من التشجيع فلاح الوفي : أسامة داوود  
عند اللطيف الذي شجعتني قولاً وعملاً على طباعة هذا الكتاب ولأسرة المرحوم  
حسن دفع الله التي أبدت اهتمامها وتقديرها لهذه الترجمة ، ولأسرة جريدة

(الرأي العام) التي نشرت فصلاً من الترجمة في عدة حلقات والدكتور عبد الرحمن إبراهيم الحليفة الذي تابع ظروف طبعه هذا الكتاب، ولأستاذ القاضي بروفيسور : محمد إبراهيم أبو سليم الذي أشاد بها في جريدة (الشارع المصري) ، ولأستاذ : إبراهيم العوام الذي ساهم بإخلاص في تصميم الغلاف ولشقيقي : إبراهيم حميدة الذي عاونني في غالب مراحل هذا العمل ، ولأسرة (إرم لصناعة الكمبيوتر) وكبيرها : عبدالعزیز حصر ، ولأخوين : د. محمد ربيع عبدالله و د. جيري عبدالرحمن الدين راجع مادة الكتاب وأستاذي لي ملاحظات قيمة ، ولأخ السموعل حلف الله ، ولأخوين د. المعتصم عبدالرحيم - والتي الشمالية السابق ، والأستاذ أحمد محمد تاجر - وزير الشؤون الاجتماعية بالولاية ولأسرة المركز السوداني للخدمات الإعلامية وكبيرها الأستاذ . الطاهر حسن أحمد التوم ، ولأسرة مطبعة مصحح إقريقي التي حرصت على طباعته ، لكل هؤلاء ولمن فات علي ذكرهم سيواً حالص التقدير والعرفان

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ع . حميدة



## الفصل الأول

وصولي إلى ( وادي حلفا )

في ١٧ أغسطس ١٩٥٨ وعندما كنت أقصى إجازتي، تلقت توجيهات من وزارة الداخلية للسفر إلي (وادي حلفا) مدفولاً من مقر عملي في مركز (الزراف) بمديرية أعالي النيل وحملت التوجيهات بامر صريحة بالعاء من تبلي من أسابيع الإجازة وأن أستقل أول طائرة من (الخرطوم) إلي (حلفا) لاستلام إدارة المركز من زميلي السيد (عبد السميع غنور) الذي تم نقله إلي الإستوائية .

وفي ٢١ أغسطس إستقبلت طائرة الخطوط الجوية السودانية من طراز (داكوتا) وسرعان ما كنت أطيّر شمالاً فوق سماء (الخرطوم) المملدة بالغيوم . وكان طريق الطائرة يتابع مجري النيل حتى (كريمة) في رحلة -حتى هذه النقطة- كانت مريحة ومسلية . وكان منظر النيل والمدن الصغيرة والقرى علي طول مجري النهر والخصرة التي تحتصن الصقيع، أمراً مبعثاً جداً . وعندما عبرت فوق (كريمة) تحير المظر تماماً . فقد مصت الطائرة في العشاء الأزرق فوق الصحراء الدبية وعدا ما تحتنا أرضاً جدياء وسهلاً رملياً رتيلاً تتناثر فوقه جبال صحرية ممتدة إلي ما لا نهاية . ولم تكن هناك مظاهر حياة أو حركة في تلك المنطقة الشاسعة إلا ما كنا نراه من ظل الطائرة . من تحتنا شتعا علي الدوام . وبعد سبعين دقيقة من الطيران الذي لا يجلسو من الرقابة والصجر فوق تلك الأصقاع الموحشة ، انقطعت عرابي شريطاً أحمر يشق طريقه عبر الصحراء إلي امتداد الأفق . جب هذا المظر الراحة إلي نفسي ، وأنبأني الشريط العضي الذي يلمع من بعيد إلي أن نفترب من النيل مرة أخرى وإلي أن رحلتي قد اقتربت من نهايتها . وبعد لحظات أنزلت (الداكوتا) عجلاتها ثم أخذت طريقها علي المدرج ، وعندما

توقفت الطائرة كنت أول ركانها علي سلم الخروج و استطعت أن أري عدداً من مستقبلين و لاعبين ينتظرون مقدمي في واحدة منتي للمطار . و هرع لامتقبالي عبد السميع عند دور (مفتش المركز الذي سأحلفه) بقامته المديدة الرشيقة و (مختار النوم) صابط البلدية . وبعد استئصال حار و كلمات ردوده قدم لي (عبد السميع ) بقية المستقبلين . كان نجماً من الناس الممتازين الذين شأت بيبي وبيهم و رابط صداقة قوية أثناء إقامتي في (حلفا) . من بين هؤلاء (صالح عيسى عنده) ناظر المنطقة الشمالية للمركز وهو رجل بدين وصاحب وجه بشوش ، و (أحمد شريف داؤود) و (مرعبي علي إبراهيم) رئيس المجلس البلدي .

يقع المطار في منتصف سهل مستو من الرمل الأبيض النض و محيط بـلال صحيرية منخفضة ذات لون داكن تتميز بالحداد حاد وحيوانات صحيرية تمتلئ بالرمال التي تحرقها رياح الشتاء العاتية .

كانت الشمس قد استوت في كبد السماء عندما هبطت في الطائرة وكان الجو حاراً كعادة ما يكون في أغسطس في هذا الجزء من السودان . هذه الشمس القاسية التي نشرت أشعتها الساطعة علي الرمال البيضاء أحدثت سراًباً حادعياً علي كل المفاخر الطبيعية بأوهام من الرؤى القائمة و عكس بوضوح كل شيء علي صفحاته الزجاجية الكدوب .

غادرنا أرض المطار إلي المدينة سيرة كانت ترتج و تحيط علي طريق مرصوف غير أنه وعر ، مما يؤكد ن يد الصيانة و السهيد لم تمتد إليه مدد أعوام . وبعد مسيرة عشر دقائق و عندما كانت السيارة تقترب من منحني حاد ، رأيت بيوت قرية (دعيم) تمتد إلي صفة الدهر . كان أحد أطراف



القرية عائياً عن أنظارنا لأنه يقع خلف جبلين ينحدران تدرجياً نحو الطريق . وبُنيست المساكن إما بالطين أو بالطوب الأحمر وأغلبها مطلي بطلاء حارضية من الحبر الرملي مما أكسبها مظهراً باعماً ، وكان لبعض المباني (فردات) ذات أقواس رومانية الشكل مما يجعلها تبدو حديثة بالمقارنة مع المنازل السوية التقليدية التي تشبه القلاع . وتشق القرية طرق واسعة تتفرع عنها أرفق صيقة معطاة بأكوام الرمل ، غير أنها بطيئة وخالية من الأوساخ . ويتصبغ عالياً حراش المياه (الصهريج ) علي أنصبة رمادية اللون ، كأوصح المعالم في ذلك الحراء من القرية . ويندر أن نرى شخصاً في ذلك الجو الحار من اليوم فكل شئ يبدو في سكون الموت إضافة إلي أن اختفاء الأشجار والنباتات كلية يوحي بأنها قرية مهجورة تماماً . وفي الحديقة القصوى ينتظم خط كثيف من أشجار النخيل -محاذياً مجري النهر ومخفياً للنهر بجريده المتهدل - ومن بعيد -وعلي الضفة الغربية- تبدو سلسلة من الجبال ذات قمم مستوية ، وكثبان رملية تتحده نحو النهر لا يميزها إلا منزل البروفيسور (أميري ' ) الأبيض اللون والمطل علي لطلل مدينة (بوهين) القديمة وراء الأشجار الحصراء عند ضفة النهر .

وعندما اتجهت السيارة يميناً برر لنا باقي القرية التي كان يشقها الطريق إلي نصفيين . وكان أبرز المباني علي الإطلاق الجامع الكبير الذي قام علي موقع متميز في منتصف إحدى الساحات حيث كانت المئذنة تشرئب عالياً في السماء .

( ) علم تاريخ شهر كان يقيم في هذا الموضع

يسمى هذا الجامع ملك مصر المملوك (فاروق) كإشارة ذات مغزى  
 يسمى عندما كان مستقبل السودان يتأرجح بين الاستقلال والاتحاد مع مصر  
 . بالقرب من هذا المسجد قامت صائفي المدرسة بمداخل ردهاتها دوات  
 القصب . وهي زاوية الساحة وبالقرب من الطريق فيعت إحدى الاستراحات  
 المبنية من الطين لاستقبال المسافرين الذين ينتظرون القطار المتجه للخرطوم  
 . وعندما حللنا وراجعا تلك القرية الهادئة مررب - هجاءة - مشروع (شارلي  
 راشد) السوداني ذي الأصل السوري الذي جاء ولده في معية حملة (كنشر)  
 كطبيب . كانت هناك أكواخ صغيرة من القش عند الحقل يسكنها عمال من  
 الصعايدة مما يدل على أن الأيدي العاملة التي كان يستخدمها (راشد) ليس من  
 بينها نوبيون . وفي قبالة هذا المشروع الذي يروي بالمضحات و على الجانب  
 الأيسر للطريق قامت بيوت حربة متلاصقة على رؤوسها أعواد من الحيزران  
 شئت عليها خرق ملونة تحركها الرياح معلنة أنها (الإنديانة<sup>(١)</sup>) . هذا المكان  
 يعرف بـ (ديم جاكسون) . ولأنك أن (هـ . س جاكسون) الذي كان مديرا  
 على مديرية حلفا أوجر عشرينيات القرن العشرين ، قد قام بتخطيطه . ومن  
 حلفا على النقيض قامت (العيلة<sup>(٢)</sup>) الوحيدة في دغيم والمملوكة لموظف  
 نوبي بدعي (محمد علي ادريس) . كانت القبة الرئيسية لمشروع (شارلي)  
 تعبّر الطريق على بعد ياردات قليلة إلى ما بعد (ديم جاكسون) على الحدود  
 الجنوبية لمدينة (وادي حلفا) .

وبعد مسافة قصيرة إلى جهة اليسار ، وجدا أنفسنا في أفضل مناطق  
 المدينة عمرا . كان منزل الممثل ذو الطائفتين نورمانه المحاطة بسياج

<sup>(١)</sup> يمكن بيع الخمور لبيعه . المترجم  
<sup>(٢)</sup> ورنج حلفا - Village - المترجم

مرحرف ، يُرى من بعيد . لقد تم بنائه في مطلع العشرينات من القرن العشرين وكان ظهوه إلى النهر وله حديقة واسعة ذات شجيرات مزهرة تم جلبها من إنجلترا . وعند المدخل الرئيسي تم نصب مدحجين عتيقين من طراز (كروب) تذكاري، لحمة (كنشور) . وبالقرب من هذا المنزل وفي الجانب الجنوبي من الساحة قام مسجد من طراز عتيق مبني من الطوب الأحمر ومطلي بالحير الأبيض ، وليس له منسدة ولكن له قبة تقليدية تدعى بواقد رجعية - في منتصف السقف وكان علي المؤن ان يصعد علي منبر خشبي في زاوية السقف حين يدعو أن (حي علي الصلاة) وقد تم تشييد هذا المسجد في عهد الحديوي المصري (إسماعيل باشا) في سبعينيات القرن التاسع عشر ، وحمل اسمه . وفي غرب المسجد وعلي شاطئ النهر وفي ما بين منزل مفتش المركز وفندق النيل ، قامت ثلاثة منازل يقطنها بعض كبار الموظفين . ولقد تم بناء فندق النيل - والذي كان يحتل مساحة واسعة حيث ينتهي الطريق جنوب المسجد - من طابقين وهو أقصر مباني المدينة علي الإطلاق . فم منتصف الفندق يحوي الصالات وغرف الإستقبال ، بينما يضم جناحاه عشرين غرفة جيدة للتأثيث والطاقة ، وواجهته مطلية بمرندات مقابلية لسياج الطابق الأرضي . أما الطابق الأول فله شرفات تصل علي حديقة جميلة تعطي كل المساحة الممتدة إلى الشاطئ وفي الشتاء حين يبدأ موسم السياحة فإن الممر الخلفي الذي يقود إلى صالة الطعام يتحول إلى سوق صغير لبيع مشعولات العاج والفصاة وريش النعام والهدايا التذكارية السودانية . وعلي شاطئ النهر ترمو بصفة دائمة الباخرة (السودان) - التي كانت مملوكة لشركة (توماس كوك وابنه) امتداداً للفندق .

وإلى شمال منزل المبعث تقع مباني (السردارية) الشهيرة المكونة من اثنتي عشرة غرفة متجاورة يفرده تمتد على طول تلك الغرف وكان الحرال (غردوب) يستخدم الغرفة الواقعة على الطرف الجنوبي ثم تحولت إلى مقر إقامة لكتشور باشا ابن فترة ما قبل إعادة فتح السودان ، ولأن (كتشور) كان سردار الجيش المصري ، فإن المبني قد أخذ اسمه من هذه الرتبة العسكرية حسبما سجل تلك اللوحة الرخامية التذكارية المثبتة في جدار من المدخل وظل المني محافظاً على حالة طبية ، وكان مأهولاً بموظفي شركات الطيران العالمية عندما حلت بالمدينة ولكنه -مؤخراً- ستم تخصيصه لموظفي مصلحة الطيران المدني .

كان منزل المبعث ومبني (السردارية) يقعان على مقربة من ورش السكة حديد ذات الجلبة العالية حيث قامت سقائف فولادية ضخمة تتم فيها صيانة القطارات المتجهة إلى الخرطوم وتزويدها بالزيوت كانت منطقة الورشة معطاة بالرماد الأسود والخطوط الحديدية وحظائر العجم الحجري وخزانات الوقود ، ونعج بالعمال الذين يرتدون ملابساً لظمها الزيت كانت الصلجة اللا متناهية لسبك الحديد وخططات (المطارق) الرتيبة وأزير البحار ونفخة وصهيل القطارات حين تتحول من خط إلى آخر أو قطر وفك المقطورات ، يؤدي إلى خلق إزعاج متواصل . وكانت (الصفرة) الكهربائية التي تطلق ما بين أوقات الراحة الرسمية أثناء ساعات العمل ، تصيف إزعاجاً آخر إلى ذلك الذي يحيم على المنطقة . كان خط التحويل الرئيسي يعبر الطريق مباشرة من أمام بوابة منزل مبعث المركز ، ولم يسر سلطات السكة حديد ن تصنع إشارتي إنداز على جنسي الطريق لتوجيه سائق القطار بدفع

البخار هي (صافرة الفاخرة) ، فيسب ذلك إزعاجاً لا مثيل له . ويوفر أطقالي هذه العدة التي لا تفتقر إليها تحية من مائتي القطارات لأبيهم المنهك الأعصاب . وعسي الشاطئ حلف هذه الورش كان هناك مرسى واسعاً لصيانة اليواحر التي تعمل في خط الشلال ويصم المرسى رصيفين أكبرهما صندل فولادي عديم والثاني (مزلقان) حرساني يحذر من الشاطئ إلى قلب النهر وله عجلات بحري علي قضبان وبكرة كبيرة ذات حبال تستخدم لسحب اليواحر والصنادل إلى الشاطئ عندما تكرر في حاجة إلي إصلاح . وهناك رافعات عملاقة يتحركان علي خط السكة حديد وبطاري علي الرصيف الخرساني لشحن وتفريغ البضائع ذات الأثقل العالي . وكانت هناك - دائماً - أكثر من باخرة في انتظار دورها لتحول هذا الرصيف النشط .. ويمكنني أن أرى ثلاث يواحر راسية في انتظار نورها . وكل اليواحر في هذه الماحية تحمل أسماء فلكية (الثريا - المريخ - الشمس - القمر ) وأسماء بحري . وشذ عن هذه القاعدة اسم واحد لرورق سحب قوي يسمى (النوبة) تم الاستيلاء عليه من الإيطاليين في البحر الأبيض المتوسط أثناء الحرب العالمية الثانية وجرى به عكس التيار إلي (وادي حلفا) .

وفي زاوية من زوايا الرصيف والقرب من الطريق قلم منفي صمم من طابقيين يصم مكاتب مدير الحوض وموظفيه وقد تم إرساء حجر أساسه أثناء سنوات التحصير لإعادة فتح السودان وتم استخدامه وقتها كمستشفى عسكري . وفي الجانب الشرقي من الطريق والقرب من حوض اليواحر يصطف عدد من (القطاطي) يمثل النمط التقليدي لمساكن عمال السكة حديد ، وبعض مساكن موظفي السكة حديد يظللها صف من أشجار النخيل وهذه

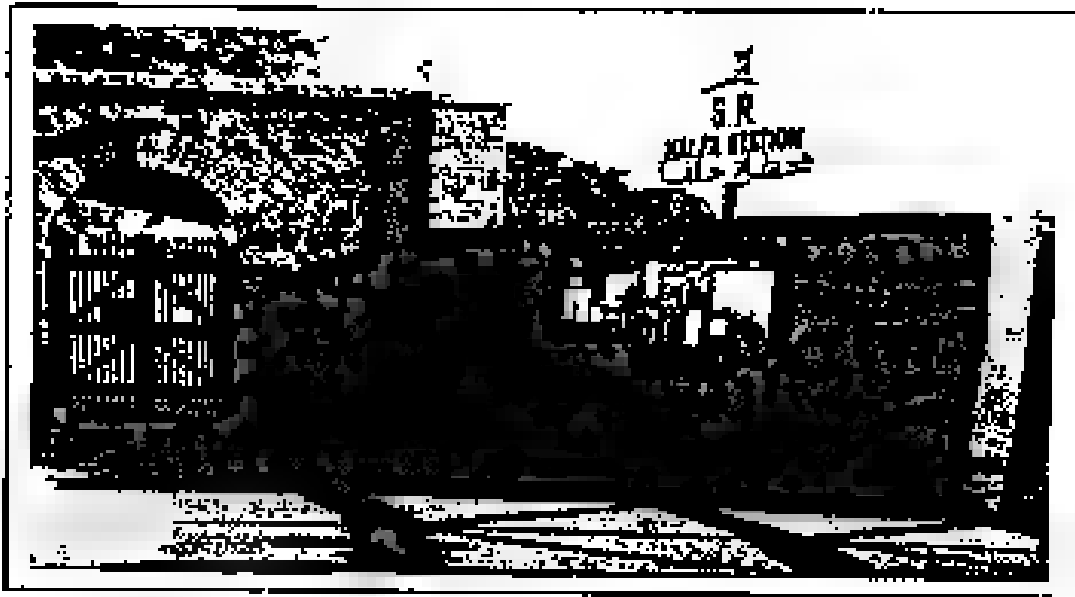
ثم غرسها في الحديقة بواسطة أسرى المهدية الذين دعوا إلي ( وادي حلفا ) .  
هذه كانت المناطق المجاورة لمكان إقامتي وكان لطباعي الأول . أن  
يقلي قد أحدث تعبيراً طليعاً في حياتي . فقد انتقلت من منزل معزل ومن  
مجتمع محدود في (فجالك) ، لأعيش في قلب ورشة السكة الحديد والمنطقة  
الصناعية بكل صخبها . كذلك فقد جئت من منطقة شبه استوائية مليئة  
بالمستنقعات ذات أمطار غزيرة إلي منطقة صحراوية غير ممطرة .  
عندما دخلت المنزل كان حالياً تصماً وقد أحبرني (عبد السميع ) أنه  
كان حريصاً علي إحلاله لدرجة أنه أرسل كل لوازمه وعائلته يسبقانه . أقيمت  
بظرة سريعة علي العرف ، وسرسي أنني وجدتني وسعة بالمقارنة مع بيتي  
الصغير في (فجالك) . وقد سحرتني في غرفة النوم رسومات (ميكي ماوس)  
ومجموعة الدببة ذات الملابس الزاهية وهي تعرف الموسيقى . وعلمت أن  
هذه الرسومات من عمل روجة أحد المهندسين الإنجليز . كان الطابق الأرضي  
فسيحاً ومريحاً مما دفع كل من سيفوسي للاستعداد عن الطابق الأعلى ، ولهذا  
قد حذوت حذوهم وبالنسبة لرجل مثلي قضى أربع سنوات ونصف في  
أدغال (أعالي النيل) ، فقد كانت المدينة المنتمعة بالكهرباء وبإمدادات المياه  
صرباً من البدع

من هناك توجهت إلي المكتب . وبعد مرور بمكاتب البواخر ، دحسا  
ميداناً صغيراً يمتد ما بين كاتدرائية صغيرة في إحدى جوانبه ، ومحطة توليد  
الكهرباء والسحر من الجانب الآخر ، ورأيت اثنين من حراس السجن  
يجلسان باسترخاء أمام بوابة السجن ، بينما كان سبعة من المساجين يتناولون  
وجبتهم في ساحه السجن خلف البوابة المغلقة . ثم طرقت أحسن شوارع

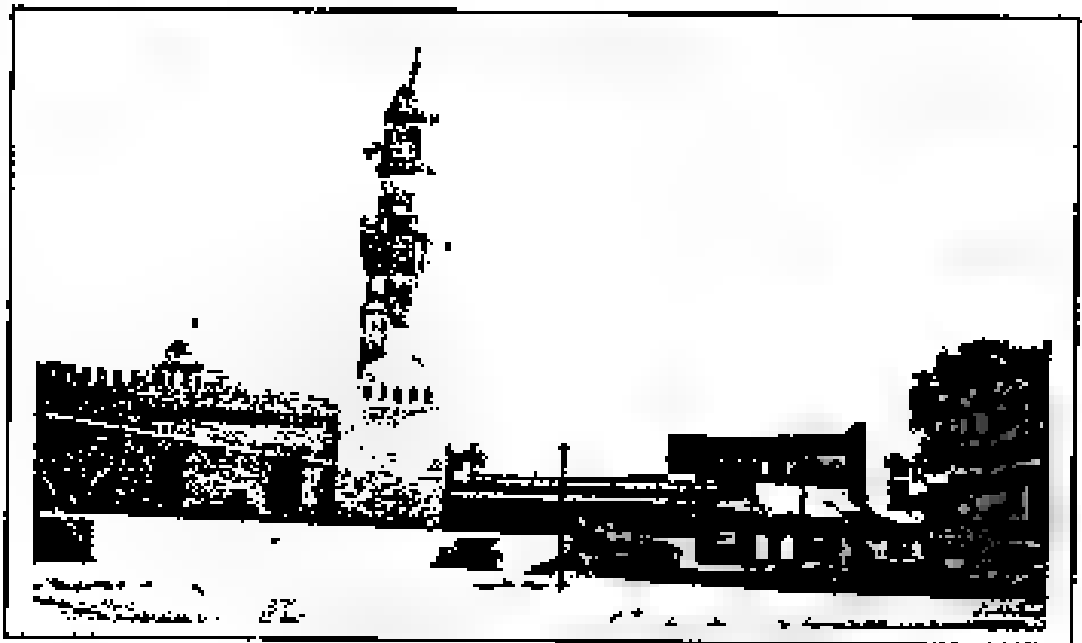
للمدينة والذي كان أيضا الأول من نوعه في البلاد فعلى مسافة نصف ميل  
حُف طريق الإسفلت بصغير من أشجار النخيل الكثيفة كأنها في اعتدالها  
مسطرة . وقامت سيقانها جنأ إلى جنب في استقامة كاملة وكان الجريد  
يتهدى برشاقة في مهب السسيم .

لاشك أن الموسم كان طيباً كما يلاحظ من سباط النمر القرمري  
والأصفر المتبدلة من بين الجريد .. وفي وقت لاحق قمت بزيارة أحواض  
رهور عريضة على جانب الطريق كانت تزدهر في الشتاء بألوان زاهية .  
وينتهي الطريق عند مباني المركز .

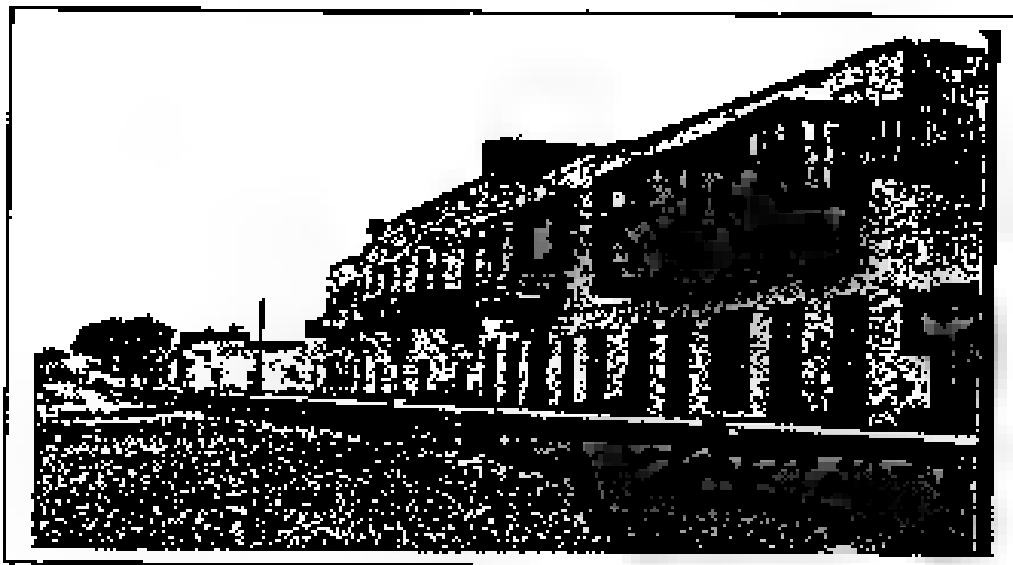
ثم شرعت في مسيرة متسارعة وقصا بزيارة المصالح المحصورة في  
مباني رئاسة المركز حيث تم تقديمي لكبار الموظفين كان مبني المركز  
يقوم في شكل نصف دائرة تواجه النهر من الناحية الغربية وتواجه طريق  
النخيل من الشرق . وكان الصب الرئيسي من المبني يحوي مكتب مفتش  
المركز والكتبة والمساح ومكتب الزراعة . ويستخدم الجزء الجنوبي المأمور  
والمحكمة الأهلية والمحكمة الشرعية . أما الجناح الشمالي فتحته المحكمة  
المسبية ومصلحة الأراضي . وكل المبني مظلل بمر طوليل يسير من مبتداه  
إلى منتهاه . وخارج المبني تجاه النهر يقوم مكتب الشرطة بمحرس سلاحه  
الذي يحمره بيلاً وبهاراً حرس مسلح . وتطلل منتصف ساحة المبنى أشجار  
عتيقة مورقة يلود بظلالها جمهور الرجال والنساء الذين ينتظرون يوماً ما  
تتمحص عنه دعاواهم أو لمناجاة القضايا لمعلن عنها أمام المحكمة في تاريخ  
معين . وهكذا انتهى يوم العمل الأول لوصولي . وفي حائل الأيام العديدة  
التالية هرعت من زيارة ما تبقى من المصالح ...



محطة السكة  
حديد (كالف)



جامع التدمرية



شاطئ النيل  
(مotel وشركات)



## الفصل الثاني



هي اليوم الرابع قرربا أن تسافر شمالا لريارة النقطه الحدرنية(قرص).  
 وعندما عبرنا حدود المدينة مررنا بقرية صغيرة يقال لها(شبح على) تقع على  
 حافة منحدر الجبل حيث تزرع أحوص قليلة في اتجاه النهر . وهي راوية من  
 روبا القرية . التقطت أبصارنا منبئة حجرية لمسجد صغير . ويفصل سهل  
 أمتد لمسافة ثلاثة أميال هذه القرية عن قرية (الصحابة ) ذات المنازل الطيبة  
 المفتحة عند سفح (جبل الصحابة ) . كان ذلك الحيل سيج وحده فهو يقع  
 تماما على بقعة عبور خط ٢٢ للنيل وبالتالي فهو ذو أهمية سياسية ومساحية  
 ، فضلا عن أن اسمه قد جلب العديد من الروايات . فقد قيل أن عدداً من  
 المسلمين الصالحين قد راوا هذه المنطقة في حجر الإسلام وراطوا خيولهم  
 في قمة الجبل ولهذا فقد سمي جبل صحابة رسول الله محمد (ص) . كذلك فإن  
 الجبل قد انغلق عن بكرة هي سلسلة الجبال الرئيسية التي تفتح بمحاذاة النهر ،  
 ويسد الطريق أمام القطاع الشمالي للسلسلة بحيث لا يبقى سوى قسحة تقدر  
 بيارات قليلة تسمح بمرور الخط الحديدي وطريق السيارات . وسبة لوجود  
 أكوام من الحجارة المكثرة عند سفحه ، فإن هذا يعتبر دليلاً على أن المكان  
 كان يوماً ما محجراً لأغراض الساء . وعند النظر من سفح الجبل إلى جهة  
 الغرب يشاهد المرء بوضوح قرية (أرقين) على الضفة الغربية بمدارسها  
 وعيانتها الطيبة التي اكتست حلة من الجير الأبيض . كما يشاهد غابة النحل  
 الكثيفة على صفة النهر . ومن جبل الصحابة وعلى بعد ثلاثة أميال عبر  
 مصاء من الرمل يصل المرء قرية (أشكيت ) .

تمتاز (أشكيت ) بمنظر بهيج خصوصاً لمن يراها أول مره . وهي  
 إحدى أكبر مناطق النوبيين المأهولة في القطاع الشمالي من المركز ، وكانت

تقع في نهاية المنطقة المروية لمشروع (دبيرة) الزراعي . كانت القاعة الرئيسية للمشروع تبدأ من الطرف الجنوبي وتسير موزنية للطريق المتجه إلى دبيرة وكانت مصحات المياه تحمل على مركب طافية قرب الشاطئ . لقد حطمت القرية على سهل منحدر وعلى سفح سلسلة من الجبال الصحيرية التي تمتد جنوب وشمالا . وإلى الغرب ما بين القرية والنهر زرعت الأرض نعاً للدورة الزراعية واستظلت بأشجار الحيل المتفرقة التي تتشابك ويرداد عددها كلما اتجهت إلى النهر حتى تصبح غابة كثيفة على الشاطئ . كانت (أشكيت) قرية نموذجية من حيث انتمائها النوبي التقليدي ، وكل بيت يقوم كوحدة مستقلة عن جيرانه ، وغرف المنزل تحيط بأربعة جدران في منتصفها (صالة) وأغلب المنازل لا تحتوي على أي نوافذ ، فيما عدا فتحات صغيرة في أعالي الجدران وتحت مستوى السقف مباشرة ، والذي يمتد على جدران من الطين القوي من القاعدة إلى القمة لتحلها بوابة كبيرة من الخشب المطي تعلق بمزلاج نوبي تقليدي .. هذا المنزل يعطيك الانطباع بأنه شبه قلعة عتيقة ويذكرني بسور العمارة في مجون وسط السودان . وفي المتوسط فإن مساحة البيت تبلغ ٤٠٠ متر مربع (٢٠م×٢٠م) وبوابته تكون دائما في منتصف الحائط الأمامي وتفتح على صالة صغيرة مساحتها ٣×٤ أمتار . ومن يمين أو يسار الصالة ديوان الصيوف وهو أوسع غرف المنزل وأحسنها لائتا . وتجاور هذه الغرف حجرة نوم كبيرة تفتح على الصالة أما بقية غرف العائلة فيها تقوم متجاورة حول حدود الحائط وهي في المتوسط ثلاث غرف . وفي الحلف يقوم المطبخ والمحرز . وعلى طول الحائط الخارجي الأمامي تقوم مسطبة عرضها متر واحد وارتفاعها نصف متر ومبنية مثل الحائط



الرئيسي للمبني - بالرمز الجيري الساعم . وتستخدم السماء هذه المسطبة في مناسبات الأفراح والأفراح .

إن تفرّد ملامح المنازل في (أشكيت) يأتي من رحارفها التي تبرز منبلياتها في القرى الأخرى . فالجدران الداخلية للعراف وخصوصاً عراف الصيوف تزهر بأشكال من الجير الملون أو بصحاف للصيني . كذلك يستخدم المخار والحصص الملون . وفي بعض الحالات تكون الرسومات نباتات أو حيوانات أو أشكال هندسية ملونة . وفي بعض المنازل فإن المخار والحجارة تصاع لتعطي صوراً هندسية أو حروفاً ذات معنى ديني مثلما هو الحال - في أغلب الأحيان - في تشكيل اسم الجلالة . وعلى صفحات الأسوار المحيطة لبعض البيوت ، تقوم السماء الحائقات برسم أشكال مرحرفة لأشجار النخل والباش والحيوانات والفاكية .

هناك تحميمات عديدة حول نشأة طريقة رحررة مدخل البيوت . فبعض الدارسين يظنون أنها موروثة من تأثير الأساطير المصرية القديمة التي لقدت مغراف الديني بمرور الزمن حتى صارت مجرد زحررة لا غير . وآخرون - مثل السيد إبراهيم احمد - يعتقد أنها رقية لوقاية البيت وقاطبة من (العيس) . وفي انعادة فإن صحاف الصيني توصع بالضغط على عتبة مدخل البوابة في شكل أربعة خطوط تمثل الحرف اللاتيني (M) بالإضافة إلى صحين بوصعان فوق الراوية الوسطي للحرف لتعطي في منظرها شكل قبة الصريح الذي ترفرف رايانه من الحيتين . إن متوسط عدد الصحاف التي ستعمل لهذا الغرض يصل الثلاثين . وفي حالة فقراء الباش فإن هالك عدد أقل من المصحاف . وفي بعض الأحيان لا يري سوى صحن واحد مثبت في

منتصف العتبة العليا للبوابة . وفي أحد المداخل هناك نوبتان على الطريق الرئيسي (أشكيت) تلتقيان أنظر بتميز خاص يعكس من الزخرفة الندية التي تتداخل فيها خطوط (الجص) المرسومة بأحكام في شكل خطوط هندسية مستقيمة ودوائر تتداخل فيها خطوط متعرجة بارزة . وهذا النوع من الزخرفة يعطي مساحة عريضة متران في جانب من جوانب البوابة ، بينما يتميز أعلى العتبة بصف دائرة من التخرجت الباردة وهلال وجملة . وهذه التواءات الجبسية البارزة يتم طلاؤها بالجير الأبيض أو الملون . وهناك صانعان مهيران هما (حسن عرابي) و (أحمد نتول) معروفان في هذه المنطقة بصناعة هذه الزخارف الندية وكلاهما ينسب إلى قبيلة العقيلات التي في مصر ، لكنهما يقيمان في هذه المنطقة . وهما يقومان أيضا بعمل الزخارف الداخلية - غالبا - في غرف الصيوف بالبيوت الندية<sup>(١)</sup> . ويحتل منتصف القرية مبي صحم ذو طابقين تملكه أسرة (أيوب) وهي من أكبر الأسر في (أشكيت) وتم بناءه على الطراز الحديث ويتميز بقوامه الرومانية .

يفصل (أشكيت) عن قرية نديره (أكثر القرى سكانا في شمال المركز) قضاء رملي صيق . وهي في حقيقة الأمر مجموعة من القرى المتلاصقة المنتشرة في مابين سلسلة التلال من الساحة الشرقية والبلد . فالجزء الأوسط حيث (ديرة) الأصلية يقع عند أسفل التلال الممتدة في اتجاهها نحو الطريق الرئيسي وخط السكة حديد . ها يمر منزل الباطر

(١) بوردها مؤلف "صيفت" و"فصيح" صيفت "أي" بين صيفت بين بي ملقب وقد تهيى . خيري عبد الرحمن إلى من لمقامت طفاويان . مترجم .

(٢) قام الأستاذ أحمد محمد على حاتم بمصحح لأعمال هذين الفنانين بسند ورقة ورقم ١٩٦٥ في نشرته رخصه بحث لمرادى جامعة الخرطوم . إنتقل الأستاذ حكم في رحمة الله في وقت لاحق وبطورت وحدة بحث لمرادى في معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - مترجم .

صالح عيسى عبده (صالحين) الجميل الضخم والمسي من الصبح الزملي  
 بعثاته الفسيحة وسقفه لأسمتي . وهو أكثر المنازل في هذه الناحية ويعطي  
 مساحة من الأرض تفوق القدار . وإلى الشمال من هذا المنزل صفين طويلين  
 من شجر النخيل يسيران متوازيين نحو الغرب وبينهما الفناء الرئيسية القيمة  
 لمشروع (لويرو) المروي أما منطقة ما بين الطريق والنهر فقد كانت سهلاً  
 منبسطة بطل محصراً طوال العام بمنشآت الدورة الزراعية وبساتين النخيل  
 حيث تنتهي - كالعادة - عند صفة النهر بعابيات كثيفة من شجر النخيل . وهذا  
 يمكن رؤية المبني المهجور لمصحة مشروع لويرو بمسحته العالية المسية من  
 الطوب الأحمر ، وإلى الجنوب الغربي لديره - وفوق سهل مرتفع من  
 الحصى - تقع قرية (الحصا) التي يبدو أنها قد استمدت اسمها منه وحول  
 القرية بمقد سهل فسيح أحصر طوال العام لكنه يحلو من أشجار النخيل .  
 وأشجار الخيل التي تمتلكها القرية توجد في الناحية الجنوبية قرب قناة  
 المشروع وعند شاطئ النهر وفي أقصى شمال (ديره) تلقاك قرية (هاجر)  
 التي تنتشر بيوتها عند أسفل الجبال إلى حدود المنطقة المروعة . وهكذا  
 فإنها تحتمي جيداً بظلال النخيل وإلى الشمال من هاجر تقع أطلال دير  
 القديمة معروسة في الرمال قرب شاطئ النهر .

يبت كل المنازل في قري ديره على الطراز النوبي التقليدي وأغلب  
 مداحل البيوت مربعة بصحون الصيني لكن شكلها لا يرقى إلى زخرفة  
 "شكيت" . وإلى الشمال قليلاً من هاجر تقع (سره شرق) وبما أن مشروع  
 ديسيره الزراعي ينتهي عند (هاجر)، فإن على سكان (سره) أن يعتمدوا كلب  
 على السواقي لري أراضيهم . وهم يملكون - سبباً - أرضاً زراعية صعبة

وعند أقل من أشجار النخيل بالمقارنة مع القرى الجنوبية . فالقرى مثل "اشكيب" وديرة تقوم على أرض مرتفعة عند أسفل المنحدر وتشتل منازلها إلى أسفل في اتجاه الطريق الرئيسي حيث تقع أكمة من أشجار النخيل البرية العملاقة لتجيب حدودها الغربية عن الأنظار . وإلى الشمال من (مره) يحرف الطريق شرقاً ويمر تقريباً فوق قمم السلسلة المحفصة من التلال . وبعد منظر البيل من هنا مدشاً ، وفيما عدا الشريط الزراعي الضيق على طول الصفين بالإصافة إلى منزل السويين وربما روج من "الفلوكات" (١) تسبح بقصى مرعتها، فإن المشهد ليس سوى فخر رملي وتلال صحراوية تمتد حتى الأفق . وبعد مسيرة عشر دقائق بالسيارة يصل الراكب إلى (فرص شرق) ذات المنازل المنتشرة على المنحدر المتجه نحو النهر . وفي طرفي الشرقي يقع مسجد القرية للمبى بالطوب الأحصر بمئذنته المحفصة وبواقفه المقوسة التي جعلني لأول وهلة أظنه برجاً لمراقبة الحدود يعتمد السكان هنا كلياً على زراعة أرض (جزيرة فرص) الواقعة في منتصف النهر قبالة القرية وهي جزيرة دائمة الحصرة تحيطها مجموعة من أشجار النخيل بينما تدير الكثير من سلسلة من السواقي لري الحقول المحصورة .

وعلى بعد أربعة أميال شمال (فرص) تنتصب نقطة الحدود على قمة تل صغير يحق فوقها علم السودان عالياً ، وتتكون النقطة من محزن للسلاح والدخيرة ومسكنين لرجال الجيش والشرطة الذين يحرسون الحدود . وفي أسفل ذلك التل تقع حرائب كنيسة قديمة بني بصعها بالحجر وصعها الآخر بالطوب الأحصر . على منتصف حائطها العرسي تم تثبيت إشارة طريق تحمل

(١) الفلوكات : مركب شرعي صغير وسريع الحركة . المسترجد .



الحرفين اللاتينيين S - E <sup>(١)</sup> وهكذا تفصل الكنيسة بين نقطتي الحدود .  
وعلى الصفة العربية توجد علامة مماثلة فوق الأرض على بعد مائتي ياردة  
من حيث كنا نقف . وعبر وأد رملي صحل ، كما يمكننا أن نرى نقطة الحدود  
المصرية ذات العرفتين وحيمة التفريش يزفراف عليها العلم المصري . وعبر  
الحدود يمكن رؤية قرية (أندندن) بأدق التفاصيل من نقطة حدودنا ، وهي  
مبنية على نفس طراز ومستوى (فرص) مع احتمال زيادة في أعداد أشجار  
النخيل ومساحة في الأرض الزراعية .

تبدأ قري الصفة الغربية بـ (فرص غرب) في الشمال وهي قرية  
صغيرة وأشد قري القطاع الشمالي قحراً ، وأراضيها الزراعية شحيحة  
وأشجار بحيلها معدودة والمباني ذات مستوى متدن تقوم غالباً فوق كتل  
قرمل . وليس هناك حرام شجري يحمي القرية من الرياح الشمالية التي تحصل  
لها سحياً من رمال الصحراء . وعلى مسافة قصيرة غرب (فرص) يوجد  
منحصر من الأرض تنساب إليه مياه النهر وتتراكم لتخلق مستنقاعاً صغيراً .  
ولأن مياه هذا المستنقع مالحة فإن هذا يدل على وجود ترسيبات لمعادن مالحة  
تحت الطبقة الأرضية للقرية . وسبب لحلو القرية من الزراعة ، فقد برع  
أهلها في تسيير المراكب وركوب الإبل . والحرفة الرئيسية هنا هي نقل  
البضائع بالمراكب من وإلى بلاندا (الواقعة على الحدود المصرية) .

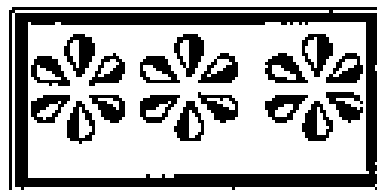
وإلى الجنوب من (فرص) توجد "سرة غرب" فدييرة غرب ثم  
"عكشة" وكل هذه القري تقرباً تشبه "سرة شرق" مع احتمال بكرة في الزراعة  
وأشجار النخيل . ومن الملاحظ أن الكثبان الرملية تحمي تدريجياً في اتجاه

(١) يرمز حرف (S) إلى السودان ورمز حرف (E) إلى مصر المترجم

الجوب حيث نعدم تماماً عند القرية الكبيرة "أرقين" .

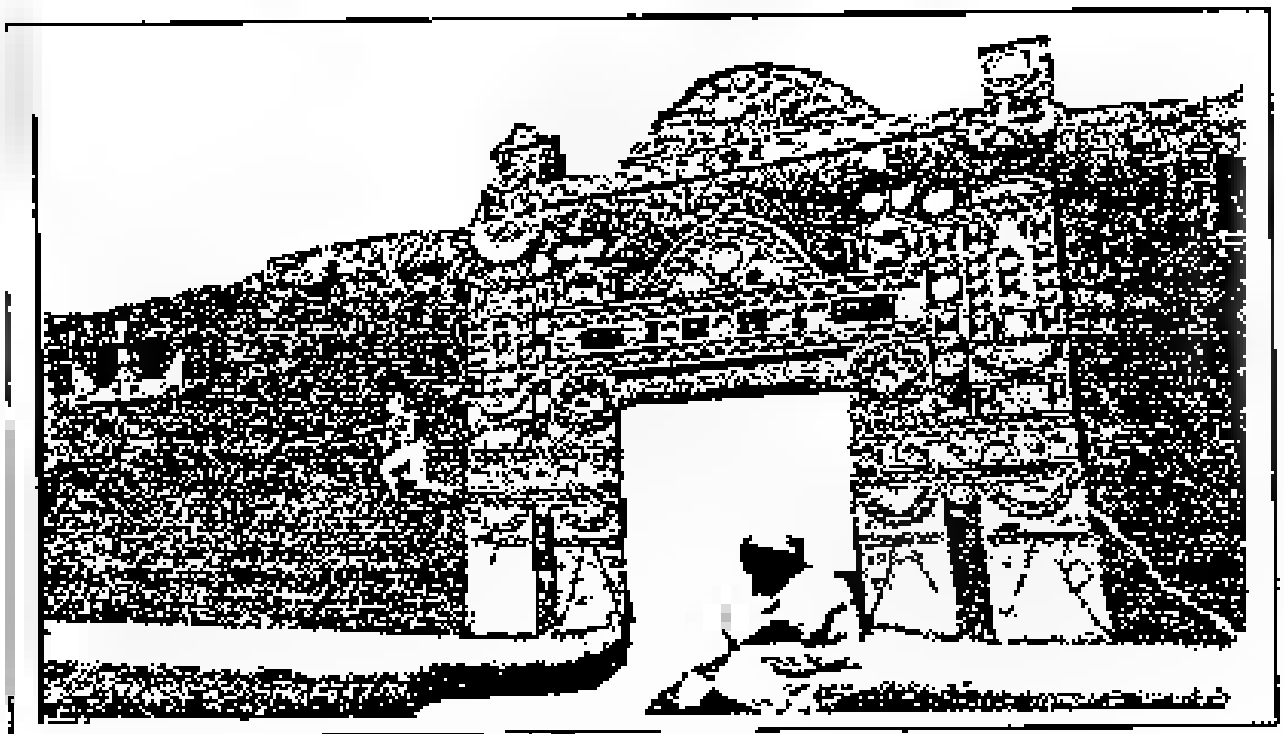
بى قرية (أرقين) هي إحدى أكبر المناطق المأهولة بالسكن في القطاع الشمالي للمركز وتأتي في المرتبة الثانية بعد (دبرة) لكنها أكبر قري الضفة الغربية . وهي عتقود من ثلاث قري متجاورة تكون في مجموعها أكبر المناطق السكانية في المركز وهذه القري الثلاث هي (شاويركي) (وسيلادوس) (وشاركوتاري) وقد بيت على منحدر صخري متدرج موار للثيل ويفصلها عنه حرام رراعي يزوي بالسواقي أو المصحات أما المنازل فتصعد تدريجياً مستظمة في صفوف ، فیرها الناظر من الجهة الشرقية عند جبل الصحابة ( خاصة المسارل التي في الواجهة ) بوصوع من أساسها وحتى سقوفها ، وتبدو ضفة النهر معطاة بعابة بحیل كثیفة تمتد إلى مسافة ثلاثة أميال تقريبا جعلت أبناء (أرقين) يعيشون بما يملكون من النحل ويطنقون علي قرینتهم (عروس النحل) .

وبالرغم من أن السوییین - عموماً أناس مؤدبون ، إلا أن أبناء (أرقين) يمثلون بشعور مرهف تجاه الآخرين ومستوى تعليمهم أعلي من بقية سكان القطاع الشمالي حيث يأتي مباشرة بعد قرية (دغيم) وذلك قياساً علي كل المناطق الريفية للمركز .



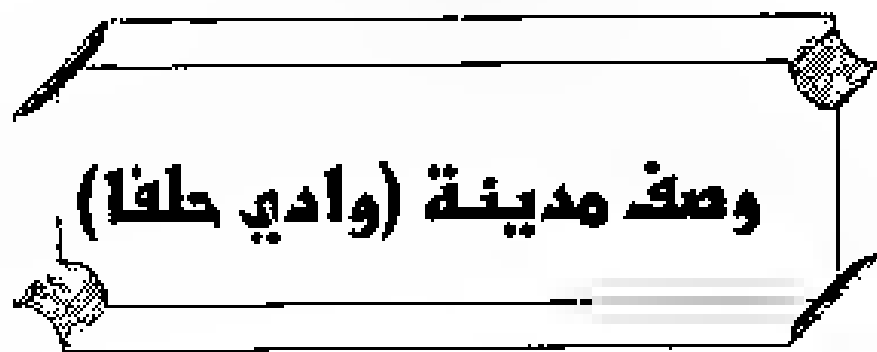


ابراهيم احمد



المكتبة الوطنية في بغداد

## الفصل الثالث



وصف مدينة (وادي حلفا)

تقع مدينة (وادي حلفا) على الضفة الشرقية لنهر النيل وتستلقي على سهل منبسّط يفوسط ساسلة من الجبال المنخفضة من جهة الشرق واليهـر، ويستند إلى ارتفاع طفيف يحاذيه الشمالية، فإن هذا السهل مستو ويميل قليلا في اتجاه الـهـر . والتربة عموما من الطمي الأسود الذي تغطيه غلالة من الرمل للـعم . والسلسلة الجبلية تمتد من الشمال إلى الجنوب بما يبعد أربعة أميال من الـهـر عند طرفه

الجنوبي ، ثم تضيق حتى تتراجع إلى مسافة ميل واحد عن حدودها الشمالية وكانت المنطقة السكنية مقسمة إلى قطاعات قبلية أو أهلية والسكان الذين يقطون المدينة والدالع عندهم ( ١١٠٠٠ ) نسمة مورعون على الاحياء بتدوع عرقى حريد . فالمنطقة الواقعة شمال السوق وحتى (ديروسة) كانت سكناً لتجار من ذوي الاصل السورى والمصرى والنيل أقاموا هناك منذ حوالي ثمان مئـة ائـة العاشر عشر وكانوا أعنى قطاعات المجتمع وكانت منازلهم مـ غالبا مـ مكونة من طابقين وتحتل كل المساحة الصغيرة المحصنة لها بحيث لا يبقى منفس منها بين الحرف المتلاصقة . وهى مبنية بالطوب الأخضر المطلي بالجير فـسـو وكانتيا من الحجر لم الابواب والنوافذ التى نكلها (الأرصنة) قعينة . أما الشرفات المزججة بالجبس المطلية على الأربعة الصبغة تتصلى مسحة تركية على كل المنطقة . ويحل مسجد ذو منبنة عالية مـ بسـه الحثوي توفيق مـ موقعا يشرف على مجرى الـهـر . هذا الحي كان يطلق عليه (التوفيقية) مما ينصح لـه شأ على عهد توفيق باشا . وتشغل مدرسة مصرية مـ بالقرب من الكنيسة القبطية ومبنى المجلس البلدى مـ المساحة الواقعة إلى الشمال من هذه المنطقة .

وسوى (حلفا) هو أبرز معالم المدينة قاطبة ويشغل المساحة ما بين محطة السكة حديد والتوفيقية ويتكون من ٤٠٠ نكال قائمة في خمسة صفوف من الشمال إلى الجنوب تربطها أزقة صيقة ومبانى النكاكين غالبا حجرية وبلا سطلات نقى المشاة أو التجار حرارة الشمس . ويعصمها حاصة تلك النى تواجه الغرب تحتمى بجوارج مصنوعة من ألواح الخشب العتيق المثبت أعلى عتبة الباب وقد تركت تتدلى بحالة يرثى لها .

ومؤكد أن السوق على كل حال يعتبر مركز حركة المدينة كلها وهو يمور بالمشترين والدعة كما يكتظ بالصلع . وهى الحقيقة فهو يحوى من البضائع بما يفوق سعته كما يرى من السبع المكسدة على أرصبة أغلب السكاكين واللنى تملا أيضا الشرفات حتى السقوف . فتجار الأقمشة السوزيون يتعاملون فى كافة أنواع المنسوجات بدءا بالصوف الانجليزى والسابلون وانتهاء بالدمورية وأنواع الأقمشة

الشعبية. والتجار المصريون يمثلون متاجرهم بابه الصبح والادوات المصرية وحاجيات الإنفلاك لمتوعة (البقالة) . أما التجار النوبيون فيتعاملون في السلع المتعددة التي يحتاج إليها الأندلس في حياته اليومية . وفي أركان السوق توجد المقاهي ذات الأثاث الرديء مع في أغلب الأحيان - وجهرة الراديو المفتوحة (على الأحر) هنا يلتقى المصريون والمنيطلون ويقتضرون متصفيو لأخبار على محطة قصم اليومي بينما تصاعد دحان ألتبغ من فوهة الشيشة التركية . وهذه المقهى هي نهى مناح خصبا للإشاعة لتبصن وتفرخ

بالإضافة إلى هؤلاء التجار المتنوعين فإن السوق تتجح بالإسكافيين والتجاريس والحدادين وبنهى (الأناتيك) والحياطيين وبانعى العاكهه وتجار ألتلال البير يصدرون التمر إلى مصر ويشغلون كوسطاء في بيع السلع المختلفة . وفي الطرف الشمالى من السوق يتفهمك المحابر في إفتاح البحر وتثور المطاحن بنفق القمح والحبوب أما جرات اللحم وعرائش بيع الحصروات فتقع في راية السوق الشمالية الشرقية . وهذا الجزء من السوق مزدهج على الدوام وشهد الصوصاء صباحاً . فالقصيون يصيحبون بأعلى أصواتهم ينادون جمهرة المتسوقين الذين يمزون لمصهم بملاهم الفارغة . ويتحرك باعة الحصر حول كنية من الطماطم والبطيخ وحرم العلوحية التي برزت لتوها من فوق ظهور حمير المرارعين بينما يتسايح باعة الحبر والدواجن والمبيض لجذب المشترين وينادى دمة الشاى على ملهم بتحريك الأكواب بين أصابعهم في إيقاع كما يفعل الرافض الأسبانى

لصف إلى كل هذا نباح الكلاب الصالة حول الحرارة وصباح السجاج والنط ودهيق للحمير وصوصاء المطاحن الشديدة . وفي الحقيقة فإن هذه الفوضى الضامة في التي تجعل كل شخص بئاصل لإسماع صوته للآخرين وعلى صفة النهار وفي الطرف العربي للسوق تقوم منطقة المسائق والمطاعم والحانات ووكالات السياحة وعند منحل الطريق لرتيسى في الطرف الجوىي نبرر مبانى المرممة الحكومية للوسصى بدخايتها ذات الطابقتين . وفي شرق السوق يتردد ميدان ضيق يستخدم في الاحتفالات الوطنية وهذا الميدان يفصل السوق عن حي أركويت الذى يقطنه - عموماً - العليقات (للحيالات) والكور والأسر ذات الأصول المصرية ومبارك (على حسب الله لاشين وعبد العلى على موسى وعبد أحمد سليمان وشوربجى دم) ذات الطابقتين هي أبرر المبانى في هذه المنطقة وبقيّة المساكن مبنية من الطوب الأحصر المبلط بالزمل الجيرى ومطلى بالجير الأبيض . وفي الطرف الشمالى لهذا الحسى تقع مساكن الشرطة ذات السقوف المصيبة . وفي الطرف الجوىي يشمج صريح (سيدى إبراهيم) على الحدو الشمالية للمقاير . وسيدى إبراهيم الميرغنى<sup>(١)</sup>

(١) هو شيخ إبراهيم بن محمد المحبوب بن محمد بن محمد بن السيد محمد عثمان (الحمد) - المتزوج

هو ( ابن عم السيد على الميرغى رعيم طائفة الحثمية ) الذي توفي في وادي حلف وهو في طريقه الى القاهرة اما المدرسة لأهلية الوسطى ذات المصنوع دي المبني الزايع ، ودر الميما ذات الشئشة العريضة المقوسة فيقعن أيضا في الطرف الجنوبي لهذا الحى

والى الجنوب من هذا الحى وفي مواجهة المستشفى ومبنى المركز بممام يشاهد المرء البنايات الجديدة لحى ( العباسية ) للسنية من الحجر بجواندها للصحة ذات الأقواس والحالية من الحشب والى فتحت على الحائط الخارجى . ومن حلف حدى الصفين من منازل ( العباسية ) لانيقة ، يقع حى ( التمس )<sup>(١)</sup> ببيوته الطيبة المزخمة التى ماهي إلا صورة للنوس . وهذا الحى في الغالب تسكنه بعض أسر ( الكنور ) والعمال من غير لأصول النوبية للسودانية . واتى العرب من هذا الحى وعمر الطريق الرئيسى ، تمتد ( حى غنم ) المبنى بذات المسوى البائن والذى يقطعه حائط منسبه لسابقه من السكان . والى الشمال قليلا من أركوت - وباحيار قليل جهة الغرب - تمتد حى ( البصولة ) على مدى ميلين كلكن احياء المدينة . ولأن سكان هذا الحى يعوقون سكن بقية المدينة عندا فقد سار عليهم لقب ( الروس ) وكان الاجدر ان يطلق عليهم ( البصير ) وهؤلاء جميعهم كانوا من المصريين الذين هاجروا من صعيد مصر ليجو عيشا سهلا في ( وادي حلفا ) فاستقروا هناك وتجمعوا بالحسمية السودانية . وهم طبقة محتدة ولذا فقد كان أكثرهم يستهون اصلا بدوية شاقة في السوق وفي المصالح الحكومية . فبعضهم من صغار التجار وقليل منهم من اغنيائهم وبما أنهم قد جاءوا الى ( حلفا ) حلال الاربعين عاما الأخيرة فما زالوا يتمسكون بمظاهر الحية التقليدية للفلاحين المصريين . ومدر لهم صبعة وغالبا ما يبيتون في الطرقت الرملية صيفا ولا ياورون الى عرفهم للمحدودة الاقى الشتاء . وغالبا السكن عندهم صعيدية تماما فواجبهم وبطهم وأوزهم وغنمهم وحصانهم بفاسمهم السكنى . وعند المرور بأى شارع في حى ( البصولة ) فإن المرء لا يحظى رائحة الدواجر المحتلطة برائحة الحبر الحار ، لادهمك كلها في نفحة واحدة . غير أن أكثر المباني تميرا هـ منازل ( حاج ريدس ) و ( سيد حامد ) فهم من علية القوم ، ويأترغم من أن ( البصولة ) غير محبوبين من قبل النوبيين ، لكنى وحدتهم مهديين وواقعيين ومحنيين . وحلال إقامتى في ( وادي حلف ) لاحظت رابطة المسمى تجمع بين بصولة ( وادي حلف ) وبصولة ومصبي ( المدينة التى تقع في وسط السودان ) فوجت أن المجموعتين في الاصل قد هاجرتا من ( بوصير )<sup>(٢)</sup> في صعيد مصر وهاجرتا من اصل واحد .

<sup>(١)</sup> وادى ( تنس ) في شمال الإنجليزي - المبرج

(٢) بوصير . تعرف ايضا بـ ( بصيريه ) - المبرج

والى الشمال من حى (البصاوية) بمحاذاة الشاطئ يقع حى (ديروسة) مفصلاً عن حى (التوفيقيّة) بلعب كرة القدم ومقبرة صغيرة وبحديقة المركز المثمرة وسادى الموظفين وبنادى الشرطة ، وكان هذا الحى هو اصل مدينة (وادي حلف) ويرجع تاريخه الى ما قبل تشاة (التوفيقيّة) بقرية (ديروسة) كانت معروفة قبل ان تمتد مدينة (وادي حلف) الى الوجود . وهذا ما يؤكد ان هذه الحى هو الوحيد من جملة أحياء المدينة لدى لايمكنه غير التوسيع ، وأغلب المنازل مبنية من الطين على الطريقة النوبية إلا قليل جداً منها يبنى على الطراز الحديث . وبما أن هذا الحى يمتد بعيداً عن السوق فقد انشأ المجلس البلدى فيه سوقاً صغيراً لمقابلة احتياجات المستهلكين اليومية .

حتى عام ١٩٤٦ م كانت (ديروسة) تقوم على شاطئ النهر ، لكن عندما حدث الفيضان في ذلك العام غرقت كل المنازل فأصطر الأهل الى الاعتقال بعيداً والمسكن في الأماكن المرتفعة . وتحول موقع القرية للقديم الى رقعة زراعية تنتج أنواعاً من المحاصيل وصارت غابت الحيل للكتبة قبيلة شاطئ النهر معلماً على ذلك الموقع

والى الشرق من (ديروسة) وإلى الشمال من حى (البصاوية) يمتد حى (الجيل) أفقر أحياء المدينة والذي لا يجد فيه إلا قليلاً من المنازل ذات المبنى المتميز عن باقي سكن لأهلين . فأغلبية المنازل بائسة ومحصورة وصيقة كبراج الحمام . وسكنها تجرى في عروقهم للدماء للرجية من سائلة العرق السوداء التي كانت تراكب في (القيقر)<sup>(١)</sup> أثناء سنوات الإستعداد لإعادة فتح السودان . وقد حافظوا على بعض تقاليدهم الاصلية مثل طائفتهم وغنائهم ورقصتهم الشهيرة التي تعرف بـ - (الكمبلا) .

وحلف الجيل هناك مقبرة صغيرة ثم هناك مشروع (محمد على إبراهيم) الزراعي للسدي بغطى المساحة ما بين الجيل (ومعسكرات) الجيش الواقعة على الحدود الشمالية لمدينة





## الفصل الرابع

تأريخ مدينة (وادي حلفا)

لعله من قبيل العائدة ، أن نورد عندها من الصفحات لتاريخ (وادي حلفا)  
 ، لأن هذه الحانب عموما لم يجد من يقوم بتسجيله . قالهين عاصروا سكان  
 المدينة الأرائل هم الآن من الأموات ، ومن كن منهم علي قيد الحياة فهو قد  
 بلع أرسل العصر بحيث لا يمكنه تذكر متي نشأت . ولا تحوي السجلات  
 التاريخية المنشورة أواخر العهد التركي مادة مفيدة ، ولم يذكر كل من  
 (سلاطين) والأب (أورنولدر) وادي حلفا إلا لماماً في كتابيهما (السيف والدار  
 في السودان) و (عشرة أعوام في أمتر المهدي) وكان السبب في ذلك يرجع  
 إما إلي أنهم عملا في أماكن بعيدة عن (وادي حلفا) ، وإما أن (حلفا) نفسها  
 لم تكن ذات أهمية في تلك الأيام . فعسما وصف (سلاطين) مسار رحلته  
 الأولى الي السودان عن طريق (أسوان) في عام ١٨٧٨م حصر بالذكر  
 (كروسكو) و (بربر) ، أما الأب (أورنولدر) الذي دخل السودان عن طريق  
 سواكن في عام ١٨٨٠م فقد هرب عبر الصحراء من (أبو حمد) مروراً بآبار  
 (المرات) ووصل إلي النيل عند (كروسكو) شمال (وادي حلفا) في عام  
 ١٨٩١م . وقد إختار (سلاطين) طريق (العلاقي) عبر الصحراء مباشرة من  
 (أبو حمد) إلي (أسوان) في عام ١٨٩٥م . وفي تلك الأيام كان الطريق السالك  
 من (أسوان) إلي (بربر) يمر عبر (كروسكو ، حلفا ، أبو حمد) وعندما وصل  
 (كرومر) لأول مرة إلي مصر في عام ١٨٧٩م كانت هناك محطة سكة حديد  
 قائمة في (وادي حلفا) ولذلك كانت بشارته في (حلفا) في كتابه (مصر  
 الحديثة) من باب الأمر الواقع . ولا توجد هناك وثائق تاريخية ذات قيمة في  
 دار الوثائق بالخرطوم لتلقي ضوء علي مسيرة الأحداث في هذا الجزء من  
 القطر قبل عام ١٨٩٢م .

وعلي كل فإن ( حلغا ) وما جاورها لم تعصم لدولة المهدية وكانت الحدود الشمالية لمديرية ( دنقلا ) خلال إمارتي ( النجومي ) و ( يوسف والدكسيم ) عند ( صواردة ) علي بعد ١٤٠ ميلاً جنوبي ( حلغا ) . وذكر ( علي مبارك ) الذي زار ( حلغا ) في عام ١٨٩٢م في كتابه ( الخطط الترفيفية الجديدة ) أن كلمه ( حلغا ) خلال العهد التركي كانت تعني كل المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثاني وتنتهي جنوباً عند ( حور حلغا ) الذي ينبع عن دنقلا مسافة تستغرق أحد عشر يوماً . وذكر أيضاً أن المنطقة تتبع لمحافظة ( أسوان ) وتدار من قرية ( الدر ) ولذلك فإن الاحتمال العاقل هو أن تكون الوثائق الخاصة بإنشاء ( وادي حلغا ) موجودة بقصر عابدين بالقاهرة .

إن مشاهير الرحالة الذين زاروا السودان خلال العهد التركي لم يشعروا بمنطقة وادي حلغا وإنما كرموا جل اهتمامهم بالأمكن الأثرية . فالرحالة ( ليانف دي بلفونس )<sup>(١)</sup> أشر أنطباعاته عن رحلته إلي ( سار ) في عام ١٨٢١م . والجزء التالي مترجم من الفرنسية حول تلك الرحلة :

( وفي ٢٨ أغسطس وصلنا إلي قرية شمال أرقين . وكانت قرية كبيرة ذات رقعة زراعية واسعة بها العديد من أشجار النخيل . وبعد أقل من إحدى عشرة مائة وصينا إلي جزيرة بالعرب من ( وادي حلغا ) . وفي المساء حللنا بوادي حلغا نفسها . وكان مصطفى أغا حاكم المنطقة في مهمة بدقلا تتعلق بتزفيت عودة المراكب التي سبورها إسماعيل باشا ونسهيل مروورها عبر الشلال الكبير . . . هذا الشلال الذي فتته إسماعيل باشا قبل حملته علي السودان والذي أصبح مائلاً للمراكب . ) ثم أشر ( ليانف ) إلي أنه قد استطل

<sup>(١)</sup> Lunan de Bellfonds

شجرة تجبُ للأثر الك الأشرار الذين كانوا في القرية "التي يحتمل أن تكون  
ديروسه" ، وعندما أجبرته العاصفة إلى التحرك جنوباً في اليوم التالي ،  
أمضى الليل في محارب العلك أسفل الشلال . ثم وصف الممر الذي تم شقه  
في أسفل الشلال فقال (كان طريق المراكب عبر الشلال يقع في الجانب  
الشرقي للنهر ، ولم يكن يبدو وعراً مثل ذلك الذي في أسوان وربما لأنني  
شاهدته في فترة الفيضان فقد بدا لي شديد السهولة) .

إن الكتب التاريخية لا تحدد متى تم إنشاء مدينة حلما . فمكي شبكة  
يقول في كتابه (السودان في قرن) أن حمود محمد علي باشا قامو بنسف  
بعض الصخور في الشلال الثاني عند مدينة حلما وذلك لتأمين ممر المراكب .  
ويبدو أن بروفييسور مكي قد أشار إلى وادي حلما ليقرب إلى ذهن القارئ  
موقع الشلال لا ليؤكد وجود المدينة في تلك الأيام . غير أن هناك لمحات  
يجدها القارئ في كتاب (مصر في السودان) لـ: (ريتشارد هل) الذي أشار في  
تطبيقه على مشروع السكة حديد إلى أن مهندس يدعى (فاولر) قام بناءً على  
طلب من الحديوي بإعداد خطة لربط القاهرة بالخرطوم وذلك عام ١٨٧٣م .

اقترح "فاولر" خطاً ملاحياً إلى حلما وخطاً حديدياً من حلما إلى الخرطوم  
بحري<sup>(١)</sup> مزوراً بـ (كوك) ثم (الدبة) فالمتمة . وأشار كذلك إلى أن تعيد الخط  
قد بدأ في عام ١٨٧٥م عند وادي حلما ووصل إلى "صرص" في عام ١٨٧٧م  
ثم توقف بسبب معارضة الجبال غردون فكان لك أقدم حدث ارتبط بوادي  
حلما ولم يعط "هل" وصفاً للمدينة حين بدأ مد الخط الحديدي ويحتمل أن

(١) الإشارة هنا إلى صفة قصب لأريق قشريه المتأهلة للرحوم ، لأن القصب هو بحري لم تكن حينها قد ظهرت  
في خليج جود فمصرجم

تكون حلقاً حتى ذلك الوقت لاتعني سوى نقطة على الخريطة في الطرف الشمالي للشلال أو إشارة للمنطقة الواقعة بالقرب من "حور حلقاً" الذي ربما كان اسماً قديماً لحور موسى باش المملى حتى يومنا هذا ببيات الحلقا وبالتأكيد فإن المشروع في مد الحط الحديدي لم يكن يرجع إلي أهمية مدينة كانت قائمة وإنما لوقوع حلقا عند طرف الشلال أي أن حط السكة حديد كان يبدأ حيث كان ينتهي الحط الملاحي .

إن الآثار الحية للعهد التركي في مدينة وادي حلقا تكشف دليلاً مهماً عن شأه المدينة أولاً. لاشك أن مبني (المسجد دارية) كان قائماً بين الفترة الأولى التي تقلد فيها غردون منصب الحكمارية في السودان ما بين (١٨٧٧م) و(١٨٧٩م) وإليه استند هذا للمبني كاستراحة في إحدى زياراته حيث تلك الفترة ربما لمتابعة سير العمل في مد الحط الحديدي الذي أوقفه عند "صرص" لأن كرومر أشار إلي أن غردون قد اتبع الطريق من "كرومكو" إلي "أبو حمد" فزبر في رحلته الحاطفة إلي الخرطوم . وهذا يعني أن غردون لم يمر سبباً بوادي حلقا في عام ١٨٨٤م . ثانياً أن بناء مسجد الفقير في عهد إسماعيل باشا (١٨٦٣ ) يدل على وجوب بعض السكان في المنطقة عند ، وفي نفس الوقت فإن أي من الكتب التاريخية لم يشر إلي وادي حلقا إلا من بداية ولايسة إسماعيل باشا فيما عدا ما ذكره "داؤود دركات" صمناً في كتابه بالعربية: (مصر والسودان وأطماع المباشرة لبريطانية ) من أن عملية مد الحط الحديدي قد بدأت في عام ١٨٧٧م أثناء حكمارية غردون .

إن هذا المسح المحدود للحقائق التاريخية الموفرة ، يتجه إلي إعطاء فكرة بأن المدينة قد ولدت مع بداية مد الحط الحديدي في وقت ما عند نهاية

ولادة الحكمدار إسماعيل باشا أيوب (١٨٧٣ ١٨٧٧) أو إنشاء ولاية غردون (١٨٧٧ ١٨٧٩م). وهي كل الأحوال فإن "الفيقر" الذي برز مقراً لسكن عمال السكة حديد أو هو معسكر عمال ملحق به "ررش" وجواره أكواخ طينية يقطعها العمال ، يسمر على هذا الحال حتى عام (١٨٨٥م) حين تم تحويله إلى منطقة عسكرية

وبعد سقوط الخرطوم أصبح الموقع الإستراتيجي لحف دا أهمية خاصة فقد كان أهم موقع على الحدود المصرية لأنه يقع على الخط الملاحي الممتد من "أسوان" وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان يقع في نهاية شلال وعر سد النهر من الناحية الجنوبية ويعرقل أي نوع من الملاحة ، وإلى جانب كل ذلك ، فهو بداية الخط الحديدي المنجبه إلى "صرص" . وقد أثبتت كل هذه المزايا العسكرية جدواها وأمكن استخدامها إبان حملة إيقاد غردون وصد محاولات "النجومي" لهجوم على مركز حلفا . ثم استخدمت حلفا في عام "١٨٨٦م" نقطة انطلاق لإعادة فتح السودان .

في ١٣ أغسطس ١٨٨٤م جن "وود" و "وحت" بوادي حلفا وأحالا الموقع إلى قاعدة عسكرية لتقدم حملة إيقاد غردون وبدأت الترتيبات لجمع الإبل التي تحمل الرجال و المتاع وعجميع المراكب وإقامة المحازر وسرعان ما حطت القوافل بواسطة البواخر وامتأ المكان بالجود والمؤن ووصل "الورد" "ولرلي" في ٨ أكتوبر . ولأنه كان على غير علم بالوعورة البالغة لشلال الثاني فقد جلب معه أسطولاً صغيراً من البواخر الصالحة بحيث أن يستخدمها لنقل الإمدادات للحملة وعلى كل حال فقد فشلت المحاولة لمغور

بتلك البواخر فوق الشلال وتم إيقاظها أمامه وأستخدم بدلاً عنها القياسات ( ١ ) .  
وجرت أولاً محاولة لعبور البواخر فوق الشلال بمساعدة القياسات  
تحت توجيه "داوود كوكي" شيخ الشلال فجحت بحسائر محودة جداً وفي ١٩  
أكتوبر حاولت البواخر الست اجتياز "الباب الكبير" بصعوبة بالغة وبحسائر  
كبيرة في صفوف المراكب المتقدمة التي وصمها " ونجت " بأنها استعالت إلي  
أعواد ثقاب .

وتم بناء حوصص صغير للبواخر في جمي " على بعد اثني عشر  
كيلومترا جنوب وادي حنفا " وأرسلت المحروقات والمؤن إلي " حصرصر "  
بالقطار الذي كانت تجره القاطرة الوحيدة المتوفرة . ووصف "توماس ارثر"  
حنفا في تلك الأيام في كتابه (الحرب في مصر والسودان) بأنها عشرة أو اثنا  
عشر كوخاً إلي جانب مساكن السكة الحديد .

أثناء الأسبوع الأخير من أكتوبر عادت قوات حملة الإيقاد حلفا على  
ظهر البواخر متجهة إلي دنقلا ، وبعد هشلها ثم رجوعها ، تمركزت تلك  
القوات في وادي حنفا وأصبحت قوات حدود ميدانية بعرض حماية مصر من  
العبرو ولحماية خط السكة الحديد فقد أقيمت حامية في "كوشة" تتبع لها  
محطتان خارجيتان في كل من (دال ومفراكا) على سهل يتحكم في صفتي  
النهر . كذلك كان العرص من قيام هذه الحامية الدفاع عن " عكاشة " الواقعة  
على بعد اثنين وعشرين كيلو مترا شمالا والتي كانت في تلك الوقت نقطة  
بدائية الخط الحديدي وهي " أرهو " ومنطقة السكرت والمحس برر نوع من  
الإدارة الأهلية تحت رئاسة الملك "طمبل" ونولي فيه الشيخ محبوب إدريس

---

(١) القياسات : مراكب شراعية كانت تستخدم غالبا للتجارة في سفنلة

إدارة منطقة السكوت والمحس . وسمح لكليما سلطات إدارية بقدر ما يستطيعان .

في ذلك الوقت ، تجمع أسطول النهر جنوب الشلال وكانت له ترسانته وورشته في (جُمي) . وقد ظل جزء من هذه الأسطول يجوب (بأطواحه) أنحاء النهر في الفترة من عام ١٨٨٥ م إلى عام ١٨٩٦ م . وكان ذلك الجزء من الأسطول يتكون من البواخر الآتية: (عكاشة وخبير ودال وأبو كليه والتيب وطماي والمتمة) . وفي عام ١٨٩٦م توجهت هذه البواخر إلى الحرضوم ضمن قوات الغزو بينما كانت البواخر الأصغر: (أبيس ونوشكي وأميكول وهكسوس و تنجور وسمنه) تعمل في خط حلف -الشلال . وكان مالك هذه البواخر (توماس كوك واسه) .

وعندما تم سحب هذه الحامية من دنقلا وتراجعت القوات إلى حلفا في صيف ١٨٨٥م تتبع جيش المهدي لثراها واحتل دنقلا . وتم تعيين الأمير "عبد الرحمن النجومي" أميراً على المنطقة ، وعندما تقدم من دنقلا شمالاً من الملك طمبل إلى عكاشة ، لكن الشبح محجوب ثبت وقاوم .

وفي نوفمبر تحركت قوات و- النجومي من عمارة (وهي قرية في منطقة عبري التابعة للسكوت) وبعد أن تجنبت الحامية الموجودة في (كوشة) هاجمت النقطة العسكرية في (أميكول) وأرالت ما طوله ميل من خط السكة حديد . وبعد أيام قليلة عاود هجومه عليها وتم إرسال قوة عسكرية بالقطار من وادي حلف بقيادة "نظر" قامت بفتح الحصار وتوالى بعد ذلك المعارك والمواجهات الحدودية خلال الفترة من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٨ حيث استطاع الأنصار غزو "مركة" وأرسوا قوة كبيرة لاحتلال حامية كوشة ، وبعد



معركة قصيرة أجبرت قوات الهجوم على التراجع وتمت ملاحقتها جنوباً حيث هُزمت في معركة (جس) ثم انسحب لأتصار إلى كرمه" وبدأ بعدها أن تترك من الهنوء قد حلت . فقد أرسلت القوات البريطانية إلى أسوان وأوكلت حماية (وادي حلفا) للجيش المصري . وعندما علم "الحليفة" بجلاء القوات البريطانية استدعى ود الهجوم وكلفه رسمياً بقيادة الحملة لغزو مصر .

يقول (ونجت) مؤرخ لهذه النقطة (أحرق الهجوم مدرله الكائن بام درمان وأقسم ألا يعود إلا بعد هزيمة مصر) . وجمع الهجوم قوة من (١١٠٠٠) جندي أغلبهم من الجعليين وعرب البطاحين واتجه إلى سنقلا وأثناء تلك أرسل (يوس ود الحكيم) إلى سنقلا أميراً على المنطقة ليكون في استقبال الهجوم . ويصف الأب (أورلندر) الجنود الذين تكونت منهم حملة ود الهجوم في استعراضهم اليومي عبر الطريق المتجه شمالاً من أم درمان ، منهم (حملان أرسلت للذبح) . ربما أن أحداً منهم لم يعد أبداً ، فقد أطلق على ذلك الطريق (شرح الشهداء) وهو الاسم الذي سُمي حتى اليوم .

في عام ١٨٨٧ م تحرك ود الهجوم إلى "فرقة" . وفي ٢٧ أبريل شوهدت قوة استطلاع من الأتصار قوامها ٢٠٠ رجل على مقربة من (صرص) حيث وصل الجيش المصري بعد مسيرة ليالية وأبداً . نكس ذلك توقف المناوشات على الحدود بسبب اشتعال العدو مع صالح سالم رعيم عرب الكتابيش كردفان والذي تلقى الهجوم الأمر بتدمير . قُتل صالح وأُحصعت قبيلته ، ووجه الهجوم بعد ذلك قواته وبأعداد كبيرة من "فرقة" إلى "سمنة" . وفي أواخر سبتمبر أُحيل حود الهجوم "صرص" . وفي ٢٥ أكتوبر شوهد ١٠٠٠ من تلك القوات يتجهون إلى وادي حلفا ، وأقاموا نقطة

هي " جَمِيَّ عَلَى بعد ثلاثة عشر ميلاً جنوب مدينة حلفا وتأخر تقدمهم بسبب نقص المؤن وتفتشي مرض الحشري . وفي عام ١٨٨٠ م لم يقع من الأحداث ما هو ذي أهمية فيما عدا الهجوم على قرية "الحلاقي" وهريمة " العباينة" وما تبع ذلك من هجوم فرق الصحراء على مرق النيل وإغارتها على "كلاشة" . وتناقصت قوات الهجوم في نتيجة للمضاكل التي شنت مع النوبيين وذهاب الهجوم في نفسه إلى أم حرمين . وفي أعقاب ذلك شن بعض الكباش هجوماً على "ديروسة" .

في ١٩ يوليو ١٨٨٨م هوجمت ديروسة بلا هوادة بواسطة جزء من الجهادية الذين أصرموا النار في مساكنها ونهبوها وقتلوا خمسين من أهلها بالإضافة إلى ذلك عرق مائة وسبعة وثلاثون آخرون كانوا يحاولون عبثاً الوصول إلى المراكب . وفي وقت لاحق تبين أن الذي حدث تم بحيلة من شخص منهم يدعى أبو زيد أو الحرار (كما كان النوبيون يظنون عليه) لأنه اختلف مع قومه حول مسألة رواج لم يناصروه فيها . وفي سبيل رد الاعتبار لنفسه قرر أن ينتقم منهم فاتجه مباشرة إلى قوات الهجوم التي كانت تعسكر بالقرب من (حور موسى باشا) جنوب القرية وشجعهم على مهاجمة القرية . وأخبرهم بأن ديروسة مليئة بالحيوانات المكثرة لحماً وبالأطعمة وبأنها محترق غلال المدينة كلها ولكي يجعل ادعاءه أكثر إقناعاً أخبرهم بسهولة دخول القرية نسب وفوجها خارج المنطقة الحصينة . وذلك كانت حقيقة . ولم يكر هناك من عرض أكثر إغراء لمحاربين جوعى من هذا العرض . فكان الهجوم . وبعد معركة (نوشكي) تم القبض على "أبو زيد" وأُعدم عند في ساحة من ساحات القرية .

في يونيو ١٨٨٩م عاد ود النجومي بقوة قوامي ١١ ألف مقاتل بعد انتصار الحليفة في الجبهة الأثيوبية ، وانضم إليه في "صرص" ١٢٠٠ من المقاتلين المقيمين في الحامية . وراجت شائعات في وادي حلف بأن التقدم المتوقع لعرو مصر سيتواصل على طول الضفة العربية بدلاً عن الضفة الشرقية وهذا ما دفع السلطات لصد الطريق أمام النجومي في عدد من النقاط الضعيفة على امتداد الضفة العربية . وأخيراً بدأ العرو المتوقع بعبور النجومي إلى الضفة العربية عند صرص واتباعه طريق موازيا للنهر و على مسعدة منه يأمل الالتفاف حول وادي حلف والوصول إلى النهر عند نقطة تقع بينها وبين كروسكو . وبعد مسيرة شاقة في حر الصحراء وصلت قوات النجومي إلى نقطة تقع على بعد ميلين غرب "أرقين" وعلى بعد أربعة أميال شمال وادي حلفا وشنت هجوماً جريئاً على القرية والتحصنت مع قوة بقيادة الكولونيل "العقيد" وسهاوس الذي صد الهجوم بمعونة البواخر واليوارج ٢٠٠ من الجنود . (رأيت بعسي بقايا عظام القتلى وأطرافهم على الرمال في سهل جبل القديم في عام ١٩٦٠م) . وكانت حالة جيش النجومي تدعو للرناء فه رفض النوبيون الانضمام إليه . وبعدت مؤبوتة وطحنت رحاله المجاعة ولم يكن هناك أمل في أي إمداد من ديفلا أو من "أم د رمان" لأن ذلك العام شهد جفافاً وجيوشاً من الجراد قصت على الأحصر واليابس في السودان. ودعا "جسربل" النجومي للاستسلام ولكن النجومي أنى وواصل سيره شمالاً حتى سكر يوم ٢ يوليو في سهل بعد خمسة أميال من قرية توشكي . وفي الصباح الباكر من يوم ٤ يوليو شنت المعركة الشهيرة وتم استئصال جيش النجومي عن آخره بمن في ذلك النجومي نفسه وأغلب أمرائه و ١٢٠٠ من جنوده.

الآن دعونا نتأمل الآثار التي تركتها حملة النجومي على مدينة وادي حلف . ففي المقام الأول وبالرغم من أن الحملة كانت ضعيفة وغير منظمة فقد أثبتت بجلاء أن الحليفة كان مصمماً على غزو مصر وهذا في الحقيقة - كان جزءاً من رسالة المهدي التي أعلن قائدها المهدي أن دعوته ستداح حتى مصر وفلسطين والأراضي المقدسة والجريدة العربية وما كان في مقدور الحليفة أن يستحلي عن الأمانة التي ألغاما على عاتقه سيده لينولي تنفيذها . وهكذا برزت حلفا إلى الوجود كقاعدة حدودية ذات حامية حصينة لوقف تقدم النجومي ولصد أية عملية عدوانية تأتي من الجنوب وتواصلت الترتبات والاحتكاكات حتى عام ١٨٩٦م على امتداد المنطقة الواقعة ما بين عكاشة ومصر.

في هذه الفترة ونسبة لتركيز القوى العسكرية في ما كان يعرف بالفيقر، أعزى الوضع كثيراً من النجار للإقامة في المدينة وفي ذات الوقت فإن عدم إحساس سكان القرى المجاورة لحلفا بالأمن أثناء تقدم قوات النجومي ، دفعهم للجلاء عن تلك القرى والبحث عن السلامة في المدينة . وفي عمرد هذه الموجات اللافعة جاء إلى المدينة عدد مقدر من قدامى المحاربين - ولابد أن عدد السكان قد ازداد معدلات عالية أثناء تلك الأيام .

وتبعاً لهذه التطورات فقد استوجب الأمر تقديم سلسلة من الخدمات لهؤلاء السكان من العسكريين والمدنيين فتم إنشاء مستشفى كما تم فتح مكتب للسريد والبرق لتأمين الاتصالات المهمة مع القاهرة ومع النقاط الخارجية حول حلفا . وانتظمت حركة الملاحة النهرية بكفاءة وتدفقت المؤن العسكرية والتجارية على المدينة العامية وأصبحت حلفا - حبيطة ذات

أهمية عسكرية وسياسية أدت إلى إغلاق مركز إدارة السوية هي "السر" ونقله إليها . وجذب طريق المنية سكان السوية الشمالية الذين جاءوا إلى العاصمة الجديدة بحثاً عن العمل أو التجارة ثم استقروا بها بعد ذلك . وحل السوات الست التي أقمتها بالمنية ، لاحظت أن معظم الأسر السوية التي كانت تعيش في القرى الواقعة بين الشمال الثاني وفرص ، تحفظ بعلاقات اجتماعية وتتواصل مع أقربائها الذين يعيشون قرب الحدود المصرية والذين تربطها بهم اصرة الدم . وقد أدى سحق "محجوب إنريس" وبهب النجومي لمنطقة المحس والسكوت لرحيل بعض السكان إلى وادي حلفا حيث مكثوا إلى ما بعد معركة " فركة" في ٨ يوليو ١٨٩٦م ((وهي أولى المعارك ذات الخطر خلال إعادة فتح السودان ))، ثم عاثوا إلى قراهم .

وهناك أكثر من دليل على تشجيع استقرار بعض الأسر المصرية في وادي حلفا تلك الأيام ، فقد تم بناء مدرسة في " التوفيقية " ، و أقام الحديوي مسجداً وبرر السوق إلى الوجود . ووصف " على مبارك" في كتابه: " الحظوظ للتوفيقية " وادي حلفا في تلك الأيام بما يلي

(إن قرية وادي حلفا تعتبر أعظم الأماكن شهرة في المنطقة الواقعة على طول ضفتي النيل بين الشلالين الأول والثاني . ففيها مكتب بريد ومحررين حيوب ومركز إداري ومبان حكومية بمستوي جيد . وهناك أيضا مدرسة ومسجد و أشجار بحل وساقية . ورغم أن رقعتها الزراعية محدودة إلا أنها حصبة للقرية أيضا مقاهيها واستراحاتها وحاناتها وسوقها اليومية ولي بعض الكُتب الإنجليزية ذكر أن السوية السفلى تعني الأرض الواقعة على طول النيل ما بين حلفا وأسوان . وهي شريط ضيق على ضفتي النيل ما بين

سلسلة من الصخور السوداء الممتدة إلى مسافة ٣٥٠ كيلو مترا . ويلاحظ المسافرين ما بين أسوان ووادي حلفا -أو العكس -حلالاً صغيرة في ذلك الوادي تتكون كل منها من حمصة أو ستة بيوت مظلمة بأشجار الحبل أو الدوم و أشجار أحري . ومعظم هذه القرى تقع على الضفة الشرقية . وتحتوي هذه المنطقة العديد من المواقع الأثرية ولأن هذه القرى تقوم على بقعة التقاء الأودية بالنيل فإنها أحدث أسماءها من هذه الأودية وهي بعض الأحيان من مجموعة من القرى تسمى باسم واد واحد . ص ٣٨)

ووصف (نعم شفير) -الذي صلب حملة إعادة فتح السودان - حلفا في كتابه (تاريخ وجغرافية السودان) (أبقوله:) كانت حيفا قرية صغيرة تقع على بعد ٢٢٦ كيلو مترا جنوبي الشمال الأول ، على خط عرض ٢١,٥٥ وخط طول ٣١,١٩). وبني المعسكر الذي كان يقم فيه الجيش المصري أيام الثورة الشهيدة لحماية الحدود خارج المدينة وتكون هذا المعسكر من مستنقعي وساحل عسكري وكان يقع على رأس خط السكة حديد وكان هناك أيضا مسك بصهر الحديد ومزل الحاكم والقائد ومسجد عتيق وعلى بعد ميلين شمالاً تقع مدينة التوفيقية التي كان يطلق عليها "نروسه" حيث بني الخديوي توفيق مسجداً . وتجمع التجار ورجال الأعمال في هذه النقطة وينو أحد أقصر المراكز التجارية على الصوب .)

غير أن هناك وصف ثالث أكثر تشويهاً لشفير وللصية في عام ١٨٩٦م جاء على لسان (ويمان تشرشل) في كتابه (حرب السهر) حيث يقول : (المدينة ومعسكرها لا يربط عرصها عن ٤٠٠ ياردة تمتد على صفة النهر ،

<sup>١٥١</sup> المصحح : حلفا عليه وتاريخ لبري . مترجم

وتحتل من بين الدبل والصحراء بطول يقارب الثلاثة أميال . . . والمنازل  
والمكاتب والكنائس العسكرية كلها مبنية من الطين ذو اللون الداكن المسنن .  
وقليل من المباني يرتفع إلى مستوى الطابقين . وفي الطرف الشمالي للمدينة  
تحتل مجموعة من المنازل جيدة البناء واجهة النهر وعلى البعد يعيش المسافرين  
ما بين (كرومكو) والشلال سطر أشجار الخيل والأسوار البيضاء ومئذنة  
الحامع ويملاؤه بأمل التطلع إلى الملاهي الممتدة .

ويحمي المدينة من جهة الصحراء سور من الطين وحقن وهاك قطع  
من مدافع (كروم) الميدانية على قواعد بارزة بينما تستريح مؤخرة  
الاستحكامات على حافة النهر . وتتصب قلاع خمس متفرقة تحمي الجهة  
البرية من هجوم العرب المرعب اذاك . . . لقد أصبحت خلف الآن في نهاية  
حيط السكة الحديد الذي يمتد مسرعاً . وصار استمرار وصول وإرسال آلاف  
الأطباء من المواد وبناء المعاملات والنورش والمخازن يصفى حيوية على  
المدينة المنحصرة في هذا الموقع الأفريقي البائس ) .

ويمكن إبراز وصف بقليل من التفاصيل للقيقر بعد ما تم العثور  
بمحضر الصدقة- على خريطة قديمة له بين معروضات متحف حلفا .  
رسم هذه الخريطة المساح العسكري النقيب (محمد إلهدي غالب) الصابط  
بالجيش المصري في ٣٠ ديسمبر ١٨٩٦م وهي الخريطة ذات الساني  
المرقمة والتي تشرح بدقة ما تضمه الأسوار المنيعة لمنطقة المحصنة .

كانت التوفيقية تنمو بسرعة جنباً إلى جنب مع نمو النهر . وقد افتتح  
الحديوي (توفيق) المسجد في عام ١٨٩٢م . وكان يتدفق الجنود أثره في  
انتعاش التجارة وارداً عدد التجار الأجانب والوافدين والمقيمين بالمدينة

وقامت مبانٍ فاخرة حول المسجد وازداد عدد المتاجر المليئة بالسلع وكان أول لمقيمين بالمدينة من التجار (نيكولاس لويرو اليوناني وأخويه : كوستا وبثرو ) وقد سحب نيكولاس الجبال كتشدر أثناء حملة استرجاع السودان حتى سقوط أم درمان ، وهناك تجار يونانيون آخرون مشهورون هم : (إيمانجلوس باناس وديمري جوز جيانس وسيرتي كاربونوبولو والإغريقي الشهير : كباتو ) وكلهم من تجار (البقالة) الذين جاءوا من مصر وأنشأوا تجاراتهم بالتعامل مع الجيش في وادي حلفا ، وهناك عبارة تدونها الألسن هي تلك الأيام الاستعمارية تقول إنه ( لا يخرج الصابط البريطاني غازياً إلا في معيّناته يقال يوناني ليمده بحصته من الخبث ) وأثناء قراءتي لتعريضة في أحداث تاريخ السودان وقفت علي أربعة من الشواهد تؤيد صحة هذا الزعيم ، فعندما اغتال المصاير الكولوميل (العقيد) استيورت في (هبة) عام ١٨٨٤م ، كان هناك تجاراً يونانيين يتبعونه في مركب علي طول الطريق من الخرطوم وحتى تلك القرية ، وعندما تم إرسال (سلاطين) إلي المهدي في (الزهد) بعد سقوط دار فور في عام ١٨٨٤م كان في معيته تاجر يوناني يدعي (ديمري رقادا) وقد بقي في الأسر طوال فترة المهدي ، وعند إطلاعي علي سجلات استقزار قبيلة النوير (عندما كنت في فجاك تبين لي أن معيش المركز (فرجسون) الذي اغتاله النوير في (أبوك) عام ١٩٢٧م مات معه تاجر يوناني كان يزافقه وقد إمسك حتي فرغ مستسه من الطلقات الحارية ، أما الحادث الرابع فقد كس وصول نيكولاس لويرو إلي حلفا أبان فترة الاستعداد لإعادة فتح السودان .

كان أفراد للحالية اليونانية هم الرواد الذين أبحروا أساليب التجارة



الحديثة في السودان ، ونحن مدينون بهم بالاحترام والعرفان كذلك فإن  
البرانيين السوريين جاءوا بحريز بمشق الفجر وبالأقمشة الأحبية من القاهرة  
وبنوا حواشيهم وسكنوا في منازل من طابقيين ، وكانت أولى الأسر السورية  
التي أقامت في وادي حلفا أسره (عزيز بعمور وشقيقه بشير ، وخورح حكيم  
وشقيقه حبيب ، ومحمود أبو ريب وأسد أفندي راشد) . وكانت ذريتهم التي  
تجسست بالجنسية السودانية من بين أغني رجال الأعمال في المدينة . ولم  
يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد جذبت حلفا في تلك الأيام أمرا مصرية أيضا  
كان أغلبها من التجار العموميين الذين جلبوا المعدات المنزلية والأواني -  
فكان (علي الشامي ومحمد وعبد المحيد علوب وعبد الله وشقيقه صالح  
محروس وتلب أحمد عواد ) من أوائل التجار المصريين الذين أقاموا في  
التوفيقية . وبعد فتح السودان بصم إلى ركب القادمين مريد من السوريين  
والمصريين وحلفوا حلفا وصا لهم مثل : (خويلد وعبد العهور أبو ريد وعبد  
يوسف ) و آخرون . وخلال هذه الفترة تمت التوفيقية بطراد وكانت لها  
سوقها ومسجدها .

وفي عام ١٨٩٥م افتتحت أولى المدارس لأولية " الابتدائية " في  
المبني الذي شغلته في ما بعد المدرسة الوسطى بأشراف ناظر "مدير" مصري  
وتم بناء فندق ذي طابقين على انشطى قبالة السوق استخدم بعد إعادة فتح  
السودان رئاسة للمديرية . وفي عام ١٩٢٠م عندما قام للمركز الحالي  
صار المبني مكتب لمصلحة السكة حديد . وعلى كل فإن التوفيقية هي تلك  
الأيام - كانت تبدو حصرية أكثر منها ريفية ، وتوارت ذروسه - النواة  
الأصلية للمنطقة - عن واجهه الصوردة وأحدث المدينة تشكلا . وهناك صورة

التي قطبها (ي . أ . والنيس بدج) في عام ١٩٠٠ م وطُبعت في كتابه (السوان المصري تأريخه و آثاره) توصلح كيف كانت التوقيفية في تلك الأيام . ولم تكن أي من المصادق أو بيوت الأعمال ما بين نكال عثمان عبد القادر ومكانت السكة حديد ، قد شيدت كما لم تكن الكنيسة اليونانية قد قامت. لكن (سج) لم يدل بوصف للتوقيفية .

في ١٢ مارس ١٨٩٦م أصدر (كرمر) أوامره للسردار كتنشر بالشرع في غزو منيرية دنقلا وبرجه حص الاستيلاء على (عكاشة) التي تم حقلها بلا مقاومة لأن الأنصار كانوا قد أخطروا . وفي هذا الوقت كانت التعزيزات تتوالى من القاهرة لتشكل الجيش البحري. ومرت كتائب الجنود - الواحدة تلو الأخرى - من بواحر (تومس كوك) إلى حلفا واتجهت إلى الحقل الأمامي . وهي الفترة من ٢٠ مارس إلى ٦ يونيو تجمعت قوة من ٩١٠٠ جندي بطاسمي وسبع من سرايا الخيالة بالإضافة إلى سرايا الهجاة والمشاة وبطارية مدفعية ومدفعي منكسيم منصوبين على السهل الصحري لعكاشة استعداداً للانقصاص الثاني على فرقة . وفي مساء ذلك اليوم تحركت القوة جنوباً بقيادة السردار . وتقهقر الأنصار إلى دنقلا فتم الاستيلاء على " كوشة " التي تبعد ستة أميال عن (فرقة) و أسرع جزء من القوة جنوباً وأقدم نقطة رنكار عند " صواردم " .

خلال تلك الأيام ، كانت مدينة حلفا خالية من الجنود فيما عدا كتيبة من الجنود البريطانيين تقبم في الحامية (الفضلاق) . وفي نهاية يونيو انتشر وباء الكوليرا الذي قصي على عدد كبير ممن كان في المدينة ، فرحلت الكتيبة البريطانية إلى صرص وسرعان ما انتقلت العدوى جنوباً وأمرعت

القوات المتمركزة في (فرقة ) وخلال الفترة القصيرة التي انتشر فيها الوباء مات ١٠٠٠ شخص وعندما أنحسر الوباء تحرك الجيش إلى كوشة.

في تلك الأيام التي سبقت رحف الجيش على سفلا ، حدث أمران هامان أحدهما ذو أثر بالغ ويمكن اعتباره نقطة تحول في تاريخ مدينة حلغا بل يمكن القول أن حلف كانت مدينته ببقائها ، ففي كل تاريخ لسودان ، لا يحفي على المرء أهمية الشلال الثاني في مسيرة ما يقع من أحداث . فمضى قديم الزمان كان هذا الحاجر المانع يشكل عقبة كؤوداً أمام العراة والفاحين . ولم يتمكن العراصة القنماء من فتح أي ممر فيه ولكنهم قنعوا بإقامة المن الحصينة في بوهين وسمة لتأمين مرور البضائع وصمان سلامة الاتصال البري بالطرف الآخر للشلال . وفي عام ١٨٢٠ م عندما شرع "محمد علي" في غزو السودان تحت إمرة ابنه إسماعيل ، تجمع أسطولته النهري عاجراً عند الطرف الأعلى من الشلال ، وبولا العمل التريحي بشق قناة عن طريق تفجير الصخور الصلبة والذي مكّن من جر الأسطول والقيسات ، لما سجدت الحملة وعت ريلرتي لمساعد مدير حوض البواحر سبي صيف ١٩٦٢م قسيل الفيضان والذي كان يسعى لتوسيع نفس الممر نفس الوسيلة ، رأيت الثغرات التي كانت توضع فيها المتفجرات كما رأيت حجارة الجرانيت المنسوفة في قطاع القناة الجاف تذكراً لتلك المعامرة.

ثم جاءت حملة الإنقاذ وبعد جهد جهيد وبحساسة كبيرة في البواحر أمكن سحبها بالأسلاك والحوال العولادية بقوة ٢٠٠٠ من الرجال.

وفي ١٤ أغسطس ١٨٩٦م وبعد بداية الفيضان ، عبرت البواحر الحربية الأربع ، (المنمة -أبو كلية -دال -عكاشة) بسلام قناة إسماعيل و

أمحرت بالطرف الجنوبي: (الباب الكبير) حيث الانحدار الحاد لمستوي النهر . فقد تم تقريع البحارة ، لأولي " المنمة " من حصوناتها من المعدات الثقيلة وتمت تعطية هيكلها من أعلاه إلى أساه بالألواح الخشبية لحمايتها من أي ضرر . ثم مرت الأسلاك والحبال الفولاذية على كفي المصيف المسطحين ، وبعد ساعة ونصف استطاع ٢٠٠٠ من الجنود سحبها فوق المياه المنحدرة القوارية وبمس الطريقة أمكن سحب بقية الأسطون إلى لسان الهادئة . ويمكن الرجوع إلى (حرب النهر) لومستون تشرشل للوقوف على تفاصيل تلك المعاناة

وقبل التطرق إلى النقطة الثانية ، أود ان أقف عند صاهرة الشلال الثاني ، والتي تعتبر من عجائب الطبيعة بالرغم من أنها -الآن- قد اختفت تحت المساء . فهذا الشلال الذي يقع على بعد ١٠ كيلومترات جنوبي مدينة حلفا كان -في يوم ما- مجموعة من الجرار الركابية التي لا حصر لها تعطي مجري النهر من انشطار إلى الشاطئ مسافة ثمانية أميال تتخللها حلجان وشقوق صيقة وعميقة يمر من خلالها النهر في شكل نهيرات جياشة مددفا بقوة كأنها يسحب من عل مخلف ريدا يتلعه الدوامت والأمواج . وبعد أن يهبط الماء منحدراً من (الباب الكبير) ، يدور ضد التيار ثم يعرج مسماً مسطر الجانب الآخر من الكتلة الصخرية . وعندما يدور التيار حول جرر " كوكي " تنوهج تلك الجرر وتلمع وتترافض ألوانها السوداء البفسجية كما الرحم . وبعد النظر إلى هذا المشهد من قمة صحرة (أبو سر) قبالة قرية (عبكة) فإن سحره يتجاوز كل الحدود . وصخرة (أبو سر) ذاتها تعتبر معلماً بارزاً من معالم المنطقة . فهي تنصب إلى علو ٢٠ متراً فوق الشاطئ ، وجانبها اندي يواجه النهر عمودي من قمته إلى قاعدته ، أما جانبها العربي

فمبحدر أملى يرتفع إلى صحرة " الصبر " الشهيرة (حيث اعتاد المسافرون مد مائتي عام على بحث أسمائهم عليها ) .

وأما الحدث الثاني فقد كان مد خط سكة حديد الصحراء . وكانت هناك خطط لثلاثة خيارات : الأول من " كورتي " مروراً بأبو طليح عبر صحراء جنول ثم المتمة . والثاني على امتداد طريق سواكن - بربر الشهير . والثالث من كروسكو عبر الصحراء النوبية إلى أبو حمد مروراً بوادي حلفا . وبعد دراسة متأنية تم اختيار طريق الصحراء النوبية رغم اعتراض وانتقاد الجهات العسكرية والهندسية في إنجلترا .

أما الخيار الآخر فقد كان حتماً أن يكون لهما أثر عكسي على مستقبل وادي حلفا . فلو تم اختيار طريق سواكن - بربر ، فإن خط الإمداد الرئيسي كس سينقل إلى البحر الأحمر وبالتالي فإن حلفا كانت ستقع هزيمة للإهمال كما أن نقطة الحدود الدولية كانت ستقع في مكان ما بأرض السكوت . أما لو تم اختيار طريق الصحراء النوبية الذي ينتهي عند كروسكو ، فإن حلفا كانت ستكون محطة سكة حديد صغيرة ، بينما ينتقل حوض الواحر الحالي شمالاً إلى كروسكو . وفي هذه الحالة فإن كروسكو كانت ستكون في داخل السودان . ولكن نسبة لوجود مسيق نورش سكة حديد بحلفا ، فقد تم استبعاد كروسكو .

وتقرر أن يبدأ الخط الحديدي من حلفا بالرغم من أن ذلك بطول مدة الرحلة الشهيرة من أسوان يومين . وعندما تم اتخاذ القرار النهائي ، أصدر السودان أوامره بالمضي قدماً في تنفيذ الخطه فوراً وسافر (جروارد) كبير مهندسي السكة حديد إلى إنجلترا واشترى خمس عشرة قاطرة ، و ٢٠٠ عربة سكة حديد وتدفقت على وادي حلفا القصبان الحديدية والفانكات وحرارات

المياه والعاطرات وعربات السكة حديد والمعدات الهدمه وقطع الحجار من كل الأنواع . ووسعت الورش ، وتم استيعاب المهندسين والحرفيين وفنيي السكة حديد والميكانيكيين كما تم تعيين العمال المهرة وعمال اليومية المحليين . وافتتح معهدان فنيان لتدريب الكوادر الجديدة وهي مطلع عام ١٨٩٧م أرسيت أولي العنكات ومدة الحط الحديدي إلى مسافة أربعين ميلاً ، ومرت فترة ركود إلى أن تم إجاز كل التحصيرات وفي ٨ مايو بدأ العمل الحقيقي المستمر وأخذ الحط الحديدي يتقدم بمعدل كيلومترين يومياً حتى وصل إلى أبو حمد في نوفمبر . ولا يحتاج الأمر إلى تأكيد الدور التاريخي الذي أداه هذا الخط الحديدي في تقرير مصير مدينة وادي حلفا فلم يكن هناك أثر بمدينة قبل مد حط صرص الحديدي وكانت المنطقة مهجورة فيما عدا تسع أسر في قرية دبروسه في أقصى الشمال وعندما بدأ مد الحط الحديدي ، ظهر معسكر للعمال وسارل فرقة السكة حديد العسكرية هي منطقة (القيقر) إلى جانب مسجد كبير وورش سكة حديد وبعد فشل حملة الإنقاذ وسحب حامية دبقلا، تقرر مد الحط الحديدي إلى عكاشة وتم تعيين مريد من القوى العاملة . وبعد اندلاع معركة فركة وإخلاء الحامية المقيمة في القيقر ، وقع عبء مد الحط الحديدي إلى "كرمة" على عاتق ورش السكة حديد بحلفا ، فازداد عدد العاملين . وبعد استسلام دبقلا وصدور قرار إعادة فتح السودان ، حافظت حلفا على هذا المركز إلى أن تم إنشاء ميناء بورصودان في ١٩٠٦م بل إلى حلفا بعد هذا التاريخ سطلت البوابة الرئيسية لحركة التجارة بين السودان مصر .

وبعد سقوط أم درمان ، وهزيمة الحليفة النهائية في معركة " الجديد "

، تحدد مستقبل الوضع السياسي للسودان كما رسمه كرومر بعد مداولات مصيرية ودات مستوى عالٍ في لسن . وقد اشترت المادة (١) من اتفاقية الحكم الثنائي الصادرة في ١٩ يناير ١٨٩٩م والتي رسمت الحدود بين السودان ومصر بما أثر على الوضع السياسي والإداري لحلفا -إلى ما يلي :  
"يطلق لفظ "السودان" في هذه الاتفاقية على جميع الأراضي الواقعة جنوب خط عرض ٢٢ درجة وهي :

- ١ . الأراضي التي لم يحلها قط المصريون منذ عام ١٨٨٢ أو ؛
- ٢ . الأراضي التي كانت قبل ثورة السودان تحت إدارة حكومة جناب الحديوي وفقدت منها مؤقتاً ثم استعيدت بواسطة حكومة صاحبة الجلالة بالتصميم مع الحكومة المصرية أو (٠٠٠ الح ٠٠٠)

يلاحظ أن الفقرة (٢) لا تنطبق على وادي حلفا التي لم تفقدها مصر بثناتاً إبان الثورة المهدية والتي كانت -قبل الثورة -تتبع إدارياً لمصر . ومن العريب أن تشمل الفقرة (٢) حلفا بالتحديد ولا تشمل سولكن ولا أريد بهذا أن أشكك في سودانية حلفا ، ولكن أياً من كرومر أو تشرشل لم يفسر أسباب اختيار خط عرض ٢٢ درجة ليكون الفصل بين المدينة والحلف وهذا بالتأكيد لم يكن صحيحاً . وخط عرض ٢٢ درجة هذا للخط الوهمي الذي يعبر النيل عند (جبل الصحبة ) علي بعد ٥ كيلو مترات شمال وادي حلفا كان محدد حد اعتباطي . فلم يتم اختياره على أسس جغرافية أو اجتماعية فهو يشطر أرض النوبة -الوحدة جغرافياً وتاريخياً وإثنية -إلى نصفين ينتمي كل منهما إلى قطر آخر . وعلى كل ، فإن النوبيين -إثني واجتماعيا -هم بلا شك سودانيون وليس هناك من يجمعهم بالمصريين . فبعد سقوط الدولة

المصرية القديمة ظلت النوبة — كما هو الحال بالنسبة لبقية بلاد السودان — مستقلة وبقيت كذلك حتى دخل العرب بالإسلام إلى السودان .

وبما أن العرب جاءوا مقيمين غير غزاة فقد امتزجوا بالسويين وبقيت النوبة منطقة حكم ذاتي كشن مملكتي سار والعبدلاب الصغيرتين . و أثناء حكم المماليك لمصر ، لم تكن النوبة مجرد كيان مستقل ولكنها كانت أيضا صعيبة السال . ويتضح هذا من خلال كتب المكتشفين و الرحالة المشهورين أمثال: (جوسا لنديج بركهارت وتوماس ليخ وفرنريك لنديج مورس) الذين زاروا النوبة في القرن الثاني عشر الميلادي . وذكر مكي شبكة في كتابه (السودان في قرون) أن محمد علي عندما استولى على عرش مصر وصمم على استئصال المماليك ، فر منهم الذين كانوا يعيشون في الصعيد إلى بلاد النوبة لأجبر . ولأن النوبة كانوا بحاجة إلى حماية المماليك ، فقد تعاملوا بمقتضيات الضرورة ورحبوا بهؤلاء القارين حكاما على بلادهم . وعندما وقعت مذبحة الفلحة بالقاهرة والتي أجبر فيها محمد علي قادة المماليك ، لمسلم أعوانهم وبالتالي خضعت كل بلاد النوبة للحاكم البحار الجديد وهذا الحدث يسجل أول تبعية للنوبة إلى أرض مصر منذ أن كانت كذلك في أقدم الأزمان . . . ولكن الأمر يعنصي أن يشير إلى أن ذلك قد تم بسواب قليلة قبل الفتح التركي للسودان في عام ١٨٢٠ م .

ولو أحدث في الاعتبار هذه الحلفية التاريخية الاجتماعية ، لحطت الحدود السياسية شمالا (بعد الشلال الأول) ولأحدث النوبة برمتها وصفها الطبيعي ضمن البنية السودانية . لكن لذي حدث هو أن رغبة كرومر — التي لم تحظر على بل أحد — قد تحققت .



وفي مارس ١٨٩٩م وباتفاق محلي بين قمندان وادي حلفا وصابط شرطة التوفيقية من جانب وممثل مصلحة الأراضي المصرية وصابط شرطة مركز حلفا القديمة من جانب آخر تم من حدود السودان الشمالية ( الواقعة على النيل ) إلي فرس ، شمال خط عرض ٢٢ درجة . وصنفت السلطات المصرية على الاتفاقية كما يوضح الخطاب التالي الصادر من وزارة الداخلية بالقاهرة في ٢٦ مارس ١٨٩٩ م إلي محافظة النوبة " الحدودية " بشأن ترسيم حدود السودان :-

( إطلعنا على خطابكم رقم " ١٩ " حسابات بتاريخ ١٤ مارس ١٨٩٩م والذي أوضحتم فيه أنه - بناء على التماس قمندان حلفا وتنفيذا للاتفاقية المبرمة بين صاحبة الجلالة البريطانية ملكة إنجلترا والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير ١٨٩٩م بشأن الحدود الفاصلة بين مصر والسودان - تم الاتفاق بين القمندان الممثلين إليه وصابط شرطة التوفيقية من جانب ، وممثل مصلحة الأراضي المصرية في تلك المحافظة وصابط شرطة مركز حلفا من الجانب الآخر لمد الحدود السودانية شمالا بحرب النيل عند نقطة تعد ٢٠٠ متر شمال ( بربا فرس<sup>(١)</sup> ) وبشرق النيل عند ( حزامه ) أديدان ، وأنه قد تم وضع علامتي حدود هناك - يحمل الوجه الشمالي لكل منهما كلمة ( مصر ) ويحمل الحبراء الجنوبي منهما كلمة ( السودان ) وأن هذا الترتيب قد تم بحضور عمد ومشتج القرينتين المذكورتين أعلاه وبإيه نعا لذلك تم التنارل عن قرية فرس للسودان فيما عدا ٣ أفدة وقيراطين و ٨٥ شجرة بحيل اسفثيت في حدود مصر . ومن ضمن أراضي " أديدان " الحاصصة للصربية والتابعة لمصر تم

التنازل للسودان عى ٩٩ هدايا و ٧ قراريط و ١٥٥ شجرة بحيل . وإيه بناء على ترخيصات إعادة رسم الحدود هذه فقد تم صم عشر قري من المحافظة لتكوب صم الأراضي السودانية بمساحة قدره ٣٠٩٤ فدانا و ١٢ قيراطا و ٢٢٠ سهما من لأراضي ، منها ١١٢ فدانا و ٥ قراريط و ١٢ سهما غير مسجلة وكذلك ٨٢,٢٠٦ شجرة بحيل ، وعدد من السكان يبلغ ١٣,١٣٨ نسمة . وبناء على ذلك أوصيتم بأن يتم تقسيم ما تبقي من فرع مركز حلف و فرع مركز الكنور ويسمي بالآتي:

١. فرع حلفا يسمي فرع مركز " الدر " ورئاسته في كروسكو ويصم ٢٢ قرية من أديال " في الجنوب إلي " شتورم " في الشمال ، على امتداد ١٤٤ كيلو مترا منها ٩١١٧ فدانا و ١٠ قراريط و ٨ أسهم من الأراضي الحاصصة للصربية و ٢٥٤,٨٩٢ شجرة بحيل . وعدد سكان هذا الفرع ٣١,٧٠٣ نسمة .

٢. فرع مركز الكنور يسمي فرع مركز " أبوهور " ورئاسته في " أبوهور " ويصم ١٨ قرية من " مديك " في الجنوب إلي الشمال في الشمال وعلى امتداد ١٤٤ كيلو مترا منها ٨,٠٢٥ هدايا و ٥ قراريط من الأراضي الحاصصة للصربية و ١١٠,٤٤٠ نخلة وعدد سكان فرع المركز ٣٢,٣١٩ نسمة حسبما تبينه القائمة والخريطة المرفقة بخططكم) .

(وفي ذات الوقت تسلمنا خطاباً برقم ٥ صرانب مباشرة من وزارة المالية يوضح موافقتهم على ما جاء أعلاه بناء على محاطبتكم لهم ، لكنهم يوصرون بأن يسمي مركز حلفا : فرع مركز كروسكو ويس " الدر " كما اقترحتم ، وأن تسمي المديرية : مديرية أسوان . وبالإضافة إلي ما حاطبتكم

به وزير الداخلية في وزارة المالية قد حددت أسماء القرى العشر كما يلي .  
سره شرق ، فرص ، نبيزه ، سره غرب ، أشكيت ، أرقين ، دعيم ، عفش  
، دبروسه وان تُصم هذه القرى العشر إلي جانب الأراضي الحاصصة للصربية  
التي ذكرتموها ، ٧٢٠ فدانا و ٥ قيرط و ٨ أسهم من الأراضي ملكا حراً  
للحكومة . وبحر إذ يصدق -ها- على إعادة رسم الحدود هذه ، والتي  
تشمل عدد القرى والسكان والأراضي الحاصصة للصربية وعدد أشجار السحيل  
وتغيير اسم فرع مركز حلفا حسبما أوصت به وزارة المالية ليتطبق مع  
اسم رئاسته وإطلاق اسم مديرية أسوان علي المركز ، بهذا نكتب لكم  
وئوزارات العدل والأشغال العامة والمالية للعلم )

هذا يوضح إلي أي حد يمكن للعاديين من الناس أن يصنعوا التاريخ .  
يلاحظ في هذه الوثيقة من الأرض التي تم النزل عنها للسودان تُصم  
ثلاث قرى جنوب خط عرض ٢٢ درجة وبالتحديد هي دبروسه ، عفش  
ودعيم والتي لم تكن في أي يوم حاصصة للإدارة السودانية قبل إبرام اتفاقية  
بنابر . وفي نفس الوقت فإنه لا يوجد سبب محدد لاختيار بقعتي الجود اللتين  
سبق الحديث عنهما . ولربما كنت هذه المسألة مضممة في مذكرة القمندان  
المشار إليه سلفاً

وعند إسدال الستار على حصة استرجاع السودان ، تم إخلاء الحامية  
المقبضة في القيفر تماماً وتم ترحيل أسر الجود السودانيين التي كانت تُقيم  
دخول الحامية إلى شمال شرق دبروسه حيث تم تخصيص قطع سكبية سلك  
الأسر . وفي ذات الوقت أرسلت محارب الدخيرة وثمانية الجود المصريين  
، وبرزت مساكن جديدة أنيقة في المكان البائس لسكن ومقر الجود السودانيين

. وحوّل المستشفى إلى رئاسة للسكة حديد ثم مؤجراً إلى ناد بريطاني . وفي التوفيقية أقام "لويرر" فسقاً من طابقين يطل من جهة النهر -على السوق وبني الإغريق كنيسة كاثوليكية صغيرة في المنطقة التي شعلتها إدارة الحمارك لاحقاً

وخلال السنوات المأخرة من القرن العشرين بدأت الإدارة تأخذ شكلاً متدياً فحدا كانت -أثناء فترة الإعداد لحملة استرجاع السودان -تخضع للحكم العسكري وكانت إدارتها مجرد ترس في آلة الحرب الصحية . كان (ود هاومن) أول أحكام العسكريين وحلقه "قرنفل" ثم "هستر" وعندما حل السردر بحلف في مارس ١٨٩٦م جمع ما بين مناصبي الإداري الأول والقائد العسكري وعندما اندلعت الحرب واندهج الجنود جوباً ، أوكلت الإدارة للقوة البريطانية التي تمركزت -احتياطاً -بالحامية وعندما أزيلت مبني الفيهر الطبية ابتاعت الحكومة القدي المملوك "لويرر" واستخدمه رئاسة محلية فاحتلت المحكمة الشرعية والقسم "الكثاني" و "الحسابي" المطبق الأراضي فيما أبقي الطابق الأول للمدير ومساعديه الإداريين البريطانيين . أما رئاسة المركز فقد كانت ترأول عملها من المبني الذي صار مؤجراً مفتحاً . وأثناء السنوات العشر الأولى لم تكن الإدارة مستقرة كما لم يكن تحديد السياسات ممكناً بسبب تعدد المديرين الذين حمو في والي حلفا ومراجعة قائمة المديرين المصممة في الدورية القديمة المحفوظة بدار الوثائق بالخرطوم ، تبين لي أن اثني عشر مديراً قد عملوا في حلفا في الفترة من ١٩٠٥م إلى ١٩١٠م ، بل في عام ١٩٠٥ وحده شهد تعاقب سبعة من المديرين . وفي عام ١٩١٢م بدأت فترة لإدارة المدينة وكان السيد (ج ي. ايل)

أول المديرين المدنيين . وابتداءً من هذا التاريخ تطاولت فترات المديرين وتراوحت ما بين عامين وسبعة أعوام حسبما تكشفه الفوائم الرسمية . وفي عام ١٩٢٢م حصصت المساحة التي كانت تقع بين إدارة الجمارك والطبية رقم ٥ " أو ما كان يعرف بـ "أبو هريق وبشر" والتي كانت أراضاً زراعية تروى بـساقية -بناء المستشفى ومحطة اسكة حديد ورئاسة الإدارة المحلية ، بعد أن دُعيت عنها تعويضات مجزية وتم منح ماني (فندق لويدو) لمصلحة السكة حديد.

وفي عام ١٩٣٥م -ونتيجة لسياسة دمج المحافظات للصغيرة أصبحت إدارة حلفا في مستوى مركز تابع للمديرية الشمالية التي كانت عاصمتها "الدمر" . وكان السيد "برفس" آخر حكام حلفا قبل تعبد هذه السياسة . وقد تم إلغاء مركزي (عبري) و (دلقو) مع الإبقاء هناك على بقائتي شرطه وبعض المحاكم الأهلية التي تحصر بالمسائل الأمنية الطفيفة . ويتبعي التذكير هنا بأن سياسة الحكم غير المباشر طبقت لأول مرة في عام ١٩١٥م على أثر مرسوم أصدره الحاكم العام عين بموجبه عهد ومشايع القوى من بين الأهالي للمساعدة في جباية الضرائب وإعانة مفتش المركز في تسيير الشؤون الإدارية الطفيفة . وفي عام ١٩٢٤م حطت تلك السياسة خطوه متقدمة بإنشاء محاكم أهلية تستطيع - بقوة القانون - البت في القضايا الجنائية والمدنية وفقاً لمعرف القائم على التقاليد الاجتماعية والقبلية السائدة.

وفي الفترة بين ١٩٣٥م و ١٩٥٣م عمل ستة من مفتشي المراكز البريطانيون في حلفا ، أولهم السيد "ت. جونسون" وآخرهم السيد "ارثوت" . وكان السيدان (ماريسون) و (بن) قد خلفا دكري حسنة . وفي عام ١٩٥٨م تم

تعيين أول مساعد مفتش سوداني وهو المرحوم السيد عز الدين مختار الذي خدم مع السيد " بن " وفي عام ١٩٥٢م حلقه السيد علام حسن . وفي أغسطس ١٩٥٣م تمت سوية الإدارة ورقي السيد محمد حليل بتلك (الإداري السوي المشير) إلى وظيفة مفتش وتقلد وظيفة مفتش مركز حلقا لمدة عامين . وعند ترقبته إلى نائب مدير مديرية ، تقلد السيد حسن جبارة -أحد زملائي -وظيفة المفتش لمدة عام ثم حلقه صديقي عبد السميع عدور . أما أنا فبقيت فقد كنت أحرر مفتش مركز بي هذه المنطقة التي حكم عليها بأن تحبسي تحت مياه بحيرة السد العالي<sup>(١)</sup> .

وفي خواتيم القرن التاسع عشر وثناء العهد الأول من القرن العشرين تم احتيار ' حلقا' مكاناً ملائماً لاعتقال وفي كبر أسري المهدي من الأمراء والقادة الذين يتصرون لفترة حكم الخليفة ، وذلك لعزلتها وبعداها عن باقي مناطق السودان ومصر . هنا أتني إلى قصة هؤلاء الأبطال الثغاة .فبقي أعقاب هزيمة النجوى في " توشكي " عام ١٨٨٩م تم نقل كل الأسري إلى القاهرة . ثم شيد سجن حصيصاً لهم برشيد عام ١٨٩٢م وذلك لقضاء فترة حبس غير محددة وعدم حدث معركة " سحيلة " في أبريل ١٨٩٨م استسلم الأمير محمود ود أحمد ومعه كم مقدر من رجاله فيهم إخوانه الثلاثة إسماعيل و محمد المهدي وعلى ، فتم إرسالهم إلى ولاي حلقا في طريقهم للانضمام إلى أسري معركة توشكي أما الأسري الذين كانوا في مرتبة أقل من حبس ، الأهمية وهم بشير أحمد الناجي ، والفكي محمد أبو حرار ، ورشد يونس ، ومحمد جابر ، وعبد الماجد هيام ، وود قمر ، فقد تم حبسهم بالمنطقة

يسمى الحرة شوق في النيران من حبس شعور (مجموعة شوية ) . فشرح .

العسكرية في حلف . وفي ذلك الوقت تقرر إنشاء سجن أحر في " دمياط " لحبس أسرى المهديّة من الشخصيات الهامة والذين يتوقع القبض عليهم أحياء حسب تقدم الحملة إلى أم درمان . وبعد معركتي كرري وأم ديكرات تم القبض على مجموعة كبيرة من الأمراء العظام وعلى شخصيات مهمة معظمهم من " التعلّيشة والندافله " حيث تم نقلهم للمسي تحت الحراسة العسكرية . إما إلى حلفا بالسكة الحديد أو إلى سواكن ومن ثم بالبحر الأحمر إلى ذلك السيل . وبعد معركة أم ديكرات فر عثمان دقنه وعاش متحياً في " قور رجب " ثم لجأ بعد ذلك إلى جبال واريبا " بالقرب من البحر الأحمر حيث وثق به شخص يدعى " محمد أور " . وفي الحال تم القبض عليه وأرسل عن طريق البحر الأحمر إلى دمياط

وهي بداية القرن العشرين ، كان أشهر أولئك الأسرى ( أنباء الصهدي<sup>(٢)</sup> وأنباء الحليفة عبد الله<sup>(٣)</sup> وأنباء الحليفة علي ود حلو<sup>(٤)</sup> وأنباء الأمير

(١) سمعت جده من صلواته من دلا ثوبتكو داسر غوم وجره لجر من لسيده مصر وحبوب - اي مع الحنطة  
الذي قصي جوشي عشر سنوات بجز أبوادي جند

(٢) هن لاه كثر عباد الله لظاهر وعصر فليس وعلى وقد ارسى اربعهم في سرسة خاصة في رشيد وكذا  
وعسور معانة طيبة وغب لكملهم لعمدة الإله لية لجهاد ايه لالاب دي في مصر حيث هو في عبادته  
ومسر لنبين با لظاهر بعد ثوبتي يوشدي حث وهو في طريقه لأص ثوبتي بصحبته لعيه علي الذي كان  
لوجود من بين بوجه الذي بقي علي لحيه واه عبد الرحمن الذي كان جديها في الثبثة عشرة من مصر  
فد ثرك في كتب الله ولم يرمي

(١) كان عند قديم شاذلية عشر وقد صموا في ثلاث فم تبع القوم فليس كانوا فخرى على فخر فخر بالمصالح  
الحكومية بمصر والشباب منهم بعث بهم للتكريب بمصره (ميت شاذلية) فقرر اربعة بنو الاصل فقا: اخذوا من ماله وميت مع  
البناء المهندي واما عثمان شيخ اهل الكفر فبدا فخرية فقا: حبس في سجن رشيد الى ان توفي من الامور محمود وود احمد  
واخرين ، غير ان عمر متوعد في مصمحه المصطفى والمهمات بمصر وقد عوبه في الميوداد عن بمصمحه لمعية  
ثم تم تجديده موزا اصحابا بقوة به ع السودي ، واما عبد الصمد فقد عن بمصمحه لمحارب والمهمات من عمر وعبد  
عوبه السودي بم بعينه (صولا) يقوه بقاء السودي = واما يحيى شاذلة الثلاثة (المصمحيين) ويز اهلهم فخرى واهل د  
قد فخرى بمصره (ميت شاذلية) وموحي لسما على بمصر يمس عك يحيى ويخواه فثلاثي فقا: علي قيد الحياة للسوحي  
وحيثو بمصمحه اقرر عه ، واما القاهر ومحمد الامين ومحمد المهندي وعلى فقد عنو جميعا في السودي في عام  
١٩٠٨ م. واما عبد الحميد وحصل وعبد الرحيم ومحمد السيد وسليحي ودلوان وقصص والحيث اهل كفو صبيدنا اصعبا  
قد فخرى بمصره رشيد بم عيو فلي بم توم في عام ١٩٠٨ م. واما عبد الحميد بمصر رداء فقا: كل راسمعا، لذلك  
ترك في ر عاهه بم عيو .

بعقوب<sup>(٥)</sup> أبح الخليفة الذين ألقى القبض عليهم إثر مقتل الحبيبة في معركة أم  
ديكرات أما كبار الأمراء وكبار الشخصيات الذين أرسلوا إلي سجون الدلتا  
فقد كانوا ، يونس ودالكيم ، وعبد الباقي ، وعبد الوكيل ، وإبراهيم مالك ،  
وفصل حسن ، والحكيم موسى ، ومحمد الأمين بعقوب ، وحافظ حميدان ،  
وإبراهيم محير ، وعلي الشيخ سعيد ، والأمير محمد زين ، وأما أولئك الذين  
يأتون في مرتبة تالية من الأهمية فقد نقلوا إلي وادي حلف بعد إتمام فتح  
السودان .

وفي عام ١٩٠٤ م شرع علي عبد الكريم (وهو ابن عم المهدي ،  
وكان مهووساً ومحتل العقل) في التبشير بتعاليم تتعارض مع الشريعة  
الإسلامية وجمع حوله رهطاً من الأتباع . وقد عثرت حركته حطرة علي  
الأمير وعلي صحة الدين فأعتقل هو وأتباعه الذين كان أشهرهم محمد  
الراكي وعوض أبو القاسم وسعد العيش ، ونقلوا إلي وادي حلفا وحبس علي  
عبد الكريم حبساً خاصاً في الحصن (رقم ٤) ولم يكن يسمح له بمعاودة  
الزيارته ، وبقي سجناء الدلتا اليأساء يعانون من الظلم حتى عام ١٩٠٨ م .  
وفي ٢ مارس ١٩٠٨ م رفع سجناء رشيد بظلمة إلي مصلحة المحابرات إلي  
سلاطين باشا الذي كان في هذا الوقت للمعتش العام للسودان ، يطلبون فيه  
إعانتهم إلي وطنهم . وتشكروا من رطوبة طقس الدلتا الذي أودي بحياة العديد

<sup>٥</sup> كان محمد سيده وهم محمد أحمد الذي اعتقل في سجن رشيد مع آخرين ثم نقل إلي وادي حلفا ويعترب  
أحد مكشفي سجن رشيد إلي بر تطلق سره في عام ١٩٠٨ م وعند عودته إلي السودان تمسكهم في قنم المحابرات ثم  
هدد موسى شدي فحق بمدرسة (ميت شديفة) وشويع عبد عويته إلي السودان بمصلحته فتردعه ثم سمع علي شدي  
كأن قبل القبض علي سجن رشيد بعد إطلاق سراحه في عام ١٩٠٨ م عن علي شوبر وتخدم في كومس ثم الطبيب  
وسيدى قاضى في تلك شرف لندن انبعاث في السودان في صحبه عبيد بعد أن تمسك مرة قصيرة بسجن رشيد  
الكلى عيدهم سبعة وهم : عمر وعلي وموسى واحمد ، عبد المجيد ، عبد الرحمن ، وحسن وعبد الله وعبد الله وعبد الله  
إلي فتمني في وادي حلفا ولا عزم الاثنى الأخير إلي نحو سجن عامين وتحبس كلهم بعد سنة لشكة جديدة بالمدينة  
عند بعد في عتق قنم ، وفي عام ١٩٠٨ م انقضى من حزم واملو في عطبرة حيث قد تعيبتهم عدالة بانسكة حيد



مهم وأدى إلي تدهور صحة من بقوا علي قيد الحياة . وهي ذات الشهر زار  
سجون الدقا (هـ . ن . بريلرورد) أحد قادة حرب الأحرار البريطاني  
وتحدث إلي عثمان دقة . وبما أن حالة السجناء المحزنة كست لا تحتاج إلي  
دليل فقد نقل للمسؤولين البريطانيين استياءه من سوء معاملتهم ورجا أن  
يعاملوهم معاملة حسنة .

و بعد عودته إلي لندن كتب السيد (بريلرورد) مقالاً بقياً في صحيفته  
أسفحة بتقرير إلي الحكومة . وسرعان ما أبدت الصحافة المصرية اهتمامها  
بالقضية وظهرت مقالات في (الأهرام) و (المصر) و (النواء) و (المؤيد) .  
ودبح الصحفي الشهير حين فيكل محرر جريدة (السياسة) الباطنة باسم  
حرب الأحرار المصري مقالاً قارياً بعنوان . "الرحمة فوق العدل عثمان  
دقة : السجين الخالد " . عبر فيه عن قناعته بأن أولئك السجناء ليسوا  
مجرمين وإنما هم عظماء بلادهم وأن ما قاموا به لا يتجاوز حدود الحق  
للمقدس للدفاع ضد العدو الأجنبي . وأهاب بالسلطات البريطانية إطلاق  
سراحهم فوراً . وعانتهم سالمين في ديارهم .

وقد أفرجت حملة (بريلرورد) وما أوجته من انمشاعر في الصحافة  
المصرية ، السلطات البريطانية في القاهرة وبعد تحقيق حذر تقرر الإفراج  
عن السجناء المسالمين ونقل المتناكسين منهم إلي وادي حلما . ونتيجة لذلك تم  
إطلاق سراح إسمي المهدي الدين بقى علي قيد الحياة وكل أبناء الحليفة علي  
ود حنو ماعدا محمد أحمد وسمح لهم بالعودة إلي أهلهم ولإيجاد مكان لحسن  
بقية السجناء في وادي حلما فد أفرج عن أبناء الأمير يعقوب وأرسلوا إلي  
عطبرة ليحبوا عملاً . أما بقية السجناء ممن هم في مرتبة أقل من حيث

الأهمية فقد أفرج عنهم من سجون لمياط وحلفا، ثم صدر قرار بنقل من تبقى من سجناء الدلتا إلي وادي حلفا وقد وصلت آخر دفعة منهم في ١٢ أبريل ١٩٠٨م ثم تبعهم (دفعة) في ديسمبر

وبنهاية عام ١٩٠٨م تم تقسيم من تبقى من السجناء<sup>١</sup> السياسيين في وادي حلفا تبعاً للأهمية السياسية، في مجموعات . شملت المجموعة الأولى كبار القادة والدين وصعدوا تحت الحبس الحامض في الحصن رقم ٤ ولم يكن مسموحاً لهم بمعاينة الزنزين إلا مرة واحدة ظهراً وهؤلاء هم : عثمان دقنة وعلي عبد الكريم . وأما المجموعة الثانية فقد حبست أيضاً في الحصن (رقم ٤) وقد سُعوا من الاختلاط بالأهالي . وأما المجموعة الثالثة فتشمل السجناء الشباب الذين وصعدوا تحت عقوبات محقة لا تنهدى في أغلب الحالات تحديد الإقامة وقد عاشوا في معسكر الجبانة وسمح لهم بحرية الحركة في المدينة والاستغاث في السوق ، واستخدم بعضهم في ورش السكة حديد .

وبعد مرور بعض السنين ، غيرت حكومة السودان معاملتها لهؤلاء السجناء وقررت اتحاد حضرات إيجابية لإعادتهم لممارسة حياتهم العنصرية في المجتمع السوداني الجديد ، فأولئك الذين تلقوا تدريباً راعياً في المرحلة التجريبية بميت الدبة في مصر ، ألحقوا بمصلحة الزراعة وهناك آخرون كثر تم تعيينهم حرفيين في ورش السكة حديد ، وهناك عدد منهم حددت

١- محصل تعداد في عثمان دقنة ، علي عبدالكريم ، أحمد علي ، أحمد وروجنه مستوره وبنه محمد وبنته صفية ، محمد تمهتي نعمت وروجنه صفية وبناته هبة وفاطمة وسليمة ، بير عبد الله الذي كان في السجن من عمره وبناته معرونة ورفعة وفضة وبنه عيسى ، عبد الباقي عزو كوكيل الذي كان في الخامسة والستين من عمره وروجنه فاطمة وبنته رفاعة وبنه بقاكي . محمد نعمت شحور والذي كان في الثامنة والعشرين من عمره وروجنه (شنگلويه) (عبد الكريم) وبنه يعقوب وصي وبنته امه وبنو شامو وشمس كمو هم خضر حميد - وعلي فرحان الذي كان بمسجد الأيس للتركي طمس ، وحبس بمحسور وبنو خيم ملك واليراهيم محير ويعقوب بنو راتب ويوسف وبنو انكوير وعلي الشيوخ سعيد ومحمد الزكي وبنو عبد الرحمن وبنو رشيد وبنو طحسني وبنو فيصل وبنو فخر وبنو محمد فضل الله وبنو عبد الله عبد الرحمن بن علي شاك سور توتوك

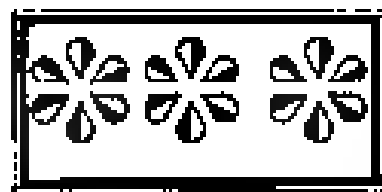
إقامته في أم درمان ، وود مكي والقصارف والحيلير وسنحة وكوستي . وبحلول ديسمبر عام ١٩١١م لم يبق إلا أربعة أعتير إطلاق سراحهم حظرا علي الأمن في ذلك الوقت وهم : عثمان دقة وعلي عبد الكريم وعوص أبو القاسم ومحمد احمد الحلو . وبعد فترة قصيرة سُمح لعوص أبو القاسم ومحمد أحمد الحلو بمعدرة وادي حلفا والعيث تحت رقابة الشرطة في موطنيهما تاركين عثمان دقة وعلي عبد الكريم الذين كتب عليهما أن يبقيا في هذه المدينة مدي الحياة .

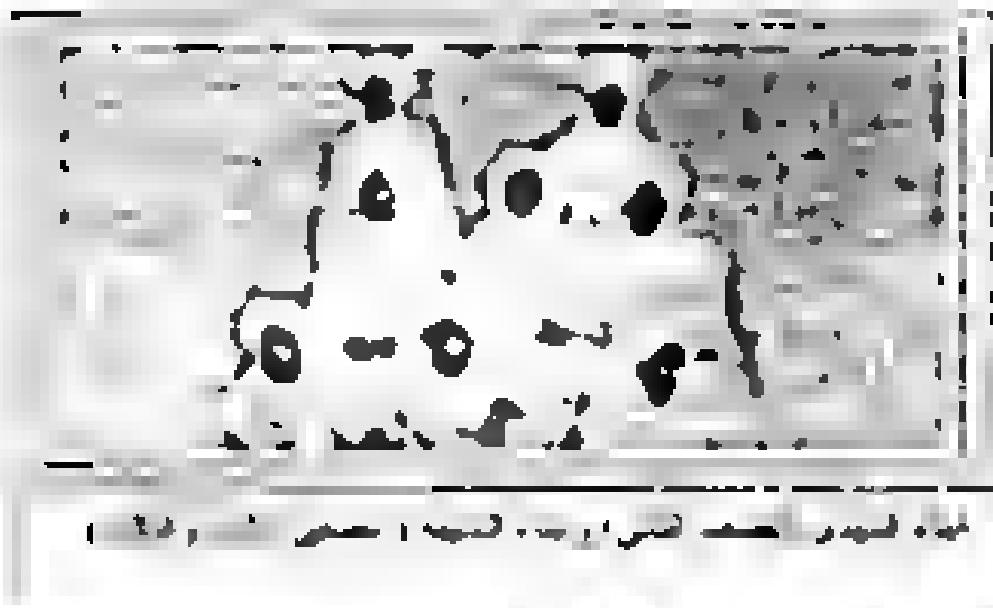
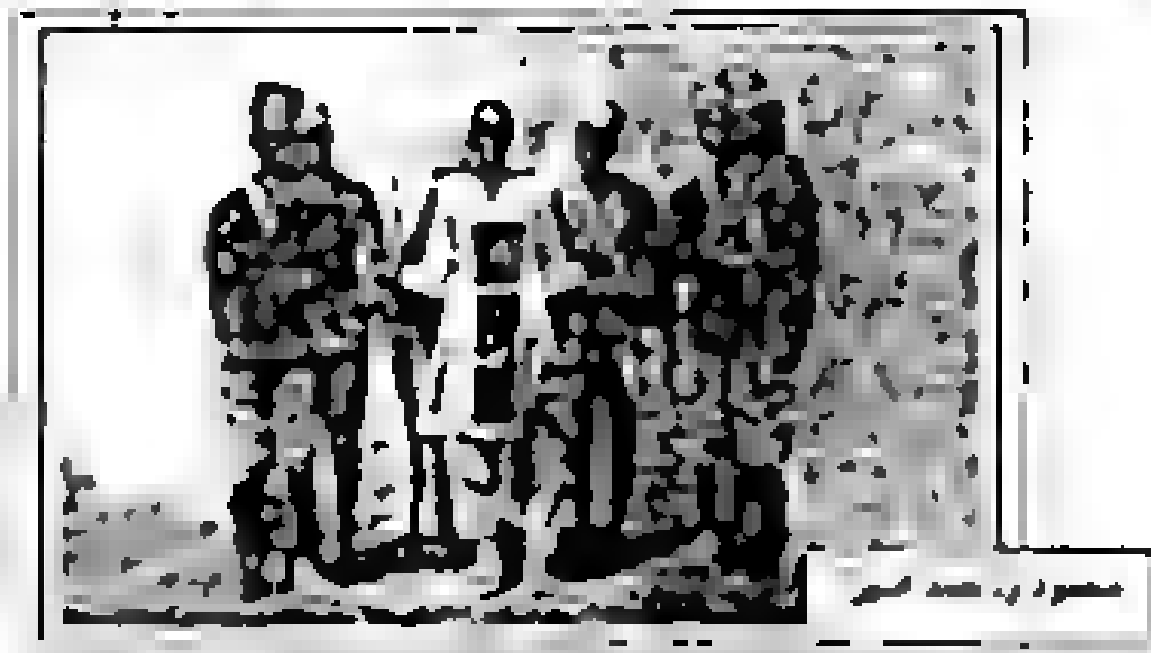
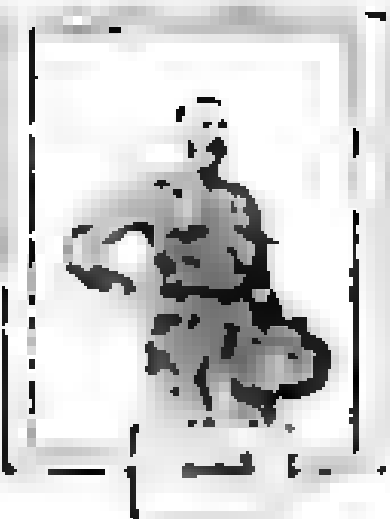
وفي عام ١٩٢٣م إلتحق عثمان دقة من السلطات السماح له بأداء فريضة الحج ، إلا أن هذه الأمنية النبيلة رفضت بشكل مدعف ... وتصرب الخبر إلي أحد أعضاء البرلمان البريطاني من حزب الأحرار فوجه سؤالاً حول رفض طلب عثمان دقة لزيارة الأراضي المعهنة، فأنكر وكيل وزارة الخارجية التماس عثمان دقة أو إيداء رعيته في هذا الشأن وأكد لأعضاء البرلمان أن عثمان دقة يحيش حياة هادئة وهينة في مناه . ولكن صحف حزب الأحرار شنت حملة من الإسفادات علي الإجابة لكاذبة وصلت إجراء تحقيق دقيق يريل عن عثمان بقه ما لحق به من ظلم

لاشك أن ما كتبه الصحافة قد مر الحكومة البريطانية ، فقد سمحت مرخصة لدقة في عام ١٩٢٤م بالتوجه إلي مكة المكرمة . وبعد عودته إلي وادي حلفا حصص له منزل صغير بالقرب من مركز الشرطة حيث قصي بقية حياته صائماً كل النهار قانعاً بنقليل من الطعام واللبس والتمر ليلاً ، مكرساً كل وقته للصلاة وتلاوة القرآن حتى توفي بهو ، في ليلة ١٧ ديسمبر ١٩٢٧م . وبعد جارة صائمة دفن في مقابر سيدي إبراهيم . وهكذا أسدل

السنار عسي حبة أعظم الأبطال الذين عرفهم تريح السودان وأحد أشجع وأفرس مقاتلي القرن التاسع عشر .. قائد (الغري وري<sup>(١)</sup>) والمحارب الذي انتصر عسي خمس معارك وهرم جيش الإمبراطورية في (صوكر ومثكات والناب وهندوب وطماي وخور شمات) . صاحب البطولة والجسارة والمهارة التي أذهلت مؤرحي العالم وجعلت (تشرشل) يحلح عليه لحل الإطراء

وبعد وفاة عثمان دقة بقي علي عبد الكريم وحيداً مع عائلته في القيقر بفلاح قطعة أرضه الصغيرة ويجي ثمار تحيله حتى وفاته عام ١٩٤٢م .  
لقد عامل سكان النوبة هؤلاء السحباء الأبطال في قيودهم وعزلهم معاملة طيبة . أما الذين سمح بهم بالاحتلاط مع الأهالي فقد تركوا وراءهم أوصفاء عديدين ما زالوا يذكرهم بكل عطف وبالرغم من أن مسيرة عثمان دقة كانت مجهولة بالنسبة لعامة الناس في مدينة حيفا إلا أنه كن بالنسبة إليهم من الأولياء الذين سجلت عنهم كرامات عديدة .





## الفصل الخامس

أرض النوبة وسكانها

الذين من لتاريخ السودان قديمه وحديثه - يلاحظ أن كل المؤثرات الكبرى - تقريباً - قد دخلت البلاد عن طريق النيل وعبر أرض النوبة . فقد لعب هذا النهر دوراً كبيراً في تشكيل تاريخ النوبة وتاريخ السودان عموماً . ففي الأراض القديمة أرسل عظماء الفراعنة الذين ينتمون إلى الدولة الوسطى أساطيلهم إلى أعالي النهر فيما وراء السلال الأول وبنوا مدنهم ومعابدهم على امتداد الشاطئ في بلاد النوبة وأنشأوا دفاعاتهم عند السلالين الثاني والثالث . وهكذا امتدت أولى الحصارات التي عرفها العالم إلى تلك المنطقة . وبعد قرون من الحياة المستقرة ، تقدم الكوشيون من الجنوب وغزوا النوبة ونهبوا مدنها ثم ساروا شمالاً حتى أحصعوا مصر . ولكن الفراعنة سرعان ما استعادوا قوتهم واسترجعوا ما فقروه من البلاد .

وفي فجر المسيحية استقل الآباء المسيحيون مراكزهم من (رشيدي) إلى النوبة حاملين لإجيل ودعاهم إلى سبيل السلام . فأقاموا في حرائب المدن الفرعونية القديمة وبنوا كنائسهم على أنقاض المعابد وعلى بقع قدماء المصريين ، بشر الآباء المسيحيون بعودتهم حتى لمع أنصبي السودان وأحدوا في بناء المدن والكنائس حتى بلغوا علوة جنوبي الخرطوم حيث أقاموا مملكتهم المسيحية . ثم انتشر الإسلام في منتصف القرن الثامن الميلادي عندما اندفع المسلمون العرب - وهم مشبعون بقوة الإيمان - على طول صفتي النيل من مصر إلى بلاد النوبة وأقاموا حصارتهم الإسلامية الحديدة فوق آثار المملكة المسيحية المحتصرة . وتم بناء المساجد بالقرب من أنقاض الكنائس وفي بعض الأحيان تم تحويل الكنائس إلى مساجد . ومثلما فعل سائقوهم من المسيحيين فقد توغل المسلمون العرب جنوباً واستقروا في منطقة

(حرام الساف) الذي يتيح لإبلهم مرعى طيبا .

في القرن التاسع عشر كان النيل هو الطريق الرئيسي لثلاث غروات ، وهي غروات محمد علي باشا وإسماعيل باشا وسترجاج السودان عام ١٨٩٦م . وبسرغم الطبيعة المستعحلة لحملة إيفاد غردون في عام ١٨٨٤م فلم يكن هناك طريق أسرع من النيل . وحتى (السجومي) لم في استطاعته تجنب النيل وهو في طريقه لغزو مصر مع سابق عهده بتمركز قوات العدو في المنطقة الواقعة في ما بين عكاشة وحلفاء ، باحتصار فإن بلاد النوبة كانت البوابة التي عبرت من خلالها الحصارات ، الأديان والحيوش إلى السودان .

من أحد أوضح سمات بلاد النوبة هو عزلتها ، فهي منطقة نائية ومفصلة عن باقي القطر بموانع طبيعية ، فمن ناحية الشرق والعرب فهي مقطوعة عن العالم بالصحراء التي لا حدود لها ومن ناحية الجنوب تمتد صحراء العتمور القاحلة إلى مسافة تقرب من ٥٠٠ كيلو متر بين وادي حلفاء وأبو حمد . أما مجري النيل إلى دنقلا فمسدود بثلاثة شلالات (الثاني والثالث والرابع) والشلال الثالث وحده يتكون من سلسلة من أربعة جبال (مسمة ونسجور ودال وكجار) . ومن جهة الشمال تعد أسوان مسيرة ٢٣ ساعة بالبحر من وادي حلفاء . وقبل مد خط السكة الحديد فإن الوصول إلى حلفاء لم يكن ممكناً إلا عبر ثلاثة طرق وعرة . فمن جهة الغرب يمتد (سرب الأربعين) الذي نجتازة القواقل عبر الصحراء بدءاً بمدينة (دار) البعيدة بالقرب من جبل مرة بمدينة دنقلا ومروراً بالعذار والوحدات والأودية والسهول الرملية حتى تصل إلى أسوان محملة بالعاج وريش النعام وجلود الحيوانات



المتوحشة وانمطاط الحام للمستخرج من غابت بحر العزال . وهذه القوافل  
المكونة من مئات الإبل تتوقف في محطاتها الأخيرة (بواحة سليمة) قبل أن  
تتوجه إلى النيل . جوبي حلقا . ثم تسير بمحاذاة الضفة العربية سبل عبر  
(بلانة) و(عينة) إلى (درار) بانقطر المصري . ولأن هذا الطريق طويل  
وقاحل فإن استعماله كس قصرا علي فصل الشتاء حينما يكون الطقس بارداً  
وبقل الاحتياج إلى الماء . وإلى الجنوب فإن الاتصال ببربر يتعذر إلا عن  
طريقين : الأول يسير علي الضفة العربية ويتبع مجاري النيل المتعددة  
مروراً بكوكا وديفلا وكريمة ثم عز أرض المعاصير إلى أبو حمد فبربر .  
والثاني هو الطريق الشهير الذي يختار العتوم ويربط كروسكو بأبو حمد  
مزوراً بآبار (المرات) . وهذا الطريق هو الذي سلكه غردون في آخر رحلة به  
إلى الخرطوم ، وهو الذي التزمه (أورلندر) عند هروبه من أم درمان ، ولا  
يرال عزب العائدة بطرقهونه لغير باب البصائع والإبل إلى مصر .

والسوبة - كما رأينا جبالاً معروفة وطل النوبيين مشهودين إليها ،  
يعيشون في عالمهم الخاص ، ولها السبب بقيت بلادهم بمعزل عما كان يجري  
في السودان خلال القرن التاسع عشر  
المكان :-

بدعي (سلفمان) - عالم الاجتماع الشهير - في كتبه (أجاس أفريقيا)  
أن النوبيين ينتمون إلى الجنس الحامي الأفريقي ، وهم ينقسمون إلى قسم  
المنصر الذي ينتمي إليه قدماء المصريين وقبائل النجا بشرق السودان ، لكن  
لا يعرف بالانتماء من أين جاء أسلافهم إلى بلاد النوبة . وبميل (أ . ح .  
ركل و بروفيسور بليلي) إلى القوب بأن أصولهم جاءت من (بنت) بلاد

المسؤول ويقول (لرلي قرير) - بعير تأكد حارم - إن ثقتهم كانت  
أسبوية أكثر من أي تأثير آخر . وثرب جاموا من سيا عبر البحر الأحمر  
عن طريق مياء (القصير) . ومهما كان الجدل حول هذه المسألة فإن عينا  
أن يعترض أنهم كانوا من الحاميين إلى تثبت الأبحاث العلمية غير ذلك .  
وفي كل تاريخهم القديم وخلال الحقبة المسيحية ، ظل السويون  
مقاطعين على دمائهم الحامية . وحيما حدثت هجرة العرب الرئيسية إلى  
السودان في منتصف القرن الثامن الميلادي، كانت بلاد النوبة أو المتأثرين  
بها . وتوغل العرب إلى أقصى بلاد النوبة واحتلوا أهلها وارتبطوا  
بأصغر المصاهرة مع بعضهم . وكانت هـ أول مرة تختلط فيها الملامح  
للحامية للسويين بالدم السامي . وكان هذا هو التفسير الوحيد - كما يقول  
(داوود كجارة) في (النز العريد في الأحبار المفيدة) لحقيقة وجود الأشراف  
وعرب الحمر بالسودان . غير أنه لا يوجد مرجع تاريخي يحدد حجم الوجود  
العربي في بلاد النوبة لكن بما أن العرب قوم مترحلون وبما أن النوبة منطقة  
جافة فيمكن افتراض أن إقامتهم لم تكن بالكثافة التي في حزام السافانا  
السوداني . وهذا يتفق مع الرعم التقليدي للعائل بقاء الأصل السوي الذي  
تدعيه الأسر النوبية

وفي القرن التاسع عشر اختلط الدم التركي بالدم السوي . فقد تزوج  
الكشأف (وهم عمات صغار عبيتهم ، لأنراك لإدارة انقري ) نساء سويات  
وأصبح أحفادهم يعرفون اليوم بالكشأف . وهم ينتمون من ناحية الأم في  
السويين الذين يعتبرونهم إخوان لهم ويتمتعون بكامل حقوقهم الاجتماعية وبحق  
امتلاك الأرض والإقامة في الأرض التي ولدوا فيها . وفي عهد (همام أبو

يوسف ( حدث أمر مهم يتعلق بتعريف دلالة الكشاف وأماكن إقامتهم كما ترويه خلاصة قصصه الواردة في مخطوطة المؤرخ النوبي (كُبارة) تقول القصة : \* إن شمام إعتقد أن يسوع حق حكم الدوبة لمن يدفع مقداراً معيناً من المال . وهذا التخليد الذي كان سائداً لمرس طويل قد أوجع ناز التماس بين قبائل الكشاف . وتبعاً لذلك عقد كشاف (إبريم) حلفاً بينهم مكوبا من ثمانية من فروعهم هي : الإبريمات والمجراي والأغا حسين والسكوراب والكبخياب ولتباشيا والحمدوماس والكارياب " ، وقرروا شن الحرب على الفروع الأربعة المكونة من " الداووداب والديبا والمسولات والأزريهان " .

وعسما أحست فروع القبلة الأربعة سواب أعدائها ، إنتقلت جنوبا إلي (الذر) وجبرت نفسها للقتال. ولكن قبل بداية المعركة تدخل بعض القبو ح وعقدوا صلحاً بين الخصمين وفي شروط : تتولى قبائل (إبريم) بموجبهها حكم ست إقطاعيات هي :بريم وحنية وعيبية ومصمص وموسكي شرقاً وغرباً. أما القبائل الأربعة الأخرى فقد منح خمسة عشر موقعاً تحكمها وهي : (عزازمه واريق وبلانه وقصص وأندان وجريرة قرص ومزه شرق ومزه غرب وديرة وأشكيت وأرقين وديروسه وعنقش وحطفا وديعيم) ، وبذلك تم التوصل إلي وفاق، وساد السلام رمةً طويلاً ، ولا يستطيع أحد من نوبي حلف أن يؤكد أو ينفي ما رواه ( كُبارة ) عن العداء الذي كان مستحكماً بين (الكشاف) بالرغم من أن (كُبارة) لم يكن معاصراً له وأطلق أن صدقيته ما روي تطلق مهتزة وتستدعي بحثاً دقيقاً

## الجدول التالي يوضح الفروع المختلفة لأصول النوبيين:

(١) النوبيون الحُلص:	(٣) النوبيون الأتراك:
أولاد حير - سوي - دقما	نؤوداب - نجايا - ونياب - سدولاب
غردقة - دكين - نوريا	كسرياب - سكوراب - بررقاناب
(٢) النوبيون المستعربون	كحباب - بيرماب - مجراب
جوابرة - حبلاب - قراريش	أغ حسيب - شلاياب - إيريما
أولاد أورك الدين	- تباشيا - حمدولاب - كارياب -
أولاد عاصم - عباسين	حمدولاب *

بمرور الأيام طهر سريد من (الكشاف) في منطقة النوبة ليعصبوا  
مروعاً جديدة إلى قاعة (كُتارة)، فهناك أترك أحرف يعرفون بالعر تركوا  
أثراً في النوبة . وقد شكل قطاع النوبيين الأتراك الكم الأكبر من سكان  
المبطقة التي غمرتها المياه مؤخراً .

الجدول التالي يوضح الأقسام القبلية تبعاً لأصلها وهو مأخوذ من وثيقة  
ورثها (شريف داؤود) من والده التي كان عمدة مدينة حلفا .  
وأقسام النوبيين ومجموعاتهم المصنفة تبعاً لا تفرع غالباً اني العشر  
بمعزل عن بعضها البعض ، فهم جميعاً ينسبون لتي أم نوبية ويشعرون أن  
رابطته الأمومة التي تجمعهم قوية بما فيه الكفاية لتشدهم إلى بعضهم بعضاً .  
وفي ذات الوقت فهم لا يحتقرون بعضهم ولا يتعاملون مع بعضهم على أساس

(١) يستل الأمر إلى معصية مثل : ميريديون لهم جابو حنة . من قديم من مسجر وسكو هي (جورج دالمجوراب)  
لمدة لاصم وجربا كل ثلثاً عاماً لاقتنا إلى صباو بوجم هذا طاعة موبنتي صبه . نكر الحبه من . ومشاء لك لقلبه  
من صاحب مجور لخصر . امه لهدم . بعد سي لآل حير او مخرص رطلي كل عام فلت لخصم رجة . حريبا . اربا في  
منه لآل حير . الأتراك \*

التعريف العصرية بل إلى النوبيين الناحل لا يتكادرون بعصرهم فهناك شعور عام بالمساواة رغم التنوع العرقي في كل قرية من القرى . بل ليست هناك قرية واحدة يسكنها مزيج واحد من مزيج النوبيين . وهذا الجدول الملحوظ من وثيقة شريف داود ، يعطي فكرة عن تعدد الأصول العرقية المتعايشة في كل القرى التي عمرتها المياه . وهذه الحقيقة تم احتياها بالرجوع إلى شيوخ معظم القرى المعنية فوجدت صحيحة .

[illegible]



**السمات الشخصية للنوبيين المعاصرين**

## (١) الطبع العام للشخصية :

النوبيون يُعتبرون من أكثر قبائل السودان مسالمة ، رغم قسوة الحياة وفقرها في المنطقة التي يعيشون فيها . وهم كرماء ومهذوبون حين يتعاملون مع العرب والعرباء والأجانب . فالضيوف يلقون منهم حسن الرفاة والتقدير ويطعمون عدهم بأحسن الإدام والشرب المتاح وحتى في المناطق الفقيرة مثل ( نطش الحجر ) تعجب الأزوار دائما باستقبال الناس العطوف ، إذ أن الضيف بالنسبة للنوبيين يعتبر شخصاً جديراً بالاحترام البالغ كما تعتبر الحفاوة به واجباً اجتماعياً، فالضيف النازل علي شخص بعينه منهم يكون صيفاً علي القرية كلها . وحين يتسامع الناس لكلمة: (أسكني) فإن القرية يرمتها تنساق للاحتفاء به، وبمجرد أن يدخل الصيف منزل العوفي يحسن سائمه قد حل بأهله . فوجود مصيفه البشوشة نطوقه بالحنان ونظف تثرثر وتسحر من الحياة . ولا تطبق هذه البشاشة علي الرجال وحدهم، فالنساء اللاتي تقمصت نهن النس بقص في غيبة الرجال يواجهن لاجتماعي بمستوي يدعو إلي الإعجاب. وأثناء فترة للسوات المست التي قضيتها في بلاد القوبة لم أكن أحظى غلة هذه العادة ، فالنوبيون البحلاء قليلون جداً .

كذلك فإن من خصائص النوبيين : النظافة، فهم يكتسبون مازلهم باستمرار وينظفون بالأوساخ في مكانها الصحيح حيث يتم حرقها . كما أن طرقات القرى نظيفة ، أما الملابس التي يرتدونها فمغسولة دائماً وأما الاطفال فيرسون من الأرض . . . . . إليهم بحق قوم يعشقون النظافة وترتيب البيوت ، فكل أدوات المنزل تغسل وتُجفف وتوضع في مكانها الملائم .

وحيداً رائد ، الأمير (صنوبر النين أغا حسن ) قرية بوهين في عام ١٩٦٢م ، أبدى رغبته في أن يزور منت من بيوت السويوز ، وبالصدفة كان بيت أحد بحارة القارب الذي عبر بها به ، يقع في القرية التي علي بوهين . وعندما أخبرته برغبة الصييف الكبير ، سر ورحب بزيارة مدرئه ودخلنا المنزل غرفة غرفة وجب كل أركنه بما في ذلك غرفة المطبخ ، وعبر الرائد عن إعجابه بمستوي النظافة الممتاز ثم دخلنا عشواً ثانياً منزلين آخرين فحصلنا علي نفس النتيجة .

والسويوز مشهورون كذلك بالأمانة والمسالمة ، وهم يحترمون حرمان الأحرار فلا ينتهكونها ولا يعرفون السرقة أو النفاق ، من الأمور العادية أن تجدهم يعلقون بوابات المنازل بمرايح خشبية من الخارج لا من الداخل ، ولعل السبب الرئيسي وراء استعراء الحيانة في مجتمعهم هو انساب بعضهم لبعض وعدم إقامة العصر الأجنبي بينهم . وهناك اعتقاد لحقيقة أن أي شخص لا يتعدى حدود ما هو حق له ، وإلى جانب هذا ينبغي أن نذكر أنه وبالرغم من أن بعضهم سيطر الناس سريع الاستجابة للإشراء فإنهم لا يلجأون إلي العنف للحصول علي ما يعتقدون أنه حق من حقوقهم . وخلال إقامتي في حلف لم يتعد عدد المحنوسين في سجن المركز إثني عشر سجناً كانوا حلهم من الصعاب الذين عبروا الحدود من مصر دون الحصول علي وثائق الدخول الضرورية والسويوز لم يعرفوا أبداً كقبيلة مقاتلة وينكر ( هـ س . جاكور ) مدير حلفا في أواخر ١٩٢٠م في حد خطابه تلحظ طوم أن السويوزيين (قبل سنوات حين تم تجديدهم في صفوف الجيش المصري قاموا بإحراق أخشاب مخزونات البنادق للحصول علي النار التي يطهون عليها



طعامهم.) وللحقيقية فإن الخدمة العسكرية لا تستهوي السويين إلا قليلاً .

ولكنهم مسالمين ولا عواصين فإن النوبيين يعتمدون في كل شيء تقريباً على الحكومة ولكنهم من ناحية أخرى يفتصرون ويكتبون العرائض والشكاوى. ولربما كانوا أشهر قبائل السودان قاطبة من حيث المفاصاة والمشاكسة باستثناء أهل ( يارا ) و ( بربر ) . فهم يتشككون في أي شيء ويستهوونهم برسائل (العرائض) لأي موضوع. وعندما تكون هناك شكوى ذات طبيعة عامة فإنهم يستقبطون مساعدة جواسمهم بالحارج الذين اعتادوا علي إرسال للترقيات المطولة التي لا حصر لها من مصر ومن أنحاء السودان الأخرى .

وفي أولي جولاتي في منطقة ( السكون ) لاحظت وأنا أقتررب من (عري) تجمعاً كبيراً من الرجال علي جانب الطريق بالقرب من قرية (عمارة ) وطننته تشيعاً لجدارة أحد الأهالي ولدهشتي عندما اقتربت المييزة منهم رأيت ملك الجمع كله يشير إلينا بالوقوف فأمرت السائق بإيقاف السيارة وزلت مسهم فابتدري شخص يدعي خليل عثمان (والدي كان يبدو أنه المتحدث باسم التجمع) بحضية مطولة انتقد فيها العمدة وأزدرأه ثم أوضح في عبارات قوية كيف أن العمدة أساء معاملتهم وفي حاتمة خطبته طالب بفصل العمدة فحاولت أن أوضح لهم أنني حديد علي المنطقة وأحتاج إلي وقت للنظر في شكواهم ، ولكن قليلاً منهم كان يسمعي في غمرة الهرج . ثم سألت خليل ( كم قضي العمدة من الزمن في منصبه؟ ) فأجاب . ( اثني عشر عاماً بطولها . ) فسألت : (لماذا لستم بالصمت طوال هذه المدة ؟ ) وللإجابة علي هذا السؤال جذب خليل حزمة ورق من جيبه وقصمها لي . كانت حزمة الأوراق المربوطة جيداً بعقريط أبيض نحوي ست وثاني تتكون كل منها من صفحتين

موقع عليها ومحتومة من ما يريد عن مائة من الأسماء ومطبعة نر تيب  
 رسمي. كانت الوثيقة الأولى شكوي موجهة لمفتش المركز البريطاني قبل سبع  
 سنوات وتحوي نقداً لادعاء للعمدة ولأبيه رئيس المحكمة وتطلب إقائهما معا  
 ولأنه كان من الواضح أن مفتش المركز لم يستجب للشكوي، وقد وُحِث  
 (العريضة) الثانية لمدير المديرية الشمالية وأصبحت النهمة موجهة لثلاث  
 جهات من بينهما مفتش المركز نفسه. أما الوثيقة الثالثة فقد رفعت إلى  
 السكرتير الإداري وفيها شكوي ضد ظلم المدير الذي وقع إلى جانب المفتش  
 وأرسلت الوثيقة الرابعة إلى حاكم عام السودان وفيها انتقادات للخدمة  
 الإدارية وعُيِّنَت الوثيقة الخامسة إلى السفير البريطاني (المعتمد) في  
 القاهرة، تهيب به التدخل في الأمر. وأرسلت الوثيقة الأخيرة إلى الملك فاروق  
 تشكو له فيها الإدارة البريطانية برمتها. وعندما فرغت من لإطلاع علي تلك  
 الوثائق الشيفة، سألت (حنيل) إن كان هو وقومه قد لقوا شيئاً من الإنصاف ؟  
 فقال بأسف: (لم يلق شيئاً ، فمارال العمدة يتمتع بسلطته كأني مستعمر  
 بريطاني ، ) حينها قلت له: (مالك لم تشكهم شرب العالمين ؟)

وعندما عدت من جولتي وجدت ٢٢٣ برفية تنتظري في وادي حلفا  
 وكلها من أبناء (عصرة) العاملين في مصر .

ومن الصفات العامة الأخرى للنوبي : اعتداده العميق بذاته، فحين  
 نعتريه محبة خاصة فإنه لا يكشفها للآخرين مهما كانت وإذا كن من الفقراء  
 فإنه يبقى عبقراً ويحفي بؤسه ويدنو سعيداً كغيره من الناس وهو لا يستجدي  
 أحداً ولا يستهين بكرامته، ومهما عصه الجوع والعور فإنه يحمله بصبر  
 وجلد يثير الإعجاب وتبع هذه الصفات ماها حين يحفي الواحد منهم

مصائبه عن أقرب الناس إليه ، أولئك الذين يمكن أن يكون في مقدورهم مساعدته. ومن الأمور المألوفة عن النوبيين أنهم لا يحترقون أن يواجهوا بالحقائق المرة . وهم حساسون تجاه النقد حتى لو كان بدءاً وجاء بريّة حسنة . وهم سعييون ويحترقون الثناء .

وكشأن كل قبائل السودان ، فإن للنوبيين معاييرهم. فمن النادر أن يحالب نوبي أحام حتى ولو كان علي خطأ . ولا يستطيع أن يقول إن كان ذلك يرجع لاحترام المتبادل أم إلي الحشية البالغة أم إلي الاثنين معاً لأنه أحياناً يتجاوز حدود اللياقة وهم كذلك متطرفون في علاقتهم ببعضهم بعضاً. فالنوبي بالنسبة للنوبي الآخر إما صديق حميم أو عدو لدود . والصداقة عندهم عرضة لأي تكون ضحية لأتفه لإحتلافات فإذا إنقطعت الروابط تستقر العدوّة إلي ما لانهاية. ولهذا فيبدو أنهم يعرفون جيداً نقط ضعف بعضهم بعضاً مما يتيح مرعى حصياً لعناصر التطرف والعداء. ويبدو هذا جلياً كلما برزت قضية عامة حيث يكون نكاعلهم معها سلبياً أكثر منه إيجابياً. فحينما يكون القرار ضد رغباتهم مهماً كان عادلاً ومنصفاً فإنه يواجه باحتجاج واسع وبشكاري عاصفة ولكنهم تجاه القرارات الجيدة التي هي لصالحهم سعيون ولا مبالين .

ومن السمات البارزة للمجتمع النوبي القديم، الأثر الذي خلفته الهجرة الجماعية والفردية للذين في منتصف العمر والقالدين علي العمل. وهناك رصد لعدد الزوجات اللاتي غاب عنهن أرواجهن والأسر التي غاب عنها عائلتها ضمن العمل الإحصائي الذي جري مؤخراً والذي أوضح أن الرقم كان محيئاً حقاً. وهذه الحالة لا تقتصر علي مركز حلقا وحده ، فدنقلا تعاني منها

بما هو أسوأ ، ولكننا لا نستطيع أن نلوم النوبيين أو البدائل عليها، إذ أن قسوة الطبيعة هي السبب الرئيسي . ففما فصل هؤلاء الرجال السفر مكرهين إلى بلد ما والبحث عن عمل يؤمن لهم عيشهم وعيش أسرهم العريضة ، بدلاً عن ملازمتها في ظل الحرمان والفقر . وليسوء الحظ فقد جذبت النوبيين الآمال العريضة لأنهم كانوا يتقون في استثمار مهاراتهم وقوتهم في البلاد السنية مثل القاهرة ، بل وأبعد من ذلك .. إنجلترا . فأصبح من الصعب عليهم معاداة أسرهم سدوياً بانتظام مما أدى إلى اصطلاء الروجات خارج الهجر الطويل وحرمان الأطفال من رعاية الأبوة المطلوبة في هذا الطور الحرج من فترة النمو . وحدثني الدكتور طه بعشر (اختصاصي الطب النفسي) الذي قام بسلسلة من الزيارات للمدارس فيل التهجير ، عن نعام أولئك الروجات . فكلما زار المنازل وسأل الأمهات عن أحوالهن كانت الإجابة . (حسناً .. كل شيء علي ما يرام ما عدا والد أطفالي الذي ظل غائماً .. عاماً ) . وهكذا فإن كل شيء ليس علي ما يرام . وفي غالب الأحوال فإن هذه الأسر تترك لي كنف حال الأولاد أو جدتهم الذي يمنحها جرء من منزلها لتعيش فيه . ولهذا السبب كانت مدارس النوبيين واسعة ومقسمة إلى أجزاء

والأم النوبة تواجه الحياة مع أطفالها وحدها فإن عليها أن تتحمل كل أعباء الحياة المنزلية نيابة عن زوجها . وهكذا تقوم النساء بفلاحة حيازات الأرض التي تركها لهن أزواجهن ويشرفن علي حصادها . ثم إن عليهن أن يؤمن معروون الفصح ويضمن مؤونة العد ، ويقمن بتلقيح أشجار النخيل موسمياً ثم يخصص إناجهن ويسوقه . وبالإضافة إلى ذلك يتولين صيانة منازلهن ويرعين المواشي والدواب . ولقد أصبحت أرقام التعداد السكاني أن

العلاجات من النساء في المنطقة التي عمرتها المياه كن أكثر من الرجال .  
وعسما حصرها اشجار الحويل لأغراض النعويص، وجدت ان كل (الصمديين )  
من النساء . (الصمد هو رئيس المرارعين في الرقعة الزراعية ) .

ومن المؤكد أن أرض النوبة تحتصر أفضل النساء العاملات علي  
امتداد السودان . فالمرأة النوبية تقوم بدور مفرد في ساء الإقتصاد الإجتماعي  
، وتحتل مركزاً متميزاً في المجتمع والطاعات في السن من النساء يتنصن  
بالعافية وقوة التحمل العضلي الذي يمنحهن للمقدرة علي العمل الشاق .  
وبعض النساء أكثر شهرة وأعلى مقاماً من الرجال ومن الامثلة المعروفة  
(ست فاطمة ريّة) والدة السيد جمال محمد أحمد التي عرفت بالكرم وقوة  
الشخصية .

وري النساء في بلاد النوبة له حاصية لافتة للنظر . فهن يرتدين فوق  
العسستان العادي ، عباءة متميرة مصنوعة من قماش أسود رقيق يطلق عليه  
(الجرجار) وهو زي طويل قصاص له أكمام تكدي إلى الكعنين وله ذيل من  
الحلف يلمس الأرض ليمحو اثار القدم عند المشي . ويصنع علي رؤوسهن  
طريحة سوداء من نفس القماش يطوقن بها أعناقهن برفق ويتدلي طرفاها  
(المجوعين) علي الكعنين ليبقي الوجه وحده سافراً . ولا يعرف أحد أصل  
هذا الزي الذي اشتهرت به المرأة النوبية . أنه حجاب قاجار يجعل النساء -  
من كل الأعمار - متماثلات وهن يسرن في مجموعات علي طول الطريق  
. لكن الأجيال الصاعدة من بنات الدويين أصبحن يعن إلى ارتداء الثوب  
السوداني بدلاً عن (الجرجار) وهذه ما تجده في منطقة السكوت والمحس .

## ٢. طقوس الموت والزواج والميلاد: (١)

ليس هناك في طقوس الموت عند النوبيين ما هو غريب سوى أن (العنقريب) الذي توضع عليه جثرة المرأة يُعرش بحريد السحل ويعطي بالقرمصيصر<sup>١</sup>. ويتم الدفن بالطريقة السنية التي يكون فيها مكان الرأس جهة الجنوب مستقبلاً القبلة. وكما هو الحال في أغلب أنحاء السودان، فإن المأتم يمتد إلى ثلاثة أيام، حيث يجلس الرجال تحت سقفة هيكها من الحطب وسقفها من حصير القمح تُقام خصيصاً لهذه المناسبة أما النساء فيجلس علي مسطبة الدار الأمامية أو يبقين بداخل غرن المرل. وفي اليوم الثالث تقام (الكرامة) وهي طعام أو ملابس توزع علي الفقراء وبها ينتهي المأتم. ومثلما هو الحال في كل أنحاء السودان، فإن أقارب وأصدقاء الميت يسهمون في تكافة المأتم إما بدفع قليل من المال أو بإحضار شيء من السكر والخبز وبالإضافة إلى ذلك فإن أرباب الأسر يشتركون في إطعام المعرّين بما يحضرونه من مائرلهم عند كل وجبة.

وعندما يسيلع الولد الحادية عشرة من عمره، يختار له أهله صبية مدسية لتكون راحة المستقبل. وهي عادة ما تكون بنت العم أو بنت الحال أو بنت الحالة أو بنت العمّة أو إحدى بنات الأقربين. ويتم (حجرها) له بصورة مدسية، ويعيش الطرفان وهما علي علم بأنهما سيكونان زوجي المستقبل وعندما يدركان سن الزواج (وهي في العادة: الحادية والعشرين بالمسبة للذكر والثامنة عشرة بالنسبة للأنثى) يقوم الأب أو الأم أو من هو في مقام رب الأسرة بطلب يد الفتاة من ذويها (رسمياً) لولده. ويتم الخطبة

١ جمعت هذه المعلومات من علماء حاصب في ليس وأُضيف فيها في بعض ثم اصم - ملاحظاتي الشخصية.

بهدوء وبغير احتفال أو دفع مال أو هدايا . وتقتصر ماسمتها علي تأكيد  
الانضاط وتحديد تاريخ الزفاف . وبعد الخطبة تُلزم العتاة بيتها ولا يسمح لها  
بالخروج إلي الشارع .

وفي أغلب الحالات يتم دفع المهر مقدماً ، إلا في حالة أن تكون  
العروس من أسرة موسرة ، ففي هذه الحالة يؤجل دفع المهر إلي يوم الزفاف  
. أما الأسر الفقيرة فتحتاج إلي دفعه مقدماً لتتمكن من مقابلة الترمات العرس  
مثل شراء الملابس والعطور السائلة واليابسة للعروس ، وتوفير القمح  
والدرة وأدوات المطبخ . ويتفاوت المهر من ٢٠ جنيهًا سودانيًا في حده  
الأدنى إلي ٥٠ جنيهًا في حده الأقصى مع ١٠ جنيهات (مؤخر صداق) .  
كذلك فإن أهل العريس يقومون بتجهيزاتهم للمناسبة والتي تشمل أثاث المنزل  
وبعض ملابس العروس وإقامة وليمة ضخمة يذبح لها ثور لحيم

وفي الأمسية السابقة للزفاف ، تكون (ليلة الحنة) التي يتم التحضير  
لها بحفل غداء ضخم يذبح له عجل سمين ويدعى له كل أقرباء وأصدقاء  
العريس ، فيجلسون ليتناولوا الطعام علي سجاجيد أو حصائر مصفوفة فوق  
الأرض كعادة السويين . وبعد الفراغ من الوليمة يمسح "برش" (وهو حصى  
ناعم مصنوع من قصب القمح المصنوغ وأوراق جريد النخل) علي الأرض  
. وتوصف قوارير الزيت الهندي (المحلية) قرب البرش . ثم تتقاطر علي  
المكان أفواج من الفتيات والنساء وهن يعين أهاريج الفرع في مدح أسلاف  
العريس . وفوق البرش يستلقي العريس وعليه ملابس خفيفة تكبداً مراسم  
الحناء (الحنة) علي يدي سيدة متقدمة هي السن من أقرب أقربانه . فتبدأ أولاً  
بمسح باطن قدمه وأصابعه بسـ (المحلية) ثم تصع (الحنة) عليها . وفي هذا

الوقت يتناول كل أصدقاء العريس العارفين قليلاً من (المحلية) و(الحبة) ويصنعونها علي أصابعهم فيما ، ثم يؤتي بصحن كبير مملوء إني تصفه بالماء ويوضع قرب العريس ليذاب بدء دفع المساهمات النفية (النقطة) وتستهل أم للعريس (النقطة) بإلقاء قطع ذهبية في الصحن . ثم يتبعها أقارب وأصدقاء العريس واحداً بعد الآخر يحلون مساهماتهم أمم الجمع ثم يصنعونها بالقرب من الصحن وسط رغايد النساء المحتشدات . ويكلف أحد أقرباء العريس بمراقبة سير هذه العملية من حيث معرفة أشخاص المساهمين وحجم المساهمة ليتم سجلها لاحقاً وحفظها لدى العريس مرجعاً لتسديدها في أعراسهم . وبعد انتهاء فترة (النقطة) يعلن ووالد العريس وأمه ما وهباه لولدهما من الأرض والحييل . بعدها تجمع (النقطة) وتسلم لأم العريس لتساعد في تعطية بقات العرس . وبعد احتتام طقوس (الحبة) تبدأ حفلة الرقص البهيجة التي يقودها فريق من المعينين المحترفين والهواة بألات العود والكمان (بالنسبة للمحدثين منهم) وبالدفوف التي يشبه إيقاعها الجاز الشعبي (بالنسبة للمعنين التقليديين) . والدف آلة موسيقية خفيفة مصنوعة من إطار خشبي عليه غطاء من جلد العنم مشدود عليه ، يسموه (الطار) . ويقف كل الصيوف في دائرة واسعة خارج المنزل بينما تتجمع النساء جانباً . أما المصنون فيقفون في منتصف الدائرة يعازيهم بينما يقف صف من عشرة رجال في حدود الدائرة مقابلاً لعدد معادل من الفتيات في الجانب الآخر . ثم تعرف المخطوعة الأولى ويعني المعني :

يا جميل سلاتقي



## أو نري سلاتقي

وتعني حرفياً : (أيها الجميلة . لم ملوتني وأنا العليل ) وهي أغنية كانت شهيرة إيس إقامتي في وادي حلفا ، وقد يعني المعني أي أغنية أخرى بالعربية أو النوسية . وعندما تبدأ الأغنية يتقارب النصفين بحطي موقعة وتكون الغيتات بأجسامهن ممياً ويساراً ، بينما يشرع كل الحاصرين في تصفيق مسجم وهم يرددون المقطع الأول . وترعد النساء بين آن وآخر ويشيد الرجال بالراقصين الحائقيين .. وهناك رقصة خاصة تؤديها فتاتان في منتصف الدائرة بمصاحبة المعني والفرقة الموسيقية . وهناك من بين المعنيين دائماً من هو محور له جميع المساهمات من أقارب وأصدقاء العريس أثناء الحفل . وفي كل مرة يتلقى فيها قرناً من المساهمة يصبح علماً .. (دائماً في الأفراح .. فالن : صديق العريس ، تسلمنا مه كذا من النقود ) وهذه المساهمة تكون دائماً جزيلة ومن القطع الفضية وتوزع علي أعضاء الفرقة الموسيقية بالإضافة إلي مبالغ أخرى يدفعها العريس . ويستمر الحفل حتى الفجر . وفي بيت العروس يقدم حفل عشاء تدعي له كل النساء من أقاربها ويذبح له حروف ثم تبدأ مراسم (الحنة) بلا رقص .

وفي مساء يوم العرس تؤخذ الأثاثات الجديدة وملابس العروس من منزل آل العريس إلي منزل آل العروس . وعند وصولها إلي هناك ، تتلقاها رعايد النساء اللاتي يكن قد تجمعن لهذه المناسبة .

وبعد صلاة المغرب يتجمع كل أقرباء وأصدقاء العريس بمنزله ويخرجون - فيما عدا العريس - في زفة إلي منزل العروس لعقد القران .

ويتم العقد تحت يدي مآدور شرعي يقوم بشحيد (القسيمة<sup>١٣</sup>) في وقت لاحق  
وعندما تتم إجراءات العقد يقوم أقرب أقرباء العريس بتقديم هدية منه للعروس  
، وهي عادة ما تكون حلي ذهبية تتحلى بها جاء النساء من الفوج الذي يطلق  
عليه (قصة الرحيل) وروج من الأسورة الفضية وقطعة فست مرر كشة  
تحتوي قطعاً من الذهب ، وأثناء ذلك يقدم التمر للصيوف .

وبسبب تواصل إجراءات عقد الزواج (ووفقاً للتقاليد النبوية) ، تقوم  
سبع نساء بحمل قراح ملئ (بالماء) المكوّن من الخبز والحساء والأرز واللحم  
، وينجهن به إلى ضفة النهر حيث يتناولن جرّة منه ويقفن ما تبقى في الماء  
(لإطعام الملائكة) ثم يغسل الفدح ويملأه بالماء وتقوم إحدى النساء بإلقاء  
حاتمها فيه ، ثم يحمل الفدح بعناية ويعدن إلى منزل العروس . وعند  
وصولهن يقمن بغسل وجه العروس ورأسها بالماء ويعطينها بثوب  
(القرمصيص) وتسمى النساء هذا الماء : (موية الشهادة) .

ثم يتناول الصيوف طعام العشاء في منزل آل العروس حيث يسمح  
عجل أمام باب غرفة العروس حين تكون جالسة على مرتبة موصوعة على  
الأرض وعليسيها (برش) أحمر في مواجهة العجل المذبوح لتري الدم المتدفق  
من عنقه . وبعد ذلك تغطي العروس (بقرمصيص) عليه ثوب من اللمورية  
ومن العادة فإن النسوة يحتفن بهذه المناسبة برغاريد عالية السرة .

وبعد الفراع من العشاء يتجه المدعون مباشرة إلى منزل آل العريس لحضور  
تريسه وعند وصولهم يقابلون برغاريد النساء . ثم يتجه الجمع إلى ساحة  
المنزل لحضور التريسة ويكون الاحتفال كما يلي: يجلس العريس على برش

<sup>١٣</sup> القسيمة ربيعة عند الزواج .

أحمر وبجانبه عدد من الأواني الخشبية التي تحوى دقيق الصندل و المحلب ،  
 أم الزبوت الهدية والعتور فتحويها سلطانيات صغيرة . وفي حصم غناء  
 النسوة تقوم سيدة متقدمة في السن بتصميخ رأس العريس بالزبوت المعطر ،  
 ثم تنثر فوقه مسحوق الصندل والمحلب المعطر . يسمى هذا العمل (الجرثق)  
 . ثم يقوم رفاق العريس العازبون بغمس أصابعهم في زيت الصندل ثم  
 يستلقونها كفواً بالمتاسفة . ثم يلبس العريس ملابس جديدة من بينها عباءة  
 يرتديها لأول مرة ليلاً على إنه أصبح متزوجاً . ثم يسير الجميع في موكب  
 حاشد (سيرة) إلى بيت العروس . وهذا الموكب يقوده عادة رجال الطرق  
 الصوفية بأناسيهم تديكاً أو فرقة غنائية تكرر في مقدمة الموكب وتكون  
 النساء في المؤخرة مع العريس . وحين يكون منزل العروس في نفس القرية  
 أو في قرية مجاورة ، فإن الموكب يمشي سيراً على الأقدام ويتوقف على  
 مراحل لإجلال العريس ووريزيه - الذين يكون بحذهم شعيعه الأصغر  
 والآخر أحد أصدقائه المقربين غير للمتزوجين - على كرسي حبة ليشاهدو  
 رقص العنّات ، ثم يستأنف الموكب السير ويتوقف العينة بعد الأخرى . و إذا  
 كان منزل العروس في قرية بعيدة أو كان عبر شهر ، فإن الموكب يستقل  
 الحافلات أو المراكب .

وعند وصول الموكب مدخل دار العروس ، يُعطي العريس سلطانية  
 مليئة باللبن المسكّر والرب ، يطعم منها سبع جرعات ثم يهب الباقي بوريزيه  
 وأصدقائه جنباً للحط السعيد . ثم يُعطي العريس (إناء صغيراً) يحوى بحور  
 الصندل ولبناً وشباً في مِحْر يصعه فوق رأسه ثم يحطه سبعاً ثم تقوده

وحده سيدة يقال لها (الوزيرة) إلى غرفة العروس ليدخل ويصح يده على جبهتها وهذا يسمى: " لمس القصّة " . وبعد ذلك يدعو الله أن يباركه ويعود إلى الجمع لينتقي النهائي . وفي هذا الوقت تكون وليمة العشاء قد تم تجهيزها ، ثم يتواصل الرقص حتى الفجر على النسخ الذي وصعاه ائعاً .

وعند الفجر يسير العروسان إلى شاطئ النهر في رفقة الأهل والأصدقاء حيث يحصلان وجهيهما مباشرة من النيل وينثران الماء على بعضهما ، ثم تتجه المسيرة إلى أقرب سستان لحيل لقطع عصا الجريد وعند عودتها يقدم لها الشاي والإفطار .

وفي الطهيرة يدخل العريس إلى غرفته وهو يحمل صندوقاً صغيراً مملوءاً بالقطع النقدية المعدنية والحلوى . وبعد برهة يؤتي بالعروس إلى العروسة فهي ثوب " قر مصيص " تزفها النسوة بالرغزيرد وقد حرمت هي طرف الثوب قليلاً من الخبز " الدريش " . وفي لحظة تحولها يقوم العريس بفتح صندوقه وينثر محتوياته على رأسها وتقوم هي بالمقابل - ينثره بحبوب القمح المبرومة . وهذا تتسابق الفتيات والأطفال في توصي - لجمع القطع المعدنية و الحلوى باعتبارها بهياً مشروحاً .

وبعد انتهاء كل هذه الطقوس " يخرج الحاضرون من العرفة ويبقى العريسان متردين ويشرع العريس في مساومة العروس لتتكنم . وكلت طال سكوتها ، زاد الثمن إلى أن يبلغ القيمة التي تتفقت العروس مع أمها عليها فتتطرق . وتسمى هذه العادة (فتح الحشم) أي فتح الفم أو الاستعطاف . وفي بعض الأحيان يكون ما يدفع هدية ساعة أو أسورة ذهبية ولكن المال الذي يدفع لا يتعدى هي الغالب خمس جنيهات . وفي المساء تخرج العروس على الصيوف

وتشبه الرقص الذي يتواصل الي منتصف الليل ثم يدخل العريس غرفته ويبقى مع عروبه حتي الصباح .

وفي فجر اليوم الثاني للعرس تفتح أم العريس خزانة بصرتها وتعد كميات هائلة من الطعام وتحملها في صواني ومعها سلال مليئة بالزعتر والكابيدة وسلطانية مليئة بالخبز الي منزل العروس . وعند وصولها يتناول العريس سبع جرعات من ذلك الخبز ويغمس يده اليمنى في السلطانية ثم يقدمها للعروس التي تتناول منها سبع جرعات. بعد ذلك تقوم أم العريس بإهداء العروس سبيكة من الذهب .

وفي اليوم الثالث تقيم أم العروس وليمة غداء لأقارب وأصدقاء العريس يشترط أن تحوي أراح الحمام المشوي .

ويستمر العرس لمدة سبعة أيام يوفد الليخور في كل يوم منها علي عتبة باب العروس حيث يقوم العريس بالقصر فوقه سبع مرات صباحاً ومساءً. وفي اليوم الأخير تقيم أم العريس مأدبة عشاء ضخمة بمنزل العروس لكل قريباتها وصديقاتها فيجتمعن عادةً في منزلها ثم يسرن حيث الوليمة .

وتبعاً لعادات النوبية فإن كل امرأة من المدعوات أن تحضر معها هدية من حب القمح أو الدقيق محمولاً في طبق من البوص غير أن بعضهن يأتيهن بهدية نفية. وتحمل أم العريس عند خروجها من منزلها سلة كبيرة مملوءة بالفول السوداني والحلويات وزجاجات العصير والسكر والشاي. وعند وصولهن لمنزل العروس تقدم لهن الشربات والشاي والفول السوداني ثم يتناولن طعام العشاء وبعد الفراغ منه تقوم كل واحدة من المدعوات بتقديم هديتها لأم العريس ويتم جمع الهدايا كلها في حاوية مخصوصة. وفي وفي

المقابل يقدم لكل وحدة من المدعوين قليل من الفول السوداني أو (الأبريه (١) وحلال هذا الوقت يكون العريس جالسةً بالعرفه ويده كراسه يسجل فيها الهدايا وتفتح أم العريس قائمة الهدايا النقدية باسم ابها العارب الأصغر ثم تتسبها الأحراريات بالهدايا نيابة عن أبائهن العاربين أو بناتهن العاريات أما النساء اللاتي لا أولاد لهن فيسجلن هدايهن بأسماء أزواجهن. وبعد الفراغ من تقييم الهدايا النقدية تقوم أم العريس بجمعها لتصبح ملكاً لها وتحتفظ بالكراسة لتقوم برد الهدية حين يحين وقتها .

وفي المساء يقوم العريس بزيارة أمه في منزلها حاملاً معه هدايا فاخرة من الطعام وعند وصوله تكثر أمه عليه حبيبات القمح داعية الله أن يديم حياته وأن يرزقه الذرية الصالحة ثم تهديه قطعة من الذهب .

وفي ظهيرة نفس اليوم تتوالى مجموعات من الفتيات مهمة مرافقة العروس الي المطبخ حيث يشرفن علي قيامها بإعداد سبعة أقراص (١) محبورة من دقيق القمح علي أنوار صاج مسطح وبعد أن ينثر السكر علي الأقراص يقدم إلي سبع بنات (بشروط أن يكن حبيبات الزواج ) ليأكلنها مع العروس ولا بد من أن تتناول كل واحدة منهن سبع لقيمات قبل أن يتسلمن هدايهن من العطور .

وبحلول اليوم السابع تنتهي الاحتفالات ويأمنر العروسان حياتهما الجديدة روجاً وروجة .

ولا يستطيع أحد عن يقين أن يحدد متى بدأت ممارسة هذه

١ - يقين من خبير الفرس السمر والمحدثات بهنرف - أمه جم .

(١) يسمى للقرص بثلهجة السبي (كبيدة)

الطقوس وأن بدوري لا يمكنني أن أردما إلي المصريين القدماء أو في الحقيقة المسيحية أو إلي الإسلام غير أن تفسير بعض ملامحها سهل للغاية بالنسبة لي. فاللبس مثلاً يرمز إلي السلام والعال عند معظم القبائل في السودان أما الفصح فهو علامة الرخاء وأما (البان المر) و (الصب) اللذان يحرقان بحوراً مع الصندل فإنهما يبطآن السحر ويطرذان (العين) .

إن الكمية الهائلة من الهدايا والإسهامات التي تعبر عن تقاليد نوبية واسعة هي ظاهرة لافتة تؤكد الأهمية الاجتماعية للزواج في حياة النوبيين وتلزم كل عضو في ذلك المجتمع بدفع نصيبه المفروض. وأن الحقيقة المجردة التي تنصح من خلال الحفاظ للمرأة النوبية بقائمة تحوي أسماء الذين ساهموا في زواج ابها تعني أنها تهتم ببرد قيمة المساهمة ربما بمقدار أجرل في المناسبات المستقبلية الشبيهة هدلاً عن إلقاء نبعة تكاليف الزواج كلها علي العريس من المجتمع كله يساهم في تحصيلها وهذه الإسهامات تعتبر عرياً - دينياً اجتماعياً. وبهذا تهيئ المصاعب المالية للزواج ويتمهد الطريق أمام لرجال لإكمال نصف دينهم ولهذا السبب يتروح النوبيون في سن مبكرة .

وعند ولادة طفل تتلقى القبيلة هدايا من الحلوى والشرابات وكمية من الفصح أو الدرة بالإضافة إلي هدية نقدية لا تتجاوز في غالب الأحيان جنيهين . ويسمى المولود في اليوم السابع وتلقم وليمة عشاء كبيرة بهذه المناسبة إذا كان المولود ذكراً أو وليمة عشاء إذا كان أنثى وعلي النوام فإن الوليمة تكون كبيرة احتفاءً بالمولود البكر الذكر يصاحب حفل راقص ليلاً وهي بعض لأحيان يقوم والد المولود في يوم الجمعة الأوسى لميلاد الطفل بإعداد وليمة

غداء حافلة من (الفقة<sup>(١)</sup>) يحملها إلى المسجد عقب صلاة الجمعة لتناولها  
جمهرة المصلين. ويسمي الطفل البكر الذكر باسم جده لأبيه كما تسمي الطفلة  
البكر باسم جنتها لأبيها .

والأسماء الشائعة للذكور عند النوبيين هي ( داؤود وحليل  
وعبدالرحمن وذهب ) وهذا الاسم الأخير حكر خاص للنوبيين مثله مثل اسم  
(سلي) عند الدحاقل .

وفي اليوم السابع تحمل مجموعة من النساء المولود إلى النيل وهن  
يحملن صحا كبيرا مليئا بالفقة يأكلن منها ويقفن ما تبقى في النهار (لإطعام  
الملائكة) ثم يطلق البحور في مبحر تتعذاه امرأة معينة سبع مرات وهي  
تحمّل المولود. وبعد الفرج من هذه الطقوس تقنع النساء بكل ملابس  
المولود التي ألبسها خلال الأسبوع الأول إلى النهار ثم يملأن دلوًا بالماء  
يحملنه إلى أم المولود في بيتها. وتستقبل الأم مجموعة النساء عند مدخل  
البيت وتسل وجهها بماء النيل ثم تجهر طبقاً مسوحاً من السعف بحوي ربعا  
من القمح والتمر ليوضع عليه المولود. تمسك الأم بيدي المولود بينما تمسك  
امرأة أخرى برجليه ثم يرفعانه برفق فوق الطبق ويضعانه فوق القمح والتمر  
وهن يصحن (ماشقيت . . . ماشاقتا) وهذا تعبير نوبي لا يعرف له الآن  
معنى. ثم يزرحنه سبع مرات قبل أن يدرله على الطبق وترشف الأم  
جرعة من ماء النهر ثم تثرها فوق المولود قائلا : (سلامة جاي) .

وفي اليوم الرابع عشر تورع البليلة<sup>(٢)</sup> على الجيران والمدعوين ثم  
تلبس الأم ومولودها ملابس جديدة ويطلق البحور في العرفة وتأتي بعض

<sup>(١)</sup> الفقة صمم من فقت الحبر والأبر والشم . المترجم  
<sup>(٢)</sup> أي صلب من الخشب يعني يثام على يصح أو يمش ويصحب إليه شهورات . المترجم



السماة بجريد النخل ويكس به أركان العرفة الأربعة وهو يدان ملائكة الرحمن لمرافقتهم إلى النهر : (بملائكة الرحمن قوموا بمرل البحر ، ) ثم يجمعن ما كس من الأركان ويحملن معهن كمية من البليلة المحلوطة والمبحر ويصلة ينلن بها الصدل ويذهبن في موكب إلى النهر في صحبة الأم ومولودها . وعند الوصول إلى شاطئ النهر يصعن المنحدر على الأرض حيث تقوم الأم وهي تحمل المولود - هذه المرة بالغفر فوق المبحر سبع مرات . ثم يقفن بكل ما أتت به من المرل في الماء ويعدن إلى أهلن .

وقد يلاحظ القارئ الوظيفة التي يؤديها الملائكة في مناسبات الزواج والميلاد عند النوبيين فهي ترمز إلى لحونهم بلدين طلباً للحماية من الشرور ولكن من الخطأ على كل حال الاعتقاد بأن لا عمل للملائكة سوى حضور مناسبات النوبيين .

### (٣) جوانب أخرى من حياة النوبيين :-

يلاحظ صوماً أن النوبيين عسما يكونون في مناطق أخرى من السودان لا يحتلطن طوائعية بعيرهم من السودانيين وإنما ذهبوا إليهم يعيشون متمسكين في مجموعات معزلة وعلى الرغم من وجود حالات شادة تتنثل هي أشخاص كالمرحوم د . محمد أحمد علي ومحمد حنين بتيك وأحرين لهم صدقات عديدة من غير النوبيين، فإن النقية منهم تحصر ذاتها غالباً في محيط مجتمعه النوبي . وقد أثارت هذه العزلة الاجتماعية تساؤلات عديدة ولكنني أظن أنها ترجع إلى نشأتهم في منطقة بعيدة عن التداخل الاجتماعي مع الآخرين من الناحية الجغرافية مما حصر معرفتهم على أهيم الذين عايشوهم . بالإضافة إلى ذلك فإنهم لا يروجون بأنهم مطلقاً لغير النوبيين غير

أنهم لا يمانعون أن يتزوج أسودهم من غير النوبيات ولا أستطيع أن أجزم إن كان هذا السلوك الاجتماعي يعود إلي حرصهم علي بقاء دم الأم النوبية أم أنه مجرد تعصب قبلي. فبدا كإن في الأمر تعصب فإن من المؤكد أن نوبيين ليسوا بدعاً في هذا المقام وحتى وقت قريب كانت كل قبائل السودن تقريباً تتقاسم هذه العرعة واعتادت أن تستنكر رواج بناتها من عرباء باعتبار أن كل القبائل الأخرى لا ترقى إلي مستواها. وبالرغم من أن هذه النزعة الدميعة قد اندثرت عند أغلب القبائل إلا أن بعضها (مثل النوبيين) مازال يستمسك بها .

يطلق علي النوبيين في مصر والسودان (البرابرة) أو (البربريين) وهي الحقيقة وإنه لا علاقة لهذين اللطيفين بالبربر أو للمعاربة الذين يقطنون شمال إفريقيا كما أنه لا علاقة لهما بالبربرية ولا يستطيع أحد أن يحدد متى وكيف نشأ أصلها. ويكر النوبيون أنهم قد أطلقوا كلمة (برابرة) علي أنفسهم كما أن الرحالة القدماء لم يستخدموا هذا اللفظ عند الإشارة علي النوبيين. إلا أن لفظي (بربري) و(برابرة) صهرا لأول مرة في التاريخ أبس العهد التركي إذ إنهما وردتا في كتبي (سلطون) و (أورلندر) بمعنى فصفاص يشمل قبيلة الرباطاب. ويحتمل أن يكون اللفظ مشتقاً من مدينة بربر والتي كانت أشهر المراكز التجارية في السودان خلال الحكم التركي وكانت معروفة لمصريين أكثر من معرفتهم للخرطوم . وبالنسبة لسودانيين تلك الأيام فإن كل من يحيى من الشمال فهو منسوب إلي بربر وبالتالي فهو (بربري) . وحتى وقت قريب جداً فإن سكان بربر كان يطلق عليهم البرابرة في أنحاء عديدة من السودان .

أما في مصر فإن السودانيين عموماً هم (البرابرة) حتى إشعار آخر .

#### (٤) الخدمة المنزلية :-

احترف النوبيون منذ أجيال خدمة المنازل باعتبارها خدمتهم التقليدية التي لا ينافسهم عليها أحد وباعتبر أنهم القبيلة السودانية الوحيدة التي نجدها وبالرغم من أن خدمة المنازل ليست حرفة دائمة في أنحاء القطر الأخرى إلا أن النوبيين يفخرون بها. وقد تساهل (ليزلي فريزر<sup>(١)</sup>) عما إذا كانت هذه الحرفة هي التي جعلتهم علي مظافة أم أن نظافتهم هي التي مهدت لهم السبيل إليها . وأنا أظن شخصياً أنه ليس من السهل أن يصير المرء خادماً جيداً . الخادم يحتاج إلى مزايا أخرى تؤهله للخدمة المنزلية فبالإضافة إلى حاسة النظافة فلا بد أن يكون أميناً ومؤمناً وحادقاً وحسن التصرف حتى يحقق الانسجام مع رب المنزل. والنوبيون حذرون على كل هذه المزايا ولكن التاريخ لا يحدثنا عن متى امتدوا هذه الحرفة ، ويبدو أن أسرة محمد علي هي التي اكتشفت (الخادم النوبي). فالخديويون الأتراك الذين لم يكونوا يتقون قسي المصريين وكسانوا عرضة للمؤمرات والحيانات، وجدوا في النوبي المحلي الموالى الخادم المثالي الذي يؤتمن على دخول العرف الخاصة في قصورهم ويكنم أسرار أسرهم ويقوم بتجهيز الطعام الصحي الشهي لمواطنهم البديحة. وقد كان رجال (الكوت) من طلائع من عملوا في قصر عابدين واشتروا جدارتهم مما شجع مريداً من أساء خدمتهم ليجدوا عملاً في قصور الأمراء والباشوات القاهريين . وحده الموظفون البريطانيون حذو الباشوات. ولم بمصر غير وقت قليل حتى غرا النوبيون المطابح في أهم بيوت القاهرة ، فاستثمروا صلاتهم بكبر رجال الحكومة للحصول على الامتيازات. وشهدت

هذه الفترة العهد الراهن لاتجاه صموح الرجال النوبيين نحو عاصمة مصر وجذبهم الحياة الزاخرة وأصواء المائت المبرقة في منازل مصر الفخمة. وعندما اعتلى الملك فؤاد العرش لم يسر أن يستصحب معه حذمه الخاص إندريس ( إندريس عثمان علي) ابن السكوت إلي قصر عمدين. ويبدو أن إندريس كان رفيقاً بغيراً حذر علي احترام واعجاب سيده فارتقى مكاناً عالياً وكان يعتبر رئيس الحدم في القصر. ولزيادة مكانته امتيازاً تم منحه لقب (بوه) ، وكان هو الخادم الوحيد الحائز علي هذا اللقب طوال تأريخ مصر. وكان إندريس حريصاً علي تمكين أهله في القصر فعين سليمان أبو القاسم مساعداً له وعندما توفي إندريس خلفه سليمان الذي ظل في الخدمة الملكية حتى عهد فاروق. وعند توفي سليمان حل محله (محمد الحسن سليماني) الذي حدم سيده بإخلاص حتى قيام الانقلاب العسكري في عام ١٩٥٢م .

لقد قَدَّم هؤلاء الحدم العظماء خدمات جليلة لسيادتهم الملكيين فحاروا علي مراتب عالية وأتوا وأجبههم بمستوي يثير الإعجاب. وعندما رث الإسكندرية في عام ١٩٥٥م ذهبت إلي قصر المنزه متخرجاً فرأيت (السكوت) لا يزال في الخدمة وطاف بي أحدهم -يأب جـ - عني العرف النادرة ولم يسر أن يريني المكتب الذي كان يجلس عليه (سليماني) ( كان مكتباً مجاوراً لمكتب الملك ،جيد الناثيث وله مصدرة من حطب (الأور) تجاورها خمسة تلفزيونات موصوعة علي أحد الرفوف، وتحتوي غرفة المكتب علي ستة كراسي جلوس من الخلد اللامع، علي الأرضية سجادة عجمية نفيسة يسما ريت الجدران بلوحات جميلة رائعة (لا يستطيع أحد أن يسجن علي الملك ما لم يأذن له سليماني) هكذا قال رفيقي النوبي ثم أضاف: (وحتى الورراء

أحياناً يعتمدون علي نفوذه الشخصي لذي الملك لحل مشاكلهم ( وفي النزل الملكي بالحرم المكي أندلسي أن ألق علي جناح حاض سليمانني موقفاً علي استخدامة الشخصي. لقد عرف فؤاد وداروق أين يضعان نقتهما وبالحق فإن من خدمهما لم يفجعهما بحدلان.

أن محمد حسن سليمانني هو الوحيد الذي بقي حياً من بين أولئك الخدم الثلاثة المشهورين وشهد تجربة الاستيلاء علي السلطة . وبالرغم من أنه كان علي معرفة دقيقة بكل تفاصيل حياة الملك للمخلوع بحيث إنه لو أراد أن يبيعها للصحافة العالمية لحصل علي ثمن غال. لكنه أثر لصمت كئس الخادم الأمين .

إن مصر لم تهش للنوبيين مثل ما هشت إيس عهدي فؤاد وفاروق، فقد كانوا يحصلون بسهولة علي الأعمال المجرية من خلال تشجيع ومساندة ذويهم العاملين في الخدمة الملكية الخاصة وخدمة كبار الموظفين. وكان طبعياً أن يكون هالك تدفق مستمر لشباب النبوة علي ميدان عابدين. وكان أكثر ما يحصلون عليه من حظوظ ينعكس علي أنحاء بلاد النبوة و علي منطقة السكوت بوجه الخصوص فهالك قامت المنازل العظمة ووجدت الأثاثات الحديثة طريقها في اتجاه أعالي النيل إلي العرف وأصبحت علامات الثراء تظهر بطريقة أو بأخرى. واستخدم سليمان أبو القاسم نفوذه لدي الحكومة المصرية فأقامت مسجداً في قرية أهله وصار والد أحد الخدم شهيراً وغنياً لدرجة أنه كان يعطر جماره بماء الكلونيب حين يذهب به في حولة عبر القرية. وحدثني أحد أصدقائي النوبيين كيف أنهم كانوا يتصلعون إلي إجازات أولئك الخدم باعتبارها مناسبة عظيمة لأنهم يعودون إلي بلاد النبوة بحقائب مليئة

باللهدياسا من شارع فؤاد ويوزعون العطايا على كل أهلهم وحدثني آخر من أسرة غنية أنه عندما كان تلميذاً في مدرسة حلفا سأل المعلم عما يطمح إليه في حياته فجاءت إجابته المباشرة بقوله : ( أن أصبح حادماً ) ولم يكن في ذلك عجب إذا علمنا أن الأمهات في تلك الأيام كن يهددن أطفالهن بأمروجة تقول :

تبقي كبيره .

هتأم ياشا .

هتامة المديره .

كرسي في صحنه .

كمشه في ايده .

عندما اكتملت حملة سترجاع السودان واستقرت لإدارة البريطانية، اعتمد الموظفون البريطانيون كنهم علي السويين في الخدمة الممرلية . وقد أثبت السويون جدارتهم واستمرارهم في هذا الشأن . وكان بعضهم ممن تقدمت به السر - عزيزاً علي محظيهم إلي حد أنهم أمثوا لهم معاشاً شهرياً . وكان من ضمن الملفات الروتينية التي تدخل مكتبي في الأسبوع الأول من كل شهر ، ملف المعاشات الذي يحوي (شيكات) عديدة من قدماء البريطانيين إلي خدمهم السابقين . وعندما غادر الموظفون البريطانيون البلاد دعوا لخدمهم مكافآت سحية استثمروها بطريقتهم وقد استوعب التوسع الذي حدث في مصلحة الغدائق والمرطبات أغلب أولئك الخدم بينما اتجه البعض إلي العمل المستقل فاشأوا مطاعهم الخاصة في عديد من السودان ويبدو أن رجال السكوت لم يكونو يرصون بعير العمل في قصر

عائدين ، وتركوا العمل في قصر الحاكم العام للحفاويين . فإلى جانب أحمد حاج - المنتسب إلى منطقة السكوت - والدي شغل منصب كبير طباطحي كندسر وعاش إلي وقت قريب في (جنس) ، فإن بهيه العاملين في (القصر) كانوا من منطقته والدي حلفا<sup>(١)</sup>

مع كل ذلك يسعى ألا يطرأ لقارئ أن انويين هم قبيلة من العدم . ورغم أن هذه المهنة تعلب عليهم ، فإنهم التمسوا كذلك سبلاً أخرى للمعاش . ذلك أنهم يمتارون بمستوى أفضل من التعليم بالمقارنة مع أجراء أخرى من السودان . وهناك مجموعة كبيرة من النوبيين العاملين في الحمة المدينة بصحائف المصالح الحكومية منهم - علي سبيل المثال - السادة : إبراهيم أحمد ، داؤود عبد اللطيف ، محمد خليل بتيك النين تعللوا أعلي المراتب ، وهناك طبيب نوبي شهير هو الدكتور محمد أحمد علي الذي احترمه وأحبه كل السودانين لشماعره الإنسانية تجاه المرضى والفقراء . وفي السياسة فإن للنوبيين قاداتهم الخصوصيين الذين حلقوا سمعة طيبة وأظهروا شجاعة وحماساً لتقرير مصير السودان إبان حملة النصال من أجل الاستقلال فالسيد إبراهيم أحمد - أحد أشهر الشخصيات في كل القطر ، والذي لعب دوراً مقدراً في مسيرة التعليم العالي في البلاد - كان أحد القادة الذين ترعوا الحركة الاستقلالية في السودان والسيد محمد نور الدين عبي النقيص من إبراهيم أحمد - كان رعيماً للحزب السياسي الذي كاهج من أجل الوحدة

---

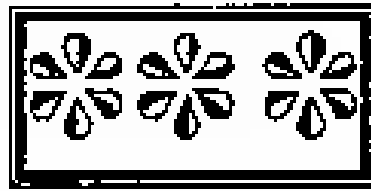
( ) كان عيسى محمد نور ثنيل لأول في قصر الحاكم العام وعصب صان (زوج) حاكمها عما نقله هذه الوظيفة محمد حبي شوريجي حلقاً بمحمد نور يعالونه الملاق رخص وتكند حنين شريف وعطيه حديم خصوصي بهيب كان بعد كيلة مسو لا من القسبل . أب داؤد حنين (الحاكم لخصوصي شريص عيود) قد بحث القصر صبي في عام ١٩١١م بكون ر من شهر ، السنة (زوجت) ويحمل شمسيه وحبيتها وعصب شيب عن شطوف بم بعينه (مخرجاً) وفي عام ١٩٢٢م تحت برافته في كبير مخرجيه وبعد الانتقال عين حاكم خصوصياً نزلين وبني في حمة القصر حتى وفاته عام ١٩٧٠م

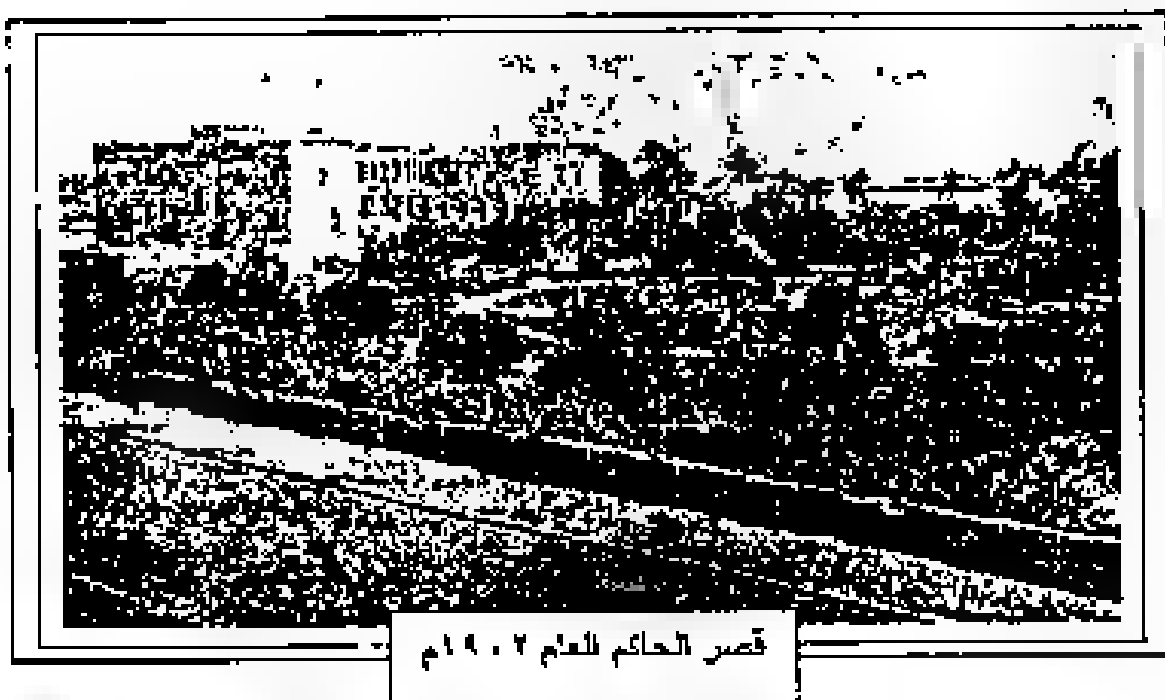
مع مصر . وفي حقل العمل الخاص بفرز محجوب محمد أحمد وأنقاء عبد  
العتي من بين أشهر التجار السودانيين في الخرطوم .

وحتى وقت قريب ، كانت معرفة النوبيين - عمومًا - عن السودان  
، صعبة جداً . فعندما جئت لأول مرة إلى وادي حلفا ، أدهشني أن النوبيين  
يطلقون علينا كلمة (السودانيين) ويتحدثون عن القطر السريع القدم من  
الخرطوم باعتبارها : (قطر السودان) وأغلبية النوبيين لم يروا السودان  
مطلقاً ويظنون أن باقي القطر يصم لناس من الرنوج المتوحشين المنحلفين .  
وينبغي ألا يفهم من هذا أنهم يعتبرون أنفسهم مصريين بالرغم من أن قطعاً  
كبيراً جداً منهم قد رآوا القاهرة عدة مرات ، ويعرف عن مصر أكثر مما  
يعرف عن وطنه الأم لكن السبب أولاً يرجع إلي أن أصراء مدينة  
القاهرة كانت أكثر جاذبية واستهواء لقضاء الإجازة من الخرطوم .  
ثاني  
وهذا سبب أكثر أهمية كان وجود أقربائهم الحاملين بالقاهرة يشكل فرصة  
لتسهيل إقامتهم هناك . ثالثاً : رخاء العيش في مصر عنه في السودان .  
وفي هذه الأثناء فإن اتصالهم بالمصريين قد أثر على أخلاقهم . فترهم  
يتحدثون العربية بلهجة مصرية خفيفة ويستخدمون عبارات الترحيب المسيية  
التي اشتهر بها المصريون . ويلبس أغباؤهم وكبارهم الحجة الصعيدية ،  
ويفعلون القهوة في منازلهم بطريقة (الككة التركية) لأن إيريقي (الحبة)  
التقليدية غير معروف لديهم وأسماء الجهات عندهم مصرية خالصة ويطلقون  
على الشمال : (حري) ، وعلى الجنوب (قبلي) وهم المجموعة الوحيدة  
في السودان التي تكهن (الشيشة) . ولم يذ النوبيون في التحقق من أن وطنهم  
الأم يصم قبائل محترمة - تفخر بأصلها مثلهم - وأن أرضه الذكر تبنى



للتوبيير لهجتهم الخاصة التي تتكون من عدة مئات من الكلمات النوبية القديمة سجلها كثير من الألفاظ العربية المحرفة وهي وسيلة التقاء الوحيدة بين النساء العجائز والرجال والذين فجدد من الشباب يتحدثون العربية إلى جانب هذه اللهجة ، وهي - عموماً - تتجه إلى الانتثار أمام رحف العربية لأن بعض تعابيرها وألفاظها الأصيلة لم تعد في نطاق التداول ومن الملاحظ المتوقعة في هذه اللهجة - طريقة نطق التوبيير بحرف الدال . فبدلاً من إخراجها بالصوت المعتاد ، يراهم ينطقونه بصعط خفيف لمقدمة اللسان على اللثة الداخلية للأسس الأمامية العليا بحيث يأتي صوت الحرف صاعياً . والنوبيون كشأن أغلب القبائل ذات اللهجة الخاصة يحفظون المنكر مؤنثاً والمؤنث منكرأ وبالتالي يحفظون في تحديد نوع الجنس .







## اقتصاديات الأرض في بلاد النوبة

سأحصر ملاحظاتي وانطباعاتي - من خلال هذه البصرة المجيلة  
على الحياة الاقتصادية للوبيين الذين يقطنون الجزء الشمالي من مركز وادي  
حلفا . . أي المنطقة التي ستعمرها مياه السد العالي وتشمل أيضا بلاد  
السكوت والمحس التي تقع على السيل ما بين شلال دال ومركز دنفلا .  
وعلى خلاف ما سجله تاريخهم القديم - الذي قتل بحثاً - على قديلاً من  
المعلومات قد تم تسجيله بالإنجليزية حول مظاهر الحياة الاجتماعية  
والاقتصادية لقنان الوبيين المعاصرة . ولعل هذا يعود - جزئياً - إلى أن  
الآثار المصرية القديمة المنتشرة في هذه المنطقة ، كانت أكثر إغراء للراشرين  
من المظاهر الثقافية للسكان ويسجل رحالة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر  
تفاصيل عشوائية عند مرورهم بأرض النوبة . ورغم أن الإداريين  
البريطانيين قد اهتموا كثيراً بالحياة القبلية في السودان إلا أنهم أولوا قليلاً من  
الاهتمام لحياة الوبيين المعاصرين . وقد انغمسوا بحق في تتبع الماضي إلى  
درجة أنهم لم يكتفوا برون في الحاضر شيئاً ذا بال . ولم تحو تورية  
(السودان في رسائل ومدونات ) سوى مقال واحد بقلم السيد إبرهيم أحمد  
عن الزراعة الفريدة لمدخل البيوت النوبية بصحاف الصبي ، رغم أن هذه  
الدورية قد إكتظت صفحاتها بمقالات الحياة القبلية . وسيكون ما أعرضه  
معتمداً على المعلومات الأولية التي جمعتها من السكان المحليين وعلى  
ملاحظاتي الشخصية التي كونتها خلال السنوات الست التي أمضيتها في  
مركز وادي حلفا .

يعطي المركز مساحة ١٨٠٦٩٠ كيلو متراً مربعاً تمتد من خط عرض  
٢٢ إلى خط عرض ٢٤ . غير أن الجزء المأهول منها يحصر في شريطين

صَيِّقِينَ عَلَى إِمْتِدَادِ النهر ، وما تبقى من الصحابة صَحراء جرداء قاحلة  
وفي منتصف المركز ينحدر السهل الصحراوي من الشرق والغرب ليخلق  
واديًا صَيِّقًا تَسَاق فيه مياه النيل من أقاصي بحيرات وسط أفريقيا وبحيرة تانا  
في أنيوبا ، نزولاً إلى مصر . ويدرك من يعيش في الصحراء النوبية القاحلة  
، كسيف أن النيل هو حياة المس هاهنا فهو مصدر الري الاوحد للمحاصيل  
الزراعية والعلف وهو وسيلة الاتصال الوحيدة.

إن ندرة الأراضي الزراعية معلم بارز لمنطقة النوبة . ويحصر حزام  
حصوبة الأرض على ضفاف النهر ، وفي بعض الأماكن مثل (بطن الحجر )  
— تكاد التربة تتعدم تماماً . والمنطقة كلها مغطاة بجبال صخرية وأودية رملية  
جافة . أما ضفتا النهر — هنا — فتشبهتان بطبيعة الأرض التي لا تعدو أن تكون  
منحدرات صلبة أو شواطئ رملية . وتبدو جرر شلال سمرة الصحيرية عارية  
وملساء فيما عدا ما يكسو قمم الصخور من شجيرات السط . فندرة التربة  
هي المعلم البارز لمنطقة (بطن الحجر ) . ولذاك فإن المنازل تتميز بحضون  
من الحجر الجيري غير المملط (أي أنها تبنى بغير مونة ) .

وقد كشفت الحفريات التي أجريت على المواقع الأثرية القديمة ، أن  
الأرض الزراعية بالنوبة كانت أوسع وأن الضفة الغربية كانت أحصب  
وماهولة بالسكان على عكس الضفة الشرقية . وفي ( فرص غرب ) وجدت  
عظام آدمية على بعد سبعة أميال من النهر ، كما وجدت آثار عكشة وديرة  
غرب وبوهين مدفونة في أعماق الرمل ، وكانت في الأصل نائمة على راحة  
واسعة من ( الجروف ) هذا يدل على أن الرياح الشمالية العاتية كانت تحمل  
معهها كميات هائلة من رمال الصحراء — عبر السدين — وتغطي بها شاطئ

النهر الحصص فتحويله إلى كنيان من الرمل . وبعد النيل دوره في تقليص  
أرض النوبة. ففي أيام الفيضان (حين يرتفع منسوب الماء ويكون التيار قوياً )  
يتسع مجري النهر على حسب الشواطئ الحصص

وكتب قديم حران أسوان في ١٩٠٢م ، كنت بلاد النوبة السفلي غنية  
بحشروف ممتدة ، وحزر منحصصة خصبة ، وغابات من أشجار النخيل .  
وعندما تم بناء الحزان وبدأ تحريش المياه ، غرقت معظم الأراضي الزراعية  
المنحصصة . وفي عام ١٩١٢ م تم (إعلاء ) للحزان وارتفع منسوب الماء مما  
أدى إلى أحداث أثر بليغة علي ما تبقى من تلك الأراضي المنحصصة وما بقي  
من أشجار النخيل . وفي عام ١٩٣٢ تم (إعلاء ) الحزان للمرة الثانية ، فأدى  
ذلك إلى أضرار مدمرة . ولحق النصار الكامل منطقة الكنوز في النوبة السفلي  
: فقد الأهالي قراهم ومساكنهم ونحيلهم . وعندما دعتهم الحكومة المصرية  
لإعادة توطينهم شمال أسوان رفضوا بعباد وفضلوا إعادة بناء القرى فوق قمم  
الجبال والعيش بالقرب من وطنهم العريق . وهجر كل الرجال القادرين  
المكان واتجهوا إلى القاهرة أو إلى داخل السودان بحثاً عن العمل وعلى أمل  
أن يساعدوا عائلاتهم . وأقام بعض الكنوز خيمائياً سعي الحرطوم بحري  
وفي شندي . لما في دخل أرض النوبة السودانية فقد أدى (الإعلاء ) الذي  
للحزان إلى التأثير على مساحات واسعة من الجروف والحزر المنحصصة وإلى  
خسائر في أشجار النخيل . . لكن الأثر - علي كل حال - لم يكن كبيراً .

توصيح الجفائق السابعة مدي لأثر الذي فعلته الصحراء في الحرام  
العربي للسيل وما أحدثته الفيضانات من تعرية هي شواهد وجريه ، كما  
توصيح كيف ن (إعلاء ) حران أسوان مرتين - جرد النوبة تدريجياً من

أثمن أراضيها وأصعب مقدراتها الاقتصادية بصعاف بيكاً وبحفصت بمكانات الأرض إلي ما دور الكفاف للسكان الذين يترأسون بالنتظم وهاجر معظم الشباب والقادرين من الرجال بحثاً عن لقمة العيش نتيجة لإفتقارهم لأي حيار إقتصادي يساعد على إستقرارهم في وطنهم .

إن الأرض غالية جداً في بلاد النوبة كما أن المجتمع النوبي يعيش حالة حادة من الإفتقار إليها . فقيمة العذراء الواحد من الأرض تبلغ ٢٥٠ جنيهاً . وتعليك لأرض يقوم علي أساس تسجيلات تمت عند أجبل . وعلي مر الأيام يتصاعف الورثة بحيث يتحراً الأرض - إذ تم توزيعها - إلي ملكيات متناهية الصغر . وعندما ياشربا التعويضات علي أساس هذا الوضع ، أكتشفا أن آلتنا الحاسبة كانت تعمل بالكسور . وأخبرني كاتب تسجيلات المركز أنه - عندما حسب نصيبه - حصل علي نصف متر مربع من الأرض . وكان أصغر الأنصبة التي حسبت في الأرضي التي ستعمرها المياه يساوي ٤٠٠٠٠٠٠ فدان وهذه المساحة كانت أقل بكثير من التي يسمح بتسجيلها قانوناً . ولهذا السبب كان النوبيون حريصين جداً علي عدم فتح السجلات، ويفصلون عدم تحديد ممتلكاتهم من الأرض ويتجنبون تحريثها . وكانوا سعداء بالعيش

مع بعضهم - علي سطر الملكية الجماعية ويستعملون أرضهم بأسلوب الإقتصاد المشترك . ويقل العائنون - عادة - أملكهم من الأرض إلي أقرب الأقربين القاطنين . ويتنازل الآباء المهاجرون عن أملكهم لروحائهم وأطفالهم . وعموماً عن منعة الأرض تعود إلي أولئك الذين يعيشون في بلاد النوبة ولأن النوبيين يدركون محدودية الأرض ، فكس عليهم أن يلزموا بإقتصاد زراعي مباشر .. أي أنهم كانوا - خلال الدورة الزراعية - يقومون

باستغلال كامل للأرض من أن يبقوا جزء منها أرساً ( بوراً ) لكي يحصلوا منها علي أفضل وأجزل أنواع الإنتاج . ويستثمرون التربة بعناية لا تترك بموصلة مربعة واحدة خلال الدورات الزراعية الثلاث . وبما أنهم يستعملون السماد الكيماوي والحيواني بانتظام ، فإن التربة تحتفظ بحصوليتها وتعطي إنتاجاً جيداً وتظل علي الدوام يانعة الحصرة لأنها - أصلاً - طنقة من الطمي الذي تسهل فلاحته .

### ( ١ ) الدورة الزراعية :-

تتكون الدورة الزراعية النوبية من ثلاثة مواسم ( الشتوي والصيفي والدميرة ) ، لكن الموسم لشتوي هو أهمها لأنه ينتج المحصولات الاستهلاكية إلى جانب بعض المحصولات النقدية . يبدأ هذا الموسم في منتصف أكتوبر حين يخرج الرجال والنساء والأطفال إلي الحقول فينظفون الأرض من الحشائش ويقطعون جذور المحصول السابق . وهم عادة يستخدمون بهذا الغرض نوعاً من المزارق يسمى ( الكرذ ) ، ولربما استخدموا أحياناً أدوات بسيطة . أما حين تكون التربة معككة وباعسة فإنهم يعالجونها بأيديهم . ويستمر تحضيرها للحراث أسبوعاً أو عشرة أيام قبل أن تسقي بـلاً . وبعد أسبوع - أو قبل أن تحف الأرض وتتصلب - تبدأ عملية الحراث . وبما أن النوبيين مزارع تقليدي ، فينبغي هنا أن نلاحظ أنه لا يستعمل الوسيل الزراعية الحديثة ولا تحاح ارساة ذات الرقعة المربعة إلى مكينة . وكل الذي يلجأ إليه محراث بدائي ( مثل الذي يستعمله الفلاح المصري ) له شفره ( سدة ) تعرس في الأرض وتربط علي عمود خشبي يوصل أعلاه بطهر ثور . ويعمل المحراث بطريقة الصعط العميق علي



الشعرة مع حركة الثور . ويستمر الحرث عادةً -إسبوعاً ثم يعرض  
الحرث لحرارة الشمس كي يجف وتتفكك كتل التربة . وفي منتصف نوفمبر  
يبدأ سحر الأرض وهذا عمل تقوم به -كلاً- النساء اللاتي يحملن أنواع  
البذور في صحاب و ( سلطانيات ) وينثرها علي التربة الجافة . والساء  
النوبيات ماهرات ومذريات علي هذا العمل بحيث تستقبل الأرض البذور  
بالكمية المطلوبة وفي المكان الصحيح . والمحصولات التي تدر في هذا  
الموسم هي القمح والشعير واليسلة والعنبر والحمص والبطاطس واليصل  
والفاصوليا وحضروات أخرى . وحال الفراغ من هذا العمل يشرع النوبيون  
في تسوية الأرض بتغطية البذور بطبقة رقيقة من التربة وتهشيم جريئاتها  
الصلبة وتجهيزها لأنسياب الري . ويستخدمون لهذا الغرض آلة تقليدية تتكون  
من عارضة خشبية ثقيلة يجرها ثوران . وحين يتم إنجاز هذا العمل يقوم  
المدارعون بتقسيم الأرض إلي أحواض بواسطة (الواسوق ) ثم يستخدمون  
(الأريل ) للأعمال الصغيرة الشبيهة . في هذا الوقت تكرر الأرض قد تهبات  
للري ، وها تمحب الثيران للقيام بمهمتها الأساسية وهي إدارة الساقية التي  
تكون صيانتها وتجهيزاتها بحبال (الألس) والقواديس قد تمت . وفي نفس  
الوقت تكون مصدات الرياح قد أقيمت لمنع إصكاك ماء القواديس بعيداً عن  
مصبها حين تهب رياح الشتاء الباردة في أواخر أكتوبر . وبالرغم من وجود  
قليل من مصحات المياه الحديثة لري المحاصيل ، إلا أن معظم النوبيين  
يعتمدون علي الساقية .. هذه الآلة العريقة التي يعود تاريخها إلي زمان  
للزراعة.

تتم ( الساقية ) الأولي في الأسبوع الأول من ديسمبر . وفي حلال

ثلاثة أيام تبدأ البذور في النمو وبعد أيام قليلة لاحقة يبرر النبات إلى ما فوق سطح الأرض في مظهر أحضر بهيج . في هذا الوقت تترك النساء إلى الحقول بحللهن السوداء يحصل مناجل حفيفة لإزالة الحشائش عن الررع ، أما الأعشاب القسطحية فتُزَع بالأيدي وقبل (السقاية ) الثالثة يتم تسميد التربة بالطريقة التوبية وهي أن تُحرم كمية من السماد في حرقه وتوضع في منتصف حوض الساقية فيذوب بالتفريغ حين تتدفق المياه إلى الجدول ثم إلى الأحواض . لكن الأسمدة العنصرية لا تستعمل إلا في حدود صيقة بعكس روث الحيوانات والعدرة الأدمية التي أُنشئت حولها في بُقاع أنواع جيدة من الخصصروان . بعد هذه السقاية يصل النبات إلى مرحلة الإزهار . ثم تظهر سابل القمح والشعير وتكثر عند هبوب الرياح الباردة، وتتشكل سابات البسلة والبقول برهورها البيصاء وتبدأ أغلفة الحبوب الخصراء في البروز. في هذا الوقت يولي المزارع اهتمامه الكامل لحقله ويراقب بعناية أية بوادر لظهور الآفات الزراعية . ويساعد الشتاء البارد الطويل إلى حد كبير في صحة كل محاصيل هذه الدورة . ثم تأتي (السنبة) الرابعة والأخيرة في الأسبوع الأول من أبريل حين يبدأ المحصول في النضج . وبعد أن تصفي آخر حوض ، تتوجه للمساهية ونقاه الثيران إلى ظل أشجار النخيل حيث تتناول وجبتها من العلف.

ويقتررب موسم الحصاد وتبدأ حملة طرد الطيور التي تتجمع من كل جنب وصوب لتهاجم المحصول في شكل غارات جماعية تلتقط حبات القمح والشعير وتسبب دماراً بليغاً للبقول . وبما أن موسم الحصاد يصادف موسم بكاء الطيور ، فإنها تنقص علي الحبوب بشهية وشراسة لنجمع ما تملأ به

أفواه صغارها المنتطرين في الأعشاش . غير أن اللوبيين أسلوبهم الخاص في التصدي لتلك العارات . فتراهم يشعلون النار في روث الأبقار بمواضع مختلفة معرضة للرياح، وبذلك يحدثون سحباً من الدخان تؤدي إلي طرد الطيور . وفي بعض السواقي يقومون بعمل (هنايل<sup>١</sup>) تتدلي منها كشكوش عند تحريكها يفرع لها الطير . ويقوم بعض الصبيان الأذكىء بعمل عجلات هوائية ذات أجراس تحدث ربيعاً حين تهب الريح . ويقوم آخرون بأحداث (مرفعات) بالحبال ويقوم آخرون بالصرب علي الصعائج الفارغة وهم يتجولون في أنحاء الحقل .

وبحلول الأسبوع الأول من أبريل ، تبدأ بشائر الحصاد في الظهور . هي تحول لون أوراق نبات القمح والشعير من الأخضر العميق إلي الأصفر الفاتح ، ويتصلب الساق وتجف السليل أما أكياس البسلة والفاصوليا فتسود عند الأطراف وتتجعد الأوراق وتحشوش . وفي بداية الأسبوع الثالث ، يعمل المجدل قطعاً في أول حزمة شعير إذا ما بافتتاح موسم الحصاد . وتقطع سيقان المحصول من نقطة الجر ثم تجمع في حزم مرسومة علي الأحواص وتجف تحت حرارة الشمس . ويتم حصاد البسلة والعنبر ثم يقرر هي أكوام ويعرض لحراة الشمس أيضا . أما حصاد البقول والقمح فيتم كالشعير . وبعد أسبوع أو نحوه - من التجفيف ، تنقل أكوام وحزم الحصاد إلي (الذرة) وهي أرض صلبة من حليط الطين والرمل تُعد حصيص لرس الحبوب .

ولللوبيين طريقتهم الخاصة في ترس الحبوب الشتوية وذلك أما بإستخدام (الذرح) وأما بدرسها بحوافر الحمير . فالذرح هو ماكنة بدائية

(١) كيمرب في مصر بجوف للملح - المبرج

تُصنع محلباً وتشبه مركبة خشبية صغيرة لها عجلات حديدية حادة متلاصقة مثل أقراص المحراث (نسك التراكثور) بجرها -عادة- ثور يسوقه صبي في حركة دائرية دائنة، فتُفصل الحبوب عن السنابل عندما تعصرها تلك العجلات في دوراتها المتكررة. أما الدرس بالحمير فيعتمد على عدد منها ما بين السبعة والعشرة تربط أعناق بعضها إلى بعض وتوصل بحبل إلى عمود في منتصف (التر)، لصمان الحركة الدائرية الدارسة، ونحتاج الحمير إلى ثلاثين دورة لتدرس ما يعطي الأرض الصلبة من سنابل.

وعندما تنهي عمية الدرس يفصل (التن) بجراف وتبقى الحبوب وقشور السنابل ودقيقها الناعم. ولاستخلاص الحبوب من هذه الشوائب فلا بد من تكريرتها في الهواء بالأيدي أو بجراف أو في طبق من السعف. تنسقط الحبوب مباشرة في أرض نطيقة وتتطاير الشوائب في الهواء. ثم تجمع الحبوب وتعبأ في جوانات حصيلة القدان منها خمسة أراس في المتوسط للأصناف الرئيسية وينقل القمح إلى المصارل حيث نخزن في حاويات معلقة من الطير (قستية) وبستهلك بحلط دقيقة مع دقيق الدرة بعد حرة في طائر رقيقة سمي (الكابدة). أما المُعير فهو -عندهم- علف حيواني أو طعام لمرضي السكر. وهناك جزء من الفول والبقول للاستهلاك المنزلي وجزء للتصويق كشأن البصلة والعدس. ومتوسط سعر الأرنب في سوق حلفا ٧: جنيهات للقمح و ٤ جنيهات للبصلة و ٦ جنيهات للعدس. وللتوبيين طرائق عدة للاستفادة منزلياً من مخلفات الإنتاج فيصنعون أوراق نبات البصلة (الوريق) إلى الحساء لصنع عجينة مغذية يأكلون بها (الكابدة). ويصنعون من سيقان القمح والشعير حصار سميكة يستعملونها في سقوف المصارل وإقامة

( الرواكيب ) وحواجر الساقية ، وكذلك الأمر مع سيقن النسلة . ويستفيدون مما يبقى من نبات النسلة والعنس - بعد استحلاص حبوبه - علفاً ووقوداً .  
وقبل أن أختتم حديثي عن الموسم الشتوي ، ينبغي أن أذكر أن المزارع الشتوي بلا استثناء يهتم بفلاحة مررعة حصرواته الخاصة بجانب رعاية محاصيلاته الشتوية . ففي كل ساقية تُفرد مساحة صغيرة جانبا لمررعة حصرواته الشتوية - بالإضافة إلي البطاطس واليصل ، يزرع المزارع السبانخ والفجل الأحصر والحيار والكوسا واللوبيه والطماطم والكرنب والقربيط والفجل والسجرو وحصرواته ( السلطة ) - ويتم إنبات الخسروات الجذرية في حافة الأحواض ( الثقافات ) بينما تنبت الأخرى في الأحواض ويفصل في سميدها - دائما - المحلفات الحيوانية علي السماد الكيماوي .  
وبسبب هلك المزارع جزء من حصرواته لكن الجزء الأكبر يذهب إلي السوق للبيع

والموسم الصيفي ضئيل الإنتاج وقليل الأهمية إذ أنه يأتي في أشق شهور العام حين ينحسر ماء النهر وتعمل الساقية بطاقتها القصوى وحيث لا يشفي المزارع وثيرانه منكما يشقي في هذه الموسم ، فيزيد حبال دولاب الساقية كما يريد - عند الدلاء ( القوانييس ) لتعرب أقصى ما يمكن حمله من الماء . ويصيف أصحاب مصحات المياه مريده من الألباب للوصول إلي الماء مما يهلك الماكينات - وغالبا ما يصير النيل في يوليو شديد الانحصر حين تنحسر مياهه عن الشاطئين وتحصرو في المجري الضيق . وفي هذه الحالة يصطر المزارعون إلي شق قنوات لتمكين السواقي والمصحات من الوصول إلي الإمداد المائي . ولهذا السبب فإن الموسم

الصيفي لا يعطى سوى ثلث لأرض القابلة للزراعة والتي تقتصر إلى  
الأحواض القريبة من قنوات الري

ويتم تنظيف الأرض من حشور المحصولات الشتوية وتحراث وتجهز  
بنفس الأسلوب الذي تتبع في الموسم الشتوي ثم توضع البذور في حفر  
سطحية وهي -غالباً- بذور الذرة والبرسيم واللوبيا بنوعيهما والحبوب  
والحشروات الصيفية كالبناميا والملوخية والرجلة . وبعد تسوية بواطن  
الأحواض تبدأ عملية الري . وبما أن يوليو و أغسطس هما شهرا الحرارة  
القصوي ، فإن درجة الحرارة تتراوح من ٤٦ إلى ٥١ درجة مئوية مسببة  
بذلك قحراً عالياً من التبخر . وفي الحقيقة فإن موسمي الصيفي والدميري  
يحتاجان إلى كمية من الماء أكثر مما يحتاج الموسم الشتوي بمقدار الضعف  
في أغلب الأحيان . ويتم تنظيف الأرض بنفس الطريقة ولكن بجهد أقل لأن  
نباتات الصيفي والدميري صلبة العود وتقاوم الحشائش الطويلة . وحصاد الذرة  
يمثل حصاد القمح والشعير باستثناء أن قناديل الذرة تُقطع وتنقل إلى أرض  
(الثر ) وتوضع في الشمس مدة ثلاثة أسابيع لتجف ، كما أن فصل الحبوب  
عن القناديل يتم بإعمال العصي العظيمة . ويبتع الغدان ٤ أرانب من الذرة  
والذرة الشامية . وتحفظ سيقان الذرة علناً للبهائم أو للوقود .

ويمكن اعتبار الدميرة امتداداً للموسم الصيفي . فإن زراعته تبدأ حين  
يصبح حصاد الصيفي . ومنتجاته تشمل كل أصناف ذلك الموسم مع اختلافات  
طفيفة مثل زراعة الذرة الشامية . ومن تلك الأصناف : البطيخ والسمام  
والفول السوداني والكوسا والبصل . في هذا الوقت تبدأ بواكير بيعها النيل في  
وادي حلفا ويتعيز لمون المباد من الأرق الرائق إلى طمي في لون

(الشوكولاته) . وتمثلئ (مصارب) لسواقي وانطلمبات بمياه العيصان مما يستدعي تقصير حدال (القوليس) وأنابيب الطلمبات. وتبدو سهولة العيش في وجوه الفلاحين وفي عبطة الثيران . وفي ستمبر يبلغ العصان هذه ويرتفع منسوب الماء إلى أعالي الصعاف وتُقصّر حبل دولاب الساقية تقصيراً يجعل طولها يزيد قليلاً عن محيط الدولاب ، وتروى الأحواض جيداً . ويتبع المزارع نفس أسلوب الصيعي في الحصاد وذلك في شهر أكتوبر . واثاء الأسبوع الثالث من أكتوبر تبدأ مياه العيصان في الانحسار ويضعف التيار تدريجياً ثم تبدأ أطراف الصعاف في الظهور مرة أخرى وهي معطاة بطبقة من طين الجروف المشبع بالماء الكافي لري موسم راعي كامل .

وبالتجربة فإن النوبي يعرب أفضل أنواع المحصولات التي تزرع في هذه الأرض الحصية ويدرك المدى الزمني لنضجها. فيزرع اللوبيا في الأعالي ثم اللوبيا العنسي في الوسط ثم الترمس والطمطم في الأجزاء السفلى ، و يشرع في الحصاد خلال شهر يناير .

## ٢. مشروع دبيره الزراعي :-

يعتبر هذا المشروع الأكبر والأهم علي امتداد مركز وادي حلفا . وقد تم إنشاؤه في عام ١٩٠٦ بواسطة المقاول الإغريقي (لويزو) . وهو يغطي مساحة ٦٠٠ فدان تروى بمصحتين إحداهما مقاس ١٢ بوصة للعمل ثناء والأخرى مقاس ١٦ بوصة للعمل في الصيف . وقد بدأ هذا المشروع ملكية خاصة وكان يدار بعقلية رأسمالية بحتة ويستخدم (علاقات وادي العرب) عمالاً رراعيين باليومية ويتبع الدورة الزراعية المتعارف عليها فيما عدا إحصال محصول القطن في مساحات واسعة خلال الموسم الصيفي . واثاء

السنوات الأولى اكتشف مالك المشروع التكلفة العالية لنظام العمل باليومية  
حاصلة وأن العمال يتقاضون أجورهم علي جهد قليل أو معدوم . ولكي  
يحفرهم علي العمل ، وقع معهم إتفاقية تجعلهم شركاء يحصلون علي ربع  
جملة الإنتاج . وأنشئت الإتفاقية حدودها وأستمر المشروع حتى عام ١٩٣٠  
إلي أن ظهرت عقب الفيضان -جريدة رحلية غطت ١٧٠ فدانا من أراضي  
المستدة علي طول الشاطئ وعلي مقربة من موقع الضلميات . ودهست الرمال  
( المصرب ) وبُعدت عنه مصادر المياه السيئة . وأُحفظت كل محاولات إعادة  
عملية إنسياب الري ، فتوقف المشروع .

وقامت الحكومة في عام ١٩٣٣ بشراء المشروع بمبلغ ٦٠٠٠ جنية  
ورأيت مساحته لتصبح ١٠٥٠ فدانا وشُئت له قنوات جديدة وحُلت له ثلاث  
مصحات عملاقة أقامتها علي بوارح طافية علي الماء عند (أشكيت) رباعت  
الحكومة أرض المشروع للسكان بواقع خمسة عشر جنيهاً للفدان لكي تغطي  
قيمة الأرض وتكاليف المصحات وحفر القنوات . وبالنسبة لتكاليف الري فقد  
قُدرت بأربع جنيهاً للفدان . وهكذا أصبح سكان أشكيت وديرية مالكين  
لأحسن مشروع زراعي في المنطقة . وبمجهود العمال الزراعيين المصني  
وبعد الإتفاق مع الملاك علي صيغة شراكة إنتاجية وتحت إشراف مصلحة  
الزراعة، نجح المشروع في رفع مستوي معيشة السكان .

### ٣. أشجار النخيل :-

عندما يفكر أحد في بلاد النوبة فإن أول ما يحضر علي باله . أشجار  
النخيل . لقد وجد العوبيون في أشجار النخيل تعويصاً من السماء عن صيق  
أراضيهم . فهم بعنبرويها أعز ما يملكون وأقيم هبات الطبيعة و عماد



إقتصادهم المحلي والمصدر المصموم للنقود والمطهر الوحيد للثروة ، وهي مناطق العمر للأجيال المعاصرة ، وأقيم ثمرات الحياة بالنسبة لأجيال المستقبل .. فكل قرية وكل جار ، بل وكل فرد يملك شجرة حبل أو جرة منها . ويربح المضافي كله - يغلبات من الحبل تبلى في بعض المناطق مثل (أرقين وأشكيت ودبيرة ودغيم) كثافة لا يتحملها شعاع من ضوء . وفي مثل صحراء النوبة - حيث لا تنمو شجرة غير النخلة وحيث لا تحجب وجه الشمس سخابة طوال العام - تكون نعمة الطل من لعمدة السموم راحة عظيمة . قال تعالى . ( فأجاءها المحاضن إلي جدع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً \* فناداه من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك نحتك سرياً \* وهزني إليك جدع النخلة نساقت عليك رطباً جنياً \* فكلي واشربي وقري عيلاً فإم يري من البشر أحداً فقولي إني نثرت للرحمن صوماً قلن أكلن اليوم نسياً (١) ) .

وقال رسول الله (ص) (أكرموا صنكم النخلة) وقال أيضاً (من الشجر شجرة تكون مثل المعلم وهي النخلة)

هذه الصروح الكريمة يكررها النوبيون كلما تحدثوا عن أشجار حبلهم . إنهم يحطرون إليها بعاطفة من الحب تطابق أحاسيسهم نحو فدان أكسيانهم . فيرعون الشنول ويسقونها بانتظام ويشربون حريدها بعناية ويحمونها من أذى البهائم الطليقة . فهي تعتبر - عموماً - إحدى أهم الأصناف الإقتصادية المباركة بمعنى إنها تعطي ثماراً بمجهود قليل جداً . فالشئلة المروعة لا تصدح إلا إلى ثلاثة أو أربعة أعوام من العناية والسفة ،

١ الآية ٢٣ في الآية ٢٦ سورة قمرهم - مترجم .  
(٢) صحيح البخاري - حديث رقم ٥٤١٨ - مترجم

لنستوي علي ساقها ثم نثمر . وكل اندي تحتاجه حينئذ أن يفصل جريدها السفلي اليابس ثم نلقح ثم تحبي ثمارها بعد نصح .

يخصص موسم استزراع الشتول للتقويم القبطي باعتبار أنه يتيح أنق مواعيد الزراعة ، ولذلك فإن النوبيين يلتزمون به شد الانحراف . ويبدأ الموسم الأول في شهري (برمهاث وبرمودا) عقب انقشاع برودة الشتاء ، ويقابلهما - تقريباً - شهرا مسرس وأبريل . ويعطي الموسم الثاني شهري (أبيب ومسرا) الدين يقابلان يوليو وأغسطس . ويتم اختيار الشتول -عبادة - من أجود أنواع أشجار الحيز بعد أن تمضي في حصص الأم من ثلاثة إلى أربعة أعوام . ومن الضروري أن نجئ الشتلة من موضع الجذور السطحية للشجرة الأم . لأن الشتول التي تتعلق بأما لا جدوى منها ويبغي بترها بمجرد ظهورها إذ أن الاعتقاد السائد أنها تقلل من إنتاج الأم . والشتلة الجيدة تكون مختصرة وتزن ما بين ٩ إلى ١٢ كيلو جرام ويقاس بجاحها بنمسة وزنها ، ولا تقطع إلا بعد مضي شهر من السقاية اليومية بصريبتير أو ثلاث من إرميل خبير بهذه العمل تصل إلي أعماق الجذور المبكر .

وحالما يتم فصل الشتلة تعطي جذورها بالطين ويتم بها قطعة من جوال مبلل ثم تنقل مع مثيلات لها إلي حوض يتسع لثلاثين أو أربعين شتلة . وتروي الشتول يومياً لمدة شهر تكفي لإظهار ( الساجح ) منها ، بعلامات تبدو في نمو الجريد وبرور (القلب) الذي يسمونه ( انفلقول ) . ويبدأ بعد ذلك نقل الشتول ( كل شتلة إلى حرة مستقلة ) لنسفي مرة كل ثلاثة أيام أثناء الشهر الأول في لأمسيات عدة . وبعد مرور الشهر الأول تسقي مرة أو مرتين في الأسبوع لمدة عام . وفي العام الثاني يقتصرون علي مرة أو

مرتين في الشهر حسبما تتطلب الظروف .

ويمكن أن تنمو شجرة النخيل من نواة مرروعة ، لكن للحكمة الإلهية جعلت معظم النخل الذي ينمو بهذه الطريقة من فصيلة ( الذكور ) بينما تنجئ ( الإناث ) منها ذوات إنتاج ضعيف ونوع رديء . وأشجار النخيل التي تنمو عن نواة لا أم لها يسميها النوبيون : ( أولاد الحرام ) . وبالتقريب فإن كل الأشجار ( الذكور ) في منطقة النوبة تنسب إلى هذه المجموعة . ولأن النوبيين لا يرغبون في هذا النوع أصلاً - فإنهم لا يتحيزونه من بين الشتول المستزرعة .

وبمجرد أن يتم نقل الشتلة إلى حفرة مستقلة ، يتجه الاهتمام الأكبر إلى حمايتها من الحيوانات الطفيلية بسياج من الأغصان الشوكية أو بسور من الطين صمم بستان من النخيل . وبعد ثلاث سنوات يبرز ساق الشتلة ويصير الجريد ( القديم ) ثم يصير ذلك اللون يابساً . فيقطع عند حد الساق ليترك أشكلاً تشبه ما يعتري جلد السمكة من قشور . وفي العام الرابع تنمر الشتلة لأول مرة بثمر قليل ، ويرداد إنتاجه ليبلغ ذروته في العام العاشر . وعندما تبلغ الخامسة والأربعين أو الخمسين من العمر يتناول إنتاجها باضطراب إلى أن تبلغ الستين حين يتعذر تلقيحها وحصادها بسبة لعلو السق . فيصير إنتاجها عديم الفائدة نوعاً وصعب المال واقعاً . وتبدأ علامات الشيخوخة في الظهور . فيأكل الساق من أسفله ويضعف ويفقد الجريد مظهره البهيج ويحشوش ويجب . أما الجنور فتدبل وتعتري بحيث تعجز عن مساندة الساق وهو يواجه رياح الشتاء العانية . ها تنتظر البخلة أي عاصفة هوجاء لتقتلعها من جنورها وتلقي بها إلى الأرض حثة هالمة .

وأنواع أشجار النخيل التي تنمو في مركز وادي حلفا -تبعاً لأهميتها- هي : ( البرتمودة والقديلة والبركاوي والجاو ) ومن النصيل الأخير ( أي الجاو ) كل أنواع النمر الرخيص مثل ( الجارقودا والذقا ). والبرتمودة بلصة متوسطة الحجم مكنزة وحلوة الطعم وصنيعة البوابة وهي أفضل الأنواع وتباع في مصر بثمر غالٍ . أما القديلة فأكبر حجماً وسُكاً لكنها أقل حلوة من البرتمودة وسوقها -كذلك- رائجة في مصر حيث يصنع منها مشروب شعبي يتناوله الناس في إفتار رمضان وعيب هذه الأنواع الجيدة من النمر يكمن في نموها المتعثر وهي حاجتها إلى ري منتظم ، هذا بالإضافة إلى أن البرتمودة لا تثمر في كل موسم ومع ذلك فإن قيمة ما تنتجه من ثمر -مقارنة مع الأصناف الأخرى- يغطي على تلك العيوب . أما البركاوي فثمر سميك وأكبر بوابة وأقل سُكراً وحلاوة وهو مشهور في السودان لأنه لذيذ ومتوسط السعر ومقاوم للآفات وقابل للتجريد ، ولأن إنتاجه وثير فإن نخلته تعتبر أفضل الأنواع من الناحية الإنتاجية . أما أنواع الجاو فتأتي في مؤخرة الأصناف من حيث الحجم والقيمة . فثمرتها ذات طبقة رقيقة تحيط ببوابة خفيفة ولذلك فهي لا تجد رواجاً في الأسواق الخارجية مما يجعلها طعاماً للفقراء في السودان ونسبة لقيمتها المتدنية فإنها تدخل في الصناعات البلدية مثل تقطير الكحول والحل ( والعرق ) وتحمير المشروبات المحلية مثل ( الدكاي ) و ( الشربوت ) .

ونخلة الجاو شجرة صحراوية نموذجية ، فهي تنمو بسهولة وتقاوم أقسى الظروف الصحابية وتناولها لا تكاد تحتاج إلى استزراع ولذا فهي تترك لتتأصل في كيب أمها حتى إذا ما ماتت الأم حلت محلها . ولهذا السبب

فإن حفرة الجاو (أو البوره) يعمد فيها عدد من أشجار السحيل من أعمار مختلفة حول الأم ، ويحلف بعصا نعص وتتكاثر علي مر الأيام وقد أخبرني بوبي عجوز أن هناك (حُقر أو بورات ) معبئة في قريته يتوارثها جيل عن جيل منذ عهد بعيد . ويشكل الجاو سنة ٥٠% من جملة أشجار السحيل في مركز وادي جالغا.

وتلقيح النخل يقوم به - دائماً - حبراء محليون ، وهم انفسهم الذين يقطعون (يحشرون) سنانط التمر عند إستوائها فيحصلون علي سبيطة واحدة من كل ثلاث سببظ . وهي أيام التلقيح يري هؤلاء الرجال يتسلقون أشجار دكور السحيل من شجرة إلي أخرى كالسحالي يقطعون أكمام النقاخ ثم يجفونها حتي تصير محتوياتها من الحبوب نقيفاً يجمعونه في صُرر من ورق ثم يربطونها بقطع من السعف فتكون كل صرة في حجم طلفة بندقية الخرطوش وحينما تفتح سراعم الإناث يحمل الحبراء صررهم في طواقيمهم ( التي يمسكونها بأصابعهم ) ويتسلقون الشجرة ، وكلما وجدوا من البراعم ما هو مهياً لاستقبال حبوب اللقاح تنص الواحد منهم بيده اليسرى علي جريدة ثابتة ثم أخرج بيده اليمنى صرة من الطنقية ونثر حبوبها علي البراعم . ربما أن السراعم لا تفتح كلها في وقت واحد ، فإن حبراء التلقيح يحتاجون إلي عدة أيام لإكمال العمل وتفتح البراعم غير المنقحة تمرأ رديئاً أعجفاً لا طعم له يسمى (الصبص) تشبهاً له بصغار السمك . وهذا النمر لا يؤكل وإنما يجعل علماً للبهائم .

وحصاد التمر من أكبر المواسم احتفاء في بلاد النوبة . ففي أواخر يونيو ويوليو يتغير لون الثمار الأخضر إلي اللون الرمادي سريعاً ثم إلي

اللون الأصفر الفاقع أو إلى الأحمر القرمزي . وفي أغسطس تلبس الثمرة ويعمق لونها مع تجعد وانكماش في مؤخرتها وهذه علامة النضج . وفي أواخر أغسطس يبدأ جمع (الرطب) إلا أن العدة المتبعة هنا هي أن النمر لا يحصد إلا بعد أن يكتمل نضجه ويجف في سباطه . أما النمر ذو الطبيعة اللينة ( المعجوة) فيلتقط بمجرد نضجه حتى لا يتحمر ويتقن .

وفي أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر نجف الثمار ويميل لونها للسواد وتعد إشراقها اللامع لتصير أقرب إلى الخشونة والجفاف . حينئذ يبدأ الحصاد . فيخرج الجميع إلى النساتين؛ فالرجال يحملون الجوانات الفارغة والنساء تتكلى من أياديهن السلال وأطباق السعف ، ويتبع الأطفال الكبار . والذي ينظر إلى ( الحشاش) يراه وقد لف أنبي جلابة حول وسطه وغرر فيه المنجل ثم سلق السحلة . وعندما يصل إلى موضع الجريد يستند إلى قلب الشجرة ويجذب منجله بيماه ثم يمسك السبيطة بيمراه ويُعمل فيها المنجل بحركة سريعة تفصلها عن القلب ثم يلقي بها في الأرض فتسقط بصوت مكنوم تشبه ما يكون بمقوط صقر مصاب . فيهمك الصغار في إنقاط النمر المستطير ، وتشعل النساء بدرع الثمار من ( شحائب ) السباط وجمعها في السلال والأطباق بينما يعي الرجال الجوانات بالمحصول ثم يحيطونها بعد أن تمتلئ وكلما وصل العدد إلى ثلاثة جوانات حمل علي ظهر دابة ونقل إلى القرية ليقرغ تحت حرارة الشمس حتي يجف وتعاد الجوانات الفارغة لتعباً من جديد . ثم ( الحشاش) يُعمل منجله من شجرة إلى أخرى وفي أواخر الشهر يعود القوم إلى بيوتهم في حبور . فالنساء المسنات يرجعن بعيدات حيدة من النمر في أطباق يحملنها علي رؤوسهن وهي بمصفر أوراق

التبغ ويتبادل الحديث مع بعضهم وقد حلق سحائب من العبار أحدثت ديول  
(الجرجار) حين تتسحب على الأرض. ويتسابق الصغار وقد امتلأت جيوبهم  
وطرافهم بخيرات الحصاد فرحة وسروراً بعد أن تلقوا أجرهم من العمل .  
أما (الحشاش) فيهمه أن يأخي حقه بسيئات ممثلة من ذلك الحصاد .

وشجرة الحبل الجيدة تحمل ما بين عشرين وثلاثين سبيطة بينما تحمل  
المتوسطة حوالي عشرين . أما لأشجار العفيرة الإنتاج فتحمل ما بين الخمس  
عشرة إلى العشر من السبائط . لكن الشجرة العريضة الإنتاج تملأ ثمارها  
جولين . أما المتوسطة تملأ جوالاً و أما فقيرة الإنتاج وأقل .

وعندما يحف التمر ، يتم فرره بعناية ويصنف تبعاً للجودة ثم يعاد في  
جوالات سليمة . أما للتمر اللين أو الذي لم يكتمل حذاه فيكاد في صفايح .  
وعند اكتمال تعبئة المحصول ، يباع للتجار المحليين بالقريه (والذين  
يخصمون ستحقاقهم من ديور صاحب المحصول أثناء العام قبل دفع القيمة )  
أو يحمل بالشاحبة إلى تجار الجملة في سوق حلما . وتجربة التعامل مع تجار  
القرى شهدت استعلالاً للمنتجين حيث كان أولئك التجار يشترون المنتجين  
بأسعار باهظة ويشترون الإنتاج بأحسن الأثمان . ولكن مرور الوقت وبسبب  
للضوابط التي فرضت لحماية المنتجين ، ألق التجار عن أساليبهم الجشعة  
والتزموا بالمنافسة المشروعة . وفي ما قبل ١٩٥٨ كان محصول التمر يحقق  
أرباحاً جيدة عند بيعه في مصر ، لكن تقييد الاستيراد وسياسة التأميم الواسعة  
، تسببت في إقصاء فرص المنافسة وأدت إلى كساد السوق . وهبطت الأسعار  
باطراد وتأثرت الصادرات إلى مصر لهذه الظروف .

ولربما لا تعرف شجرة في تاريخ الستة بعت من لتأثير في الحياة

الاجتماعية والاقتصادية كما فعلت السلطنة في بلاد النوبة . فقد أثرت في جوانب عديدة من حياة الناس وكان نفعها متنوعاً وبلغاً وتاماً .

وشجرة النخيل تبايع بقذا بسعر جيد ، ويمكن أن ترهس كما أن مجرد وجودها يُعدّ تأمينا اقتصاديا . فالأسر كما رأينا - تحصل على حاجياتها اليومية من تجار القرية بالنسيء . وطالما أن هناك محل ، فإن التجار يصممون استرداد حقوقهم عينا أو نقدا . وفوق ذلك فإن شجرة النخيل توهب في مناسبات الزواج

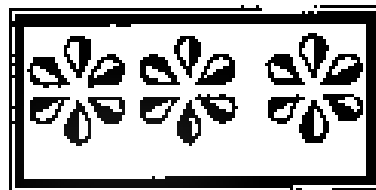
ومن سعف النخل يقتل النوبيون الحبل ويصنعون أطباق السعف والسلال والبروش وليف الاستحمام ولهب تنظيف لأواني . ومن الاستخدامات الأخرى : علف الخيول والوقود . ومن الجريد يسقون بيوتهم وينسجون (عافريتهم<sup>١</sup>) ويصنعون أقباس العاكهة والحضروان كما يصنعون منه العصي والكراسي والمقاعد وأثاثات أخرى . كذلك فإن الجريد يستعمل في ربة المناسبات وعافريب الجائر الأنثوية وشواهد القبور . وقلب الشجرة التي تسقط يؤكل وهو ذو طعم لذيذ أما جريد الشجرة الفتية فيقطع ويدق لتصنع من حصائله حبال درلاب الساقية (الأس) وبروش السقف وحواجر الريح . ولساق النخل استخدامات عديدة في لجرء الساقية وأحشاب السقف وأعتاب الأبواب والبولقد وما تبقى منه يكون وقوداً . ومن سعف الجريد المحروم يصنعون المكاس ولأطباق ومن ليف الساق يغزلون الحبال التي يربطون بها الخيول.

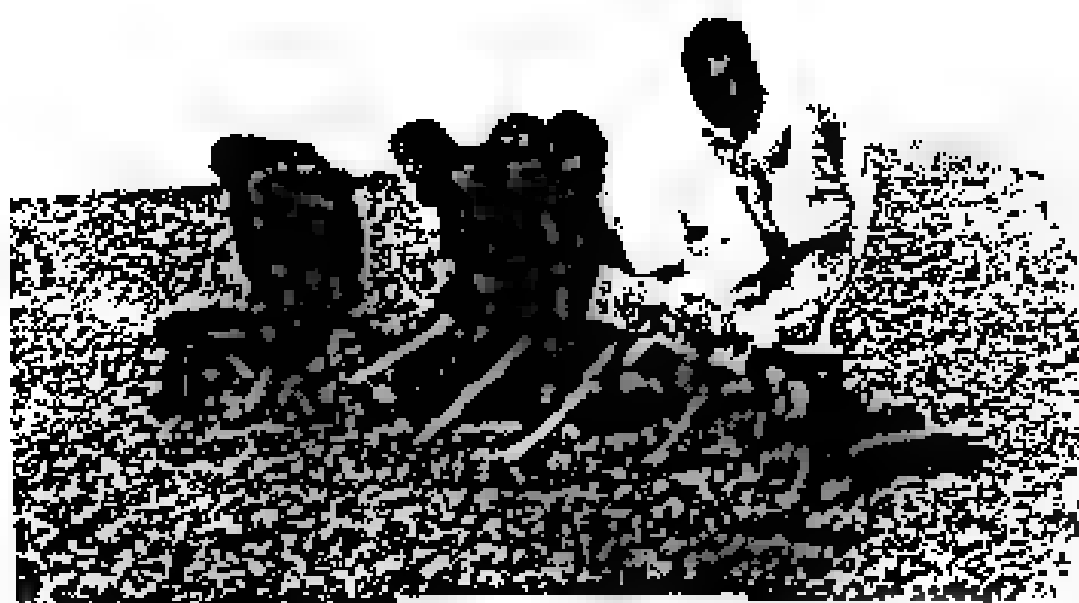
خلاصة القول أن البلح يؤكل رطباً أو عجوة أو تمراً ويقدم للصيف

<sup>١</sup> المبريد من الحشب وسيجة من الحبال وهو معروف في بلاد السودان . المرجع



ويساع للحصول على النقد، ومن البلح يصنعون المربي و الحمور والحل والكبك وشرباب رمضان وعصيدة البعسء ويجعلون التمر القالف والمنعص علفساً للميهاتم والنواة وقوداً .وعلى العموم فإن دخل الأسرة يعتمد بطريقة أو بأخرى على الحصلة النقدية بحصاد البلح كما يعتمد بدرجة أقل على فئص محصولات الدورة الزراعية .

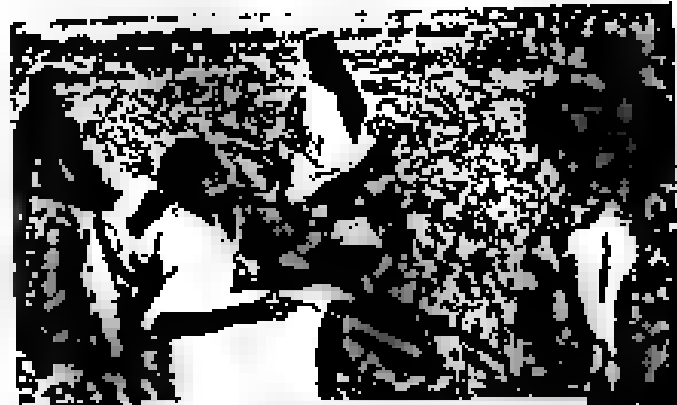




حرثة الأرض



حصد



مزارعون : تعبء واطقل



لمراءة الصليحة



حصد القمح

## الفصل الثامن

### السند العالي وردود الفعل الأولى

تم توقيع اتفاقية في ٨ نوفمبر ١٩٥٩ - بين السودان والجمهورية العربية المتحدة لاستغلال مياه النيل علي أحسن الوجوه الممكنة لصالح البلدين ، وللتحكم الكامل فيها ، وفيما قبل هذه الاتفاقية كان تقسيم مياه النيل ( خلال فترة الصيف ) محكوماً باتفاقية عام ١٩٢٩ والتي نصت علي الحفرق الثابتة لكل من مصر والسودان بحيث تقال مصر بموجبها ٤٨ مليار متر مكعب وينال السودان ٤ مليارد متر مكعب . ولم يؤخذ في الحسبان ٣٢ مليار متر مكعب توفره مياه الفيضان ( وفقاً لمقياس محطة أسوان ) لأنها تذهب هدراً إلي البحر . أما الاتفاقية الحالية فتضع التدابير لحيرة المياه المهددة وتوظفها لخدمة التنمية الزراعية في البلدين . حرران أسوان العالي - كما اقترحت مصر - يهيئ الرسيطة اللازمة لتحقيق هذا الهدف، وقد اعتبر الزابط الأول لسلسلة من مشروعات تحرير مياه النيل علي مدار العام .

أكدت المادتان الأوليان من الاتفاقية الجديدة الحقوق المكتسبة للقطرين لتقسيم مياه النيل الصيفية كما جاءت في اتفاقية ١٩٢٩ م . كما أن المادتين الأولىين من الفصل الأول ( والتين تحتصان بمشروعات التحكم في مياه النيل وتوزيع منفعاتها علي البلدين ) أثبتتا موافقة السودان علي قيام السد العالي ، وموافقة مصر علي إنشاء حران الرصيرص وموافقتها علي مشروعات أخرى يري السودان أنها ضرورية لضمان استغلال نصيبه من المياه .

وتقدر المادتان ( ٣ ) و ( ٤ ) من نفس الفصل متوسط كمية مياه النيل ( حسب مقياس محطة أسوان ) بما جملته ٨٤ مليار متر مكعب في العام . وبعد طرح الحقوق المكتسبة من مياه النيل في فترة الصيف

(٥٢ مليار متر مكعب ) ثم ١٠ مليار متر مكعب معقودة على التبرع عند بحيرة السد ، فإن السد العالي يوفر ٢٢ مليار متر مكعب في العام . وهذه المياه الإضافية تم تقسيمها بحيث يكون نصيب السودان ١٤ مليار متر مكعب ، ويكون نصيب مصر ٧ مليار متر مكعب ، وعملاً بما نصت عليه المادة (٦) من نفس الفصل ، فإن مصر التزمت بأن تدفع للسودان مبلغ ١٥ مليون جنيه تعويضاً كاملاً له عن الخسائر التي تلحق بالمشروعات بسبب ارتفاع منسوب مياه بحيرة السد إلى ١٨٢ متراً فوق سطح البحر .

وتنص المادة (٧) مسئولية ترحيل السكان (المتأثرين بمياه السد العالي داخل السودان ) على عاتق الحكومة السودانية وتحدد تأريخ إتمام هذا العمل نهاية يونيو ١٩٦٢ .

إن المواد التي سبق ذكرها هي التي تعبنا في مادة هذا الكتاب . والفصول الأخرى من الاتفاقية تتعلق بالمشروعات المستقبلية للاستفادة من المياه التي تصبغ بالبحر في الأطراف الجنوبية لحوض أعالي النيل ، كما تتعلق بالتعاون الفني بين القطرين -هي هذه المحال مما لا بعيننا في شيء .

وحال التوقيع على الاتفاقية ، أعلن المصريون -مباشرة- أنهم يسمون المشروع فوراً في تنفيذ مشروع السد العالي الذي كانت تصميماته النهائية -جيبها- جاهزة . والسد العالي نفسه بناء هائل وفريد . وهو حائط مصمت من الرمل والصحور يسد مجرى شهر من الضفة إلى الضفة بعرص ٣٦٠٠ متر . أما جسم الجران القائم في عمق الشهر فعرصه ٩٨٠ متراً وارتفاعه ١١١ متراً . ربيعان اسد معطي بطنقه أسميتة سبكة وملساء لها قطاع أفقي مبيع مواجه للتبار ومتصل بمركز العمق . أما بحيرة الجران فتتمد إلى

مسافة ٥٠٠ كلم في اتجاه أعلى النهر ، ويتطّر أن تحرر -في الحد الأقصى- ١٥٧ مليار متر مكعب من المياه . وعرض هذه البحيرة يتراوح ما بين ٢٥ و ١٠ من الكيلومترات ، وعرضها في ناحية أعلى النهر ٩٧ متراً كحد أقصى . وبالتالي فهي أصخم البحيرات التي صنعها الإنسان في العالم وتأتي -بجده الصعة - مباشرة بعد بحيرة حزان ( كاريبا ) في روديسيا<sup>(١)</sup> .

كان أول من فكر في السد العالي ، مهندس زراعي مصري من أصل إغريقي يدعى ( أندريان دانيوس ) عُرف بحياله الخصب في مجال مشروعات الانعاع بمياه النيل منذ عام ١٩١٢ . وكتب أولي أبحاثه الداعية إلي إنشاء حزان عظيم عند أسوان للاستفادة من مياه النيل طوال العام ، في عام ١٩٤٨ وذلك خلال الاجتماع الأول للمعهد المصري . وقتر ( دانيوس ) السعة الاستيعابية لبحيرة الحزان الذي أقرحه في مشروع بحثه - : ٥٢ مليار متر مكعب - وفي سبتمبر ١٩٥٢ أعنت الحكومة الألمانية مشروع السد العالي -لمصر - في سبيل امتصاص عضبة العالم العربي علي ألمانيا نتيجة لمسحها إسرائيل صلح ٣٠٠٠ مليون مارك يعويضاً لها عما لحق باليهود من اضطهاد إبان عهد ( هتلر ) وقد تم تكليف إتحاد ( هوشيف وورتمود ) للمهندسين بألمانيا بترحه في عطاء يشمل تنديرات التصميم والتفيد والتمويل وذلك في ١٨ أكتوبر . وفي ٢٢ نوفمبر قامت الحكومة المصرية بدعوة بيتي حبرة أحدهما إتحاد ( هوشيف وورتمود ) لإرسال خبرائها للقيام إلي أسوان لإعداد تصميم المشروع . وبعد عامين ( نوفمبر ١٩٥٤ ) أقررت لجنة استشارية عالمية أحد خيارات التصميم التي أعدها ( هوشيف وورتمود ) .

---

في روديسيا لشعبية كتبت مسطرة بريطانية طوى عليها ( زيبيا ) بعد استئذانها عام ١٩٦٤ - لمرجم

يُحلب السد العالي مزايا عظيمة لمصر . مسوب النيل عُرصةً للتذبذب بين سنوات الجفاف والعصر ، ولذلك فإن التحكم في نظامه المتقلب يعتبر أمراً حيوياً . وهناك ثباين في قوة اندفاعه يتراوح ما بين ١٣٥٠٠ متر مكعب في الثانية عند أسوار أثناء دروة الفيضان ، و ٥٠٠ متر مكعب عند هبوط مسوب المياه . وفي خلال الأعوام الستين الماضية تراوح متوسط اندفاع التيار ما بين ٩٥٠٠ متر مكعب في الثانية في حده الأعلى ، إلى ٤٥٠ متر مكعب فحسب في أوقات الجفاف . وهكذا تمر الفيضانات أراضي مصر المبسطة من وقت لآخر مسببة العرق للمس والمرروعات . فإذا ما قام السد العالي فإنه سيكون وسيلة لتجنب هذا التذبذب عن طريق تخزين فائض المياه الذي يذهب - عادةً - هدراً إلى البحر . كما أنه يضمن رياً منتظماً لمرعاة القانصة وامتدادها . ويقدر المصريون أنه يمكن ري حوالي ١٥ و ١ مليون فدان من الأراضي الصحراوية المستصلحة حين تتوفر المياه .

وستولد (التريبات ) الإنسا عشرة الملاقة المركبة عند الأنفاق القائمة أسفل الهر ١٠ مليار كيلر واط من الكهرباء في العام . وهذه الطاقة الهائلة ستخصص تكلفة الكهرباء إلى حدما الأدنى وتجعلها متوفرة للتنمية الصناعية ولخدمة أعراض أحري علي امتداد القطر المصري . تلك هي الأهداف العظيمة التي سيحققها السد العالي لمصر . ولا شك أنها أهداف اقتصادية وقومية بالغة القيمة قصد بها رفع مستوى حياة الفلاح وإحداث تغيير جذري في قاعدة الاقتصاد القومي . لكن السد العالي لم يسلم من الألسنة الدافدة . ولربما كان أشهر الدفاد مواطن مصري هو ( د . عبد العزيز أحمد ) عالم المياه البارز . ففي ورقة بحث قُدمها لمعهد المهندسين المدنيين بلندن ، حذر

من معبئة فكرة السد العالي علي مصر لأنها تحوي تحولاً كاملاً عن سياسة  
الري النيلية المنقبة تاريخياً . فالسد العالي الذي يحلر بياؤه من دولات التحكم  
سيحجر سيدياً ١٣٤ مليون طن من الطمي المركب من أحصب المواد  
البركانية في العالم . وبما أن كل التربة الزراعية في مصر تتكون وتتجدد  
من رسوب هذه المادة - التي لم يخترع بديل اصطناعي لها حتى الآن - فإن  
الافتقار الكامل لها سيؤدي إلي تدهور خصوبة التربة وانخفاض إنتاجيتها .  
كما أن مياه النيل الصافية والخالية من الطمي والتي ستدفق إلي أسفل النهر  
من أسوان ستؤدي إلي تجريد أعماق النيل من الرواسب وتحرية شاطئيه إلي  
تآكل كل القاصر المائية القائمة علي مجراه ابتداءً من أسوان وانتهاءً بالبحر .  
بصاف إلي ذلك أن نسبة التبخر والبر مع التعبيرات التي يصعب التنبؤ بها  
في حركة المياه الجوفية تحت قاع بحيرة السد ، ستكون هائلة إلي درجة أن  
مصر ستحصل علي كمية من الماء أقل مما كانت تحصل عليه . وعلي كل  
حال فإن الأيـم سـتـثـبت صحة أو كـب هذه التنبؤات وستؤكد صحتها أو  
بروعها إلي المبالغة . لكننا في السـوان سـمـي صـديقـين أن يعود هذا المشروع  
الطموح - علي مصر - بالخير العميم .

ومهما تعاطفت فوائد هذه الاتفاقية ، فإن آثارها الجانبية ذات طبيعة  
مدمرة . فصحايها هم النوبيين وحدهم ، إذ أن الجزء الأكبر من بلادهم  
سيتعرض للحراب . وعلي إمتداد ١٥٠ كلم داخل السودان ، سترحف بحيرة  
السد وتعمر تلك المساحات بالمياه . ففي النوبة السودانية ستغرق مدينة وادي  
جلعا إضافة إلي سبع وعشرين قرية بكل أراضيها الزراعية وبخيلها وآثارها  
التاريخية . ويتوقع أن يبلغ عرض البحيرة - في بعض المواقع ٢٠ كيلو



متراً من الشاطئ إلى الشاطئ . وبكلمات أخرى فإن صفة البحيرة تبعد عن  
ضفتيها الأخرى بمسافة تتجاوز حط الأفق . ويتوقع أن يبلغ عمقها عند وادي  
حلف ٦٧ متراً ، فتصبح أعلى المأوى غرقى في عمق ٤٠ متراً تحت سطح  
المساء . وسنقف ٤٠.٠٠٠ من الناس مأواهم مما يقتضي حل مشكلتهم الإنسانية  
واللوجستية المعقدة والمرتبطة بترحيلهم وإعادة توطينهم قبل يوليو ١٩٦٣ ..  
عندما أدبج البيان المشترك في ١٠ نوفمبر ١٩٥٩ من إداعني أم درمان  
والقاهرة . بثشرت لأخبار انتشار النار في الهشيم . وكى رد الفعل الفوري  
إحساساً بالمرارة وعلم الرضا ، بالرغم من أن الأمر لم يكن مفاجأة للنوبيين .  
فاتجاه مصر لإقامة السد العالي والآثار المترتبة على قيامه بالنسبة لمنطقة  
الدوية ، كانت أمراً معروفاً منذ وقت طويل لأن النوبيين كانوا ينتحبون المسألة  
في الصحافة المصرية . وكانت قضية الاختلاف على قسمة مياه النيل —  
والتي غالبت على المفوضات السابقة وانتهت بها إلى طريق مقفول قد  
جعلتهم يعلقون الأمل على استحالة الوصول إلى إتفاق . لكن صدور البيان  
حذب آمالهم . وكانت اللطمة أقسى مما يمكن احتمالها ، فأصيب الكثيرون  
بصدمة كتبوا فيها آذانهم وانطلقوا في الشوارع على أمل أن يجدوا من ينقذ  
لهم النيا العظيم . وانتظموا في مجموعات صغيرة — يملؤها اليأس — يتبادلون  
وجهات النظر في ارتباك واضطراب ولم يترك حول للمحة مجالاً لاختلاف  
في الرأي . ولم تكن المجموعات تتفرق إلا لتلتقي من جديد . . . لقد شلت  
قواهم العقلية . وظلوا لأيام عارقلين في وحل من الأوهام الكثيفة وتلقي كبار  
السن - الذين سئموا للحياة - الأنباء بأنهم يحسدون به أبناء جيلهم الذين سبقوهم  
إلى المدار الأحررة . وكان الناس يروى يسرون مفردين يحدثون أنفسهم

بصوت عال . يظرون يميناً وشمالاً ثم بصريون كعاً بكف ويقولون إنهم لا يصدقون .. هنا تذكر قصة ذلك الرجل الدرويش ( الذي عاش في مدينة حما ) صاحب العمامة الحمراء والعصا الطويلة التي كان يشير بها إلي صخرة عند سفح جبل قرب المدينة قائلاً : إن الماء سيصل إلي ذلك العلو قبل وقت قريب . واعتبره الناس من الصالحين الذين تحققت نبوءتهم . وألف الشعراء قصيداً مؤثراً في شأن وطهم صيغ لحماً شنه كل الفري . وأصبحت المنطقة كلها تعلق يوشك أن يريها في هلوبه الهستريا . والمستقبل مطمئن والمحنة التي كانوا يولون وجوههم شظرها كانت أشبه بيوم الحساب .

منذ أقدم العصور كان النوبيون يتشيئون بشريط الأرض الضيق الحصب الممتد علي شاطئ النهر ويعتمدون عليه في حياتهم السرمدية . وكانوا معرولين عن بقية الجنس البشري بصحراء قاحلة وراضين بما قسم الله لهم من أرض وبما تنتج من ورق علي صالة الأرض والرق . وروضوا أنفسهم علي تقلبات المناخ ، عسرة ونسرة ، يبعه وجده ، وتعلموا من ذلك قيباً سيلة وتقاليد أخلاقية راقية . فأحبوا ومال صمرائهم وصحورها العارية . وعشقوا النيل الذي وحده بهيم الحبة . وافتحروا بلأثر الحضارات القديمة المنتشرة في أطراف قراهم . فقد اعتادوا أن يباهوا بأصلهم العريق وبأجدادهم الذين ساهموا في بناء أولى الحضارات التي عرفها الإنسان . فالمعابد والكنائس التي شيدها أسلافهم - دليل علي صلة قديمة برب العالمين . والشلالات المنيرة التي تعترض مجري النهر في مواقع عديدة ، كانت هبة من الطبيعة ضد التلخل والتسلل الأجنبي إلي بلادهم . وبما أنهم عاظمون عن الجيران ، فإنهم حصروا أنفسهم في حدود رقعة الأرض

والمجتمع المتاح مما نفي في داخلهم حسنا بالدنية واعتداده بالنفس .

في عمرة هذا الجو المعجم بالقلق والأحزان ، أعلن أن الرئيس ( عود ) سيقوم بزيارة للمنطقة في ٦ ديسمبر مما أدى إلي شعور بالارتياح بين المواطنين . فأخذوا يستعيدون عافيتهم من آثار الصدمة وبدأ انهم يحل محل العاطفة . وشرعوا يفكرون بجدية في وطن بديل . وملأت زيارة الرئيس نفوسهم بالأمل لأنها كانت إشارة إلي أن الحكومة قد تولت مشكلتهم ، وأنهم لم يعولوا فريسة لمصير مجهول وفي الحقيقة لقد شاعرهم هذا الشعور كل مواطني السودان

وكانوا لجنة محلية لإعداد استقبال طيب للرئيس في المدينة وفي القرى الرئيسية ، لها صلاحيات بتقديم منكرة ( حريضة ) تقترح فيها وطب بديلا يتمتع بمكانات تؤمن مستقبلا طيبا لأطفالهم ، وتطلب بها تعويضا عادلا عن ممتلكاتهم الثابتة وفي غضون أيام قليلة ريت الشوارع وزرعت لافتات الترحيب في معارك الطرق الرئيسة ووجهات المتاجر . وأحدث الترتيبات لحشود جماهيرية في القرى الكبيرة.

وفي الساعة السابعة من صبيحة ٦ ديسمبر ، هبطت طائرة الرئيس عود وكان في معيته نفر من ذوي الشأن من الوزراء منهم وزير الصحة : المرحوم د محمد أحمد علي ( وهو نومي من أهالي مدينة جلد ) . واستقبل الرئيس بحفاوة من حشد كبير تجمع بالمطر منذ ساعات الفجر . وفي الساعة التاسعة صباحا - وفي ميدان وادي حلفا ووسط حشد عظيم - تقم الرئيس عود بحطوات وثقة نحو ( الميكروفون ) سرتة العسكرية المميزة برتبة الفريق . وكان يحمل عصا أبوس صغيرة ويضع علي عيبيه نظارة شمسية كان

وجهه الوقور هادئاً ولكن سحابة من الحزن بت عليه . وعبر عن شكره للمواطنين علي حسن الاستقبال . وفيما كان يحاول التلويح في موضوع التهجير ، طعت عليه عواطفه فعال في صوت منهجج : ( أثناء وجودي في الخرطوم ، كنت أسير الانطباع بأن وقع الحدث كان شديد القسوة عليكم فأرحبكم لعواطفكم العان . وفكرت في المجيء إلي هنا لأقف إلي جانبكم أثناء هذه اللحظات العصيبة . لكنني حين وقعت علي أحوالكم ، وحدثكم في روح معنوية عالية تقصر عنها مشاعرنا الذاتية . ) . هه منهجج صوته للحظات وميالت دموعه إلي ما تحت نظارته الشمسية . ثم استجمع ربطه جأشه وشرع في صوت صاف بشرح بيود الاتفاقية باستفاضة وبيت مر ليا تطبيقها علي القطرين . وواصل خطبه قائلا : ( أعلم بالمعضلات الكبرى وبالحرص الذي يكتنف وصعكم . غير أنني أؤكد لكم أن وجدسي مشغول تماما بإيجاد حل لقصبتكم الملحة ، وأعلن أنني ألتزم بإيجاد حياة كريمة لكم وتعويضكم عن كل ممتلكاتكم المفقودة تعويضا عادلا . وليتأكد كل واحد منكم بأن حقوقه محفوظة ومصانة . ) وفي الختام أعلن عن نيته تعيين لجنة حكومية ونكرين لجان أخرى علي المستوى المحلي للبحث في الخطوات المستقبلية لإعادة التوطين . وقال : ( أما بالسمة لاختيار موطنكم الجديد ، فإني أقد بقبول المكان الذي تحتارون أيما كان في أي مقعة من السودان ، وأنه لن يجبر أحد بالرحيل إلي أي مكان دون رغبته ) .

وفي اليوم التالي زار الرئيس قري (دعيم وأشكيت ودبره) حيث استقبل بالترحاب من قطاعت السكان . وفي اليوم الثالث أكمل نجواله بزيارة (أرقين وسره وفرص) علي شاطئ النيل فوق طهر الباخرة (الثر يا ) ، وبذلك

عطى أكبر القطاعات السكانية للمنطقة المتأثرة بالعرق . وفي اليوم الرابع فنزل راجعا إلى الخرطوم . وقبل معادرتة ، سلم الرئيس مذكرة (عريضة ) من بعض ممثلي النجاشي عن السكان تحوي المطالب الإنساني عشر التالية :

١ . من تتم إعادة توطين السكان في أنسب للمواقع من وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية والصحية.

٢ . أن يتم توطين السكان بأسلوب يحفظ لهم دانييتهم ووحدةهم الاجتماعية .

٣ . أن يتم ترحيل كل ممتلكاتهم للمنقولة معهم إلى وطنهم الجديد .

٤ . أن يمنح المهجرون الحق الكامل في احتكار التنمية الصناعية في موطنهم الجديد .

٥ . أن يتم تخطيط وتطوير المشروع الزراعي في الموطن الجديد بأفضل مستوى متاح .

٦ . ينبغي المحافظة على الوحدة الجغرافية والاجتماعية للقرى كما هو قائم حاليا .

٧ . يتوجب على الحكومة طلب المعون والصح النفسي من الخارج لتخطيط إعادة توطينهم

٨ . ضرورة إتاحة الفرصة لممثلي السكان لزيارة المواقع المقترحة لإعادة التوطين .

٩ . وجوب تعيين سويين أكفاء للمشاركة في تخطيط وتنفيذ إعادة توطينهم .

١٠ . وجوب الإهتمام بتنسيق التنمية المستقلة لمنطقة المشروع الزراعي .

١١ . أهمية التخطيط والتصميم الدقيق لمنطقة إعادة التوطين الجديدة .

١٢ . إعفاء كافة سكان المنطقة التي ستعمرها المياه من الضرائب باعتبار أنهم

مسؤول جهوز مصاعب مالية أثناء فترة ترحيلهم وإعادة توطينهم .

وتعهد الرئيس بوصف هذه الالتماسات موضع الاختيار عند عودته إلى الخرطوم ، مما جعل لزيارته أثر نفسي واضح . فتعص السكان للصداء وامتلكت نفوسهم بالثقة واستطعت أن ترى عودة الانتماء إلى وجوههم وأن ألمس عطرتهم إلى المستقبل يتناول . وباعتباري مسئولاً عن إدارة المركز وجدت نفسي على رأس تجربة هريدة وممارسة ضخمة غير مسبقة في السودان . فكل عملية التهجير وإحلاء الممتلكات المنقولة - بكل مشاكلها الإنسانية والمادية - قد ألفت علي عاتقي . ونقيت - فقط - ثلاث سنوات وبصرف المسة لإنجاز هذا العمل . ولذلك كان لا بد من الشروع فيه بسرعة فالوقت من ذهب . ويستوجب الأمر وضع خطة مَجَنُوكَة زمنية وبصورة صارمة تحدد الخطوات الأولية للتهجير . وكان طبعياً أن أصرف ذهني عن مؤانسة النوبيين وأنكفي علي مشاكلتي . فهناك عمل ينبغي أن يتم إنجازه قبل أن يعادر السكان إلى موطنهم الجديد .





الرئيس عبد يخاطب أهلي حلفا



منظران لشاطئ النيل

## الفصل التاسع

### الإحصاء ومشكلة التحويلات



كانت لولى القصايا بالنسبة لي، هي أن أعرف بالصبط عدد السكان المتأثرين بمياه السد العالي، الحاصرين والعائدين. ولم يكن الإحصاء السكاني السدي أجري في عام ١٩٥٦ ذا فائدة تذكر لأنه اعتمد على (العينة) ولم يكن تعداداً فعلياً. فعدد المواشي والنبات وكمية الأمتعة والممتلكات الصربية للسكان لم تكن محصورة. وكان علينا أن نحصر المحروقات التجارية للأسواق وفي حوائط القرى، بالإضافة إلى الماكينات الصناعية مثل الطواحين وأدوات الإنتاج ومضخات المياه من أجل ترتيب طريقة نقلها إلى الموطن الجديد. كذلك كان علينا أن نعد أرقام التعويضات لكل المقتنيات الثابتة (أي تلك التي تتعلق بالأرض). فإحصاء أشجار النخيل للمعد لأغراض الضرائب لا يمكن الاعتماد عليه لأن المالك يملأ بأرقام أقل من الواقع للسلطات المحلية، ولا يحوي سوى الأشجار الأنثوية المنتجة. . فنكور النخل وشولها كانت مستثناة. كذلك فلا بد من تصنيف أشجار النخيل من حيث النوع لأن قيمتها تختلف تبعاً لنوعها. وعلى نفس التوتيرة، ينبغي إحصاء أشجار الفاكهة وتصنيفها. أما سجلات الأراضي الفعلية فلا تساعد على معرفة الحقيقة لأن الأراضي - بلا استثناء - مسجلة بأسماء أشخاص توفوا منذ أجيال، ولا تحدد مساحة أي ساقية أو مشروع زراعي. وهي تحوي فقط الحصص التي يمتلكها أموات في مساحة غير محددة لساقية مرقمة ومن هنا فقد كانت هناك حاجة إلى إجراء عمليات مسح واسعة لتحديد أنصبة الأفراد من تلك الأراضي. يتبع هذا تعيين محاكم شرعية لإصدار أحكام وإشهادات بتقسيم الأنصبة على الأحياء تبعاً لقواعد الميراث الإسلامية وهذا عمل مصعب ومجهد يتطلب لى تصدر تلك المحاكم قراراتها بناء على تتبع تاريخ حركة توارث الأنصبة حتى

تبلغ به الأحياء من الورثة وبمس الطريقة يتم تحديد ورثة أشجار النخيل. أما المساكن والحوافيت والمصانع فيتوجب إحصاؤها وتحصيرها لمرحلة التحويضات ويتوجب - كذلك - فك الممتلكات العامة المنقولة (محطة الكهرباء وقصبان السكة الحديدية والورش وأعمدة التلويبات وماكينات مياه الشرب وخزاناتها وحواس كمل لحركة البواخر...) إلى جانب ذلك لا بد من حرم المعدات المكتبية والوثائق الرسمية. كذلك لا بد من أن يبحر أسطولنا النهري المكون من إثنتي عشرة باخرة وورق إلى أعالي النهر ويعبر الشلالات الوعرة حيث لم يُعرف أن أسطولاً بحجمها قد قام بهذه المعامرة أصلاً. كان كل شيء تسراه العين بلقي عبثاً عليّ. وأحير أديبي إجراء مسح اجتماعي واقتصادي ليسعد المسئولين في الخرطوم للتخطيط الوطن الجديد.

لم نصح وقتاً . أعدنا الخطة الأولية وأرسلناها إلى الخرطوم مشعوعة بقائمة طويلة من الحاجيات المطلوبة للإحصاء النهري وفي ٢٦ يناير ١٩٦٠م صدر قرار وراري موجه إلى مصلحة الإحصاء لإجراء سسلة من المسوحات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة المتأثرة بمياه السد العالي، كان الترخص منها جمع للمعلومات التي تفيد في عملية التهجير وإعادة التوطين. غير أن عمليات المسح استوجبت أن تشمل - على وجه الخصوص - العمليات الإحصائية الآتية: (في مدينة وادي حلفا تعداد السكان، عدد المساكن، الأثاثات، المعدات المنزلية، الأمتعة، والدواب) أما بالنسبة لباقي المنطقة فقد اتجه الإحصاء (عن طريق العينات) إلى معرفة أعداد الموائس والأمتعة وحصر الدحول والمصروفات وأنواع العداء .

وفور اتخاذ القرار، زار المنطقة بالطائرة إثنان من كبار موظفي مصلحة الإحصاء هما: السيد (ح. كليف) والسيد (أبو سمرة)، وقاما باستبيان استطلاعي حددوا بموجبه خطة العمل. وقاما كذلك بالترتيبات اللازمة لعمل المكتبي والرحيل وتعيين قعائين. وفي اجتماع عقد بمكتبي، تم وضع الحطة النهائية بعد نقاش وافق. وبعد أسبوع عاد السيد أبو سمرة وهي معيته فريق من المفتشين الميدانيين وهي غضون أيام قبلة تم تعيين اثنين وثلاثين عادداً محلياً، أحضروا لفترة تدريبية - في مجال التعداد قدرها تسعة أيام منها يومان من التدريب العملي. فتعلموا طريقة الحصول على الإجابات الصحيحة على أسئلة صممت في استبيان لسكان وهي ثالث لعملية الإسكان. شمل الاستبيان الأول الذي حصص للمقيمين من السكان خمسة وعشرين سؤالاً قصد منها الحصول على معلومات شخصية. أما الاستبيان الثاني فقد احتوى على أحد عشر سؤالاً لا غير متعلقة بالعائنين من السكان. ومن بين تلك الأسئلة: هل يسجل العائث مسجلاً إلى أحد أقربيه أم أنه ترك سره من ورائه؟ وأين هو الآن؟ ومتى زار المنطقة آخر مرة؟ وعدد من يعولهم؟ .. ويختص الاستبيان الثالث بالسكان والمعلومات التي تساعد لجان الحصر والتقييم، ويشمل الاستفسار عن نمط البناء وعما إذا كان بالحجر أم بالطوب الأحمر أم بالطين أم هو عشه؟ كما يشمل مساحته وعدد غرفه. وكل هذه الاستبيانات تمت مناقشتها في اجتماعاً بوادي حلفا وروجعت بواسطة فريق مكون من عشرة متطوعين من جامعة الخرطوم ثم صممت - أخيراً - ميدانياً بواسطة موظفين متمرسين من مصلحة الإحصاء .

ومسند البداية اتفقنا على أن نستهل عملنا بالتعداد السكاني وإحصاء المساكن كعملية موحدة ثم ينتقل تدريجياً إلى القضايا الأخرى حسب البرنامج حتى نجر العمل كله - كما هو محدد - في نهاية أغسطس ١٩٦١م بتكلفة كلية مقترنة بمبلغ ٧٠,٠٠٠ جنية منها ١٥,٠٠٠ جنية للصرف على المرحلة التأسيسية. وكان أسطول الترحيل يتكون من خمس سيرات (لاندروفر) وأربع شاحنات.

في هذه الأثناء قمت بطواف على كل قرى المنطقة وعقدت اجتماعات مع الأعيان والقيادات وأخبرتهم بالمشح الذي سوي تنفيذه بعد أن شرحت لهم مبرراته. وأوضحت لهم أن هدفه الرئيسي هو الحصول على معلومات حقيقية لتبنى عليها خطة مشروع إعادة التوطين المستقبلية، والخطوات التي تفود إلى هجره أمة متى ما استقر الرأي عليها.

وشددت على أهمية إدلائهم بإجابة صحيحة على كل سؤال وحثتهم على عدم الملل من طول الاستبيان أو الإحساس بالخرج من طبيعة أمثلته الشخصية. ثم أصدرت تعليمات إلى كل العمد وشيوخ القرى حثاً إياهم للتعاون معنا وموصحاً لهم أن ظهورهم في معية فرق التعداد أثناء عملها سيكون ضرورياً. كان نتائج هذه الاجتماعات والتوجيهات إيجابياً. وبذلك بدأ واصحاً بالنسبة لي أن الأهالي قد أصبحوا - على الأقل - مهتمين ذهبياً للمرحلة الأولى من عملية التهجير ذات المدى الزمني الطويل.

وفي ذات الوقت أنهمسك صباط الإحصاء نوادي حلف في وضع تفاصيل العمل على خريطة المنطقة وعتبرت أقسام الإدارة الأهلية قواعد لانطلاق وحدات التعداد. فتم تقسيم المناطق الريفية إلى أربع عشرة عمودية

وَقُسِّمَتْ كُلُّ عَمُودِيَّةٍ إِلَى (مَشِيحَاتٍ) تَصْنَعُ عِدْداً وَافِراً مِنَ الْقُرَى. وَلِتَحْقِيقِ  
الْهَدَفِ مِنَ عَمَلِيَّةِ التَّعْدَادِ، قُسِّمَتْ الْقُرَى إِلَى أَهْيَاءٍ ثُمَّ إِلَى مَسَارِلَ كَانَتْ كُلُّ مَسَارِ  
يَحْمِلُ رَقْماً مُسْتَسْلاً وَكَانَ الْمَسْرِلُ يُعْتَبَرُ الْوَحْدَةُ الصَّغْرَى لِلْعَمَلِ. وَصَارَ  
تَعْرِيفُ (الْمَسْرِلِ) فِي مُصْطَلَحَاتِ التَّعْدَادِ يَعْنِي بِبَسَاطَةٍ (مَكْفَى إِقَامَةِ مُحَاطٍ  
بِأَسْوَارٍ). أَمَّا لِلْمَسَاجِدِ وَالْمَدْرَسِ وَالْأَدَا حُلِيَّاتٍ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ وَالْمَبَانِي التَّجَارِيَّةِ  
فَلَا يَشْمَلُهَا هَذَا التَّعْرِيفُ. وَتَمَّ تَعْرِيفُ (الْأُسْرَةِ) بِأَنَّهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْرَادِ  
يَعِيشُونَ فِي مَسْرِلٍ وَاحِدٍ وَيَأْكُلُونَ مِنْ إِبَاءٍ وَاحِدٍ. وَحِينَ تَكُونُ هَذِهِ زَوْجَتَيْنِ  
لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَتَأْكُلَانِ مِنْ إِبَائَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، ثَبَانَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُعْتَبَرُ أُسْرَةً  
مُسْتَقِلَّةً. أَمَّا الرُّوحُ فَإِنَّهُ يُسَجَّلُ تَمَعاً لِرُوحَتِهِ الثَّانِيَةِ، بَيْنَمَا تُعَدُّ الرُّوحَةُ الْأُولَى  
عَائِلاً لِأُسْرَتِهَا.

فِي ٢٢ فَبْرَايِرِ اكْتُمَلَتْ أَعْمَالُ التَّحْضِيرِ وَتَمَّ تَقْسِيمُ الْقُوَى الْعَامِلَةِ إِلَى  
ثَمَانِي فِرَقٍ تَتَكَوَّنُ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْ مَشْرِفٍ وَأَرْبَعَةِ عِدَّائِينَ يَعْمَلُونَ تَحْتَ تَوْجِيهِ  
مَعِيشٍ مِيدَانِي فِي الْمَنْطَقَةِ الْمُحَصَّنَةِ لَهُمْ. وَتَمَّ حَزْمُ مَعْدَاتِهِمْ وَأَدَوَاتِهِمْ لِلْمَكْتَنِيَّةِ  
وَحُمِلَتْ عَلَى شَاهِدَاتٍ وَخَادِمَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ لَتَسَلَّمَ مَوَاقِعَهُمْ بِالْمَاطِي الرُّبْعِيَّةِ  
إِبْدَاناً بِبَدْءِ الْعَمَلِ بِأَكْرَأَ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي. وَتَقَرَّرَ أَنْ تَبْدَأَ عَمَلِيَّةُ التَّعْدَادِ  
مِنْ الشَّمَالِ عِنْدَ قَرْيَةِ (فَرْصِ) وَتَنْتَهِ جَنُوباً حَتَّى تَنْتَهِ عِنْدَ (كَوْشَةِ) فِي  
مُوَاجَهَةِ شَلَالِ (دَالِ) .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَمَعَ دُرُوعِ الشَّمْسِ، كَانِ الْعِدَّائُونَ يُشَاهِدُونَ وَهُمْ  
يَنْتَحِرُونَ مِنْ مَسْرِلٍ لِأَحَرٍ مِثْلَ بَاعَةِ اللَّيْلِ - بِطَرَفِ الْأَبْوَابِ وَيَسْتَجِوبُونَ  
أَرْبَابَ الْأَسْرِ وَيَعْتَنُونَ الْأَسْتِمَارَاتِ. وَفِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ بَدَأَتْ أَنْتَبِيعَهُمْ  
لِلْأَطْمَئِنَّةِ عَلَى أَنْ كُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي كَمَا يَرَامُ. كَانَتْ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ جَارَ عَلَى

رصاي. فقد علمت من مفتش الميدان أنهم استقبلوا من الأهالي بالترحاب، بل لم يكتفوا بالتعاون معهم وإنما كان استقبالهم مشوب بالكرم. وشغل تعداد المساكن اهتمام الأهالي فعبروه تقييماً نهائياً تقوم على أساسه إجراءات التعويض. فكانوا يجادلون بأن ما يعترضه العدائون مطيحاً هو هي حقيقة أمره غرفة مدرسية وأن (مراح الدهايم) ينبغي أن يعتبر غرفة صيوبة. وفي (أشكيت) كان هناك إصرار من الأهالي على تسجيل أساسات المنازل كمباري قائمة. وعندما أوضحت لهم الأمر، افتنعوا وأقلعوا تماماً عن إثارة هذا الجدل أثناء سير عملية التعداد ولعلهم أخلوا المجادلة إلى مرحلة لجان التقييم التي طرقتهم فيما بعد. في تلك اليوم عدت إلى (حلفا) بروح معنوية عالية لأن عملية التعداد بدأت بجراح. فقد كانت حدثاً بارزاً للخطوات الأولى التي نقلت النوبيين إلى موطنهم الجديد في حتم الغربة.

واستمر التعداد لأيام من منطقة إلى أخرى. وحال الفراع من منطقة يتم جمع استمارات الاستبيان لتصديفها في مكتب الإحصاء بوادي حلفا ثم ترسل إلى الخرطوم لتحليلها برئاسة المصلحة. وبعد أن اكتملت عملية تعداد السكان والمساكن، بدأ فوراً إحصاء أثاثات ومعدلات المنازل من نقطة (فرص) أيضاً.

وفي منتصف يوليو، تلقيت مرور نسخة مصورة من جداول مسح المناطق الريفية. وفي أغسطس تسلّمت نسخة أخرى تحوي جداول مسح المدينة. وتم طبع التقرير النهائي في مايو ١٩٦١ بتوقيع السيد/ أحمد عثمان إسحاق مدير مصلحة الإحصاء.

كان تقرير التعداد وثيقة بالغة القيمة. فالمعلومات التي تحويها جداولها أرالت كل غمام المحوول وأصبحنا لأول مرة على معرفة تامة بتفاصيل الوضع. فقد تم تجميع أرقام المناطق الاربعة في اثنين وأربعين جدولاً، أما أرقام المدينة فقد جمعت في ثمانية وثلاثين جدولاً بالإضافة إلى أربعة رسوم بيانية. غير أن الملاحظات التحليلية كانت أكثر إثارة. وتمت مقارنة الأرقام ببعضها. ولكي لا يمل القارئ، فيكفي أن أشير إلى النتائج مع أداء ملاحظاتي عند الضرورة.

أشار التقرير إلى أن عدد سكان المنطقة المتأثرين بمياه السد العالي يبلغ ٢٨,٤٧٨ نسمة منهم ١١,٠٥٦ نسمة في مدينة حلما مقارنة مع ٣٦,٠٢٩ نسمة حسب تعداد ١٩٥٥ / ١٩٥٦ بزيادة ٤,٤٤٩ نسمة وهي زيادة طفيفة لا يؤبه لها. ولهذا عرأ التقرير ثبات عدد السكان إلى الهجرة. ونعوق نسبة المواليد نسبة الوفيات في المناطق الريفية بمقدار ٣٩,٦ في الألف و ٣٠,٨ في الألف بالمدينة. وبمقارنة هذه الأرقام بنسبة ٣٣,٢ في ألف لكل السودان، يمكن القول باطمئنان أن عنصر الركود يعود إلى عوامل مفتعلة لا إلى عوامل طبيعية، ويؤيد هذا، العدد الكبير من الغائبين الذين يبلغون ١٤,٧٩٦ .

بدأ توزيع جداول موع الجنس والعمر عربياً. هي كل القرى بلا استثناء يريد عند الإناث عن عدد الذكور بنسبة عالية، كما في (سره شرق وأشكيت وأرقين وقرص غرب وعكاشة). وتدعي قرية سره شرق أن عدد الإناث فيها هو ضعف عدد الذكور. ويوضح توزيع موع الجنس على مستوى المنطقة أن عدد الإناث يبلغ ١٥,٥٦٢ في مقابل ١١,٨٦٠ من الذكور. وبالتقريب فإن نصف الذكور من السكان في الفئة العمرية (١٥ - ٢٠ عاماً)

عائشون، ويشمل ١٥٥ الرقم . بالطبع طلاب المدارس الثانوية ومن كبارهم  
عمراً من الذين يتلقون التعليم في الخرطوم وغيرها، وعلى وجه العموم فإن  
عدد الأطفال يفوق عدد البالغين بسبب نسبة الإنجاب العالية، وبالتالي فإن  
شكل القرى يتلب عليهم عصر النساء والأطفال .

ويوضح جدول الحالة الاجتماعية أن هناك ٤,١٦٥ زوجة يعيش في  
كف أرواجهن بالمنطقة، و ١,٩٤٦ زوجة يعيش أرواجهن خارج المنطقة. كما  
يوضح أن عدد المطلقات يبلغ ٣٨٣ (نسبة عالية في الفئة العمرية ٢٠ -  
٤٠) بينما يبلغ عدد الرجال المطلقين ٨٥ رجلاً لا غير ويعري التحليل هذه  
الظاهرة إلى أن الرجال يتزوجون مرة أخرى بينما تصيق فرص النساء في  
زيجة جديدة. ولنفس هذا السبب يلاحظ أن الرجال الذين ماتت عنهم زوجاتهم  
(١٠٩ من الرجال) هم من كبار السن الذين أدركوا الستين وما فوقها. وتبدأ  
من الزواج في بلاد النوبة بالنسبة للإناث من ١١ إلى ١٥ عاماً، أما بالنسبة  
للذكور فتبدأ من ١٦ إلى ٢٠ عاماً غير أنها تتلغ ذروتها في الفئة العمرية  
(٢١ - ٤٠ عاماً) وتشير الأرقام إلى أن الإناث المتزوجات اللاتي بلعن  
الستين وما بعدها يشكلن حُسن الذكور لا أكثر .

يبلغ عدد العائنين في المناطق الريفية ١٤,٤٣١ رجلاً وهذا يعني أن  
عندهم يفوق المطلوب الكلي من الرجال. وفي قرى (سرة شرق وأرقين  
وفرص غرب وأشكيت وسرة غرب) يتجاوز عدد العائنين عدد المقيمين. وفي  
(دغيم وجمي وفرص شرق وعكاشة وكوشة) تبلغ نسبة العائنين ٥٠ % لا  
أكثر . ومن الغريب أن (بواشات) كانت أقل قرى في عدد العائنين، وبعد  
مراجعة هذه الحقيقة مع توزيع نوع الجنس والفئات العمرية للمقيمين، أستطيع



أن أسنَّج بصفة عامة لـ أسراً بأكملها هجرت من (دعيم وجمي ودييرة)  
بينما طالبت الهجرة - عموماً - الرجال القادرين وأنت إلى تفكك الأسر .

ويُظهر الجدول الحاصل بمحو الأمية أن المنطقة تتمتع بمستوى عالٍ  
من الذين يقرأون ويكتبون بما لا يصرحها أي جزء من السودان (٧٥ % من  
الذكور والإناث في الفئة العمرية ٦ - ١٥ عاماً بالمناطق الريفية والحضرية،  
٣٩ % من نساء المناطق الريفية و ٤٥ % من نساء المدينة) مقارنةً بنسبة  
٢٨ % من الذكور و ٨ % من الإناث - من نفس الفئة العمرية - على  
المستوى القومي. وفي الفئة العمرية فوق ١٦ عاماً، فإن النسبة المئوية هي  
٥٣ % للذكور و ١٣ % للإناث في المدينة و ٥٥ % للذكور و ٢١ %  
للإناث في المناطق الريفية بالمقارنة مع ٢٢ % للذكور و ٣ % من إناث  
لكل السودان. وهذه الأرقام توضح المستوى التعليمي الجيد في منطقة النوبة .

ويشير جدول المجموعات الحرفية إلى أنه من بين ٤,١٠٠ شخص  
يعملون بالزراعة هناك ١٥١٢ امرأة وهذا الرقم الصاعد يوضح النسبة  
العالية للمرأة العاملة في بلاد النوبة بالمقارنة مع بقية أنحاء القطر مما يؤكد  
المكانة السامية التي تتربع عليها المرأة في المجتمع السوداني .

أما تصنيف مصادر الدخل فتوضح أن هناك ٢٦٨٥ أسرة تعتمد في  
دخلها على ما يأتها من الخارج في مقابل ٣٥٩٠ أسرة تعتمد على مصادرها  
المحلية. فالأسر التي فيها من يعتمد على الكسب لا تتلقى دخلاً من الخارج أما  
تلك التي تعتمد على الكسب لها قوتها فإنها تتلقى العون من ذويها  
المعزبين .

ويمكن إجمال نتائج جداول تعداد المنازل التي بلغت ٢٨ جدولاً كما يلي.

- يبلغ عدد المنازل في كل المنطقة ٢٦٧٦ منزلاً، منها ٨٢١ منزلاً من الحجر و ٩٧ من الطوب الأحمر و ٦١٩٢ منزلاً من الطين و ٥٦٧ كوحاً من القش.

- يبلغ عدد المنازل الكبيرة ١٧٤٠ منزلاً، أما المتوسطة فتبلغ ٣٨١١ منزلاً بينما يبلغ عدد المنازل الصغيرة ١١٢٥ منزلاً.

- يبلغ متوسط عدد الغرف في المنزل الواحد بالمدينة ٥,٨ غرفة، أما متوسط عددها في المنطق الريفية فهو ٤,٧ غرفة.

- يبلغ عدد سكان الغرفة الواحدة في المدينة ٠,٩ شخصاً، أما في المنطق لريفية فيبلغ ١,١ شخصاً.

كان الفرص من تعداد الأدوات المرلية والأثاثات هو تمكيني - باعتباري معتمداً للتهجير - من تحديد عدد عربات السكة حديد والقاطرات الكافية - بالتعاون مع سلطات السكة حديد المحلية - سوف أمتعة السكان إلى موطنهم الجديد عندما تبدأ عملية التهجير. ولكي أتوصل إلى هذا الهدف فقد عقدت اجتماعات عديدة مع مفتش السكة حديد السيد / (الدريري الصاوي) ومع كبير المفتشين الميدانيين لمصلحة الإحصاء السيد / أبو سمرة، فاتفقنا أولاً على حصر الأثاثات والمعدات المرلية المعتادة لدى النوبيين في المدينة وهي المناطق الريفية ثم نقوم بإحالة كل وحدة منها إلى نسبة من رنة الطر المتري. ومنى ما تحصلنا على تلك النسبة كان من السهل علينا أن نحسب حمولة عربة السكة الحديد التي يبلغ حجمها ١٠ × ٢ × ١/٢ متر وهذا المعيار - الذي تم استخدامه أثناء عملية إحصاء الأثاثات - كان الهدف منه ترجمة

كل الأمتعة المنزلية في المنطقة إلى عدد من عربات السكة حديد. وبما أن مستوى المعيشة في المناطق الريفية كان متشابهاً تقريباً، فقد اتفقا على عدم أهمية الحساب التفصيلي للأمتعة والاكتفاء باتباع أسلوب (العينة) للوصول إلى هدفنا. ولكن التفاوت الواسع في مستوى المعيشة بالمنطقة جعل من المحتم اتباع طريقة الحساب المعكف.

وجاءت النتيجة في جدولين مطولين لكل منطقة، أحدهما يبين عدد الأمتعة والمعدات المنزلية والثاني - وهو الأهم - يحدد عربات السكة حديد المطلوبة لكل قرية ولكل حي من أحياء المدينة وكان عدد عربات السكة حديد المطلوبة للمنطقة الريفية ١٢٠٦ وعدد العربات المطلوبة للمدينة ٦٠١ عربة.

أما تعداد المواشي فقد تمّت جدولته في تقرير مفصل يتعلق بالدخل والمصروف في المنطقة وهو تقرير مفيد جداً بالنسبة للاقتصاد المنزلي للتوبيين وقد كان هذا التقرير حلقة جيدة لتحطيط ملامح الحياة الاقتصادية لمشروع إعادة التوطير، وبذلك يبيّن أن ترصيع عدد المواشي التي يحتاج إليها المهجرون كما وردت في التقرير.

وفي المنطقة ١٩٣١٥ رأساً من البغال و ٣٤١١٦ من العنم و ٢٨٣١ رأساً من الماشية و ٨٦ حصاناً و ٤١٥ حماراً و ٦٠٨ من الجمال. وبالنسبة للدواجن فهناك ٢٥٠٠٠ دجاجة و ٢٨٠٠٠ حمامة و ١٥٦٤ من البط والأور. وعندما رار أحد مفتشي البيطرة وادي حلفا - في وقت لاحق إبان اختبار المواطن الجديد - تبين له أن المواشي والإبل النوبة تنسب إلى سلالة متدنية

بالمقارنة مع السلالات الموجودة في مديرية كسلا، فأوصاف بأن ستحلص منها.  
فحصت على تراخيص تصدير تمكّن ملاك المواشي والإبل من بيعها في  
مصر بأسعار مجزية.

وهكذا فرغنا من عملية التعداد (التي أجرتها مصلحة الإحصاء بكفاءة  
وبرجعة عالية من الإتقان) في الرمن النصير الذي أتيح لنا. وقد كانت عملاً  
أتيح لنا - بلا شك - معلومات موسوعية عن المنطقة ذات قيمة عظيمة  
ساعدتنا في تخطيط عملية تهجير وإعادة وتوطين أهالي حلفا .

وفي ذات الوقت الذي كان يجري فيه التعداد، تمتّ بتعيين سبع لجان  
لإحصاء أشجار النخيل والفواكه في المنطقة تحت إشرافه صباط إدريين  
خبراء في العمل الميداني وعلى دراية جيدة بمهمة تسجيل أشجار النخيل.  
وبناءً على طلب وجهاء لمصلحة المساتين، قامت المصلحة بإرسال سبعة من  
شابقيه مروحي من ذوي الخبرة الواسعة في تصنيف أشجار النخيل بالإضافة  
إلى ذلك فقد تم توجيه كل شيوخ القرى ورؤساء السواقي لحضور عملية  
الإحصاء .

وفي الاجتماع الذي عقد مع اللجان تم الاتفاق على اعتماد قوائم  
المجلس المحلية التي تحوي فقط عدد الأشجار المنتجة لعرض التعرف على  
السواقي والملاك لا غير . وتم اعتماد التصنيف التقليدي الذي يقسم أشجار  
النخيل إلى: (برتمودة وقنديلة ويراكاوي وجاو) كما تم تقسيم كل الأشجار -  
لأغراض التعويض - وفقاً للفئات الآتية وساء على العمر والتصنيف :

١- الأشجار المنتجة: بما في ذلك (الشتول) التي بلغت خمسة أعوام،  
وطولها - عادة - متر واحد من سطح الأرض.

٢- الأشجار غير المنتجة (الذكور)، والأشجار التي كانت منتجة في السابق وتقدم بها العمر.

٣- الشتول التي بلغت من العمر ثلاث سنوات وأربع سنوات (على وشك الإنتاج)

٤- الشتول التي بلغت من العمر سنة إلى ثلاث سنوات

٥- الشتول المعلقة في الشجرة الأم وهي على وشك فصلها من أمها.

واستبعد الإحصاء الشتول الجانبية الملصقة أسفل ساق شجرة الحبل.

وبعد الفراغ من هذه الإجراءات تمت طباعة الاستثمارات وبدأ

الإحصاء بسهولة وغطى ثلثي المنطقة قبل أن تتفجر أحداث ٢٢ أكتوبر

المؤسفة (والتي سنطرق لها فيما بعد). وتوقف العمل لمدة ثلاثة أشهر، ورفع

التقرير النهائي لي في منتصف يوليو ١٩٦١. وكان إجمالي أصناف أشجار

الحبل كما يلي:

٣٧٢,٧٤٩ شجرة مثمرة

٢٥٦,١٠٤ شجرة غير مثمرة.

٢٨,٨٠٧ شتلة لم يكتمل نموها

٢٨,٩٣٩ شتلة صغيرة

١٩٨,٢٥٨ شتلة لم تفصل من أمها.

بالإضافة إلى: ٢٤٢٢ شجرة موالح و ٣٥٤٠ شجرة فواكه أخرى.

وهكذا فإن الشخص الواحد في المنطقة يمتلك عشر شجرات بحبل منتجة،

قيمة إنتاجها ٧,٥ جنيهات في العام.

تعطي هذه الأرقام فكرة عن حجم العمل الذي قامت به اللجنة التي غطت كل المنطقة سيراً على الأقدام تصف وتقيس أحياناً أطوال الشؤل، ولهذا السبب فف استطالت العملية إلا أن الساتح منها يستحق ما بذل فيه من وقت وجهد.

في هذه الأثناء، أوليت اهتماماً كبيراً لمشاكل ملكية الأرض بعد مجهود مصي فرغ المستاحون من مسح أراضي جميع المواقف وبذلك أكملت السجل فيما عدا الأراضي الزراعية لصوبيتي (بطن الحجر) التي لم يسبق مسحها أو تسجيلها. فتم تعيين السيد/ فرح شوريحي (مدير الأراضي السابق) معتمداً لتسويات الأراضي الزراعية لقرى هاتين الصوبيتين. فوصل إلى المنطقة وهي صحته فريق من المستاحين ومسحة من المصحف الشريف (لأغراض القسم) وبدأ العمل في ديسمبر ١٩٦١. وبحلول شهر مارس ١٩٦٢ أكتمل السجل ولم يبق إلا عمل القصاة الشرعيين - المتوقع وصولهم لاحقاً لئله في تقسيم الأنصبة والقراريط على الأحياء من الورثة.

ولإكمال ترتيبات عمل المحاكم التشريعية، استوجب الأمر إصدار إعلان في (العزينة<sup>(١)</sup>) وفي الصحف العالمية لشهيرة يدعو كل الأشخاص العائنين الذين يحتمل أن تكون لهم أي حقوق تعويض عن الأرض أو النحل أو المنزل، لإرسال دعاواهم إلى معتمد التهجير بوادي حلفا في موعد لا يتعدى شهر يوليو من عام ١٩٦٠. وحل ظهور الإعلان، استقبل مكنتي سبلاً من رسائل النوبيين المهاجرين أغلبها - بالطبع - من القاهرة حيث تعيش حالة نوبية كبيرة، ومن لبنان. ومن عجب أنني تسلمت رسائل من نوبيين يقيمون في

(١) جريدة الرسمية من مطبعة حكومة السودان بسبي Sudan Gazette سرحو

(الولايات المتحدة الأمريكية وهي لندن وليفر يول وسواثري). وهناك رسالتان متميزتان جاءتتا من سيدني (أستراليا) وبومبي، وعندما راجعت محتويات هذه الرسائل مع نوي مرسيها، أبدو دهشتهم لأن أولئك المهاجرين غابوا عن أهلهم لعقود من السنين وكانوا عندهم في عداد الموتى منذ ذلك الحين. وبالرغم من ذلك احتفظت بتلك الرسائل في الملف المخصص للمحاكم الشرعية.

وبدأت جلسات المحاكم .. بعد ذلك فوراً فتم تعيين محكمين إحداهما برئاسة الشيخ حسن الطيب والأخرى برئاسة الشيخ علي صالح (وهما من القضاة الشرعيين السابقين) يعاونهما نائبان وكاتبان. وبما أن طول الجلسات - التي ستعقد في القرى - يعتمد على عدد وطبيعة الحالات موضع النظر، فإننا لم يتمكن من وضع جدول زمني صارم لها مقدماً. ولذلك أصدرنا إعلاناً عن زيارة المحاكم للقرى بترتيب محدد يحوي فقط تاريخ بداية العمل ووجهها أصحاب الدعاوى بتقديمها إلى المحاكم عند ريرتها لقراهم. وبالنسبة للتوبيخين المعرّمين بالشكاوي كانت هذه فرصتهم التي ينتظروها طويلاً. وأنتشر الشعور بالنظّم بعد أن وجد تشجيعاً من خلال الإعفاء من الضرائب. وبدأ بكل شخص - وقد ألقى المحكمة لدى باب منزله - بأحد ورقة ويدّج عليها شكواه انظارا للنقاصي. وتراكمت آلاف الدعاوى مما جعل عمل المحاكم يسير في بطء. وكانت إجراءات النقاصي معقّدة، وكانت سجلات الأراضي موعّلة في القدم بحيث كانت المحكمة في سبيل تقسيم تركة ما بين الورثة - مارمة بالطريق سلسله من القصاص المترابطة. وفي إحدى قصايا للورثة كانت قاعدة الهرم من الاتساع بحيث تطلّب الأمر أن تصدر

المحكمة سبعة وعشرين حكماً رجعاً، وأخبرني الشيخ حسن الطيّب أن  
عشرين شخصاً - في مصر - جاءوا إلى المحكمة يطلبون تقسيم أنصبتهم  
في شجرة نخيل واحدة. وكثيراً ما وجدت المحاكم نفسها تفوض في مستنقع  
من القصايا التافهة وتقسيم الأنصبة في شكل كسور عشوية ولهذا السبب  
جلبت إلى المكتب نصف ستة من الآلات الحاسبة كانت حير معين إبان  
عملية التعويضات.





## **الفصل العاشر**

**إختيار موقع إعادة التوطين  
(العمل الميداني)**

دعوني الآن أعود إلى الخرطوم لأقوم بتسجيل سلسلة من الأحداث التي تلت زيارة الرئيس عود لودي حلفا.

ففي ٩ فبراير ١٩٦٠ عين مجلس الوزراء لجنة لإعادة توطين أهلي وادي حلفا، تتكون من خمسة وكلاء ووزارات، يمثلون وزارة الداخلية ووزارة المالية والاقتصاد ووزارة الزراعة ووزارة الري ووزارة الأشغال، ويرأسه السيد داؤود عبد اللطيف محافظ مديرية كسلا. ولأن السيد داؤود كان إدارياً وروبياً وأحد موظفي الخدمة المدنية الكبار فقد كان اختياره موقفاً كانت اللجنة بمثابة جهاز استشاري لوزير الداخلية وتحنص بالصلاحيات الآتية.

١- تحديد أسلوب تنمية منطقة إعادة التوطين وتوزيعها إلى قطع سكنية وتحديد مستوى سائتها.

٢- تقدير سبب التعويض عن الأراضي في المنطقة المتأثرة بمياه السد العالي وتحديد الأسس التي تقوم عليها.

٣- التنسيق بين المصالح الحكومية المرتبطة بتنمية منطقة إعادة التوطين وتحويل الأشخاص الراغبين إليها

وفي مطلع هذا الشهر تدارست اللجنة المقترحات المتاحة لوطن بديل لأولئك الأهالي، فاحتارت ستة مواقع للتعرف على مدى ملاءمتها لإعادة التوطين وهي وادي الحوى (في منطقة دنقلا) وشمال مشروع الجزيرة (جنوب الخرطوم) ومنطقة الكدرو (شمال الخرطوم) وامتداد المقاتل (غرب مشروع الجزيرة) وود الحداد (بالقرب من سار) وحشم القرية (في مديرية

كسلاً). ووجهت اللجنة كل المصالح المعنية بجمع كل المعلومات الضرورية عن كل منطقة بدلتها لتتمكن من تحديد ملاءمتها لإعادة التوطين

وفي ٢١ مارس ١٩٦١ قام السيد داوود عبد النظيف بزيارته الأولى - كرئيس للجنة - إلى وادي حلفا. فطلع على سير عملية التعداد وأتيح له الفرصة لأناقش معه برنامجا الموصوع لرصد أشجار البيل والخطوات التي إتبعناها بوضع سجلات الأراضي في صورتها النهائية، ثم شرعنا في جولة حاطفة على المنطقة ربما فيها - تقريبا - كل القرى. وفي ٢٣ مارس خاطب السيد داوود جمعا يقدر بـ ٣٠٠٠ شخص بمدينة وادي حلفا، فأدلى في خطابه - بمعلومات حول برنامج تحرير مياه السد العالي قائلا إنه بحلول عام ١٩٦٣ ستصل الموجة الأولى من الفيض إلى ارتفاع الكنتور<sup>(١)</sup> ١٣٥ مما يعني أن مدينة حلفا ستكون قد غمرتها المياه، وسترتفع مياه البحيرة حتى تصل الكنتور ١٨٥، وحيثما ستكون المدينة على عمق ٥٠ مسترا تحت سطح الماء. وأضاف إنه لا يتوقع أن ينحسر ماء البحيرة إلا في مستويات المنخفض الحاد في مياه نهر النيل، وحتى في هذه الحالة فإن فترة انحسار الماء ستكون قصيرة لا تسمح بالزراعة. وسيصاحب هذا الوضع، استقرار مركب للأراضي الزراعية حول أطراف البحيرة يستحيل معه العيش والإقامة ثم أعلن لأول مرة مواقع الخيارات الستة لإعادة التوطين وأعطى نبذة موجزة عن كل منها شملت الأحوال المناخية والتربة والري والاتصالات وعند حديثه حول البعويضات، قال داوود إن المسألة برمتها

<sup>١</sup> اصطلاح جغرافي يندل للإرتفاع منسوبه إلى سطح البحر - متر م

سنتكون موضوع الدراسة في ضوء الأحوال السائدة في الموطن الجديد عدد  
احتياز موثقه .

وعزا في ختام خطابه المكاسب الكبرى التي تحققت للإنسان إلى  
الهجرات المتتالية في تاريخ الأمم وصرب بالأمريكيين مثلاً له معراه .  
كان لهذا الخطاب أثره المرمي إلى جانب تركيزه لأفكار الأهالي  
المبعثرة في سياق فكر محدد . فبدلاً من الحديث عن حلفاء وأشجار بحيلها،  
فقد طفقوا يعتنون مرأيا وعيوب المواقع المرشحة. وباختصار فقد أصبحوا  
مهمومين بقضية التهجير .

وبما أن كل المواقع المقترحة كانت ممسوحة ومدروسة من قبل  
بواسطة الإدارة البريطانية، فلم يكن صعباً على اللجنة أن تجمع المعلومات  
المطلوبة. وكانت منطقة الكدرو هي الوحيدة التي تحتاج إلى مسح وتحليل  
للتربة وهذا ما تم إجاره في وقت قياسي بواسطة مصلحة المساحة ووزارة  
الزراعة. وهكذا - عند مغادرة السيد/ داوود للمركز كانت كل الحقائق  
والأرقام في متناول اليد. فقامت اللجنة بصياغة مكررة مطولة تحوي  
المعلومات الأساسية من كل منطقة لتكون مرشداً للاختيار النهائي للموطن  
الجديد. وفيما يلي ملخص لسقاط الرئيسية: -

#### (١) (ولدي الخوي):

يوجد هذا الموقع على الضفة الشرقية للنيل في مركز متقلاً ويمتد من  
قرية (ملواد) قبالة (الحدائق) إلى (أبو قاطمة) على الحدود الشمالية للمركز .  
وباستثناء ثلاث قرى صغيرة فهو حال من السكان ومعالمه الرئيسية أنه شبه  
صحراوي ويتميز بجمال رملية مبعثرة وكثبان تفصلها عن بعضها مساحات

صغيرة من الأرض الطبيعية المبسطة ذات درجات متفاوتة من الخصوبة  
وسطحها غير سيك ولا يتعدى عمقه في الغالب - ثلاثة أقدام يضاف إلى  
ذلك نسبة الملوحة العالية في بعض أجزائه مما يستدعي عمليات استصلاح لا  
تنتهي .

تقدر المساحة الصالحة للزراعة في هذه الأراضي المتناثرة بـ  
١٢٩٠٠٠ هكتار لا يمكن ريها إلا بالظلميات (المصحات) بكل ما يعي ذلك من  
تكلفة واستهلاك. ثم إن نسبة امتصاص التربة للماء عالية جداً مما يستوجب  
أن تبني كل قنوات الري من الأسمنت.

والطقس جاف على مدار العام مع اختلاف بين درجات الحرارة  
بين الشتاء والصيف، مما يجعله شبيهاً بطنس ولدي حلفاء. وبما أن أرض هذا  
الموقع حلوية فإنها حالية من الأمراض المستوطنة لكن المناطق المحاورة لها  
موبوءة بالبلهارسيا و البودة الشريطية والملاريا. وإذا فهناك احتمال فنقلها  
إليه حال اكتصاطه بالسكان .

والمحاصيل الرئيسية التي يمكن زراعتها في (وادي الحوي) هي القمح  
والشعير و اللوبيا والبصلة والحمص والترمس وكل أنواع النخيل الصحراوية  
بالإضافة إلى الخضروات والفواكه والخروع والقنب (نبات قحيش) والتي  
يتوقع أن تحرر زراعتها نتائج طيبة.

ومن الناحية الاجتماعية فإن المناطق المجاورة يسكنها البدائل والمحسن  
الذين هم - في الأصل - بويوتون يمتون بصلة القرابة لأهالي حلفاء.

## (٢) منطقة الكدرو:

يقع هذا الموقع في الأطراف الشمالية لمديرية الخرطوم بمساحة تقدر بـ: ٥٥٠٠٠ فدان في سهل منبسطة وتربيته طينية سميكة مشبعة بنسبة عالية من أملاح الصوديوم. وفي بعض الأماكن من الموقع - فإن التربة تختلط بنسبة عالية من الرمل والحصى، وخصوبتها تعتبر من الدرجة الثالثة، ولا يمكن ربيها إلا بالمصنعات كما هو الحال في (وادي الحوى) .

وهذا الموقع يمكن توسيعه ليشمل مساحة إضافية قدرها ٨٠,٠٠٠ فدان على الضفة الشرقية لليل الأزرق جنوب الكدرو. لكن التربة هنا فقيرة أيضاً، كما أن المنطقة مأهولة بالسكان بصافة إلى أن الحقوق المكثفة التي يحورون عليها ستجعل من الصعب تمليك الأرض أصلي للعائدين.

والظروف المناخية لهذه المنطقة شبيهة بالنمط في الخرطوم مع هطول أمطار متوسطة. وهناك إمكانية لزراعة القمح والشعير واللوبيا والبرسيم والذرة والبصل والخروع. ولكن وزارة الزراعة حذرت من أن الإنتاج المتوقع لن يكون مربحاً.

تسكن في المنطقة قبائل الجعليين والبطاحين التي تحترب تربية

الحيوان .

## (٣) شمال الجزيرة:

يقع هذا المكان على الحافة الشمالية الغربية لمشروع الجزيرة (المنطقة المروية) ويمتد من مشروع (أبو قوتة) إلى قسم (كاب الجداد) بمساحة ٦٠,٠٠٠ فدان وتتكون تربيته من أرض طينية سميكة تحتوي على نسبة عالية من أملاح الصوديوم في الجزء الأوسط منه، لكن الأرض تكتسي بطبقة

من التربة ذات حصوبة من الدرجتين الأولى والثانية بالقرب من كاب الحداد وأبو قوتة. ويمكن ري المنطقة كلها من امتداد الماقل وزراعة محصول الدورة الزراعية لمشروع الجزيرة من قطن وثرثرة ولوبيا.

المناخ هنا يشبه مثله بمنطقة الكدرو مع هطول أمطار غزيرة. والمنطقة مهددة بالمalaria والبلهارسيا المنتشرة في المشروعات الزراعية المجاورة

ويرحب سكان أبو قوتة وكاب الجدلا بإعادة التوطين المتوقعة للنوبيين في هذه المنطقة.

#### (٤) امتداد الماقل:

تم تحديد هذه المنطقة لتكون امتدادا لمشروع الماقل، وهي تحيط رقعة من الأرض مساحتها ١٤٠,٠٠٠ فدان وتُصنّف حصوبتها من الدرجة الأولى وبالتالي فإن محاصيلها ينبغي أن تتبع النظم التقليدية للدورة الزراعية ومناخ المنطقة شبيه بمناخ وسط الجزيرة وأمطاره تصل إلى ٣٥٠ ملم. أما الأمراض المتوطنة هنا فهي الملاريا والبلهارسيا ، ويمكن امتداد الماقل لا يرحبون بإعادة توطين النوبيين في منطقتهم على نقيض سكان (كاب الحداد).

#### (٥) ود الحداد :-

يضم هذا الموقع ٥٠,٠٠٠ فدان من أرض ذات حصوبة من الدرجة الأولى، ويتبع في الطرف الجنوبي لمشروع الجزيرة ويمكن ريه من القناة الرئيسية لمشروع الماقل بواسطة المصحات (الطلمبات) حيث يمكن زراعة محاصيل الدورة الزراعية التقليدية بالإضافة إلى النجاح المتوقع لزراعة

الحضروات والعواكه. والأحوال المناخية لهذه المنطقة شبيهة بمناخ الحريرة إلا أن الأمطار أغزر هطولاً.

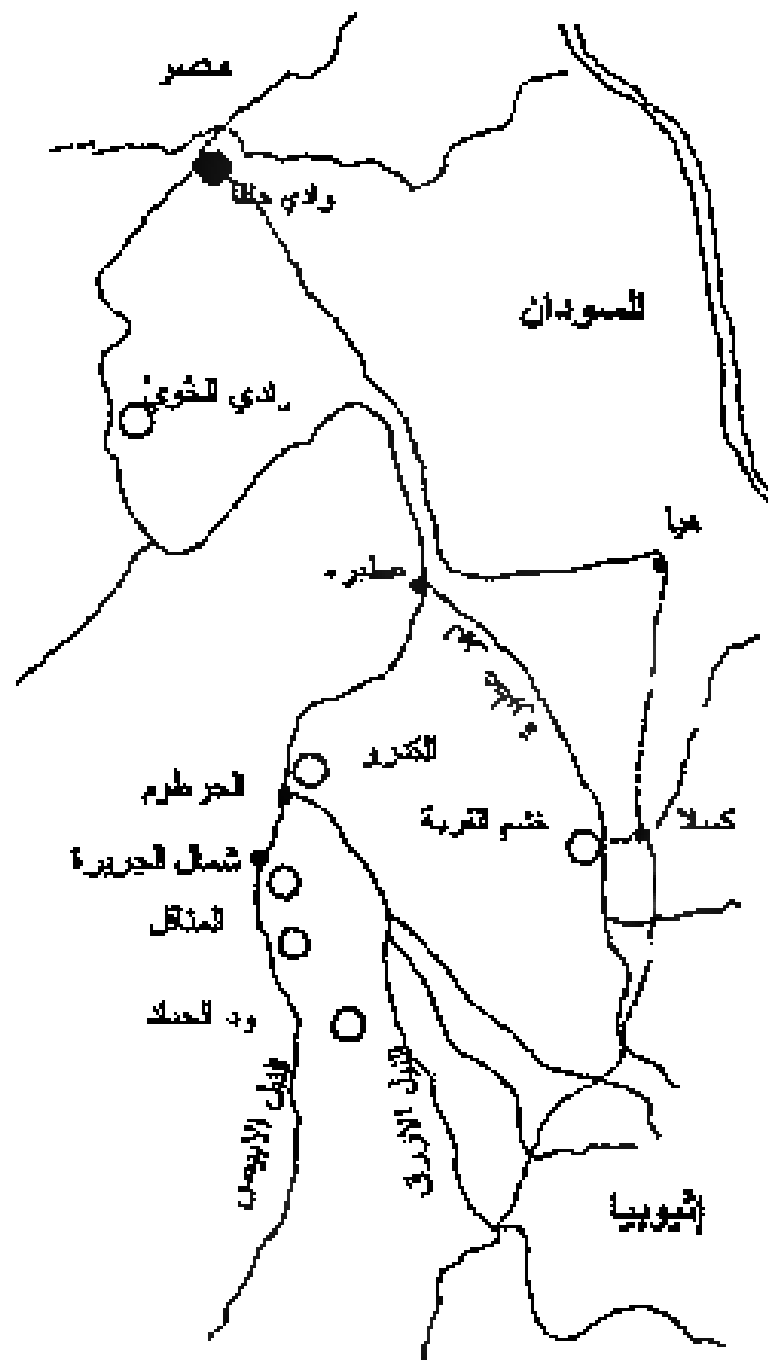
وهذه المنطقة موبوءة بالمalaria والبهاارسيا والكلازار، ولا يسكنها إلا التشاديين. وهي كذلك معرضة للإنتشار الموسمي للجذري والحمى لراجعة.

(٦) خشم القرية :-

المشروع المقترح لهذه المنطقة يشمل كل السهول الشمالية لأرض البطانة بمساحة قدرها نصف مليون فدان على امتداد الضفة العربية لنهر عطبرة من قرية خشم القرية (في الجنوب الشرقي) إلى قور رجب (في الشمال الغربي) وهي منطقة ذات أرض مبسطة بكر مغطاة بطبقة طينية رقيقة. وأثبتت تحليلات التربة أن معظم أراضي المنطقة تمتلئ بخصوبة من الدرجة الأولى غير أن الخصوبة تتناقص في اتجاه الشمال الغربي إلا أنها لا تندهور إلى ما دون الدرجة الثانية. وستروى المنطقة بقناة رئيسية تتغذى من الخزان المقترح عند مصري النهر بقرية خشم القرية، وستخصص مساحة ١٢٥٠٠٠ فدان في أي جزء من المشروع للمقيمين الجدد، حيث يمكن زراعة القمح والقطر والحريرة وقصب السكر والقنب والخروع بالإضافة إلى الخضروات والعواكه التي يتوقع أن يكون إنتاجها جيداً. والأحوال المناخية معتدلة طوال العام مع اختلاف بسيط في درجة الحرارة بين الشتاء والصيف (٢٦ مئوية في يناير و ٣٢ مئوية في مايو) ومتوسط هطول الأمطار ٣٩٠ ملم



# المواقع المقترحة لإعادة توطين أهلي حلفا



100  
متر  
1  
ميل

المواقع المقترحة للنهر  
طريق النهر



البلديات مستوطنة في هذه المنطقة ومرص الزهرى منتشر في  
القنائل المترحلة التي تجودها ولقرب المنطقة من انقصار فإنها ستكون  
جانباً لمرض الكلازار عندما يكتمل نموها.

ويقال أن القنائل المترحلة - في المنطقة - كان شعورها مشوشاً بجاء  
توطيب النوبيين لكن شيوخ قبيلة الشكرية رحبوا بهم مؤخراً كجيران  
واعدت اللجنة ملحقاً للمذكرة أوصحت فيه أنها لم تضع خطة لتطوير  
وسائل المواصلات في المناطق المقترحة لإعادة التوطين، لكنها بصدد تحديد  
رأيها فيما يتعلق بإمكانية إقامة شبكة مواصلات في المنطقة التي يتم اختيارها  
تربطها بباقي أجزاء القطر. وأصافت اللجنة القول بأن مسألة تسويق الإنتاج  
والتنمية الصناعية تعتمد بشكل أو بآخر - على كم وكيف الإنتاج الزراعي،  
وعلى الموقع الجغرافي لمكان إعادة التوطين وظروف المواصلات المحيطة  
به، ولذلك فقد قررت تأجيل النظر في هذه المسائل إلى أن يتم تحديد الاختيار  
النهائي للوطن الجديد، وقد يجد القارئ في الملاحظات التالية ما يسترعى  
انتباهه:

أولاً: -

لا أحد مريباً يدعو اللجنة إلى صمم منطقة الكدرو إلى قائمة للخيارات  
لأن كل المعلومات التي أتاحت حول هذا الموقع كانت تدعو إلى استبعادها.  
فمساحتها ضيقة وتربته عقيمة وغير مهيأة لإنتاج أي محصول ذي قيمة إلى  
جانب ذلك، فإن الأرض لا تمتاز بأي مقومات أخرى من أي نوع ليعتمد  
عليها السكان في معاشهم. ولو كان لهذه المنطقة أي إمكانية للتوسع الزراعي  
لم هجرها أصحاب المشاريع الزراعية في مديرية الخرطوم أمثال (السيد

على الميرغني وأبو العلا ومحمد الحلبة شريف) ولما أقاموا مشاريعهم في مناطق بعيدة مثل (البسطة والسوكي وسروقا والربك) والصفة الوحيدة التي تميز هذا الموقع عن بقية المواقع المختارة هي القرب من الخرطوم. وهذا لا يعرّي ولا طبقة الموسريين من الأهالي الذين قد يرغبون في استثمار أموالهم في التجارة بالعاصمة ويعيشون حيث يكون عملهم. أما بالنسبة لأغلبية الأهالي الفقراء الذي يتطلعون إلى رفع مستوياتهم المعيشية وتحسين أحوالهم عن طريق الحصول على أراضٍ أوسع تدر عليهم الفائدة، فإن هذا الموقع محبّب للأمال. وإذا كانت اللجنة قد وصفت الأهمية الزراعية للموقع في مؤخره إهتماماتها، فلماذا تجشمت المشقّ تجوّب السودان كله لتستطلع الإمكانيات الزراعية؟ وإذا كانت المسألة قد إحصرت في جانب الإسكان وحده، فما أسهل حلّها بتخطيط امتدادات سكنية بالخرطوم أو أم درمان لاستيعاب النوبيين.

أن محدد تصميم هذا الموقع في سلسلة الخيارات - برغم كل جوانبه السالبة - يوحى بصلاحيته لإعادة التوطين. وكما سبّر لاحقاً فقد تم استغلال هذه الصفة بصورة واسعة بواسطة الطبقة الموسرة التي حاولت تطويع الخيار ليلائم مصلحتها الدنيّة.

## ثانياً :-

أسست كثيراً لعدم الدقّة اللحنّة إلى عناصر المواصفات والتطور الصناعي المستقبلي لكل موقع وحدوده العامة وتكلفته وعوامل نجاحه. وهذه النقاط بالغة الأهمية لأنها جزء مكمل للمعلومات المطلوبة التي يتم عبرها تقييم المواقع. ومن جملة المواقع الستة - التي كانت تحت الدراسة - لم يحظ إلا (الكسرو وود الحداد) بتسهيلات لخدمة العكة حديد. أما وادي الحوى فقد

كان منطقة معرولة، ولو تم اختياره لإعادة التوطين لاحتاج إلى مئات الأميال من الخطوط الحديدية لتربطه بالمحطة (مرة ٦) التي تقع في وسط صحراء العثمور أو سب مجهود عظيم لتعبيد طريق وعز طوله ٢٥٠ ميلاً لتسهيل تصدير القمح إلى السوق التقليدي في مصر وسيكون هذا الطريق أكثر تكلفة - بلا شك - من إقامة القنوات الأسمتية. أما الامتداد الشمالي لمشروع الجزيرة ومشروع الصاقل فإنهما حلوا من خدمات السكة حديد وعاطلوا عن الطرق المعبدة غير أن مد الخط الحديدي الذي يربط حشم القرية بخط الخرطوم - كسلا، قد تم تصميمه في خطة مشروع هذا الحبار .

وبالسبب للتنمية الصناعية، فإن موقع حشم القرية هو الوحيد الذي سيتمتع بالإمداد الكهربائي (من الحران المقترح) كما أن المحطة تشمل صناعة السكر وحلج القطن. غير أن المواقع المقترحة الأخرى لم يخطط لها على هذا المنوال ولم أكن أرى لِمَ لذلك التخطيط في المستقبل القريب - نظراً لأن المواد التي تنتجها لن تفي بحاجات صناعة صحمة .

ولو شملت المذكورة كل هذه النقاط لاتصحت الصورة الإجمالية وليس من اتخاذ القرار النهائي. لكن دعونا نعود إلى وادي حلف لنرى الأحوال عقب زيارة السيد داؤود عبد الطيف وخطبه المفتوح، تاركين للنوبيين الإنهماء هي تقليد حيارات إعادة التوطين على ضوء المعلومات العامة التي وردت في ذلك الخطاب. فمسند البداية كانت جهات البطر متصارية، إلا أنها أحدث تبلور في شكل تكتلات يسعى كل واحد منها إلى تحديد موقعه تبعاً لما تعلبه مصالحه فأهالي دغيم الذين كانوا الأكثر ثقافة وغنى في المنطقة الريفية، حصروا رغبتهم في ما يحور الخرطوم وبالتالي تأرجحت أفكارهم ما بين

مستطقة الكدرو والإمتداد الشمالي لمشروع الجزيرة، وهناك قطاع واسع من أهالي أشكيت وديره فصلوا حشم القرية بينما انحاز أهالي صرص وعكشة وجمع من أهالي نديره إلى حيار وادي الحوى. أما أهالي أرقين وعرص فقد فصلوا شمال امتداد مشروع الجزيرة وبالسبة لحيل السافل فلم يجد مؤيداً له. ويلاحظ أنه حتى هذا الوقت - لم يعارض التهجير أحد، غير أن المنطقة برمتها كانت عرصة لحملة دعائية مجسومة انقلبت حالاً إلى جو من التوتر الجسيم. كل هذا كان يجري أثناء إعداد اللجنة لتعاضيل المستقرة.

في بواكير أبريل عقد السيد داوود مؤتمراً صحفياً بالخرطوم أكد فيه أن الأهالي سيحتارون بحرية موطنهم الحديدي وقال إن وفداً منهم سيرور الخرطوم لمقابلة المستشارين العنيين ومناقشة القضية معهم وسيراقبهم إلى المناطق المقترحة ويطلعونهم على كل المعلومات التي جمعتها اللجنة عن كل موقع. ثم أضاف أن الوفد عزم يعود إلى وادي حلفا، فإن الأهالي سيحتارون الخيار الذي يناسبهم. ثم قال: (إن اللجنة ستقوم بإعداد قائمة بالخيارات الستة مرتبة حسب رغبة الأهالي، وتضعها أمام الحكومة لتتخذ القرار النهائي). كانت هذه الجملة غير ذات قيمة، إذ أن الجزء الأول من النيار أعطى انطباعاً بأن الخيار النهائي سيكون من حق الأهالي. فجاءت الفقره الأخيرة لتلغي هذا الفهم وتضع خيار الأهالي في قالب استشاري لا غير وتجل القرار النهائي في يد الحكومة. وهذا يمثل حدثاً بالوعد الذي قطعه الرئيس عود في خطابه الشهير بولاي حلفا.

عندما أطلعت على هذا النبر في الصباح، ساورني شعور بأن الحكومة قد شرعت بالفعل في أحد الأمر بيدها وأن داوود - الذي وجد نفسه

يدور في دومة قد عالج الدين بذكاء بحيث يبين أذهان الأهالي تدريجياً للنتيجة النهائية، ولكن الأهالي - الذين أرصاهم الجراء الأول من البيان - لم يعيروا إنتباهاً كاملاً لما يناقشه من معنى في آخره، فكان تعاملهم - على وجه العموم - إيجابياً أما بالنسبة للجنة المحلية التي كان عليها تأليف الوفد، فقد كان المؤتمر الصحي محكاً حرجاً لها لأن مقدرتها على المشاركة في مسئولية تقرير المصير ستكون عرصة للامتحان

وأظن أنه من المناسب أن أفيد القارئ بشيء عن اللجنة المحلية التي تصدت لمهمة قصيرة لكنها - في نفس الوقت - ذات قدر حليل في الأحداث التي تناولها هذا الكتاب.

في عام ١٩٥٤ - عندما قرّر المصريون إقامة السد العالي كان أهالي حلفا منتبهين إلى أن أرصدهم ومستقبلهم قد أصبحا في كف القدر ولم تُبد حكومة السودان - التي رأت في موقف الأهالي من بناء السد تعضيداً لموقفها التفاوضي عندما يحين وقت التفاوض حول مياه النيل - أي معارضة لهذا المشروع. لكنني كنت تترك المحاضر التي ستقع على وادي حلفا وأهلها نتيجة للموافقة عليه وتم إنشاء مكتب خاص بوزارة الداخلية لتقدير الخسائر المحتملة وبعد ذلك تفاصيل الممتلكات المعرضة للصراع بأرقام مالية - حتى تتمكن الحكومة من الوقوف على قاعدة صلبة عند مطالبتها مصر بالتعويض. وكان على رأس هذا المكتب السيد (محمد خليل بتيك) الإداري النوبي الذي أوكل إليه ملف السد العالي .. في ذلك الحين حصل الأهالي على ابن بتكوين جنة محلية لتعمل جنداً إلى جنب السيد بتيك وتساعد في مهامه المتعددة. وحال إطلاق العمل، بدأت مفاوضات مياه النيل، وكان وفدا برئاسة مير عسي

حمرة - وهو حينئذ وزير الري - قد أحرر في بداية التفاوض تقدماً ملموساً بالقاهرة. فقد وافق السودان على إقامة السد العالي وبالمقاس وافقت مصر على بناء حراس الرصيرص على النيل الأزرق وحزان حشم القرية على نهر عطبرة. ثم إتفق الجانبان لاحقاً على تكوين لجنة مشتركة لتقدير حجم التعويضات التي ينبغي دفعها لتغطية قيمة كل الممتلكات التي ستعرض للغرق في بحيرة السد داخل النوبة السودانية. ول سوء الحظ فقد تعثرت المفاوضات - حصول مسألة قسمة المياه - ثم توقفت. ونتيجة لذلك تم حل اللجنة المحلية. وجير بالذكر أن نقول - هنا أن فكرة مشروع حشم القرية قد طرحت في ذلك الوقت - بواسطة السيد ميرعي حمرة لتكون موقعا لإعادة توطين نوبي وادي حلفا.

وعندما تم التوقيع على الاتفاقية في عام ١٩٥٩، أصبح مصير وادي حلفا محتوماً وبرزت حاجة ماسة لتكوين كيان محلي لمساعدة الحكومة في التعامل مع هذا الموضوع الحيوي والتعاون مع السلطات المحلية في حل المشاكل المعقدة المتعلقة بتصفية الأملاك الثابتة وترتيب عملية التهجير بأمر وسلام. وعندما أعلن الرئيس عبود عن ريارته لواء حلفا، إغتم الأهالي تلك المناسبة وكونوا لجنة محلية بمبادرة منهم. وصمت اللجنة فروعاً تم اختياره على مستوى القرى بحيث تمثل كل قرية بمقعد أو أكثر في اللجنة المركزية. كذلك تم تقسيم المدينة إلى أحياء ذات لجان فرعية، وجاء تكوين اللجنة المركزية من ثلاثة وأربعين عضواً يسم بلعت عصوية اللجان الفرعية الالاف. ورأس اللجنة المركزية (أحمد شريف داوود) أحد ملاك الأراضي في مدينة وادي حلفا وكان سكرتيرها (عبد الرحيم محمود) أحد تجار قرية

دعيم، وبالرغم من أن التكوين كان يبدو جيداً ومعقولاً (إلا أنني كنت أحس بأن بعض الشخصيات المهمة أبعثت نتيجة لحلافات محلية .

وفي ١٩ أبريل تلقيت توجيهات من لجنة إعادة التوظيف تحثني على اختيار الوفد وإرساله إلى الخرطوم في غضون ثلاثة أيام. وقد استحوذت هذه الأحداث على عناوين الرئيسية في صحيفتنا المحلية. وفي اليوم التالي جاء إلى مكنتي رئيس اللجنة المحلية وسكرتيرها. وقدما قائمة بأسماء أربعة عشر إسمًا وادّعى أن الاختيار قد تم بواسطة اللجنة ليكونوا هم الوفد. وعند إطلاعي على الأسماء، لم يراونسي شعور بضرورة استبعاد أي منهم لكنني لاحظت أن المؤيدين لخيار مناطق ما حول الخرطوم كانوا يشكلون تمثيلًا عاليًا. فأحبرتهم أنني سأقبل القائمة ونكسي احتفظت لنفسني بالحق في إضافة أسماء أخرى حتى تتوافق مع المهمة المقررة للوفد المسافر إلى الخرطوم وتتماشى مع الأهمية الملقاة على عاتقه. فرفضوا قبول وجهة نظري بحجة أنهم هم الممثلون المفوضون من قبل الأهالي ويعترضون على إضافة أي شخص إلى القائمة التي تقدموا بها وإلا فإنهم - إذا أصررت على رأيي سيسحبون. وعندما شعروا بإصراري على وجهة نظري، خرجوا من المكتب محبطين وقد خاب رجلاؤهم. عندها تبين لي - حقيقةً - أنهم كانوا يعترضون على ضم أسماء لا تتماشى مع رغباتهم. وكان هذا مؤشراً واضحاً على أن الحلافات المحلية بدأت تلقي بطلانها على قضية التهجير. وفي اليوم التالي دعوتهم إلى مكنتي وبعد حديث طويل اقتنعوا بوجهة نظري وسحبوا اعتراضهم. وتمت إضافة ثمانية أسماء ليرتفع الوفد إلى اثنين وعشرين عضواً من ضمنهم السيد (علي أحمد علي) ممثلاً لطبقة المتعلمين والسيد (جريس) ممثلاً لمنطقة السكوت التي



ستتأثر بمياه بحيرة السد، والشيخ صالح عيسى عبده (صالحين) رئيس الإدارة الأهلية في المنطقة ثم عيّنت السيد محمد علي عبد الرحمن الصابط التنفيذي للمجلس الريفي بمراقبتهم كمصانط ارساط. وفي ٢٦ أبريل غادر الوفد محطة وادي جلفا وكان في وداعه حشد كبير مبهج من الجماهير.

وعند وصول الوفد إلى الخرطوم قام برحلة محاملة إلى القصر حيث عقدوا اجتماعاً ودياً مع الرئيس عبود وألقى أحمد شريف حصاناً مطولاً رد عليه الرئيس مؤكداً لهم أن قضيتهم تأتي على رأس همومه وأنه قرر تعويضهم بوطن أحسن ذي تخطيط حديث وبمستوى جيد من الخدمات وبمشروع إغاشي يضمن مستوى أفضل من المعيشة لهم ولأجيالهم القادمة. وأفادهم كذلك أنه قد وجه كل المصالح الحكومية والوزارات لتكيز جهودها وطاقتها من أجل بناء وطن النوبيين الجديد، ولإعطائه الأسبقية على كافة مشاريع التنمية الأخرى. ثم عقد الوفد - بعد ذلك - اجتماعاً مع لجنة إعادة التوطين وقف فيه على كل المعلومات المتاحة عن المواقع المقترحة وتبع ذلك نقاش مطول مع المستشارين النوبيين الذين شرحوا كل شيء وأجابوا على الأسئلة. وفي ٢٨ أبريل شرع الوفد بصحبة المستشارين في جولة على تلك المواقع .

وفي منطقة الكنرو أكد الحيدر الزراعي عيوب الثربة وعدم ملائمتها للتنمية الزراعية ثم أفادهم أن إنتاج سواقي الخرطوم بحري هو الأسوأ في سجل وراثته. بعد ذلك أنتقل الوفد بالسيارة إلى الإمتداد الشمالي لمشروع الجزيرة. وفي قرية (كاتب الجدان) تجمع الأهالي في حشد كبير على امتداد الطريق للترحيب بالوفد ترحيباً حاراً، ورفعوا شعارات مثل (غاش البرابرة)

(مرحباً بكم في دارنا لتنمية المنطقة من هنا إلى الخرطوم) ومن الوفد عبر السهل المقترح لإسكانهم ثم قام بزيارة قصيرة إلى قسيمي (الغرايين) (و أبو فوته) حيث وقفوا على مساكن المزارعين. ولعل الإنطباع الحسن الذي تركته هذه المساكن في نفوس الوفد بالإضافة إلى الاستقبال الحافل الذي لقيه في كاب الجداد ، قد برز لا يردأ وسلاماً على موهدي أرقين. أما بالنسبة لمطيفة المناقل فقد اتصف الطابع الوفد بالامتنان. ثم استقل الوفد القطار إلى واد الحداد حيث عمقت إقامة بعض العناصر التي تطل على هذه الناحية، المحاوف حول الأراضي الصحية والأمنية فيها. وبعد قضاء وقت قصير في القصارف، واصل الوفد رحلته إلى حشم القرية حيث استراح قليلاً ثم توجه مباشرة إلى الموقع المقترح للخزان. وهناك كانت رؤية نهر عطبرة أول تجربة لمعظم أعضاء الوفد وكان منظر (الكرب) وهي مسعدة واسعة من الكثبان الترابية ذات أحاديث عميقة غريبة الشكل، قد ترك قزراً سائلاً في نفوسهم وقال لي العمدة صالحين عدد عودته: (لقد ذكرتني تلك التضاريس بالعمق الذي كان سيدنا سليمان يحبس فيه الجن). وكان ما قاله يتفق مع انطباعي عندما رأيته في وقت لاحق. ثم قام الوفد بجولة طولها خمسون ميلاً عبر منطقة المشروع المقترح وهي أرض قعر منبسطة حالية من الحياة سوى ما يتراءى للعين من سراب يتراقص على مد البصر. وتوقف الوفد في منتصف المنطقة لاختيار خصوبة التربة. كان الموسم أواخر أيام الجفاف حيث لا تبدو أي آثار لعشب مما أثار شكوك صالحين فسأل عن هذه الطبيعة الجرداء فأجابه الشيخ محمد حمد أبو سس بطر الشكرية (الذي كان يرافق الوفد) بأن المنطقة كلها - أثناء الحريف - تكتسي بخصرة غنية بالمرعى تتجول فيه قطعان إبلهم. فالتسم - عندها -

صالحين وقال (لكي لا أرى أي نعر يوكد هذا الرعم) وكانت ملاحظته صادقة لأن تلك الساحة بالتصيد كانت خالية من البعر، لكن إفاء الساطر كانت أمينة أبصا. وجادل محي الدين محمد عيسى - الذي «حجز» الحبار (وادي الحوى) وكان عدواً لدوداً لحبار حشم التربة - جدالاً عصبياً مع حبير التربة مدعياً أنه يملك معلومات خاصة لا يتطرق إليها الشك بأن طبيعة أرض المشروع انحيولوجية تتكون من طبقة رقيقة من التربة لا يتجاوز عمقها قدم واحد تليها طبقة صلبة من صخور البازلت. وقال إنه برأى بحياته إذا ثبت بالاختبار أن معلوماته غير صحيحة. وبالتأكيد فإن الحبير قد أترعج لكنه أجاب بهدوء قائلاً إن الحكومة - لو كان الأمر كما وصف - لا يمكن أن تكون من الغفلة بحيث تنفق من الدخل القومي كل ذلك المال لتنمية المنطقة المعنية بعد تلك استقل الوفد حافلة حديثة إلى مدينة كسلا .

وعبر طريق وعر فوق (الكرب) ثم عبر قنطرة البطانة على سهر عطبره، اجترت حافلة سهلاً شبيهاً بمنطقة حشم القربة بينما بدا في الأفق جبل كسلا الذي أصبحت معالمه عند المرور (بالحاجر) و (ملوية). وفجأة تغير المظهر وبرزت للعين حدائق (جابر) كسلا الغناء الجميلة وهي تختصر ضعفني نهر القاش. هاها أحياناً وجد الوفد ما يذكره وادي حلفا البعيدة، وقسيماً عدا مجرى القاش الجاف - تبعاً للموسم - فإن كل ما رآه الوفد في كسلا كان ينبص بالحياة والخدة. وبقي الوفد قليلاً في هذه المدينة الحضرية، ثم استقل الحافلة في رحلة مدتها سبع ساعات - عبر سهل البطانة الذي كان حينها حشاً وخالياً (نظراً لطبيعة الموسم) - لآمن شجيرات الطلح المتناثرة - حتى حطت رحالها بلحوظوم وكانت هذه الحافلة تشاهد لأول مرة في

العاصمة، ولم يكن الوفد يدري أنه يفتح بها أول رحلة ما بين الخرطوم وحشم  
القربة الوطن الذي أصبح قدراً ومصيراً.

أما رحلة أعضاء الوفد إلى (وادي الخوي) فكانت قصيرة وأكثر  
راحة. فقد استقلوا طائرة خاصة إلى دنقلا ثم إلى (وادي الخوي) بالسيارات  
حيث ألفوا نظرة على المكان وعادوا إلى الخرطوم في ذات اليوم. وفي ٧  
مايو عاد الوفد إلى وادي حلفا.

أثناء غياب الوفد، كان لأهالي يتبعون تحركاته باهتمام بالغ  
ويستكسرون عن نتائج الرحلة وظنوا بتزقيد الوصول إلى قرارات إجماعية  
من خلال مقابلة الوفد للجنة إعادة التوطيد ودراسته للتفاصيل التي وصفت  
بمن يديه للمواقع المقترحة، لكن - ولموء الحظ - فإن أغلب أعضاء الوفد  
جاءوا كما ذهبوا. ويبدو أنهم قد غادروا بأذهان خالية وبخيارات مسبقة لم  
تحررها المعلومات التي أتت بها اللجنة ولا ما شاهدوه خلال رحلتهم  
الطويلة المصيبة. ولعل الاختلاف الأرحم هو أن بعضهم - ربما - يكون قد  
جمع حججاً يسند بها الخيار الشخصي الذي يميل إليه، وينقد بها بقية  
الخيارات فجاء بعضهم بأفكار خيالية لتعويضها في المواقع التي يفصلونها مثل  
بناء حران على الشلال الرابع أو شق قناة طولها ٥٠٠ كلم لري وادي  
الخوي. ولقد سمعت بمشروع آخر إنشاء مدينة جديدة لحلفا على الضفة  
الشرقية للنيل الأبيض جنوب الخرطوم في الجهة المقابلة لحران جبل أولياء  
من الساحية الجنوبية، حيث يمكن إقامة مركز لصناعة سمكته تحدي كل القطر

قام أعضاء الوفد بعد عودتهم بالاجتماع إلى مؤيديهم في القرى  
وكنسروا لهم انطباعاتهم وتم حسم تردد أهالي دغيم في اجتماع كبير بالقرية

قرروا فيه تأييد خيار موقع الكنرو وبعد أيام قليلة جاسي بمكتبي أحمد شريف داوود لإبلاغي بأن (لجنة للدراسات) التابعة لهم والتي تتكون من ممثلينهم في أوفد قامت بعقد اجتماع بحث فيه كل جوانب رياراتهم إلى المواقع المقترحة وأصدرت إعلاناً بكل الحقائق المتوفرة عن تلك الريارات والأنصباعات التي خرجت بها. وسلمني نسخة من الإعلان فتمت بمراجعة محتوياته في ضوء الحقائق الواردة في مذكرة لجنة إعادة التوطين التي تسلمتها أثناء غياب الوفد. فوجدت الحقائق مطابقة لما جاء في الإعلان فيما عدا التصاريح الذي أكتف بحديد نوع خصوبة الأرض في منطقة الكنرو. فقد جعلها إعلانهم من الدرجة الأولى. ولاحظت أيضاً أن هناك مبالغة كبيرة في تصوير مخاطر الكتلار بحشم القرية. وعندما استفسرت عن أسباب هذه الأخطاء، أخبرت أنهم قد حصلوا على المعلومات من أحد أقربهم الذي يعمل بوزارة الزراعة. ورايت دهشتي عندما علمت من داوود أنهم بدلا عن الاعتماد الكامل على المعلومات الواردة بالمذكرة لجأوا إلى وجهات بظر رفاههم في مختلف المصالح الحكومية بالخدمة المدنية بالخرطوم باعتبارهم (خبراء حصريين) وفاقم هذا التصرف من شكوكي وشوش في الحقيقة - أفكاري. فقلت لداوود إنكم إن كان بعضكم يفصل العيش في الخرطوم فإن باستطاعتهم أن يعطوا ذلك بما يحلو لهم، لكن تصليل جماهير البسطاء من الأهالي ليحتاروا أرضاً جرداء لا مستقل لها، سيؤدي إلى خلق وضع خطير ومأسوي وعندما غدرت مكتبي، قمت بشر المذكرة الرسمية في صحيفتك المحلية وورعتها على أوسع نطاق في القرى حتى يعلم الأهالي الحقائق من مصادرها الرسمية.

وبعد أيام قليلة جددت لجنة إعادة التوطين يوم ٣٠ يوليو موعداً لاحتياار موقع الوطن الجديد. وحال صدور هذا الإعلان ماجت المنطقة كلها بحركة دعائية متصاربة أخذت تتصاعد كلما أقرب التاريخ المضروب. وخذ أهالي دحيم - معتمدين على سبقهم التعليمي وقيادتهم التقيدية للمناطق الريفية بالإصافة إلى تشجيع رئيس وسكرتير اللجنة المحلية - يبدلون جهوداً كبيرة لحشد تأييد كل السكان لخيار الكرو ولم يحرر محي الدين ومؤيدوه أي تقدم طاهر لخيار وادي الحوى. أما مؤيدو خيار حشم القرية فقد أزعجتهم الدعاية القوية المطلقّة من المعسكرات الثلاثة الأخرى المتصاممة والقائلة بأن خيار حشم القرية جاء مفروضاً عليهم من الحكومة منذ ١٩٥٤. ولكي تحيى الحكومة هذا الخيار فإنها نوقت بمشروع زراعي صمّم يدر صمه إلى قائمة الخيارات وكان الدفاع عن خيار حشم القرية يعني بالضرورة أن مؤيديه غير وطنيين وهذه نظرية سادت طويلاً - على أقل تقدير - بعد خروج البريطانيين من السودان، ثم ماذا عن مرض الكانزار هذا الداء المرعب الذي لا يحتاج تصوير خطره إلى مبالغة، فالأمثلة الحية التي يعرفونها تكفي وكمثال لذلك ما جرى للشيخ (عبد الرحيم أحمد همت) المنتسب إلى قرية سمّة ولعشرين من رفاقه حينما ذهبوا إلى (قلع النحل)<sup>(١)</sup> بعرض احتراق الزراعة في العشرينات من القرن العشرين. فقد أصيبوا بهذا الداء الفئاك وذهب رفاقه واحداً إثر آخر إلى الدار الأخرة. أما هو لحسن حظه فقد عث ليروي هذه القصة. ولذلك هل للمعارضين لخيار حشم القرية يقولون إن منطقة الجوار يقطنها الهدنة دور الشعور الملتدة والسيوف والحجر والعادات المتوحشة. وهناك أيضاً

<sup>(١)</sup> تقع في الجزء من جنوبية حشم المتعارف وهي بعد ٣٢ كلم من حشم سمّة

عرب الربيدية الذين يعيشون قرب المنطقة وهم قوم بدائيون وماكرون،  
وبرغم كل هذه الحجج القوية والواسعة الانتشار، فإن أنصار حبر حشم القرية  
- من سكان أشكيت وديرة - ظلوا صامتين على خيارهم

ومع أن أهالي دغيم قد جبروا إلى معسكرهم بعض أحياء المدينة  
وهي في العالب تلك التي يسكنها مصريون دالوا الجنسية السودانية وكانوا  
على غير وفاق معهم في السابق إلا أنهم ظلوا أبعد ما يكونون عن  
الانتصار لحبرهم. ولأنهم قدروا احتمال مثل مساعيهم وأدركوا ضيق الوقت،  
فقد غيروا (تكتيكهم) وأنشعوا أسلوب المناورة. فوجهوا الدعوة في ١٧ يوليو  
إلى بعض الأعضاء المؤثرين في لجنة أرقين الفرعية لاجتماع بمرل عمدة  
دغيم بمرض التأثير عليهم للتنازل عن خيارهم (شمال مشروع الجزيرة)  
والقصور معهم. وقبل الأعضاء الدعوة وحضروا إلى منزل العمدة حيث  
وجدوا في إنتظارهم سبعة عشر من الشخصيات القيادية من صميمهم رئيس  
وسكرتير اللجنة المحلية. ودار نقاش مطول - كانوا خلاله عرضة لكل أنماط  
الضغط والإغراءات - ليسمحوا من خيارهم ويساندوا حبار (الكندرو)  
وأصبح أهالي أرقين أدانهم ورفضوا الاستسلام، وفي نهاية الأمر عادوا إلى  
القرية وأداعوا ما حدث باعتبارهم مؤامرة مفضوحة خطط لها شريف وعبد  
الرحيم للتأثير على حرية اختيارهم وتحويل ميراث القوى لصالح حبار  
الكندرو. وولدت هذه الحادثة شعوراً بالكراهية في أرقين وأدت إلى بروز آثار  
سلبية لدى مزيدي حبار ولادي الحوى وحبر حشم القرية الذين تجاهلهم أهالي  
دغيم وفي الاجتماع التالي للجنة المحلية ألتهب الجو بملاحظات لإدعة حول  
نصرف أعضاء اللجنة الفرعية لدغيم واتهامات بصريحة للرئيس والسكرتير

باتكاء حياءهما. وار تكت حرارة النقاش الى درجة ان عددا كبيرا من  
الأعضاء هدد بالاستقالة.

وفي الاجتماع التالي طرحت اللجنة للتصويت موضوع الاختيار  
النهائي لبلوطن الجديد، بحيث يملك كل عضو من أعضاء اللجان الفرعية  
صوتاً واحداً وذلك بأن يكتب العضو . . يوم التصويت - حياً واحداً على  
الورقة المخصصة ويلقي بها في صندوق الاقتراع. وببداية عملية التصويت  
يتم (تشجيع) الصناديق بواسطة اللجان الفرعية وترسل - تحت حراسة  
الشرطة - إلى رئاسة المجلس الريفي بمدينة وادي حلفا حيث تقوم اللجنة  
الفرعية المعنية وبحضور عمدة المنطقة بإحصاء الأصوات لتحديد حيار واحد  
بالأغلبية (أي صوت واحد لكل لجنة فرعية) ثم ترسل النتيجة إلى مكتب  
المركز ليبحث بها إلى الجهات المسؤولة في الخرطوم.

وفي اجتماع قصير عقد مع ضابط الشرطة يوم ٩ يوليو، أعددا كل  
الترتيبات لوصول رجال الشرطة إلى مراكز الاقتراع وتجهيز وسائل الترحيل  
لبدل صناديق التصويت وتسليمها إلى مدينة وادي حلفا. وتم الاعراع من كل  
هذه الترتيبات في نفس اليوم وعند غروب الشمس كان كل رجال الشرطة  
وسياراتهم على أهبة الاستعداد في مواقعهم .

ثم جاء يوم ٢٠ يوليو الذي لا ينسى . . كنت أخشى من أن يقال إنني  
تدخلت في عملية الاقتراع، ولذلك لرميت مكنتي وأخذت في متابعة التقارير  
التي كانت تصلني على فترات من الشرطة المتمركزة في القرى المختلفة.  
وفي الساعة الثالثة عصراً انتهت عملية الاقتراع، وكان يبدو أنها سارت  
بطريقة مرضية في كل المنطقة فيما عدا الحادث لمثير الذي جرى في قرية



كبيرة. فقد انقسمت اللجنة الفرعية هناك إلى ثلاثة معسكرات لكل منها قائدة. وانحاز معسكران إلى حيلر (وادي الحوي) ولكن - بسبب حرارات قديمة - رفض قائدا المعسكرين: محي الدين محمد عيسى والعملة داؤود عبد الرحمن الانحماج رغم هدوهم المشترك. وفي عشية يوم الاقتراع حدث احتكاك خفيف بين الجهتين أثناء معي كل جهة لاستمالة بائعين على حساب الجهة الأخرى. وفي اليوم التالي أحرز الدراع طهور العريقين في مركز الاقتراع لبعض الوقت. وولر هذا فرصة ذهبية للشيخ محمد أحمد عواص قائد المعسكر الثالث - الذي كان يؤيد خيار الإمداد الشمالي لمشروع الجزيرة. فعندما رأى حصميه يتنازعان، اغتنم الفرصة وجمع أنصاره البالغ عددهم مائتين وسبعة وثلاثين شخصاً ووجههم للتصويت مع سبعة وأربعين شخصاً آخرين لحيلر حشم القرية. وبسبة لصيق الوقت لم يستطع أحد عشر من المؤيدين لخيار (وادي الخوي) الإدلاء بأصواتهم إلا شق الأكرس وبعدها أسرع الشيخ عواص بتشجيع الصندوق وقام بتسليمه للشرطة التي حملته بحسن به إلى مدينة وادي حلفا. وعندما بدأ العراك بين المعسكرين الآخرين واتجه الناحيون للاقتراع نعلكهم العصب عند اكتشافهم للحدع فارسلوا شكوى عاجلة إلى رئيس اللجنة المحلية الذي جمع عدداً من أعضاء اللجنة وأسرع إلى كبيرة وبعد تحقيق قصير اتحدوا قرارهم لصالح عواص وبذلك تم إسدال الستار على المسألة.

مُسَمَّع (الأصولية) و (عرب العقليات) وهم سودانيون من أصول مصرية وسكنوا في السوق بمدينة حلفا - عن التصويت بحجة أنهم

يُنْتَظَرُ من نتيجة المفاوضات بين السودان ومصر حول المياه المستقبلي  
الذي سيحل محل وادي حلفا - على صفة البحيرة .

وفي الساعة السادسة مساءً اجتمعت كل اللجان الفرعية بقاعة  
اجتماعات مجلس المدينة لإحصاء الأصوات. وبدلاً عن إحصاء أصوات كل  
لجنة فرعية بطريقة مستقلة عن غيرها للتحقق من اختيارها الذاتي، تم إحصاء  
الأصوات بجمالاً وكانت النتيجة كما يلي:

#### عدد الأصوات

٢٠٠٦	خيار منطقة الكدرو.
١٣٥٤	خيار شمال امتداد الجزيرة (جنوب الخرطوم):
٧٨٣	خيار (وادي الحوي):
٣٤٩	خيار حشم القرية
٢	خيار سار:
	خيار المساقل:
١٢٦	المتنعون عن التصويت:

(بالإضافة إلى صوتين اقترحا إرجاع الأمر برميهِ إلى الحكومة لتتخذ فيه  
القرار النهائي). وحذير بالذكر أن لجنة دعيم الفرعية وحدها قد اقترعت بما  
جملته ١١٢٥ صوتاً منها ٩٦٤ صوتاً ذهبت لخيار منطقة الكدرو

جاءت هذه النتائج بمثابة مفاجأة غير سارة لأهالي أرقين، لكنهم  
اكتشفوا أن اللجنة قد قامت بإحصاء الأصوات بطريقة تتعارض مع الأسس  
المتفق عليها مسبقاً. فقد كانت تلك الأسس تسمح كل لجنة فرعية صوتاً واحداً،  
بدلاً عن صوت لكل شخص. فاتهموا قيادة اللجنة وأعضاء لجنة قرية دعيم

بعندم الأماسة وطالبوا بإلغاء نتيجة التصويت ومنح كل لجنة فرعية حباراً واحداً. وأيدت هذا الطلب مباشرة اللجان الفرعية الأخرى، وهكذا ست في الأفق بوادر أزمة حقيقية لأن أهالي (أرقين)، هددوا بالانسحاب ما لم يصحح الموضع ويتم إحصاء الأصوات على السق المتفق عليه. ولم نجد قيادة اللجنة مبرراً لحرق أسس الاتفاق وانصاعت إلى هذه الطلبات.

وسم إجراء إحصاء جديد للأصوات بأحد في الاعتبار إعطاء كل لجنة فرعية صوتاً واحداً فخرجت النتيجة كما يلي :-

١- حيار (الامتداد الشمالي لمشروع الجزيرة) أيدته اللجان الفرعية للقري الآتية أرقين ، دواشات ، دبوسة ، أشكيت ، دبيرة ، مرة شرق ، مرة غرب ، فرص شرق وحي الجبل في مدينة وادي حلما .

٢- حير (منطقة الكدرو) أيدته اللجان الفرعية في: جمبي ، دشيم ، حي العباسية ، حي العرب ، حي المصاولة ، فرص غرب.

٣ حصر (وادي الحوى): أيدته اللجان الفرعية في: عكاشة ، صرص ، أركويت ، النوية.

وفي الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالي حصر إلى مكثي أحمد شريف داوود: رئيس اللجنة وتقدم إلى بوثيقة توصل نتائج التصويت بالطريقتين وأطلعني على ما جرى في الليلة الفائتة. وأخبرني أن اللجنة قد أجازت حيل الامتداد الشمالي لمشروع الجزيرة والتمس مني نقل هذه النتيجة إلى الخرطوم

هنا نود أن أكمل للصورة بإيراد ملاحظاتني الخاصة وتعليقي. فقد كان تكوين اللجنة لا يحلو من غرابية، خاصة في مستوى اللجان الفرعية، إذ أن

عدد أعضاء كل لجنة فرعية كان كبيراً جداً بالمقارنة مع عضوية اللجنة المركزية. ففي قرية صغيرة مثل صرص كان عدد الأعضاء ٤٣١ عضواً. وفي حي الجبل وهو منطقة سكانية صغيرة بالمدينة - كان العدد ١٦٥ عضواً. أما دغيم فتي كانت الأكبر في المنطقة الريفية فقد بلغ أعضاء لجنتها ١١٢٠ عضواً. ويتماعل المرء عما إذا كانت أي من هذه اللجان الفرعية قد عقدت اجتماعاً قبل عملية التصويت. وبالإضافة إلى ذلك فإن تحديد العضوية بالمقارنة مع عدد سكان القرية قد بُني على تفسير تحميني لا على دراسة علمية. ولو كانت اللجنة ترغب في معرفة عدد سكان كل قرية لأعضائها بأرقام الإحصاء السكاني لعام ١٩٥٥/٥٦، ولكي فضلت أن تقوم بتوزيع عضوية اللجان بالطريقة التي تحلو لها فوقعت في أخطاء شادة مثل إعطاء حي البصاولة وحي الحبل عدداً متساوياً - تقريباً - من الأعضاء بالرغم من الفارق الكبير في عدد السكان بينهما، وإعطاء صرص عدداً من الأعضاء أكبر من الذي منحته لأرقين .

والاستفاد الآخر هو أن هذه اللجان الفرعية قد تم تعيينها قبل زيارة الرئيس عبود للمنطقة. في ذلك الوقت كان تمثيل كل قرية مقبولاً ولم يكن عرضة للاستفاد. غير أن زيارة السيد داؤود عبد اللطيف وتزامنها مع طرح خيارات المواقع، ثم زيارة الوفد للخرطوم وتحديد المواقع المقترحة، قد أحدثت - بلا شك - تغييراً جذرياً في نظرة الأهالي إلى وظيفهم المستقبلية مما أدى لانقسام أهل القرية إلى جماعات وشرائح وفقاً لموقفهم من المدايق المقترحة لإعادة ترطيبهم. فكان من المنطقي جداً أن يوضع عتار ضرورة حل هيكل اللجنة المحلية واستبداله بكيس يستطيع أن يفي بمتطلبات الوصع

الجديسد. ولأسوء الحظ فإن حلاً كئيد، لم يتألور وإن وجهات نظر المواطين  
المختلفة لم تجد تمثيلاً صحيحاً في مستوى اللجان الفرعية. ففي دير و أشكيت  
- مثلاً - حيث كانت أغلبية الأهالي تفصل حير (حشم القرية)، جاء تمثيل  
وجهة نظرهم مثيلاً في اللجنة الفرعية. والنقطة الثالثة هي الوصع العريب  
للجان الفرعية في عملية الاقتراع. فلا هي اعتبرت مجموعة باخين ولا هي  
عتبرت كليات انتخابية. فلو أنها اعتبرت مجموعة باخين، لكان حق الاقتراع  
قد امتد إلى كل الأهالي الآخرين. وفي هذه الحالة فإن الأمر كان يقتضي أن  
نحصر المواقع الستة للاستفتاء العام في كل المنطقة. أما إذا اعتبرت كليات  
انتخابية، فإن ذلك يستوجب أن يشترك كل القرويين في العملية الانتخابية لا  
ن يتم التصويت بطريقة اعتباطية .

وقد يتساءل القارئ ماذا لم نتحل لوصع الأمور في نصابها ما نمنا  
نعلم بكل هذه الماحد؟ وإجابتي على ذلك هي أن لختيار الموقع المقترح كان  
شأناً مطلقاً وأن أي تدخل من جانب السلطات المحلية - مهما كان قصده نبلاً  
- يحتمل أن يشكك في سلامة الحكومة. فطبقة المتعلمين كانت شديدة  
للحساسية تجاه نوايا الحكومة بالإضافة إلى أن اللجنة المحلية كانت قد أصرت  
منذ البداية على أخذها لنحمل المسؤولية لرأت الحكومة أنه من الحكمة أن  
نعطيها الفرصة. ولعل خوف الحكومة من أن تسيء اللجنة ممارسة هذا  
الامتياز هو الذي جعلها تحفظ لنفسها - مؤحراً - بحق الاختيار النهائي .

الآن دعونا نطرح في النتائج النهائية لعملية الاقتراع رغم انتقادي  
للقاطع الإحرائة. فواضح من الأرقام أن أيأ من المعسكرات لم يحرر انتصاراً  
في تلك العملية بل إن أيأ منها لم يحظ بنصف عدد الأصوات. والنتيجة هي

رأى كانت بهمة بحيث لا تعطي أي لون وماسحة بحيث لا تعطي أي طعم، لأنها أدبرت بطريقة فائقة. غير أن أهالي أرقين وحلفاءهم صفعوا لانتصارهم، وأهالي دحيم وتوابعهم اكنأوا برهة لهزيمتهم غير أنهم، استسلموا للأمر الواقع بقبول خيار الامتداد الشمالي لمشروع الحرية.

كنت بتسجيل ملاحظاتي وإرسالها مع النتيجة إلى لجنة إعادة التوطين بالحرطوم قنلاً إنه - وبالرغم من أن النتيجة لا تعبر بدقة عن رغبات كل الأهالي - يمكن اعتبارها مؤشراً لاتجاهاتهم وميولهم والتمست أن تعطي العناية التي تستحق. ووجد السيد داوود عبد اللطيف ثغرة للعمل من أجل خيار (وادي الحوى) الذي اعتبره موقعا مثالياً لتوطين أهالي حلف .

بعد انتهاء عملية التصويت وإرسال النتيجة إلى الحرطوم، نعمنا بفترة هدوء مكتني من مواصلة أعمالي في إحصاء وعد أشجار النخيل وحل مشكلة الأرض وتمكن الأهالي كذلك من مراولة حياتهم بهدوء رغم أنهم كانوا ينتظرون ما يحى من الحرطوم بترقب حذر. وفي أحد الأيام وبينما كنت بمكتبي أعد التقرير الشهري، رر جرس الهاتف، أنطلق صوت داوود يحبرني بأنه سيرسل - شخصاً يقال به (مستر أهر كاب) <sup>١</sup> وهو أحد خبراء الأمم المتحدة - بالطائرة إلى وادي حلفا شرحبهات للسفر بالسيارة إلى (وادي الحوى) لعمل مسح للتربة وإعداد تقرير حول جدوى إقامة مشروع إعاشي لتوطين أهالي حلفا ووجهي بتوفير ما يحتاج إليه في رحلته. وقد فرحت بهذا التطور في الأحداث وبدأت أسأل نفسي لى كانت الحكومة قد قررت بالفعل الانحياز إلى خيار (وادي الحوى)؟ ورغم أن داوود لم يذكر لى ما يؤيد أو

<sup>١</sup> سمع صريحي بعض السودانيين، بعد الصبح، أن داوود قد فرجوا المسار (الأسكب)

ينبغي هذه الشكوك إلا أنني جعلت مهمة مستر (سكاف) في طي الكتان بقدر المستطاع خشية أن تسبب وصعاً حاسماً وسط الأهالي. وقد تسربت الأخبار عن طريق عمال بدالة الهاتف (الكبائية) الذين اعتادوا أن يسترقوا التسمع على المكالمات الهاتفية الهامة وهذا ما أكدته لي - في وقت لاحق - سائق اللندروفر الذي استقلته المستر سكاف إلى (وادي الحوى). وبعد رجوع المستر سكاف إلى الخرطوم، استقبلت مكنتي ممثلين لقريتي دغيم وأرقين وقد بدا عليهم القلق والبلبلة، وعبروا عن شكوكهم وريبتهم حول مهمة المستر سكاف ثم سألتني بجدية عما إذا كانت الحكومة قد قررت بالفعل ترحيلهم إلى (وادي الحوى)؟ فأجبتهم بأنني لا أملك معلومات حول أي قرار للحكومة يتعلق بأي موقع بعينه، لكن تفسيرى الشخصى لمهمة المستر سكاف هو أن اللجنة كانت تريد أن تستوثق من نقاط معينة عن (وادي الحوى) قبل أن ترفع قائمة أسقياتها للحكومة لتتخذ القرار النهائي. وأبدى أحدهم تدمره من أن ترفع اللجنة قائمه أسقياته تتناقض مع نتيجة التصويت وقال إنه لا يفهم - والحال كذلك - لماذا رجعت الحكومة إليهم أصلاً لتحديد حذارهم؟ فقامت بفتح بصره إلى المؤتمر الصحفى للسيد داوود المنشور بجريدة (الأيام) والذي كنت احتفظ بقصاصه منه في أحد ملفتي. فأخذوا يتصفحونه بالتناوب وعندها أحسست أنهم بدأوا يدركون معنى فقرته الأخيرة لأنها أكدت محاورهم ومن ثم غادروا مكنتي بروح معدوية مدهارة للغاية.

تلى ذلك الاجتماع انتشار للشائعات في المنطقة بأسرها وبدأ الناس يقولون إن الحكومة تجاهلت رغباتهم وهرمت عليهم (وادي الحوى) وهي كل مكان كانت المعويات هابطة حاصنة في قريتي دغيم وأرقين. وهي دبيره

عوفي محي الدين والعمدة داوود عند الرحم من آثار الهريمة وتشجعاً بحو  
الإشاعات فسرعت في س الفؤوس واستعراص مؤيديهم لمصاداة القرار  
المستوقع. وفتح المستر (سكاف) في هذه الروح فكثيبه لما ألت إليه الأمور،  
بربارة (وادي الحوى) مرتين أحريين. وقد تطرقت معه يلطب - إلى الآثار  
السائلة لزيارته لوادي الحوى على منطقة حلفاء. فصحك وقال إبه قد أجرى  
مسحا أولياً للتربة في (وادي الحوى) لاختبار ملائمتها لقيام مشروع إعاشي  
لتوطين أهالي حلفاء وهو بطن - بعد أن إنتهى من مهمته - أن المشروع هو  
جدوى.

أول أن أشير باختصار إلى الظروف التي كانت وراء مهمة المستر  
(سكاف) لوادي (الحوى) والتي قررت - في وقت لاحق - مصدر السيد  
داوود كموظف عم. فقد كان السيد داوود نوبياً ولد في قرية دعيم وترعرع  
في المنطقة المتأثرة بمياه السد العالي. كس كل من أهله وممتلكاته جزءاً من  
المحنة الكبرى التي ستحل بكل المنطقة، وهو كأي نوبي كانت له ردود  
فعلة وميوله الخاصة ووجهة نظره حيالها. والاختلاف الوحيد هو أنه قد حطى  
بالمعرفة والتحرية عن طريق الخدمة في مناطق مختلفة من السودان، الأمر  
الذي لم يكن متاحاً لأغلب رفاقه من النوبيين ووهرت له رئاسة لجنة إعادة  
التوطين نافذة يطل منها على الوضع بصورته الطبيعية الواسعة، وفرصة  
لتوطيف معرفته وحبرته وطموحه في اختيار موقع مناسب لتوطين أهله. ولم  
يكسر سراً بالنسبة لي أن داوود كان يميل لخيار (وادي الحوى). ففي زيارته  
الأولى تمكنت من إلمام بما كان يدور في حله. كان يعتقد أن لوادي الحوى  
مزايا معينة تعطيه أصلية نفسية على بقية المواقع مما يجعله وطناً مثالياً

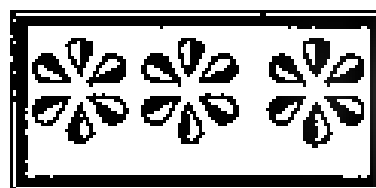


للمويزيين. والنوبيون - بالدرجة الأولى - صاروا معتمدين على الطقس الجاف بكل أبعاده، وأصنعوا له كل أساطير الزراعة ومحاصيل الثورات الزراعية وأشجار الحبل. ويعتقد داوود أيضاً أن تكلفة تشييد المنازل ستكون أرخص، لأن إعدام الأساطير في وادي الحرى يجعل في إمكان بناء المساكن بالطين والطوب الأخضر على نفس المسق الذي تبنى به في القرى القائمة بدلاً عن الأسمنت والحجر المكلف والمطلوب لبناء في المواقع الأخرى. بالإضافة إلى كل ذلك ونظراً لأن النوبيين سيعيشون في إطار مجتمع المحس والدافلة الذين هم مه - فإنهم لن يقطعوا عن ورايتهم الاجتماعية

وبناء على كل هذه السمات، فإنني أظن أن أفكار السيد داوود تبدو معقولة للغاية وصحيحة لكن هناك عيوب جدرية لا بد من وضعها في الاعتبار وعلى وجه الخصوص التكلفة العالية للري بالمصنعت إلى جانب نسبة للز المرتفعة في التربة مما يستوجب بناء كل القنوات بالأسمنت المصلح أصناف إلى ذلك صعوبة المواصلا التي تتطلب مصر وفات بشطة لربط المنطقة إما بطريق معد إلى الميد أو بحط حديدي طويل يتصل بالخط الرئيسي المنجه إلى الخرطوم. وكل هذه المصروفات يمكن أن تذهب بمراية التكلفة المخصصة لبناء المنازل

على الرغم من حجج السيد داوود المعقولة عن الأحوال المساحية المواتية والعوائد الاجتماعية للمناطق المجاورة، فإن آراياه قد سقطت بفعل أهله أنفسهم. فله نتيجة الاقتراح أظهرت أن السكان لا يعبرون اهتماماً للظروب المسحية ولا لجبرل العد. وبدلاً من ذلك كانوا يتصنعون بكل الأمل جسنوباً إلى حيث حرام المطر. وكل هذه العيوب التي اكتشفت خيار (وادي

الحسوى) كانت معروفة لداوود ولذلك فقد حاول إيجاد موارد توفيقية للحد من آثارها. وعندما لم يجد استجابة مشجعة من مستشاريه هي اللجبة لجأ إلى هذه المساعدة الأجنبية لي شحص المستر سكاف التابع للسفارة الأمريكية. وظل الأهالي يتساءلون عن طبيعة مهمة المستر (سكاف) لفترة من الزمن بينما لم تنبس الخرطوم بيت شعة لوقت طويل حتى أوشك الأهالي أن يقطعوا الأمل هي كلمة منها.



داؤود عبد اللطيف



محمد خليل بنيك

## **الفصل الحادي عشر**

**إختيار موقع إعادة التوطين  
(القرارات وردود الفعل)**

في ١٠ أكتوبر انتشرت شائعة بأن الحكومة قد أجبرت موقع (خشم القرية). وبدأ انتشار الشائعة ببطء لم يُلَفت إليه الناس في البداية ولكنها بحلول يوم ١٤ أكتوبر استجملت قواها واندلعت كسبل جارف عم كل المنطقة وعندما تحريت من مصدرها تبين لي أنها نقلت بالهاتف بواسطة أشخاص مقبضين في الخرطوم إلى آخرين في حلفاء. ومن خلال الأثر الذي تركته على الناس نتيجة لاحتتمالات صدق مصدرها، أمكنني أن أحكم بوجود قدر من الحقيقة فيها. وبدأ لي أن الناس كانوا مهجوعين ومشمزبين إلى درجة كبيرة وعلى اقتناع كامل بصحة هذه الأنباء السيئة بحيث لم يكلف أحد نفسه بالتأكد من صدقها عن طريق الاتصال بمكتبي. وهي منتصف النهار جاعني (صالحين) وأخبرني - بنبرة الأمر الواقع - أن الناس قلقون للغاية من قرار الحكومة باختيار موقع (خشم القرية) فقلت له إنني لم أتلّق أي إخطار رسمي بذلك وسألته عن مصدر أسسه فأجاب قائلًا: (لا يوجد هناك بلا نار). وشعرت أنني حوصرت بالشائعة أيضًا. وأجريت اتصالاً هاتفياً باللجنة وعندما رر الهاتف بعد لحظات سمعت صوت المرحوم د. محمد أحمد علي وزير الصحة والذي كان يبدو أنه يحاول الاتصال بي في نفس الوقت فذني كنت أحاول فيه أن أتصل به. فأمر لي بالأخبار المفجعة قائلًا إن مجلس الوزراء وبعد دراسة كافة الوجود للباطق المقترحة وتمحيص كل التقارير التي رفعها الخبراء الدوبور والمحلين - قد اختار خشم القرية باعتباره أحسن المواقع لإعادة توطين أهالي حلفاء. ثم أضاف قائلًا إن هذا قرار سيروور وادي حلفاء قريباً لإعلان السكان بالقرار في تلك اللحظة شعرت - حقيقة - بحالة من

الإجهاذ للعصبي فقلت له إن القرار لم يعد مبرراً بالنسبة للأهالي الذين تحصلوا عليه بطريقة ما منذ أيام.

كان الشعور تجاه الحكومة يتسم بالمرارة البالغة، وسيكون يبعث وفد وراري في هذا الجو أشبه بالتلويح بحرقه حمراء لثور هائج. وأحبرت الوزير أنني أتوقع استقبالا سيئاً للوفد الوزاري ولا أرى سبباً لإرساله إلى حيث يتلقاه الناس بالسخرية والرهيق وبما أن العرص من إرسال الوفد هو إقناع الأهالي بالحكمة التي كانت وراء اتحاد القرار، فقد اقترحت أنه سيكون من الأحسن أن أرسل وفداً من وادي حلفا إلى الخرطوم للتقاء بالمسؤولين هناك. فيما أن يتم إقناعهم ليواجهوا أهلهم بالقرار عند عودتهم ويصحوا مخاوفهم وإما أن يحاولوا حث الحكومة على العدول عن قرارها وهي كل الأحوال فقد كانت رغبة للوزراء غير مرغوب فيها عند هذا المصطف من مجرى الأحداث.

كان د. محمد أحمد علي بصفتي إلى باهتمام، فأعرب لي عن تفهمه للوضع وأشار إليّ بمحاطبة اللواء البحاري وزير الداخلية كتابة. وانتهت بذلك المحادثة الهاتفية. وهكذا سبق السيف العزل وأصبح لزاماً في نهاية الأمر - أن يواجه الجميع الموقف مثيرة.

وبدأت أفكر بجدية في المحاطر المحتملة لاندلاع أحداث شغب نتيجة لهذه التطورات الاستفزازية، فهاتف دأود ورودته بتقرير كامل عن الموقف. كان عليّ قبل أن أتصل باللواء البحاري إخطار السيد حسن علي عبد الله الوكيل بوزارة الداخلية باعتباره رئيسي المباشر فيما يتعلق بالشؤون الأمنية. فعُثرت عليه بالهاتف وأعلمته بمحادثتي مع الدكتور محمد أحمد علي وأحطته علماً بانطباعاتي عن احتمالات الوضع الأمني وردود الفعل غير

المستحبة للزيارة المتوقعة، وأخبرته باحتمال وقوع تطاهرات وأحداث شغب، ورجوته في الحثام من يجتهد لإقناع البحاري بضرورة إرجاء الزيارة وتبني اقتراحاتي كحل نوبي. فقال السيد حسن إنه يتكلم وجهة نظري وإنه سيرفع مذكرة بشأنها للوزير. وبعد الظهر أعدت تقريراً واقعياً حول الموقف بعثت به إلى اللجنة وأرسلت صوراً منه إلى وزارة الداخلية وإلى مدير المديرية الشمالية. كذلك بعثت بحطاب خاص إلى اللواء البحاري بنفس المعنى رجوته فيه عمل ما في وسعه لإقناع زملائه بتأجيل زيارتهم المزمعة. وبقيت لنا أربعة أيام كنت أشاء عمل أن تحسن اتصالاتي بالحرطوم الموقف وأن تتعاطب الحكمة على مجلس الوزراء هيلمي للزيارة

وهي ١٨ أكتوبر طلبني اللواء البحاري في الهاتف وأخبرني باستلامه لحطابي وتقريرتي كما أخبرني بالمذكرة التي رفعها إليه السيد حسن على عبد الله وأنه قد أطلع مجلس الوزراء على ما احتوته كل هذه المكتوبات وواصل حديثه قائلاً إنه مع تقديره لما أثار الأهالي من احتياض لموقع حشم القرية، فإن الرئيس قد قرر أن تمضي ترتيبات زيارة الوفد حسبما هو مقرر لها في ٢٢ أكتوبر، حتى لا تنقطع الصلة معهم في هذا الوقت الحرج. ثم أخبرني أن الوفد سيتكوّن من اللواء طلعت فريد وزير الاستعلامات والعمل وشخصه واللواء مقبول الأمين وزير الزراعة والدكتور محمد أحمد علي وزير الصحة يرافقهم السيد داؤود عبد اللطيف رئيس اللجنة وممثلون من وزارتي الري والزراعة. ولدهشتي، أردت قائلاً إنه يطلب مني تخصيص استقبالات شعبية في المطار وفي مدينة حلفا وقرى (سعيد وأرقين وأشكيت وديره وسره وفرص). وأخبرني أن اللواء فريد سيرسل بعثة قنيين من وزارته هي غصون يومين

إلى وادي حلفا بطائرة خاصة وبذلك لتكوين محطة إذاعية محلية ولتوزيع خمسة وسبعين من أجهزة الراديو هدايا لسكان القرى لكي يتمكنوا من الاستماع إلى القرارات المتعلقة بوضعهم الجديد فأجسته بأسى قد أصبحت علماً بكل النقاط الواردة في حينه، غير أنني - بالنسبة إلى الاستقبالات المفترحة في القرى طلبت منه الإذن لإمهالي وقتاً للتفكير فيها ووعده بالاتصال به لاحقاً. وبسبب اليوم أبلغته وجهة نظري حول عدم جدوى زيارة الوفد للقرى ذات الشعور العدائى لحيار خشم القرية، ما دام الأهالي المؤيدين له سيقاطرون على المدينة لحضور الاستقبال، فوافقني على رأيي وحدد الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم وصول الوفد موعداً لمغادرته وادي حلفا.

وما إن وصعدت سماعاً الهاتف حتى تسربت الأخبار إلى المدينة وتشمع الأهالي بالقسوة وروح العداء بفعل حالة التوتر السائدة. ومساء الموقف بسبب تحرك العناصر المتطرفة التي أسعيت الوضع إلى أقصى حد وكنت أشعر بالأيدي الحقية التي كانت تتحرك في اتجاه التصعيد.

في اليوم التالي قمت بنشر برنامج الزيارة الذي شمل استقبال الوفد بالمطار ولقاء بساحة المدينة في الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين صباحاً. وحدد البرنامج الساعة الثالثة بعد الظهر لمغادرة الوفد وفق ما كان مقرراً.

عقدت اجتماعاً مطولاً مع الشرطة حيث درسنا الموقف باستعاضة .. كنا على علم بأن اليمينيين قوم مسالمين وليس لديهم ميول عنوانية ولكن الإثارة العنيفة التي تعرضوا لها جعلتنا نتحسب لردود الفعل المتوقعة وبعد استعراض كافة الاحتمالات من واقع تجربتك معهم، رأي أن استعراض القوة



-من حيثهم -لن يتعدى تنظيم تظاهرة صحمة يمكن السيطرة عليها بإمكانات شرطتك المتواضعة.

وحال انقضاء اجتماعنا، بلغنا أن للجنس الصحية قد عقيمت اجتماعاً وقررت مقاطعة زيارة الوفد اليرازي وسهلت هذه الأنباء مشكلتنا الأمنية وأعطينا فسحة من الوقت لخصص استقبال يتسم بالهدوء والسكينة. فإن الشرطه لا يسعها أكثر من أن ترى مثيري الشعب وقد أغلقوا عليهم أبواب بيوتهم بسلام. وعلى كل فإن الذي هو على دراية بالأعراف النوبية الاجتماعية، يرى في المقاطعة تعبيراً بالغ الأثر عن عدم الرضا والاستياء.

كان المؤيدون لخيار خشم القرية سعداء ومفرحون من بين السكان ذوي الوجوه المتجهمة والعايسة. فقد انتعشت أرواحهم يتحول مجرى الأحداث، فاستقبلوا بآ الزيادة بسرور عامر. وتبادلوا التهاني مع مؤيديهم من دغيم وأرقين وأشكيت ونبير وقرروا أن يكون الاستقبال حافلاً. ورفض حي السجائر الذي كان محاباً وعلى غير التزام بالتعاطف مع للجنة المحلية - الانضمام إلى حركة المقاطعة. ما العاصر غير النوبية بالمدينة والتي كان تعاطفها مع أهالي دغيم مهروراً، فقد انحازت إلى حيار (خشم القرية) ووجه عام - وبالرغم من أن أغلب السكان سيلرمون منازلهم مقاطعين - فقد كان هناك ما يكفي من خشم لاستقبال القادمين

وفسي ٢٠ أكتوبر وصل فنيوز وزارة الاستعلامات وبدأوا في تركيب الإذاعة المحلية داخل حيمة واسعة بساحة المدينة المزمع تربيتها لتتناسب الاستقبال. وكانت التعليقات العدائية للمارة قد جعلت العنبرين يتركون طبيعة استقبال الأهالي لمحطة لإذاعة. فقد جاءني أحدهم بمكتبي وهو في حالة

شديدة من القلق وأحبرني بالمحاولات التي تنتهه إزاء الزيارة ظاهراً أنني أجهلها.  
وعندما أحبرته أنني على علم بها صرح قائلاً: (وليس فمالك لا تتصميم بعدم  
المجيء؟) عندها اقترحت عليه الإصراف وعدم التدخل في مالا يعنيه.

وفي ٢١ أكتوبر حاولنا تهدئة الموقف بالاتصال بمؤيدي حيار خشم  
القربة ووضع خطط المستقبل. فقد كان في إمكان أن نوفر احتياجات ترحيل  
المؤيديين من القرى إلى المطار ثم إلى المدينة. وقد رأينا كيف أنهم كانوا  
سعداء بتلقي أجهزة الراديو بينما رفضها أهالي القرى الأخرى. وبعد أن  
فرغنا من هذا الجانب بدأ نترقب في قلق يروع فجر اليوم التالي محاولين أن  
يتفادى كل ما يقلب علينا ذلك الوضع الهش. وفي المساء وصل بالقطار من  
ادامر السيد العوضي حامد جبر الدار مدير المديرية الشمالية ليكون في  
استقبال الزوار الكبار الذين سيروون ناحية من مديريته. فأوفيته بتقرير  
شفهي جعله يفرح من تردي الأوضاع. ثم جاء اليوم الذي لا ينسى .. ٢٢  
أكتوبر. ففي الصباح الباكر صحبت السيد العوضي إلى المطار وقد مررنا أن  
وجد حشداً كبيراً هناك. وفي الساعة السابعة صباحاً وصلت الطائرة وعلى  
متنها كل أعضاء الوفد. وعند نزولهم منها استقبلتهم الجموع بالهتاف. وانتحى  
بني الدكتور محمد أحمد علي والسيد داود جانياً وسألاني إن كانت هناك أي  
تطورات جديدة. وبعد أن قدمت لهما تقريراً شفهياً، اتجهت كلها بالسيارات إلى  
مسقط النيل. وفي الطريق مررنا بقرية دعيم التي كانت شوارعها حافلة من  
الناس تماماً وكانوا اصحاباً أن مقاطعتهم قد تم تعهدها بالإجماع وعند وصول  
إلى المسق، تناول الصيوف إفطاراً سريعاً ثم ذهبوا إلى ساحة المدينة ووصلوا  
في الوقت المحدد حيث وجدوا حشداً كبيراً في استقبالهم. فتلقاهم أعضاء الوفد

بالارتياح وشفوق طريقهم وسط الشعارات والهتافات حيث أخذوا مقاعدهم داخل السرايق

كان أول المتحدثين، السيد الموصى. فقم الورياء إلى الجماهير ثم بوء بعضائل الصبر واحتمال المصاعب في ساعة الشدة، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم، وأعلن أن الوفاء الورياء جاء للالتقاء بالمواطنين والإعلان وطنهم الجديد الذي سأل الله أن يباركه ويرعاه.

وتلاه اللواء طلعت فريد رئيس الوفد الورياء والذي شجع الأهالي - في خطاب قصير - على كبح جماح عواطفهم وعدم التحسر على وطن كان حتماً أن يكون قديماً، ونصحهم بدلاً من ذلك إلى التطلع لمستقبل مشرق. وأقادهم بأن وفده جاء من الخرطوم لإعلان أن الحكومة قد اختارت حشم انقربة موطناً جديداً لهم قائلاً إن القرار قد اتحد من أجل مصلحتهم وأهم سيتلقون تعويضاً عما يفقدون من ممتلكات وأن مسدات ملكية حرة ستصدر هي الوطن الجديد لكل الذين يملكون حيازات حرة بوادي حلفا ثم طلب من زميله اللواء البحاري توصيح الظروف التي أملت على الحكومة اتحاد القرار، وعندما فرغ من حديثه صعدت له الجماهير

كان خطاب البحاري مهماً وموزون ومؤثراً. فقد تحدث الورياء بإعجاب عن التصحية العظيمة التي بذلتها أهالي حلفا من أجل وطنهم الأم، وعبر عن شكره للجنة المحلية على جهودها العظيمة في توصيح وجهة نظر الأهالي وراء المواقع المقترحة كما شكر لجنة إعادة التوطين على تنسيق الحقائق الواردة في تقارير الخبراء المحليين والأجانب والتي كان لها انفصل في تمكين الحكومة من اتخاذ قراره النهائي. وواصل حديثه قائلاً إن الحيار

كان محصوراً في: (وادي الحوى وشمال و جنوب الخرطوم وخشم القرية)  
ودلك بعد دراسة واقية لكل تلك التقارير ولكي يتم اصطفاء واحد من تلك  
الحيارات، وصعت التقارير اعتباراً لحاجات أهالي العامة والتي شملت  
بالطبع - مسح الحيازات الحرة، وسعة الأرض الزراعية، وإمكانية الري  
المستديم، وسهولة تشييد المنازل بمستوى معقول، والتنمية الصناعية، وتوفير  
خدمات اجتماعية مساوية - على الأقل - لتلك السائدة في وادي حلفا، وتوفير  
المواصلات واستتباب الأمن العام. ثم طبق هذه المعايير على كل موقع قبل  
أن يخلص إلى القول بأن مجلس الوزراء - الذي كن أعضاؤه مهمومين  
للعبة بمستقبل أهالي حلفا ومصير أحبالهم القادمة - قد قرر اختيار (خشم  
القرية) باعتباره أحسن المواقع وطناً جديداً لهم. وعكس مزاياه المتفوقة على  
المواقع الأخرى بما يلي. خصوبة تربته وقلة سكانه، وريته الحديث المتدفق  
من حزان، وسعة أرضه الزراعية وإمكانية توفر الخدمات الطبية بمستوى  
جيد وسهولة ربط القرى بشبكة من الطرق، وربط المنطقة بخط السكة الحديد  
المنجى إلى كسلا والخرطوم.

قابل الحشد هذا الخطاب بعاصفة من التصفيق. وحتى هذه اللحظة  
كانت الأمور يسير سيراً طبيعياً وهادئاً. قائدين قاطعوا الاحتفال لزموا منازلهم  
وأخذوا يستمعون إلى كلمات الوزراء. ثم شرع النواء المقبور الأمين وزير  
الزراعة في إلقاء خطابه وتحدث باستفاضة عن امتداد الرقعة الزراعية بخشم  
القرية وخصوبة تربتها كما تحدث عن الدورة المحصولية. وعندما كان يعدد  
أنواع المحاصيل والأشجار المثمرة التي يتوقع لها النجاح هناك، لاحظت أن  
جميعاً من حوالي مائتي شخص كان يسير في موكب على الطريق المواجه

لصاني المجلس وهو بلا شك كان يتجه إلى ساحة المسيرة، كانوا يحملون لافتة سوداء ويهتفون: (يسقط .. يسقط حشم القرية). واستطعت أن أنبئ من ملامحهم أنهم كانوا أهالي قرية أرقين، واندفعت الشرطة إليهم وفرقتهم قبل أن يصلوا إلى الساحة، ثم ألقت القصص على عدد مقدر منهم وساقته إلى المحر. وقد لعبت الحادث أنظار جماهير الساحة، غير أن المقبول واصل إلقاء خطابه حتى النهاية. تلاه الدكتور محمد أحمد على الذي أدلى بعرص موسع حول الأحوال الصحية بحشم القرية وأكد للأهالي أن لخطر الكلاز - كمرض وبائي - لم تعد قائمة لأن الخدمات الطبية المعتمدة على الأساليب الحديثة قد تمكنت من السيطرة على العدوى واستبعدت إمكانية أي انتشار لهذا المرض. وقال ابن ودارته قد أعدت خطة علاجية ووقائية واسعة لمكافحة كل الأمراض المعدية في المنطقة قبل هجرة الأهالي إلى وطنهم الجديد. واحتتم حينه بالتعهد بتوفير خدمات طبية كافية بحشم القرية لمقاومة الأمراض وتأمين ظروف صحية جيدة للناس. وبهذا الخطاب انتهى اللقاء الجماهيري وأنقض التجمع بسلام.

وغادر الوفد إلى فندق النيل لأحد قسط من الراحة. وبعد الظهر ذهبت إلى مركز الشرطة للاطمئنان على موقف الأمن، وعند وصولي لاحظت أن هناك حوالي سبعين معتقلاً يستظلون بأشجار فناء المركز بينما وقف شرطيان يحرسان البوابة. وقد أدهشني أن أرى من بينهم سعاد إبراهيم أحمد الحريجة الجامعية التي عمل بمصلحة الإحصاء والتي كما قيل لي كانت تحرص الأُمالي للانضمام إلى التطاهرة للقادمة من أرقين وحيثما كنت أرجع حالتها، جاءتني مكالمة هاتفية من الخرطوم. وقدم المتحدث نفسه بأنه اللواء محمد

نصر عثمان<sup>(١)</sup> والذي كنت أعرفه كوزير بلا وزارة وعصو بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة فأخبرني بأنه قد بما إلى علم الرئيس عبود أن حوالي سبعين شخصاً قد تم اعتقالهم بواسطة الشرطة لاشتراكهم في تظاهرة سلمية. فأكدت له صحة الأمر فمضى إلى القول بأن الرئيس قد أصدر توجيهات بأن يتم إطلاق سراح المعتقلين فوراً ولا تستخدم الشرطة القوة ضد الأهالي الذين ينبغي السماح لهم بقدر الإمكان - بالتنفيس عن غضبهم بالطريقة السلمية، وذلك احتراماً منه لمشاعر أهالي وادي حلف تجاه قرار الحكومة باحتجاز وطنهم الجديد وتقديرأ منه للحالة العامة لروحهم المعنوية. وأحتتم محادثته بالقول به قد اتصت سلفاً باللواء فريد واللواء البحاري في فندق السيون وغلب تلك التوجيهات إليهما. فرددت عليه بأن التوجيهات سوف تنفذ، لكن بحساسة الفوري أنها كانت معمة بعطف إنساني رائد. وتصلت بالبحاري هاتفياً فأكد تلقية لهذه التوجيهات. وتبعاً لذلك أطلقت سراح المعتقلين السبعين فلاحضت أن (سعاد) التي كنت سعيدة بإطلاق سراحها قبل عودة الوفد إلى الخرطوم ، قد اتجهت نواً إلى قرية دغيم بنية إحدث مزيد من المتعصب حثماً.

تم تسريب المحادثة التي جرت مع اللواء محمد نصر عثمان - حالاً - بواسطة عامل التوصيلات الهاتفية والذي كان يسترق السمع للمحادثه كلمة كلمة. وانتشرت الأخبار بسرعة حيث كل كل شخص بصيف إليها شيئاً من بدأت أفكاره إلى أن صارت توجيهات الرئيس للشرطة ألا يستخدموا القوة (حتى ولو استأصلهم الأهالي عن بكرة أبيهم).

(١) برزنت محمد متعلي نصر - الخرطوم

وفي الساعة الواحدة ظهراً تحرك الوفد إلى منزلي لتناول طعام العشاء. وأثناء تناول الوجبة، لاحظت وجود صايط الشرطة (محمد الهدي) بحديقة المنزل وكما يبدو عليه أنه يريدني فانسحبت خارجاً لمقابلته، وإذا بملاح وجهه المرعجة تنبئ بأنه يريد أن يعصي إلى بأحذار خطيرة. وأخبرني بأن نجماً كبيراً قومه ٣٠٠ شخص ينتظم على شارع الأسفلت قرب جمع قرية دعيم. كان البعض يحملون عصي غليظة وآخرون يدحرجون أحجاراً ضخمة وصحوراً من ماء يقع بالقرب من مرسى القرية ويكومونها على الأسفلت لعرقلة المرور وسد الطريق أمام موكب سيارات الوفد حين يتحه إلى المطار. وكان بعضهم يحملون المعاول والأزاميل ويحاولون إحداث تلف بذلك الطريق بينما تسلق بعض الأشقياء منهم أعمدة الهاتف وقطعوا أسلاك الخط الرئيسي المتصل بالخرطوم. وقال إنه قد ذهب إلى مسرح الحادث ووقف على الروح العدائية للمتجمهرين وعدم رغبتهم في الاستماع إليه. وأقترح علي أن أستخدم حامية الجيش لمساعدة الشرطة في حفظ القانون والنظام. فأخبرته بأنه ما دام الفوبسيون لا يملكون أسلحة بارية أو أسلحة حادة من أي نوع، فإنه لا حاجة لاستدعاء الجيش وأن قواتنا الشرطية - على صبرها - قادرة على التعامل مع الوضع. وذكرته بتوجيهات الرئيس وأمرته باليقظة. وعندما غادرتي وقعت لحظات أفكر في العاصفة التي أحدثت تتجمع وتقرّب بعنف. ذهبت مباشرة إلى جهاز الهاتف لأتأكد من حالة الخط الرئيسي. وطلبت من المحول توصيلي بالهاتف العمومي لقرية دعيم وبعد لحظات أفندي المحول بأن الخط معطل.

حلال كل ذلك الوقت لم يكن الوفد الرسمي يدري بما حدث وكان -

حببها - يستمتع بأحر أطباق الوجبة. فأحدث مقعدي على مائدة الطعام والذي

صانده أن جاء جانب المقبول، فهمست إليه بحلاصة الموقف وتبادل  
الحائسون الهمس، وبعد دقائق - تناولوا خلاتها رشقات عجلي من التوبة -  
خرجوا ميممين شطر الفندق، وعند وصولك هناك عقدنا اجتماعاً قصيراً اتسمت  
نتيجته العوربة بالحكمة: فقد روي أب يتم تقليص المخاطر التي تؤدي إلى  
تدهور الموقف وأن تؤجل معادرة الوفد إلى اليوم التالي - نحو طاً لنتائج  
السلوك القبيح الذي بدر من تجمهر أهالي دغيم - وأصدروا إليّ تعليمات بأن  
تتجنب الشرطة الاحتكاك بالأهالي، وتبعاً لذلك سحبنا قوة الشرطة من أطراف  
قرية دغيم وشرناها حول الفندق.

وفي الساعة الرابعة مساءً، بدأ المتجمعون في قرية دغيم - والذين  
كانوا ينتظرون بتوتر وقوع موكب المغادرين في الشباك التي نصبوها -  
يدركون أن الوزراء قد غيروا مواعيد السفر. فقرروا التوجه سريعاً إلى  
الفندق. وفي الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة تبيّنت أنهم يدفعون إلينا  
بأعداد غفيرة. فجمعنا قوة الشرطة وطلناها في صفوف كانت بمثابة جدار  
سميك يحيط بمباني الفندق. ووصل المتظاهرون في موجات أحدثت تجمع في  
حشد كبير أمام الغناء الواقع بين فندق النيل وشارع الأسطى الرئيسي. ثم بدأوا  
يهتفون: (لين و صولك يا عبود). وفي حلال وقت قصير انضم إلى التجمهر  
القرويون من أرفين وأشكيت والذين نصائف وجودهم بالمدينة في ذلك اليوم.  
كذلك جاء أهالي ديروسة وانصموا إلى النظاهرة لينصم بهم التجمهر  
وبرداد، وشاهنت سمعان إبراهيم أحمد نقود صفاً من النساء في ملابسهن  
التقليدية السوداء وقد قدمن من جهة قرية دغيم وانتظمن حلف المتظاهرين  
وبذلن يحنين التراب في الهواء مما خلق سحب كثيفة من الغبار. وكن يهتفن



بصوت عالٍ وبلهجتهم الخاصة، (الموت ولا الذهاب إلي حضم القرية).<sup>(١)</sup> واستمرت التطاهرة سلمياً إلى أن تسال إليها الانتهازيون السياسيون بهتافات: (فقدت نفقتك يا عبود - إلى الثكنات يا عساكر). وبذلك بهرقت التطاهرة من قصبة وادي حلفا إلى أمر آخر. واستاء الزوراء - الذين كانوا يجلسون في حديقة الفندق وهم يستمعون إلى هذه الهتافات - من هذا التعبير الذي طرأ على المرفق. ثم خرج الزوراء البحاري وهو يحمل مكبر صوت يدوي قرأ لأول مرة حجم التطاهرة التي تسبب محيء الوفد في حدوثها وعندما رآه الجموع حيم السكون على المكس. فارتحل كلمة قصيرة بوجه فيها السماح السلطة للمظاهرين بالتعبير عن مشاعرهم وعن أنهم قد شعروا من الهتافات التي طرقت آذان الوفد ووصلت إلى علمه. وهو يرى أنه لم يعد هناك سبب يبقينهم لمريد من الوقت وينصحهم بالرجوع إلى أهلهم بسلام. وحال رجوعه إلى القنصل، رأيت بعض العناصر وهي تقذف بالحجارة على رجال الشرطة الذين ظلوا ساكنين طوال الوقت. وعندما رأى (الهدى) رجاله وهم يتعرصون لوابل الحجارة، أمرهم باستعمال الغاز المسيل للدموع لتفريق النجم. وفي هذه اللحظة ناديت بعض العنلاء من بين المظاهرين وحذرتهن من المبالغة في إثارة رجال الشرطة بما يعقدن السيطرة عليهم ويقود إلى عواقب وخيمة. فوافقوني على رأيي وأنطلقوا في ثوانٍ ليحوصوا في لجنة الحشد. وقيل العروب - بقليل - رأيت التجمع وقد بدأ يتفرق. وهكذا انتهت التطاهرة دون إصابات فيما عدا أدى بسيط لحق بثلاثة من رجال الشرطة بسبب الحجارة التي قدت عليهم.

<sup>١</sup> - ص ١٠٠ بالبريد (فندق) ولا هو مترو حسب المزمع (٧)

كانت الحقيقة التي أبدرتها هذه التظاهرة هي أنها أسمعت لصوت  
المعارض للتهجير من وادي خلعا وهي أيضاً التظاهرة الأولى التي شهدها  
النظام العسكري للرئيس عبود

وفي الساعة السابعة مساءً وبمبادرة شخصية منه - اصطحب داوود  
(صالحين وأخاه محمد) إلى قرية دعيم لتهنئة السكان. ففقدوا اجتماعاً مثمراً  
مع الأهالي الذين بدا أنهم قد هدأوا بعد أن أفرغوا شحنة عصيهم. وأقر أهالي  
القرية أن لا ضرورة لإثراء أي مكانب أخرى وتعهدوا بأن يتولوا المحافظة  
على هدوء أهلهم وعلى عدم اعتراض موكب الصيوف عند مروره إلى  
المطار في اليوم التالي. وبعد نجاح مهمة داوود السلمية، افتادت الشرطة  
عمسة من السجاء الصحايدة (الذين لم تكن لهم صلة بأحداث الشغب)  
وستخدمتهم في إزالة الحجارة عن الطريق الذي لم يحدث المتظاهرون فيه  
صراً سوى ما أصاب سطح الإسفلت من آثار طعيفة كذلك استطاع مهندس  
التبريد بالمركز وبمعاونة عمال الهاتف - إصلاح الخط الهاتفي الرئيسي  
المتجه إلى الخرطوم. وبحلول الساعة الثامنة عادت الأمور إلى مجراها  
الطبيعي .

تناول الوفد طعام العشاء مع الدكتور محمد أحمد علي بمرله بدروسه  
حيث تجمع أشخاص قليلون وهم يهتفون. إلا أن بعض العقلاء وبحوهم علي  
سوء استقبالهم لصيوف الحي، فانصرفوا حائنين .

وفي صليحة اليوم التالي وباء علي اقتراح من داوود - بطمنا  
رحلة برلية للوفد على متن الباحرة (البرهرة) وكان داوود يرمي إلى إعطاء  
فكرة للوفد عن القرى وأشجار النخيل في بلاد النوبة واعتُمت الفرصة

فدعوتُ بعض الأعيان لمرافقة الوفد وتبذل الزاي معه. وقد بلغت الباحة شمالاً إلى نصف المسافة من فرض. وعندما مرّت بأرقيس كانت غابت انخيل الكثيفة تعطي شاطئ الديل وتحجب القرية عن العين وبمعكس منظرها على صفحة الماء الزائق بشكل بديع. وعندما جاءت الباحة بمحاذة دبيرة، ظهر جمع من النساء على شاطئ وهن يحثبن التراب عليها تعبيراً عن السخط والاحتجاج. وأنشاء الرحلة تبادل الوفد حديثاً منطقياً وبناءً مع الأعيان على مائدة الإفطار. ثم عدنا إلى حلقا في الساعة العاشرة صباحاً لوجد رتل السيارات في انتظار الوفد لحمله إلى المطار. وعندما تحركنا قال لي ضابط الشرطة - الذي بدأ لي في روح معنوية عالية - أن كل شيء يسير على ما يرام. ولم يهدر الوفد شيئاً من الوقت حيث تحركت السيارات في خلال دقائق. وعندما مررنا بدعيم تحققنا من أن أهلها قد التزموا بوعدهم سوى أن معاد إبراهيم أحمد قد هتفت ضد اللواء فريد. وعدا شيخ وقف وحيداً وهو يرفع عصاه صائحاً (عاش أهالي حلقا)، فقد حلا الطريق - تقريباً - من الناس. وبعد ربع ساعة كان الوفد في باطن الطائرة استعداداً للإقلاع إلى الخرطوم وفي ٢٥ أكتوبر تجمع رجال وساء من النوبيين الذين يقطنون الخرطوم بشارع القصر وسبّروا تظاهرة تصامماً مع رفقاتهم في أرض النوبة. وقد قاد التظاهرة السيد محمد توفيق مدير مصلحة العمل في اتجاه القصر - وهي نهاتف: حلقا .. حلقا .. عاشت حلقا\* وعند تقاطع شارع الجمهورية انضم إلى التظاهرة طلاب الجامعة - الذين خرجوا من داخلها بهم - في موكب صخم وتسلموا دمام الهتف وأحالوا التظاهرة إلى عمل سياسي معارض. ولم تكن الشرطة رحيمة هذه المرة لأنها استعملت الهراوات والحر

المسئول لدموع وألقت القبض على الكثيرين ممن فيهم محمد توفيق الذي تم تسريحه من عمله عقب التحقيق. وقد سببت إحالته إلى القضاء استياءً في وادي حلما واعتبرت عملاً انتقامياً ضد التظاهرات التي قام بها النوبيون.

.. والأمر نفسه اتحدت الحكومة قرارها الشهني لصالح حير حشم القرية، قائني أود أن أدلي برأيي حول ذلك القرار الهام والمثير للجدل.

يلوم كثير من الناس الحكومة على مشاورتها للنوبيين بشأن اختيار وطنهم الجديد ويشجب (توم لينل) في كتابه (سد أسوان العالي) هذا السلوك باعتباره خطأ ويثني على السلطات المصرية لمسلكتها الحازم باختيارها (كوم أمبو) وطناً بديلاً للنوبيين المصريين دون اعتبار لرغبتهم ورأيي الشخصي - حسيل هذه المسألة - مختلف جداً. وبرغم كل شيء من النوبيين قد وجهوا بكارثة خلفتها الحكومات. وبلا شك جبهه انقلب وتيرة حياتهم رأساً على عقب وفقدوا ديارهم ومتاعهم وأرضهم. كل هذا إلى جانب قطع الأوصال للوحدانية التي تربطهم بوطنهم. ومالرغم من أن السد العالي يمكن أن يعتبر أحد أعظم إنجازات البشر، فإن الأمر بالنسبة للنوبيين لا يعدو أن يكون لعة. إن تجاهل كل هذه الاعتبارات العاطفية عند معالجة شأن حطير يتعلق بمحو وطن أحداً منهم، هو من قبيل العرول بهم إلى مرتبة السوام. ولست أدري ماذا كان سيكون شعور (توم لينل) لو وجه بوضع معائن في وطنه وأجبر بواسطة حكومته على الرحيل والعيش في مكان لا يريده. لهذا السبب أعتقد أن لعة الحكومة كانت نبيلة وإنسانية.

إن السؤال الحساس الآخر - الذي يسأل - هو: لماذا لم تلزم الحكومة نفسها بتسيحة التصويت إذا كانت جادة حقاً في احترام الرغبة المحلية؟

والإجابة على هذا السؤال، يلزمي أولاً أن أناقش الظروف التي تحكمت في النتيجة ثم أعلق على النتيجة ذاتها. فلو كنت موبياً لحرصت على حصر احتباري في موقعين لا ثالث لهما: (وادي الخوى) أو (حشم القربة). فبالنسبة للموقع الأول، فإنني أسفست العول في الميزات الفريدة التي تميزه عن بقية المواقع وهي ميزات تنحصر في تآكل الظروف البيئية والمناخية مع تلك السائدة في وادي حلفا. وبالتالي فإن أهالي حلفا لن تواجههم أي تعبيرات اجتماعية أو اقتصادية مما يمكنهم من محاولة نمط الحياة الذي اعتادوا عليه. فيمكنهم بناء منازلهم بنفس التصميم المتعارف عليه في وادي حلفا ورحرفة مدخلها بصحبات الصببي. وستكون الفرصة مواتية لرعاية أشجار النخيل ولامتلاك مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للدورة المحصولية التي يعرفونها. وفوق ذلك فإنهم لن يضاروا بالأمطار ذات الزوايح الرعدية التي لم يحدوها ولا يأمنوا جانبها أما الارتفاع المتوقع في تكلفة الري فيمكن تعويضه بالتمتع بهذه الميزات. ويبقى على الحكومة أن تتشغل بهم الصعوبات الفنية والمواصلات. تلك هي الحواص الفريدة التي تحل من (وادي الخوى) حياراً جدياً - إذا لم يكن الخبر الأقرب - للدوير. ذلك أنهم إذا أرجعوا البصر إلى ما وراء (وادي الخوى) جنوباً، فإن أي حجة حول الظروف الملاحية والبيئية ستتفك لأن المواقع الخمسة الأخرى كلها تقع في نطاق حزام المطر ذي المسوب المشابه تقريباً. أما الظروف الاجتماعية والبيئية فلا تختلف - من موقع لأخر - كثيراً. فحرب الشكرية والحسانية والكواهلة والبطاحير والجموعية لا يختلفون عن بعضهم بعضاً إلا قليلاً. وقس على ذلك الظروف الصحية بينهم، فكما قال الدكتور محمد أحمد علي فإن الوسائل

الطبية الحديثة قد هرمت الأمراض المعية وجعلتها تحت السيطرة وبالرغم من أن الكلارار قد يظهر بصورة منقطعة في منطقة حشم القرية، إلا أن المواقع الأربعة الأخرى عرصة لانتشار موسمي لمرض الالتهاب السحائي. ومن هنا فإن العوامل الحاسمة المتوفرة للمعاصرة بين تلك المواقع تنحصر في سعة المساحة القابلة للزراعة وخصوبة التربة وتكلفة الري وإمكانات التنمية الصناعية وظروب المواصلات. وإذا ما تم تطبيق هذه العوامل بطريقة إيجابية، فإن (حشم القرية) كانت ستكون هي الخيار الأفضل. صحيح أن الأهالي قد تمت إشتارتهم وأن لجتهم المحلية قد مارست احتصاصها وأنه قد تم الوصول إلى نتيجة. غير أن هذه النتيجة شابتها ثغرات وجوانب من القصور أصعبت صورتها، ولا يلام أحد على تلك سوى اللجنة المحلية. فقد استندت - سلفاً - الطريقة التي تم بها تكوين اللجنة وأوصحت كيف أنها حجبت وجهات نظر معية من أن تجد تمثيلاً فيها. وعلمت على سلوك طبقة الأثرياء ودورها في محاولة التأثير لإصدار قرار لصالح منطقة (الكرو). فمذ قيام اللجنة كانت أغلبية أعضائها وقاداتها (على وجه الخصوص) تنتمي إلى هذه الطبقة. وبعد زيارة السيد داوود اتخذوا خطوات واثقة لتوطيد موقعهم وخدمة أغراضهم. وهناك دلائل عديدة يمكن تسجيلها في هذا الصدد. فقد تم اختيار أسماء الوفد الذي يمثل اللجنة - بداية - من طبقتهم. وجاء الإعلان الصادر من (لجنة الدراسات) حاوياً لمعلومات معلوطة عن خصوبة الأرض في منطقة (الكرو) نسبة تصليل البسطاء من الوسيين الذين يجهلون طبيعة الأوصاف السائدة في السودان وإغرائهم بتكيد خيار الرحيل إلى هذه المنطقة بالإضافة إلى ذلك، بالغت اللجنة في تصوير مرض الكلارار بوصفته بالانتشار

في حشم القرية وهو الموقع الذي رآه أعضاء الوفد حالياً من السكان. ولمسوء  
الحظ فقد سوا أن أكبر مشاكل وادي حلفا تتمثل في نقص الأراضي الحاد  
الذي أدى إلى هجرة الشباب الجماعية بحثاً عن الرزق في مكان آخر. فلو  
اتبعوا مبدأ الراحة والمصوغة لأعطوا أسبقية لحاجات الأهالي السطاء  
الضرورية الذين كان طموحهم للعالم في الحياة هو الحصول على أرض  
حصية واسعة ليفلحوها ويرفعوا بها مستوى حياتهم وبوصف هذه الأهداف  
الواضحة في الاعتبار، كان يمكن للجنة أن تقودهم إلى خير عظيم. ومن أصعب  
فإن اللجنة لم تلتفت إلى هذه الضرورات الحيوية وتمسكت ببرنامجها البائسة  
مما عرّض كل المنطقة إلى تيار لست متصادمة من وجهات النظر وسممت  
الأجواء بدهاوى معرصة. ولم يكن مستغرباً - إن - أن تؤدي هذه العوامل  
مجتمعة إلى تلك النتيجة الفاشلة. وقد أوضح إحصاء الأصوات - بجلاء - أن  
اللجنة عجزت عن النهوض إلى مستوى الأحداث. فكل الفرقاء سقطوا في  
الامتحان ولا يستطيع أي منهم الإدعاء بتمثله لرغبة الأغلبية ولا حتى -  
نصف المقترعين. ولهذا السبب لم يكن أمام الحكومة من خيار سوى التدخل  
وبصدار القرار النهائي. ورغم ذلك فإنه لا ينبغي النظر إلى تدخل الحكومة  
باعتباره أمراً لا مبرر له إذ أنها - بعد كل ما حدث من ردود فعل الأهالي  
المعارضة واستيائهم وتظاهرا تهم الغاصبة - التزمت بما يمليه عليها واجبا  
الإنساني. بل إن النوبيين يتدهون - رغم صدامهم مع الحكومة - بمعاملة  
أكثر إنسانية واحتراماً مما لقيه ذووهم عبر الحدود المصرية.

أعود الآن إلى توالي الأحداث في وادي حلفا، فبعد عودة الوفد  
الوهابي إلى الخرطوم، استمر تلازم الأرواح المعنوية لدى السكان. وكنت

أنفهم أنهم يحتاجون إلى كم مقدار من الرمن لاستيعاب الحقائق واسترداد عافيتهم من أثر الصدمة غير أن الوضع قد ساء بتيحة لقرار اللجنة الشيع الداعي لمقطعة الأهالي لتعداد أشجار النخيل وبجرائات المحاكم الشرعية المتعلقة بالمراث. وقد قايلت أعضاء اللجنة وحاولت جداً أن أقنعهم بأن هذه الإجراءات لا علاقة لها بحيار (حشم القرية) وأن القصد منها هو تسجيل وحفظ حقوقهم من الممتلكات الثابتة التي ستتأثر توأ بمياه السد العالي بعض الضرر عن الوجهة التي يحتارون الرحيل إليها، وأن مقطعة هذه الخدمة - من باب العناد المحض - أمر لا يخلو من سمة انتحارية. لكن أحداً لم يعربي أنداء، فأحققت - بالتالي - محاولاتي. وجبت - بعد ذلك - انقري داعياً لتعاون الأهالي من أجل حماية مكاسبهم من التعويضات، لكنهم - أيضاً - أحجموا عن الاستجابة لي. إلا أن المؤيدين لحيار (حشم القرية) اتصلوا بي مبدئين الرغبة للتعاون مع بدائي لكسي لم أكن أرغب في تعريضهم إلى مزيد من التهديد أو أقحم موظفي التعداد وقصاة المساكم الشرعية في السرايات المحلية وقررت أن أترقب اللحظة المناسبة لحل هذه المشكلة بزماتها ولذلك كان عليا أن نوقف عملنا ومنتظر .

وفي ديسمبر ١٩٦٠، تم بحطاري بقرار الحكومة بإحالة السيد داوود - رئيس لجنة إعادة التوطن - إلى التقاعد. وقد أذهلتني هذه التطورات المفاجئة في الأحداث والتي لم أجد لها تفسيراً مباشراً. فبعض الناس ذهبوا إلى التحميس بأن داوود أثار المناصب بوادي خلفا في ٢٢ أكتوبر وسمح بروجته بالمشاركة في التظاهرة التي جرت بالحرطوم لكسي كنت أحرص أن ما قيل لا يشبه داوود - الذي كان يتفقد مصيباً كبيراً - ولا يليق بمثله أن يتأمر على



محدثه، وبما أنني كنت مسئولاً عن وادي حلفا ورقيبت الموقف عن كثب أثناء الأيام الحرجة، فإنني لم أجد أثراً لأي تدخل من قبل داوود فيما تحدثه الأهالي من ردود فعل ضد قرار الحكومة باختيار موقع (حُثم القرية) وهي ذات الوقت وإنني أستطيع القول بأن التصويت لم يكن مرضياً له. أما بالنسبة لمشركة روجته في تظاهرة الحرطوم، فإنني لا أرى أن داوود كان مسئولاً عن مشاركتها فهي - ككل النساء الثوبيات - قد عبرت عن مشاعرهما تجاه مسألة أثرت على قريبتها وعلى أهلها. وفي الحقيقة فإن كل أهالي دغيم الذين قادوا للتظاهرة كانوا من أقرباء داوود، ويصعب على المرء أن يتصور أنهم - لمجرد أنهم يمتثلون له بصفة القرينة - سيفقدون موقعاً سلبياً ولا مبالغاً بالإصفاة إلى ذلك، فقد لاحظت أن داوود كان مرافقاً للوفد الوزاري طوال ريارته للمطقة ولم يفارقهم إلا لحال دهابه في مهمة السلام الناجحة إلى دغيم. غير أنني فهمت مؤخراً - أن الحكومة كانت غاضبة من اتصاله بالمفكرة الأمريكية ومن دعوته للمستر (سكاف) بعير إلى معها. ولم يكن هذا تفسيراً مقنعاً لأن الحكومة بكل تأكيد - كانت على علم بمهمة للمستر (سكاف) قبل زيارة الوفد الوزاري لوادي حلفا، وأنا على يقين من انتقاء وجود لأي حبير أجني أو عالمي قام برفع تقرير للحكومة كما جاء على لسان اللواء البحاري أثناء إلقاء خطابه - إلا هذا المستر (سكاف) وتبرير إقصاء داوود بهذه الطريقة المريبة يدعو للشك واعتقد أن قرار بحالته للتقاعد كان جائراً وظالماً. فقد فقدنا بذهاب داوود رجلاً عظيم الكفاءة أنجرباً معه عملاً مثمراً بدأناه بنجاح وخطونا به مسافة محسوسة في مسيرة النهجير. وحل محله السيد حسن علي عبد الله وكيل وزارة الداخلية وهو رجل حبير

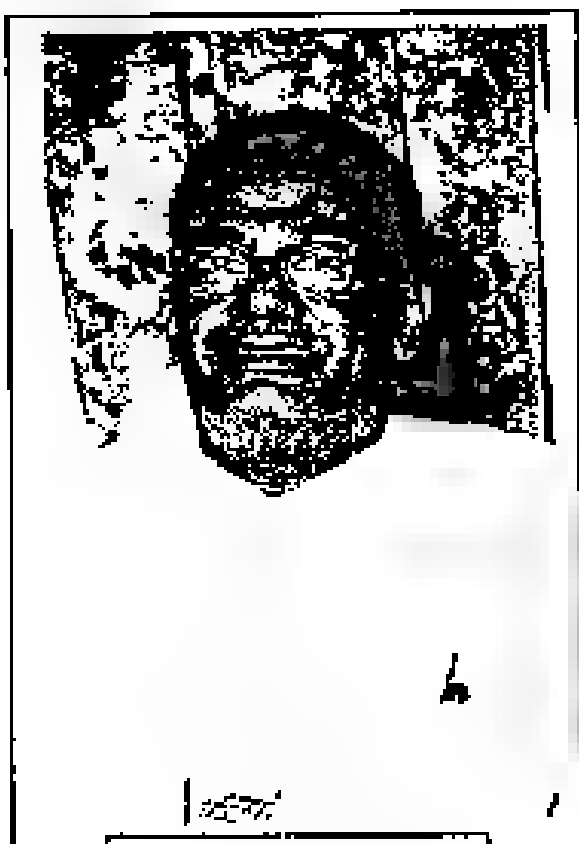
وحكيم ويتمتع بالكفاءة، وبالرغم من أن مسئولياته لم ترتبط مباشرة -  
بقضية وادي حنفاء، إلا أنه كان مطلعاً على موقعها الأمني كما ذكرت سلفاً،  
وبإحالة داوود إلى المعائن، استعرت حملة محمولة من الشائعات  
الحديثة ضد (خشم القرية) رست في ذهن الناس صوراً متوحشة يقابل  
الهندسنة والزبيدية وادعت أن مياه نهر عطبرة ملوثة بطفيليات فتاكة وأن  
لونها أصفر كبول الحصان وأن الأمطار تصب من السماء كأفواه القرب وأن  
الرعود تفوق في قسوتها القبلة التي أقيمت على هيروشيما وأن هناك داءً  
غريب يحيل الرجال إلى حوامل، وأن هناك قروود تعتصب النساء. وقالت  
الشائعات إن الحكومة كانت على علم بهذه الحقائق ولذلك قررت استخدام القوة  
لحمل الأهالي إلى القطارات تحت تهديد السلاح. وفي أحد الأيام جاء شخصان  
من نبيره إلى مكنتي للتأكد من صحة هذه الشائعات الحرافية فأحبرتهما أنني  
على استعداد لإرسالهما إلى خشم القرية ليريا بعيني رأسيهما إن كان فيهما  
أناس أم قروود ومدى إحساسهما عقب العودة - بحالة طبيعية أم بحمل.  
فضحكما مما قلت ثم غادراني.

وبتشجيع من سلوك الحكومة المتسامح تجاه أنشطة اللجنة التحريية.  
قامت اللجنة بإرسال خطابين وقحين إلى الرئيس طلست فيهما منه إسقاط حيار  
خشم القرية، لكنها لم تلق رداً ثم أرسلت في مارس خطاباً ثالثاً تشكو فيه -  
بقطاطلة - من عدم ردة على خطيبتها السابقين. وفي ١٣ مارس جاءني رد  
يفيد بحل اللجنة. ففمت فوراً بإرسال خطابات - في هذا المعنى - لأعضاء  
اللجنة. وهكذا ذهبت اللجنة المحلية في حبر كان

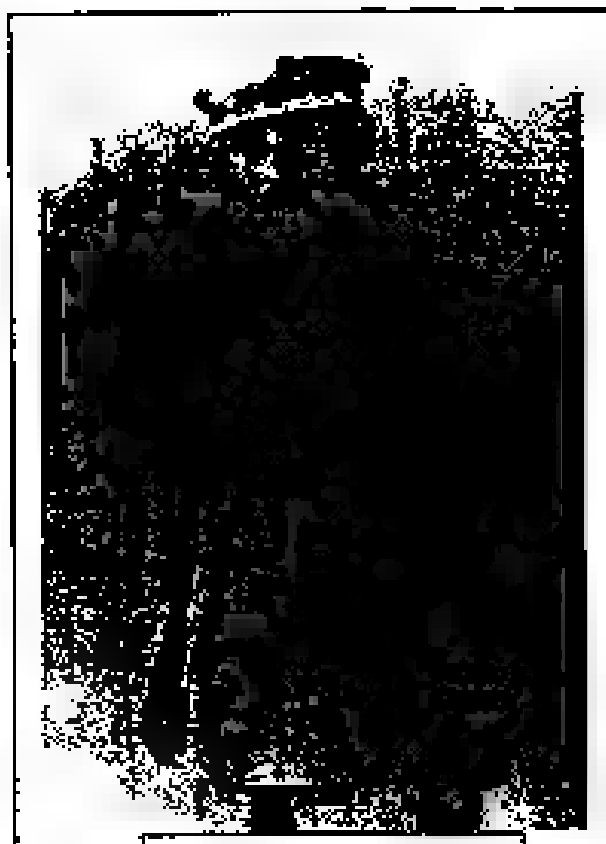
وحالتم تم حل اللجنة، فعزير الوضع تعبيراً كبيراً فقد شعرت أغلبية  
الأهالي برؤاى عبء الصعوط والمخاوف الذي فرصته اللجنة وصاروا أكثر

تعاوناً مع السلطات المحلية و اتصل بسى الأعيان من مختلف الجهات يطلبون  
استئناف عمل التعداد و المحاكم الشرعية بالنقري. وفي حائل أيام قليلة بدأ العمل  
ويتحسّن للموقف وجدت الفرصة سانحة لمواجهة الشائعات العديدة. فاقترحت  
في تقرير بعثت به إلى الخرطوم - أن تعلن الحكومة على الملأ أن التهجير إلى  
حشم القربة ليس عملاً إجبارياً بأي حال وأن من لا يرغب في الرحيل إلى هناك  
يمكنه تدبير حاله للإقامة في أي مكان يريده في السودان ووافقت الحكومة على  
الاقتراح وجاء لإعلان عنه بالنتيجة المرجوة .





د. محمد أحمد عتي



اللدء طلبة فريد



اللدء المقبول



اللدء البحارى

## الفصل الثاني عشر

### بدايات بناء الوطن الجديد

بعد عودة الوفد الوزاري إلى الخرطوم مباشرة - قررت الحكومة الإسراع بإقامة خزان حشم القرية والمشروع في تخطيط المشروع الزراعي .

فقد تقرر أن يُبنى الخزان على نهر عطبرة عند المصيق الذي يبعد أربعين ميلاً شمال النقطة بدير سنيت . وهذان النهران يجدران من جبال أثيوبيا وببعض منظم يعمل النيل الأزرق . ويبلغ عمق نهر عطبرة حوالي ٤٥ متراً عن سطح المسطحة المحيطة به بينما يبلغ سطح الماء في حالة الحد الأعلى للتخزين ٤٧٢ متراً فوق سطح البحر . أي أن سطح الماء ينخفض مترين عن سطح الأرض المحيطة به . يقدر مخزون الماء بما يريد قليلاً عن مليار واحد من الأمتار المكعبة ويمتد في اتجاه المنبع إلى حيث يلتقي النهران ويروي هذا الخزان مساحة تقدر بنصف مليون هكتار من التربة الخصبة على امتداد سهل حشم القرية . وهو حزان خطط له السيد مير عبي حمزة الذي كان وزيراً للري عام ١٩٥٦ ، وعند جاء نظام الرئيس عبود إلى السلطة ، قررت الحكومة وصحة موضع التنفيذ وقررت له التمويل ضمن الخطة العشرية . وعندما صدر القرار بإعادة توطين أهالي حلفا في (حشم القرية) ، أصبح لزاماً على الحكومة أن تولى إقامة حزان الأسقية الأولى . وتم توقيع عقد اتفاق مع بيت الخبرة الفرنسي ( سوجريا sogria ) لتصميم الحزان ولتعمل مستشاراً هندسياً لدراسة الري أثناء تشييده . وتم تحديد يوليو ١٩٦٣ موعداً لإنجاز العمل وفي يناير ١٩٦٠ أجري مسح جيولوجي في الموقع كانت نتيجته مرضية . وخلال عام اتوقيع على العقد بعام (سوجريا sogria ) بإعداد تصميم أنيق للخزان وأكمل خطط التنفيذ لحاء التصميم في شكل كتلة من الأسمنت المسلح طولها ٣٥٠ متراً وارتفاعها ( من قاع النهر إلى سقف

الحرار ( ٥٥ متراً ، ولهب سبع بوإيات تحكّم تسدّ مجرى النهر . وروك  
الحرار بثلاث ترينيات كهربائية متصلة سوايات التحكم تسج ٠٠ ٧ كيلو واط  
من الطاقة الكهربائية بالإضافة إلى ثلاث ترينيات أخرى بنفس الطاقة أقيمت  
على رأس القنطرة الرئيسية. وتم بناء سدّين ترابين يرتبطان بالجسم الرئيسي  
للحرار بالسفل المحيط به كجناحين يمتد أحدهما إلى مسافة كيلو متر واحد من  
الجهة الغربية ، ويمتد الآخر إلى مدى كيلو مترين شرقاً ، وكلاهما معطى  
بطبقة حجرية في الجهة المواجهة للماء .

خلال هذه الفترة تم نشر إعلان في الصحف العالمية يدعو بتقديم  
عروض لتشييد الحرار . وتم استلام ثلاثة عشر عرضاً ، وبعد فحص دقيق  
قامت به وزارة الري ومستشاروها ، فاز العرض المقدم من شركة تورمو .  
(Dott . Ing. Torno and .Co.) الإيطالية الهندسية وأُعلن في ٢٦ نوفمبر  
١٩٦٠ وذلك بمبلغ ٧,٤٥٦,٠٠٠ جنيه سوداني. وفي خلال ثلاثة أشهر كانت  
كل آليات التعميد في الموقع . وقام الإيطاليون بصب الحمال الفولاذية وبسوا  
برج التحكم وجهروا حلاط الأسمنت وماكينات تلج لتعدية الحلاط بقطع الثلج  
بدلاً من الماء . وحرطت البلدوررات والكسارات والعرايل كلها في عمل  
دؤوب وهي تكسّن أكواماً من الحصى من كل الدرجات . ولتوفير المأوى  
للمهندسين والعمال ، فقد بنوا مستعمرة صغيرة بمستوى جيد قرب موقع  
الحرار وألحقوا بها داراً للسينما ولتسهيل أداء الشعائر الدينية والترويح ،  
بنى الإيطاليون الكاثوليك مسجداً بمنزلة في منتصف معسكر العمال وبحلول  
فبراير ١٩٦١ تم إنجاز التحصيرات الهندسية وبدأت عمليات تشييد الحرار .

أب القناة الرئيسية للمشروع الزراعي فقد تقدمت لحفرها تسع وتسعون شركة مختلفة . وقارت بالعطاء ( شركة فليب هولرمان الألمانية ) تتقدمها سمعتها الطيبة في حفر قناة امتداد المائيل ، وذلك بمبلغ يريد قليلا عن مليون جنيه إسترليني . فجاءوا ( بحذارتهم وبولادوررتهم وكريلتهم ) في الموقع وسوا ورشاتهم ومستودعات وقودهم وشرعو في إزالة أمليون متر مكعب من التراب على امتداد مجرى القناة . وفي ذلك الوقت تم التوقيع على عقد مع شركة ( سويت داريان دي أندسري إكتريك ) لإقامة الحط المائل للكهرباء من مولدات الحزان إلى الموقع المقترح لمدينة حلما الجديدة على مسافة ٥٠ كيلو مترا .

وقد صممت هذه الحركة الإنشائية ، ما شرعت فيه وزارة الزراعة لإقامة مزرعة تجريبية في جوار المشروع وعلى حافة مساحة تبلغ ١٢٥.٠٠٠ فدان حصص لأهالي وادي حلف . فأقامت الوزارة مصحة قرب موقع الحزان وحفرت قناة صغيرة سفل الماء للمزرعة إلى مسافة ١٥ ميلا لري مباحثها البالغة ١٠٠ فدان والمقسمة لى ثلاثة أجزاء ، حصص الجزء الأول منها للتجرب البستانية التي تشمل زراعة أنواع مختلفة من أشجار الفواكه وأشجار السحيل . وخصص الجزء الثاني لزراعة المحصولات الشتوية كالقمح والشعير وأنواع مختلفة من قصب السكر . وخصص الجزء الثالث لزراعة الحاصلات الشتوية مثل البصل والبسة والفاصوليا والبنجر والبطاطس وحاصلات الشتوية ( السلطة ) وبجانب هذا العمل ، قامت مصلحة الغابات بتجارب واسعة لغرس أشجار الظل والأخشاب .



وحينما كان بويبو وادي حلف يوحى على وطنهم الفقيد، كان الشكرية  
الذين يقطعون في أطراف حشم القرية ينظرون باستياء إلى تحريرهم من  
أراضيهم لصالح المشروع المقترح. وبدأ شعر أوهم المحليون يطمون القصائد  
التي تعبر عن أسفهم وحربهم على ما حدث. فقد نظم أحدهم - وهو المصدق  
حمد مفلي :

هجاليج الحسن راجح حلاس ونجر  
ترع القرية ما هن في الإديهم حر  
أيكس بن الأرناب لالبيتر وعز  
ديك ناس حلقا فوق راس المعقل أن<sup>(١)</sup>

والمعنى : إن أشجار شحيح الحسن هي حشم القرية قد سقطت وزالت إلى الأبد  
، وإن الماء الذي سيجري في قنوات المشروع قد بدأ تحريره حلف ذلك السد  
الأدهم وإن على أرناب البطانة البرية أن تكي على حال كلب الصيد مبتور  
للخيل ، إذ أن ديك الحلقاويين على وشك أن يصيح من فوق جبل المعقل .<sup>(٢)</sup>  
وعندما رأى الشكرية الحركة الهادرة الدائرة فوق أراضيهم ، احتجوا لدى  
الحكومة وطالبوا بتعويض عن حق المرعي والرعاة الذي ذهب بقيام  
المشروع . وتسبباً لذلك تم تكوين لجنة لتسوية حقوق الأرض توصلت إلى

(١) عندما كانت المنطقة بكراً غير مشاع المشروع كانت الأرض العربية تسمى بها بمصطلح الشكرية ككلام العرب فكيف ربما ما  
مستكون معاً لأهالي حشا ودواجنهم لا يجمعها حرفة بعدد لثلاث الأرب

(٢) وحوالي ثلاثمائة ألف سمع المحب بصفه لفظ هذه القصة الشكرية ذاتي بار بصفه الذي حرمه - - عرفة المصدق رة حشا - هو

كما يلى هجاليج حسن راجح حلاس ونجر

ترع القرية ما هن في الإديهم حر

أيكس بن الأرناب لالبيتر وعز

ديك ناس حلقا فوق راس المعقل أن

اتفق بقضي يسمح جنبيه واحد عن كل فدان من الأرض لعرب الشكرية وذلك تعويضاً لهم عن حقوق زراعة ٦٨٠٠٠ فدان . ومنح امتياز إيجار الأرض للشكرية وقبائل محليه أخرى كانت يبلها ترعى في المنطقة ( وهو امتياز لا يؤثر على ماتم تخصيصه لأهالي وادي حلفا ) ، وتعويضهم عن حق مرور قطعانهم عبر المشروع إلى نهر عطبرة بحفر قناة (خارج حدود المنطقة المرروعة ) لري الإبل.

بعد ذلك صرف الشكرية استحقاقاتهم النقدية وباتوا ينتظرون حوائثهم في المرحلة النهائية للمشروع والتي تغلب نواطين أهالي حلفا .

وفي الخرطوم ، تم توسيع عضوية لجنة النواطين لتشمل ممثلين من وررسي الصحة والتربية والتعليم لجمال الجانب التنفيذي أكثر فاعلية . كذلك تم فتح مكتب فرعي للنواطين في خشم القرية برئاسة السيد عثمان حسين أحد رملائي . ودُعم مكنتي بموظفين إصافيين لمواكبة كل تطورات الموقف . واعتري التعبير وطيفتي قصارت (مفتش التهجير ) بدلاً عن ( مفتش المركز).

وفي الأسبوع الأول من أبريل اجترت عدداً من الأشخاص من كل قرى وادي حلفا وبعثت بهم في وفد لزيارة المزرعة التجريبية في خشم القرية . وكان الاحتيار واسعاً بقدر الإمكان ليمثل المؤيدين ، وغير المتحمسين ، والمعارضين فذهبوا بالقطار إلى الخرطوم ومنها استقلوا الحافلة عبر سهل البطانة إلى الوجهة المقصودة . وعند وصول الحافلة إلى خشم القرية ، لاحظ قود أن سوق القرية محجوف بشرطة مسلحة و ب ضابطاً وفي معيته ثلاثة من رجال الشرطة كانوا يقومون بحملة تفتيش عن السلع المهربة من

أنثيوبيا . وقد أثاريت هذه المعلومات حُب الاستطلاع عند ممثل (فرص غرب) في الوفد والذي نَقَعَ قريته على الحدود ما بين السودان ومصر حيث اشتهر رفاقه هناك بالتهريب . فزل من الحافلة وأجرى استفساراً مطولاً مع رجلين - كانا يقفان بالقرب منه - حول طبيعة وحجم التهريب في تلك المنطقة ونوع السلع المهربة ووسيلة تهريبها والدروب التي تطرقها . وقد استغرقت الاستفسارات إلى حد أنه نسي رفاق الرحلة الذين كانوا - وقد عرفوا مرافقه - يتابعون الحوار بانتسائات حبيثة . وعاد الرجل إلى مقعده وقد بدت على وجهه علامات الارتباك .

وبعد زيارة قصيرة لموقع الحراش ، إتجه الوفد إلى المزرعة التجريبية . وعند وصولهم كان مفتش الزراعة في انتظارهم . فطاف بهم على الأقسام المختلفة وشرح لهم تاريخ المزرعة ومراحل نمو المزروعات والإنتاجية التي تحققت في كل الأصناف المزروعة ، فسره ما رأوا وما سمعوا . فقد كانت ( شتول ) العنكة و السحل مخصرة وبامية ، وكانت أعواد قصب السكر عالية وممتلئة . غير أنهم بوجه خاص - أبدعوا بجودة إنتاج القمح وحجم حبه . وفي حديقة الحضر ، دهل الوفد بالنتائج الممتازة لكل أنواع الخضروات المزروعة بلا استثناء . وأدى كل أعضاء الوفد اهتماماً كبيراً برموز إنتاج الخضروات ماعداً صاحباً ممثلاً قرية فرص الذي كان يبدو أنه قد وجد صالته في سوق القرية . وعندما انتهت الزيارة لم يس المقفش أن يهدي أعضاء الوفد عيبات من إنتاج المزرعة حملوها معهم - عند العودة - في غبطة وابتهاج .

وعاد الوليد إلى وادي حلفا وأسس أعصابه في قراهم وهم يحملون العبيات التي كانوا يعرضونها في بيوتهم لمن يرغب في مشاهدتها ، وأحبرني أحد المناوئين لحيار حشم القرية - من أعصاب الولد - أنه قد جلب معه عينة من النصل يصل حجمها إلى مثل رأس الولد ، قائلا : ( بصلتان منها تكيل ربعاً ) . أما صاحبنا ابن قرية فرص فلا شك أنه قد أصاب إلى معروضاته معلومات مفيدة عن ظروف التهريب في منطقة حشم القرية .

كس للزيارة أثرها البالغ في إزالة مخاوف الأهالي حول حشم القرية . فقد أعطتهم أمثلة حية عن الإنتاجية العالية للأرض وحررت نفوسهم في مقاصد الحكومة . وأنتجت وزارة الإعلام قلماً سيمائياً ملوناً جميلاً (بناء على طلب مني) للمزرعة التجريبية تم عرضه في سينما وادي حلفا . وكنت أرتاد المينما يومياً لأتلعق الأثر الإيجابي الذي تركه على روادها . وخلال تلك الأيام اتضح لي جلب أن الطريق إلى حشم القرية أصبح سالكاً وأني يمكن أن أتبا بجاح عملية التهجير .

وبنهاية أبريل قام السيد حسن علي عبد الله - باعتباره رئيس لجنة التوطيد - بزيارته الأولى لوادي حلفا . فجاب عدة قرى استقبله أهلها بحفاوة . وقد ناقش معهم الحطة العمرانية الأولية التي تم تحضيرها لقراهم ولمدينة حلفا الجديدة . وقال إن الحطة ستكون حديثة وسترود كل قرية بحمامات عامة وخدمات اجتماعية . أما المارل فتبنى بالمكعبات الأسمنتية وتسقف بمادة ثابتة نقلياً لتكافة الصيانة . وستكون حطة ماء المدينة جيدة وبشكل منفرد يجعلها جديرة بأن تكون عاصمة للمشروع الذي يجري تنفيذه . وقال إن القرى - حمباً - ستبعد عز بعضها بعضاً بمسافة ٥ كيلو مترات

في انتشار على طول وعرض المنطقة المحيطة بالمكان والتي تتوسطها مدينة حلما الجديدة بحيث تقع أبعد القرى عنها بمسافة لا تزيد عن ٢٠ كيلو متراً . وهذا الوضع - في ذلك - يعتبر ميزة عظيمة بالمقارنة مع مسافة ٣٥ كيلو متراً إلى (فرص) في الشمال أو مسافة ١٠٠ كيلو متر إلى (عكاشة) في أقصى الجنوب من مدينة وادي حلما الحالية . ولإكمال حوائطه قام رئيس اللجنة بزيارات عشوائية لعدد من المنازل النوبية للتعرف على حالتها لراية وذلك لأحد المتطلبات الضرورية في الاعتبار عدد تصميم مساكنهم المستقبلية .

وبعد عودته إلى الخرطوم تم نشر إعلان لعطاء عالمي لتحطيط كل القرى ومدينة حلما الجديدة ، ولتصميم المنازل والمباني الحكومية ، ولأعمال الاستشارية التي تساعد اللجنة في تنفيذ مشروع إعادة التوطين ، وللإشراف على الأعمال الإنشائية للمتقاعدين ، ولتحضير خطط التنفيذ والمستندات الأخرى التي يحتاج إليها مقدمو العطاءات الأجانب .

وفي يوليو ١٩٦١ تم توقيع عقد مع شركة (كوكس الألمانية الهندسية) لتولي تلك المهمة . وفي خلال الأسبوع الأول من أغسطس وصل مهندسان إلى وادي حلما يحملان تصوراً أولياً للخطوط العريضة التي يتبعها عند تصميم المنازل المقترحة للمساكن .

دعوت بعض النوبيين المتقاعدين للمشاركة في مناقشتنا مع المهندسين فتم الاتفاق على أن تلتزم حرط كل المنازل بالامتداد من الشرق إلى الغرب وأن يتم تركيب كل النوافذ والأبواب متقابلة ( شمال جنوب ) لتتيح قديراً كافياً من التهوية . ولتصمان عدم تسرب الحرارة الخارجية من خلال الجدران ، أقترح مهندسو (كوكس) أن تبني الجدران من الطوب الأسمنتي المصنوع أو

من طوب أسمنتى محشو بالحصى أسموه (روبكونكو) أما السقف فمن شرائح الإسبستوس وقد قوبلت هذه المقترحات بالموافقة ثم توفقت حرط المنازل التي يتكون المنزل فيها من غرفتين بمساحة ٣×٤ متر مع (برندة) مساحتها ٣×٦ متر . أما للمنازل الكبيرة فتصاف إليها غرفة للصوم والدوعين مزحيص وفناء بمساحة ٥٠٠ متر مربع إلى ٦٠٠ متر مربع يحيط به جدار مبني من الألواح الأسمنتية . وقد جادل الدوبيون - أولاً - في عدم كفاية غرفتين بالنسبة للمنزل المتوسط ، غير أنهم اقتنعوا بهما في ضوء تكلفة التشييد العالية

وفي سبتمبر تسلمت كراسة ضحمة تحري شرائط القرى وخرطة مدينة خنفا الجديدة بما في ذلك حرط المنازل والمرافق العامة بالتفصيل . فجاءت كل القرى في أشكال مربعة تشقها شوارع متعارضة لتخلق وحدات مستطيلة تتكون منها منازل متلاصقة ظهراً لظهر . وفي منتصف القرية سوق يحيط بالمسجد . وتبدو شرائط القرى متساوية للمساحة مثل رقعة الشطرنج . ومداخل القرى تبدأ بقاط الخدمات العامة . فإن أول ما تصادف الزائر المستوصف نقطة الشرطة فالمدرسة ثم السوق والمسجد . وفي أطراف كل القرى مساحات خالية مسورة لأغراض التوسع المستقبلي وهناك مقابر في زواياها .

وبالنسبة لخرطة المدينة فتبدو أكثر وجاهة لأن ملامحها الرئيسية مربعة وتشقها أربعة شوارع مستقيمة على امتداد حوافها ومقسمة - شارعين متعارضين - إلى أربعة أحياء . وميتصف المدينة حال من المباني وهو على شكل دائرة كاملة يحيط بها السوق ومباني الإدارة المحلية كالمحاكم المدينة

والشرعية . وعلى حافة المربع الخارجية من جهة الشمال المستنقى  
وخدمات المياه ومكتبي الزراعة والري . وإلى الجنوب تم تخصيص مساحة  
واسعة من الأرض للأغراض الصناعية ، وإلى الشرق تقع محطة السكة  
حديد. أما المدارس ومدارل الموظفين همزة على الأحياء السكنية بينما  
حجرت مساحة خالية في القطاع الشمالي للامتداد المستنقي

وكل المباني العامة تمتاز بارتفاع رائع ، فالمستشفى ذو الطابقين .  
يعتبر رصفاته في كل السودان مطهراً وتجهيزاً ، فيما عدا ذلك الذي في  
الحرطوم . والتصميم العريب الوحيد هو تصميم المساجد فهو مأخوذ من  
أشكال الكاثدرائيات والكائس القديمة ولها مآذن طويلة عريضة مثل أبراج  
قرع الفواقيس . والأغرب من ذلك ، الشكل العام للمسجد . فهو يقوم على  
جدران قصيرة الارتفاع وله سقف يحضر من منتصفه إلى أطرافه وتقوم على  
رواياه أشكال كما الخطافات ( صارات صيد السمك ) تشبه التي في المعابد  
اليابانية ومؤكد أن مهنسي ( كوكس ) كانوا يحلون تماماً أشكال العمارة  
الإسلامية أو إستخدامات المساجد . وعندما التفت بأحدهم في الحرطوم  
وإستفسرته عن هذا التصميم أجابني قائلاً ( إن القصد منه هو أن يكون مركزاً  
اجتماعياً ومكاناً للعبادة وداراً للسياحة ) وفات عليه أن يصيب مسرحاً  
لتصميمه لتكتمل الخدمات الإجتماعية! ولقد تم إلقاء هذا التصميم لاحقاً  
واستبدل بالشكل التقليدي للمسجد .

فمت بجولة خاصة لكل القرى أشرح للأهالي هذه الرسومات المدهشة  
التي تصور المعالم الرئيسية لوطينهم الجديد . كانوا يتابعون باهتمام وأنا أقلب  
صفحات الكراسة . فقد كانوا حريصين على معرفة كل التفاصيل من خلال

أسألهم العتيدة . وبالطبع فقد أثار تصميم المسجد كثيراً من الملاحظات الطريفة ، إلا أن بقية الأشكال كانت مرضية لهم .

وفي ٢٨ أغسطس صدر إعلان أجر يدعو الشركات العالمية للتقدم بعروضها لتشييد أصحم مشروع إسكان في تاريخ السودان . فقد شمل المشروع بناء ثلاث وعشرين قرية وبناء مدينة حلقا الجديدة : أي بناء ٧١٩٠ منزلاً للأهالي و ٦٨٣ منزلاً حكومياً وثلاثين مدرسة وعشر داحليات للطلاب وسبعة وعشرين مسجداً و ١٠٠ مبلى عام ( تضم مكاتب إدارية ومستشفى كبيراً وعشرين مركزاً صحياً ومحطة مياه للمدينة وأحد عشر محولاً كهربائياً ومهبط طائرات وطريق دائم يسير محاذياً لقناة الزبي الغربية حتى نهاية منطقة الإسكان ) . وتقرر توفير الإمداد الكهربائي لكل المنازل والمباني العامة بالمدينة ، وتم تحديد ٣١ مارس ١٩٦٢ موعداً نهائياً لاستلام العطاءات .

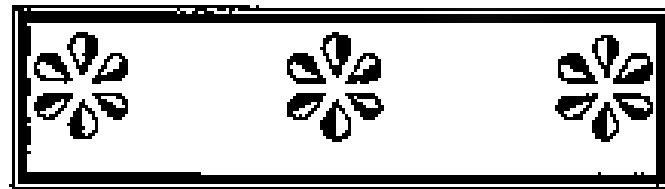
ومرت علينا فترة من الهدوء في وادي حلقا استطعنا أثناءها إكمال إحصاء أشجار النخيل في كل المنطقة . وبعد مراجعة القوائم سلمناها للسيد أحمد الطاهر (مستند التعويضات) وفرع السيد فرح شوريجي من تسوية الأراضي في عموديات (صرص ودواشان) فأصبحا قادرين على إعداد سجل الأراضي في صورته النهائية لتمكين المحاكم الشرعية من حسم مدارعات الأراضي الوطنية للشروع في مرحلة التعويضات.

وفي ٩ نوفمبر رفع المعرضون لخيار حشم القرية - خاصة أهالي دغيم - لافتات قماش سوداء على بوابات منازلهم في ذكرى توقيع إتفاقية مياه النيل . وكان المطر لافتاً للأنظار خاصة لركاب القطارات الذين يمرون بقرية (دغيم) في طريقهم إلى محطة حلقا أو إلى الخرطوم . وبما أن ذلك كان



تعبيراً سلمياً عن المشاعر ، فإن الشرطة لم تتدخل وظلت اللافتات تخفق في الهواء لأيام حتى تمزقت .

وفي ١٧ نوفمبر أقيم بحفال كبير في ذكرى العيد الثالث لثورة الجبش . فهي الساعات المأكورة من الصباح تجمعت أعداد كبيرة من القرويين وسكان المدينة في الميدان العم . إلا أن مناوئي حيار (جشم القرية) قطعوا الاحتفال بمن فيهم سائقو الحافلات من دعم مما أصطر المؤيدين للمجيء إلى المدينة مسيراً على الأقدام . وقد قمت بإلقاء خطاب مطول فصلت فيه الخطط المقررة للوطن الجديد في حشم القرية والخدمات التي حصصت للقرى ولمدينة حلها الجديدة . ويُنبت نسبة الإنجاز التي نحقق - حتى ذلك الوقت - في تشييد المرافق العامة والخطوط التي اتحدتها الحكومة من أجل بناء المدينة الجديدة وقراها . ثم قام النادي الرياضي باستعراض جمباري ، تلتها فقرات ترفيهية قبل أن يتفرق الجمع في سلام عند الساعة الحادية عشرة صباحاً . ومر باقي العام بهوء





حسن علي عبدالله



وفد اتباع حلف برور المزرعة التجريبية في حشم القرية

## الفصل الثالث عشر

### معالجة قضية التهويفات

في يناير ١٩٦٢ حُصرت سلسلة من اجتماعات لجنة خاصة ثم تكوينا لتقدير تعويضات أشجار النخيل والفواكه .

ترأس هذه اللجنة السيد حس علي عبد الله رئيس لجنة التوطين . وكانت - قبل أن تبث تلك اللجنة أعمالها - قد قمت بجمع أرقام من سجل المحاكم توصل إلى أسعار أشجار النخيل في المنطقة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية . وتم جمع معلومات من منطقتي مروي ودنقلا خلال نفس الفترة . كذلك تم جمع معلومات عن نسبة التعويضات السابقة التي دفعتها الحكومة المصرية لأهالي حريرة فرص عن أشجار النخيل التي تأثرت بإعلاء حزان أسوان في عام ١٩٣٢ ، والنسب التي دفعتها حكومة السودان عن بحيل الداخلية <sup>(١)</sup> في منطقة عطبرة . وفوق كل ذلك ، قامت مصلحة البساتين بإبتعاث خبراء إلى المنطقة المتأثرة بمياه السد العالي وذلك خلال موسم الحصاد في أكتوبر ١٩٦١ لأخذ عينات تقديرية لنسب إنتاج النمر من أشجار عشوائية مختارة من سواقي مختلفة تمثل كل العموديات . وشملت العينات كل أنواع البحيل كما شملت عمر كل أشجارها المنتجة . وأعدت قوائم أسعار الأنواع المختلفة للتمر خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة . وقام السيد يوسف حسن سعيد - الاقتصادي بوزارة الزراعة - بالبحث في مكتبته عن كل النظريات التي وضعها الاقتصاديون الزراعيون السابقون عن تقدير تلك التعويضات واستخلص منها قاعدته المستقلة . وقد شرح القاعدة في دراسة ضخمة مليئة بالجداول والمعادلات الجبرية لإرشاد اللجنة .

<sup>(١)</sup> تكوت من البساتين : حيد الخرم حيرهم ؛ كين وروا بلالو ، يوسف حسن سعيد - اقتصادي بوزارة الزراعة ، عبد الله محمد إلهي معني  
 وزير الزراعة ، أحمد الطاهر محمد فتوحات - عبد الخرم بجرمى استشاري القابلي للبناء ، د. عصي كنعان لدهجر  
 (٢) كتاب : طبخة رعية ، ولقد حول إلى برص مكتبة - تم تحويله لثلاث من فواصمهم و سحرهم

وأثناء إجراء كل هذه التحضيرات الرياضية ، كان النوبيون يتكلمون بصرياتهم الخاصة وعلومهم الجبرية التي يحسون بها للتعبير. فقد طلبوا في مكرة سلموها لي ، بصنع ١٠٠ جنيه عن كل شجرة وذلك على أساس قيمة المحصول الذي تنتجه الشجرة طوال عمرها. وقد هت بطرهم هي نقاش معهم إلى أن سعر السوق يتحكم في قيمة السلعة . فإذا تم جلب عجل للبيع ، فإنه لا يتوقع أن تصاف تكاليف تربيته إلى قيمته. وكذلك فإن سعر الدجاجة لا يشمل قيمة البيض الذي يتوقع أن تنصه بقية حياتها. وبالنسبة لشجرة النخيل فإن الأمر يتعلق بحقيقة أنها لا تعطى كل إنتاجها في موسم واحد ، مثلاً أن الدجاجة لا تنص بيضها مرة واحدة . غير أن توزيع حجم الإنتاج على مدى طويل و تقدير قيمته وتسويقه ينبغي أن يوضع في الحساب. وقد تقبلوا - في نهاية الأمر - حجتني ولم يتمسكوا إلا بالتماس أن تكون التفسيرات منصفة وعادلة .

وعقدت اللجنة خمسة اجتماعات متتالية درست فيها كل الأرقام . وقد قامت - بدوري - بإعطاء خلفية معلومات محلية حول تصنيف الأشجار المثمرة من مختلف الفئات العمرية تبعاً لنسبة إنتاجها . كما أذليت بلمحة حول التعرف الذي يحكم الاملاك الجماعى لأشجار النخيل والمعمول به في أجزاء عديدة بالمنطقة .

والأنواع التالية توضح النسب المختلفة للإنتاجية بالمقارنة مع الأشجار المثمرة : فالأشجار التي تعد ( نصف - مثمرة ) هي تلك الصغيرة قليلة الإنتاج ( وهذه النسبة تتسق مع المعدل الطبيعي لزيادة عدد أشجار النخيل عبر السنين ) . والأشجار ( ثلث - المثمرة ) هي ذات الإنتاج الكثر هي أفضل

الحالات . أما الأشجار (سرس - المعثرة) فهي التي بلغت من العمر عتياً أو تلك التي لا جدوى منها .

وفي وادي حلف بحث - غالباً - أن يتفق ثلاثة أشخاص على سرس ستة من أشجار النخيل شراكة . وفي هذه الحالة فإن على أحد الثلاثة أن يجلب ( الشتل ) وعلى الثاني أن يدبر الأرض أما الثالث فعليه أن يوفر الري . وعندما تنمو الأشجار وتثمر ، فإن إنتاجها يوزع بالتساوي بينهم . وفي بعض الأحيان فإن الاتفاق لا يعطي سوى الأشجار المبعثرة في أرجاء البستان . وفي هذه الحالة فإن لمالك الأرض الحق في استغلال الإنتاج محاصيل الدورة الزراعية و أي محاصيل أخرى . وهذه النماذج من الاتفاق - التي تسود في وادي حلفا - تُظهر أنه ليس من الضروري أن يكون مالك الأرض هو وحده صاحب النخيل .

لقد لاحظنا - من البداية - أن قاعدة السيد يوسف تقوم على الوحدات المكوّنة للقدس ، وأن قيمة الأرض صممت في نسبة التعويض التي تم التوصل إليها . وبما أن معظم أشجار النخيل لا يتم عرسها في بمائتين مستقلة وبما أن تقدير قيمة الأرض ضمن التعويض المقرر لأشجار النخيل يؤدي إلى مشاكل في حالة المشاركة ويستعصي فهمه للمزارع البسيط ، فإننا يمكن - بعملية حسابية عادية - طرح قيمة الأرض واحترال القاعدة لتتناسب مع قيمته المقدرة للشجرة الواحدة . ثم انهمكت اللجة في عمليات حسابية مصنية أخصت بين متوسط نسب الإنتاج ومتوسط الأسعار للمعادلة التي نستخدم لتقييم كل أنواع النخيل . ولقد كان من المدهل أن نحىء النتائج قريبة من أسعار السوق الحالية . وتم إجراء تقدير بـ أسطورة السيد عبد الرحيم ميرعسي

يعتمد على قيمة المحصول في عام ١٩٥٩ ( آخر الأعوام التي سدت فيها ظروف طبيعية بوادي حك ) ، وإجراء تقدير آخر بواسطة السيد عبد الحميد العتيبي يعتمد على القيمة الحالية لشجرة النخيل ، يستند الى نسب التوزيعات التي منعت لأشجار نخيل ( الداخلة ) بمنطقة عطبرة . وجرى إعمال التقديرات الثلاثة حنباً إلى جنب على كل الأنواع - قيم عدا بعض العروفات بالنسبة للبركاوي - فجاء الفرق بين أعلى التقديرات ولأسفل للشجرة الواحدة ثلاثة جبهات . ثم قررت اللجنة - بعد ذلك - الأخذ بمتوسط التقديرات الثلاثة ، وكانت النتيجة كما يلي

جنيه	١- أشجار النخيل:
١٠	شجرة التنديلة
٩	شجرة البركاوي
٨	شجرة البرنموذة
٥	شجرة الجاوي
١	نكر النخيل ( الصكر ) :
١	شئون غير مثمرة :
٥	شئون مستزرعة :
١٥	شئون لم تستزرع :

جنيه	٢- أشجار الفاكهة:
٨	شجرة المانجو :
٢,٥	شجرة الجواقة
١,٤	عريشة العنب .

١	شجرة الموز :
٣	شجرة البرتقال :
٣,٧٥	شجرة القريب :
٢	شجرة اليوسفي -
٢,٥	شجرة الليمون :

وتقرر إرجاء النظر في تعويضات كل أشجار الفاكهة غير المثمرة إلى حين إجراء التقييم - لاحقاً - بواسطة معتمد التعويضات . أما التقديرات الواردة أعلاه فقد رعت للمعتمد لإجراء مزيد من الدراسة .

وفي فبراير ١٩٦٢ تم تعيين لجنة أخرى لدراسة أسس وتقديرات تعويضات الأراضي (١) قامت بتصنيف الأراضي بوادي حلفا في ثلاث فئات ( زراعية ، سكنية ، تجارية ) وتمت دراسة وتحديد كل فئة منها

فتمت الأراضي الزراعية إلى نوعين رئيسيين :

١- ساقية - وهي للحزام الذي يمتد على طول ضاطئ النهر ويسقي - عادة - برافعات المياه .

٢ الجروف ( السلوك ) - وتصمم كل منحدرات الصنادق والجرف المنخفضة لتسقي تغمرها مياه الفيضان وتظهر عند هبوط منسوب النيل - وهي أراضي معطاة بطبقة من الطمي المشبع بالماء خلال موسم زراعي كامل .

وأرض الساقية تتكون كلياً - تقريباً - من طبقات مترافعة من الترسب والطمى ترتفع عن مستوى المياه السطحية بمقدار ١٠-١٥ قدماً وتمتاز بتركيبه سهلة الحراثة . وهي أرض مثالية لاستزراع الخيل ومحصولات

تكون من البند - كبلال عبد القادر - مدير الأراضي - عبد الرحيم الأبين - يوسف حسن سعيد - عبد الرحيم الزبير - محمد الصمد - عبد الله الطويلي - نائب معتمد التعويضات - حبيب محمد عبد الله - مسجل الأراضي - طه عثمان - عبد القادر - عبد القادر - محمد الطويلي



اندورة الزراعية والحمصيات . ونسبة لحصولها العالية بالإضافة إلى الأحوال المناخية الملائمة فإن إنتاجية السائبة تعتبر من أعلى الإنتاجيات في السودان. ول سوء الحظ فإن صيق مساحتها قد أدى إلى نقص حاد في الأراضي الزراعية بسبب في كساد سوق البيع والشراء فيها. ويثبت سجل أراضي وادي حلفا أن ملكية لأراضي قد بقيت حامدة لأجيال. وانعكست هذه العوازل في صورة فقيمة للبهظة للعدان عندما يعرض للبيع . وهي الحقيقة فإن قيمته لا تفقد بشئ والسابقة الوحيدة التي وقعت عليها اللحة هي التعويض الذي دفعته سكك حديد السودان لامتلاك شريط صيق عبر الأراضي الزراعية من مدينة حلفا إلى (فرص) لإقامة الحط الحديدي في عام ١٩٢٥ . فقد دفعت السكة حديد مبلغ ١٥٠ جنيهاً للقدس .

وقد تضمنت المذكرة التي رفعها كبير مفتشي الزراعة بالمديرية الشمالية أرقاماً عالية لنسبة إنتاجية افترية بوادي حلفا ، كانت أساساً طيباً لتقدير قيمة الأرض. وعندما أخضع السيدان يوسف وعبد الرحيم الأمين تلك الأرقام لقاعدة تقييم الأرض ، بلغ التقدير ١٧٠ جنيهاً نفس السابقة وبما أن أعضاء اللجنة كانوا على علم بإصرار أهالي حلفا على تعريضهم بقضايا عن كل فدان وبسبب أن قيمة الأرض الزراعية في أنحاء السودان الاخرى كانت أقل قيمة ، فقد وافقوا على ذلك التقدير باعتباره معقولاً .

و أراضي الجروف ( السلوك ) هي الأحصص من بين كل أنواع الأراضي الزراعية لأنها تتجدد سنوياً بطبقة من الصمي الحصب وتروي جيداً بمياه الفيضان بحيث لا تحتاج إلى وسيلة ري أخرى ، وبالتالي تنخفض تكاليف الفلاحة إلى حد ما الأدنى وهكذا فإن كل أراضي الجروف في

السودان تعسوق قيمتها أراضي السواحي بثلاثة أضعاف في بعض المناطق النهرية حسبما أوضحت الأرقام التي تم الوصول إليها . ولهذا السبب فقد وافقت اللجنة على اعتبار قيمة القدان ٢٥٠ جنيتها .

وبالنسبة للأراضي الرراضية الحكومية المؤجرة لمدة طويلة فإن التعويض بحسب على أساس الإيجار السنوي رائد التعويض عن القوات والمائي وتجهيزات الري . أما الأراضي التي يحدد إيجارها مسوياً فإن تعويضها يكون في شكل مدحة بالإضافة إلى التعويض عن القوات ووسائل الري الراقعة .

وبالنسبة للأراضي السكنية فقد ظهرت - في البداية - قلة الذين سيتأثرون بتقديرات اللجنة . والعالية العظمى من الأهالي سيرحلون إلى حشم القرية حيث يتم تعويضهم مدرلاً عن مدرل . أما الأقلية القليلة التي ستتأثر بالتقديرات فهم أولئك الذين يملكون أكثر من مدرل أو أولئك الذين يوتون الهجرة إلى مكان آخر . غير أن ملكية الأرض في المناطق الريفية كان يكتفها شيء من الممارقة كبير فالأراضي السكنية ليست مؤجرة كما أنها ليست ملكاً حراً . وبطبق ذلك - تقريباً - على كل القرى التي تأثرت بغيص ١٩٤٦ والتي لجأ ماطووف إلى الأراضي المرتفعة بعيداً عن شاطئ النهر حيث شيدوا قراهم، بينما أضيقت أراضيهم السكنية لتساقطة إلى الرقعة الزراعية . وما أن الفترة التي أعقبت عام ١٩٤٦ ، كانت نصيرة جداً بحيث لا تسمح بتطبيق القانون العرفي (بوصع اليد) فقد تحراعت تلك الأراضي المرتفعة ملكاً حراً . أما في المدينة فقد اتضح أن هناك حالات باهرة لطاهرة بيع وشراء الأراضي السكنية ( ملكية حرة ) خلال الخمسة عشر عاماً الماضية .

والأرقام التي تم جمعها عن قيمة إيجارات مارل عتيده في وادي حلقا بالإضافة إلى الضرائب المبروصة عليها لم تكن ذات نفع في تقدير قيمة الأرض إذ أنها في حالات كثيرة - تلقى ضوءاً على مستوى المائى أكثر من تحديدها لدرجة السكن أو شروط الملكية . وتبعاً لهذا الوضع فلم يكن أمام اللجنة خيار سوى الاعتماد على نتائج أرقام البيع والشراء للملكيات الحرة التي جرت في كوسني وشندي و استخلصت منها متوسطاً لسعر المتر المربع ، فكانت النتيجة كما يلي :

المتر المربع ( ملك حر ) في منطقة الدرجة الأولى : ٧٥ مليون  
المتر المربع في منطقة الدرجة الثانية : ٥٠٠ مليون  
المتر المربع في منطقة الدرجة الثالثة : ٤٠٠ مليون

ولم يمثل تقييم الأراضي السكنية لمؤجرة من الحكومة مشكلة للجنة لأنها سبق أن تحصلت على شروط الإيجار التي كانت سارية بموجب مزارد الحطة الإسكانية للمدينة لعام ١٩٤٧ . ورأت اللجنة أنه من العدل الأحد بمتوسط نتائج المزايدات التي جرت في وادي حلقا مؤجراً كما يلي :

قيمة المتر المربع في الدرجة الأول بمبلغ : ٢٥٠ مليون  
قيمة المتر المربع في الدرجة الثانية بمبلغ : ١٧٠ مليون  
قيمة المتر المربع في الدرجة الثالثة بمبلغ : ١٠٠ مليون

وبنم التعويض على أساس المدة المتبقية من عمر الإيجار لا غير .

وقد وُضع لتقري تقدير اعتباري قدره ٥٠٠ مليون للمتر المربع ، ويطبق على المناطق السكنية ( ملكية حرة ) حينما وجدت .

أما هي حالة الأراضي التجارية فلم يكن متوقعاً أن يتأثر أصحابها -  
بـ وحنو - بتقديرات اللجنة سبة لصالة عددهم . وقد قللني الرأي العام  
في أوساط ملاك الحواشيت إلى الاعتقاد بأنهم يدعون في إعادة فتحها بسوق  
حلفا الجديد بمن قبهم أولئك الذين يودون الرحيل إلى أماكن أخرى غير ( حشم  
لقرية . )

وكم حدث في حالتي الأراضي السكنية والزراعية فلم تقع مبيعات  
- يؤبه لها - في الأراضي التجارية خلال العقدين الأخيرين . وقبل أن تشرع  
اللجنة في اجتماعاتها ، جاء إلى وادي حلفا معتمد التعويضات والمستشار  
القانوني فدأبنا ثلاثتنا أمر تقييم الأراضي التجارية باستفاضة . وقد أخبرتهم  
بأن إيجار الأراضي التجارية - بلا استثناء - قد استوفى منذ وقت طويل  
وأن أحداً لم يثر متاعب حول تجديد الإيجار أو إعادة الملكية للحكومة . وكان  
رأيي الشخصي ( لو سارت الأمور في وادي حلفا على طبيعتها ) أن أجند  
الإيجارات مدامت المباني بحالة مرصية ومادام شاعلر الحواشيت موضع  
البحث . هم ملاكها المؤجرون . ولو طبقا عليهم حرفية القانون فإنهم لن  
يأثروا شيئاً من التعويض مما يعرضهم لحس عظيم لا يد لهم فيه . فاتفق معي  
زميلاي الأحرار على اختيارهم مؤجرين أصليين وبالتالي يستحقون التعويض  
. ثم قمنا بزيارة إلى عدد من الحواشيت وجمعنا أرقاماً أعطتنا فكرة جيدة عن  
الإيجارات ثم اطلع على تقديرات محايدة لأسعار معقولة للأراضي التجارية  
كذلك قمنا بدراسة الأقساط المسقوعة في مراد أراضي سوق (سرسه)  
بمدينة حلفا . وقد أطلع معش الأراضي اللجنة بأرقام بيع ملكيات حرة معينة  
من الحواشيت جرى في كوسني وودموني وأم درمن . وهذه الأخيرة من

المعلومات تمكّن من الوصول إلى مقياس لتقييم الأراضي التجارية بمدينة وادي حلفا كان كما يلي

قيمة المتر المربع ( ملك حر ) بالدرجة الأولى في المنطقة التجارية: ١ جنيه  
٥٠٠ مليون.

قيمة المتر المربع ( ملك حر ) بالدرجة الثانية في المنطقة التجارية: ١ جنيه  
وبالنسبة للأراضي التجارية المؤجرة أحدث اللجنة بتوسط الأقساط

المنفردة في مراد سوق (ديرومه) الذي انتهى إلى ما يلي :

قيمة المتر المربع ( إيجار ) بالدرجة الأولى : ٧٥٠ مليون.

قيمة المتر المربع ( إيجار ) بالدرجة الثانية : ٥٠٠ مليون.

ورؤى أن يُنفع التعويض على ما تبقى من فترة الإيجار وحدها . أما

ملكيات الأراضي الأخرى مثل السينما والمناجم والملكيّات غير المنقولة التي  
تم ترد في التصيب المذكور سلفاً ، فقد لُجئ تقدير قيمتها للجنة فية بعيها  
معتمد التعويضات .

وفيما يخص بتقييم المياني ، فقد أوصت اللجنة بأن يتم تقدير قيمة كل

المياني بمدينة وادي حلفا بالمتر المكعب ، وب يقوم التعويض على أساس  
قيمتها التجارية حسب تصديق مدير الأشغال لكل مستوى مهي . واشترط أن  
يوضع في الحسبان عامل الإهلاك ، أما في القرى فقد رُبط التعويض بالنسبة  
المقدّرة لنواع المياني (الأساسات)

وبتاريخ ١٢ مارس - وبناء على طلب اللجنة - قمت بتقديم مقترحات

للحصول على عور اقتصادي لتمكين الأهالي من تحاور المصاعب المتوقعة  
خلال الفترة الانتقالية ما بين مغادرة وادي حلفا وحصاد أول محصول في

الوطن الجديد . هذه الفترة ستكون - بلا شك - الأكثر جرحاً من بين كل مراحل إعادة التوطين . ستتعرض الأسر إلى بعض المشقة وتعجز عن تحمل مسئولياتها المبرلية أو الوقاء بالانترامات المتعلقة بالفلاحة ، مالم تنلق المساعدة . ومن المتوقع أن يتعرض جزء من أمتعتهم للصرر أثناء ترحيله مما يتطلب إصلاحه عسدد الوصول . كذلك فإنه لابد من تدبير المصروفات الضرورية لسد الاحتياجات المبرلية اليومية بالإضافة إلى الأعباء المالية الصعبة التي ستواجه أرباب الأسر خلال الأشهر الأولى في حثم القرية والتي تتمثل في فلاحه الأرض . يكسل ع فيها من عنت ومكابدة - وحصاد المحصول الأول وتسويقه . وما لم يتم حل هذه المشاكل بطريفة ما فإنها ستعرض الأهالي إلى كسة اقتصادية ونفسية وتسبب في تردي الأوضاع بشكل عام عقب إعادة التوطين .

ولتحفيف العبء حال تلك المشهور الحاسمة ، كان علينا أن نخار وقتاً - للرحيل إلى حثم القرية تكون فيه الظروف الاقتصادية للأسر في أحسن أحوالها ويكون فيه النشاط الزراعي في أسى حالاته . وهذا ما يطبق على فترة وجيدة من العام تبدأ من نهاية أبريل وتنتهي في أكتوبر وهي الفترة التي تلي حصاد الموسم الشتوي مباشرة . ففي هذه الفترة يستطيع المزارعون بيع حصادهم نقداً أو حملة معهم قوتا إلى وطنهم الجديد . وقد نعت تقدير قيمه الحصاد الشتوي في منطقة حلفا ٧٥١٥٤ جيباً ، منها ٢٥٤٩٩ جيباً من نصيب قري شمال حلفا التي سترحل في المرحلة الأولى . أما متوسط دخل الأسرة من هذا المنبع فهو ١٤ جيباً و ٧٠٠ لمليم باعتبار أن عدد الأسر ٢٤٠٥ أسرة والمحصول الرئيسي هو - القمح ثم بلية الفول

والبصل ويبلغ عدد الأسر في الجزء الجنوبي ٣٤٤٥ أسرة منها ١٣٢٧ أسرة من قرية دعيم وحدها . مما يهيئ متوسط دخل الأسرة إلى ١١ جنيه و . . . . . ملزم بسبب ندرة الأرض في منطقة (بطن الحجر) . وقد تم استثناء مدينه حلف من هذه التدابير لأن سكانها من غير المزارعين .

وبالرغم من أن هذه المقترحات لن تحل كل المصاعب إلا أنها منسباهم في تخفيف الصعظ على الأهالي أما المقترحات الأخرى لتقليل مصاعب الموقف فقد بحثونها وجهة للنظر التي تقدمت بها . وقد حرصت على تأكيد حقائق معينة تتعلق باقتصاديات المنزل والأرض في الوقت الراهن وشددت على مراعاتها قبل اقتراح الطرق والوسائل التي تساعد على سد حاجيات الأهالي المنزلية والوفاء بالتزامات الزراعة . فهي كل القرى بلا استثناء يعتمد دخل الأسرة على المصادر الآتية : محصول البلح ، والحوالات البريدية التي يرسلها أرباب الأسر لغائبون ثم المحصولات الموسمية المحدودة التي تجنيها الأمهات بمساعدة أطفالهن . وقد أظهر المسح الاجتماعي والاقتصادي الذي أجرته مصلحة الإحصاء أن تدفق الصرف كان منتظماً أكثر من تدفق الدخل ، وأن الدخل - في معظم الحالات - يعجز عن تغطية المصروفات اليومية . لذلك تلجأ معظم الأسر إلى الإئتمان وتعيش جريئاً على أرصنتها الدائنة . وعندما يهاجر هذه الأسر إلى حشم القرية فإنها مستكشبة أن كل مصادر دخلها - باستثناء الحوالات البريدية - قد تغيرت ، وأن محصولها الثابت من البلح والذي يدر عليها دخلاً سويلاً منتظماً دون أن يكلفها عبئاً ثقيلاً ، قد صاع إلى الأبد وأن الأمهات اللاتي كن يفلص

مساحات صغيرة من الأرض لن يستطيع مواكبة الترامات فلاحية ١٥ ذات هي حشم القرية .

وسد هذه الفجوة وتمكين لرياب الأسر من الجمين من تحمل مسئوليتهم كمرار عيس معكريين ، اقترحت تعويضاً نقدياً لهم عن أشجار التحيل أو على الأقل لن يمنع لهم قسط معقول منه قبل معادرتهم وادي حلفا . وإذا ما تمت الموافقة على هذه الخطوة ، فإنني سأتمكن من أحد ذمام المبادرة لأصبح الأهالي باستغلال جزء من تلك التعريص لإنشاء مؤسسة رراعية أو جمعية تعاونية عملاقة تمويل بأسهم بواقع جنيه واحد عن كل بخلة . وسيجمع الاكتاب رأس مال يفوق ثلث المليون من الجنيهات يكفي لشراء تر اكتروات وحاصيات وورش ورسائل نقل لتسويق المحصول . ويمكن لمجلس إدارة هذه المؤسسة أن يفرض رسوماً معقولة على الخدمات التي تقدم للمزارعين لمقابلة مصاريف تشغيل وإهلاك الملكيات يتم جمعها في زمن الحصاد كما يمكن لمجلس الإدارة أن يصرف بعض الأرباح للمساهمين . ولتوفير العمالة الماهرة فإنه يمكن تعيين فريق من أهالي حلفا يتم إرساله - بأعجل ما يمكن - إلى معهد الزراعة الآلية (بتوري) في منطقة العوج أو إلحاقهم بورش مشروع الجزيرة للتدريب على قيادة وصيانة الآلات الزراعية . وإذا ما أُلحِقنا في إنشاء هذه المؤسسة ، فإننا سنكون على يقين من أن أهالي حلفا سيصبحون مزارعين ناجحين عند قيام المشروع الزراعي الجديد ، ومن أن انتعاش حياتهم الاقتصادية المستقبلية ستكون أمراً مؤكداً . وسأدفع على ذلك هب دمع لتعويضات سيتمكن الأسر من تسديد ديونها قبل الرحيل مما يتيح لها استهلاك معيشتها في وطنها الجديد على أساس التعامل النقدي .



النقطة الثانية التي أثرتها هي : أن تقصر وزارة الزراعة الدورة الزراعية الأولى على المحاصيل ذات النصح السكر ، وذلك لكي يتمكن الأهالي من حصاد محصولهم الأول بأسرع ما يمكن . ثالثاً ، ينبغي زراعة أكبر مساحة ممكنة في المزرعة التجريبية بالحصرووات لتأمين تموين منتظم للأهالي عند وصولهم . رابعاً : ينبغي أن يشغل الموظفون قنوبيون ( الذين ستكون أسرهم بحاجة إلى وجودهم إبان الفترة الانتقالية ) كل الوظائف الحكومية في منطقة إعادة التوطين ، إضافة إلى أن المرتبات الشهرية لأولئك الموظفين ستعين الأسر في تعضية المصروفات اليومية . وقد أوصيت كذلك بأن تكون أولوية الاختيار لكل الوظائف الجديدة في مشروع إعادة التوطين قاصرة على القنوبيين وعلى وجه الخصوص أولئك الذين عادوا من الإغتراب للمعيش مع أسرهم . وأجيراً ، ينبغي أن توفر وزارة الإنتاج الحيواني (١) ما يكفي من الدبج لإمداد السوق باللحوم ، وأن تمد الأسر بالأبقار الحلوب (تحت الحساب ) لتوفير اللبن لعماء الأطفال . ويمكن أن تسد قيمة تلك لأبقار في موسم الحصاد .

.. هذه هي مقترحاتي التي رفعتها لتجاوز المصاعب خلال الفترة الانتقالية . ولقد وقع (برنامج الغذاء العالمي) مؤحراً مع حكومة السودان إتفاقية التزم فيها بالمساهمة بتوفير الأصناف الغذائية الآتية للأهالي خلال السنة الأولى التي تعقب إعادة التوطين :

١٢٠٠ طناً

القمح :

٦٥٠ طناً

خوخ معلب

١- كانت تسمى في تلك الأيام " وحدة للتربية الحيوانية " بدمبو

٥٥. طناً

رعيب :

٢٥. طناً

لين محفف مزروع النسم :

٢١. طناً

لين محفف كامل النسم :

٣٦. طناً

زيت نباتي :

وقد تم حساب هذه الكميات على أساس حجم الاستهلاك اليومي

للشخص الواحد وذلك على النحو التالي :

٤٠٠ جرام

القمح :

٣٥ جرام

للهاكية المعلبة :

٣٠ جرام

لين مزدوع النسم ( للكبار ) :

٤٠ جرام

لين مزدوع النسم ( للحوامل والأطفال ) :

١٢ جرام

لين كامل النسم :

٢٠ جرام

زيت نباتي :

لقد وُعد (برنامج الغذاء العالمي) التابع للأمم المتحدة هذا العون

تشجيعاً وموافرة للحكومات لمساعدتها في تنفيذ مشروعات من هذا النوع

بغرض زيادة إنتاج العالم من الغذاء . وينبغي ألا يحتل الأمر على القارئ

فيطن أن هذا العون هو (معمونة خيرية) كذلك التي يقدمها برنامج معمونة

اللاجئين. لقد أراح هذا العون المجري العفة الكأداء المنتظرة ومكسي من

تخطيط الجدول الزمني لبرنامج التهجير بحرية . وقد قامت اللجنة بتنفيذ بقعة

مقترحاتي، وأتبع الأهالي بصيحتي بأشياء جمعيات تعاونية هي قراهم الجديدة .



## الفصل الرابع عشر

إعداد برنامج تهجير السكان

ببهاية مدرس سدأت في إعداد برنامج أولي للتجديد . وبالاستعانة  
بتقرير التعداد السكاني ، قمت بحساب أعداد الراحلين وحجم المتاع لكل قرية  
وبالتالي تحديد عدد مركبات السكة حديد المطلوبة لنقلهم . كذلك قمت بعملية  
مماثلة لأغراض تهجير سكان مدينة وادي حلفا . وفي اجتماع عقدته مع  
مفتش السكة حديد تم تحديد عدد القطارات المطلوبة لنقل الركاب والمتاع كما  
تقرر إحقاق عربات نقل الحيوان بفطرات الأسمدة .

تم تقسيم العملية برمتها إلى ثلاث مراحل . تعطي المرحلة الأولى  
منها ، مدينة وادي حلفا وكل القرى الواقعة على صفتي النيل شمالاً ( فرص  
شرق وفرص غرب ومرتة شرق ومرتة غرب وديرة وأرقين وأشكيت ) .  
وقد تم وضع برنامج تهجيرها للتنفيذ خلال عام ١٩٦٣ . وتعطي المرحلة  
الثانية ( عفش ودغيم وجزيرة المجراب وقرية الكنوز المجاورة لبوهين ،  
وجمي وجرر كوكي ومرشد ) حيث يتم تهجيرها في عام ١٩٦٤ . أما  
المرحلة الأخيرة وتشمل . ( فرص وممنة ودواشات وقرى عمودية عكاشة )  
فقد أُنقِيت إلى عام ١٩٦٥ .

لقد واجهتني مشاكل عديدة وأنا أقوم بإعداد هذا البرنامج ، ذلك أنني  
اعتمدت كليةً على حيالي نتيجة لانعدام أي سابقة تتبع ، فتصورات ما يمكن أن  
يقع من أمور قل أن تحين ساعة الرحيل . وفي المقام الأول فقد وصفت  
اعتباراً لعودة معظم أرباب الأسر العائلين الذين يتوقع أن يلتحقوا بعوائلهم قبل  
الرحيل إلى حشم القرية . ويفتر عدد هؤلاء العائلين بما يسوي المقيمين في  
كثير من القرى . ولذلك فقد كان حتماً أن يخصص لهم مكانهم على متن

مركبات القطارات المتجهة إلى الوطن الجديد وبالتالي يقتضي الأمر أن يشمل البرامح قطارات إضافية عديدة .

وبالنسبة لمصحة الركاب فإن الكثير منهم يحتاجون إلى عناية مفكرة . وفي كل حين فإن هناك العجزة والمسنين والمرضى والحالات المتقدمة من الحمل وحديثات الولادة . ولا يتوقع أن يقوى هؤلاء على تحمل رحلة تمتد إلى ألفي كيلو متر دون رعاية طبية ، فكان علينا أن نوفر - لكل قطار ركاب مستشفى متنقلاً تحت إشراف طبيب ومجبراً بعرفة عمليات صغيرة وقابلة وطاقم مساعدة طبية . ثم إن المواشي المحمولة تحتاج إلى ما يكفيها من العلف والماء كما تحتاج إلى رعاية طوال الرحلة .

وتم توفير المواد اللازمة لحرم وربط الأمتعة بـ ٢٠٠٠٠ جوال مستعمل يمكن جلبه من مشروع الجزيرة و ٢٠٠٠٠ ربطة من الحبال و ١٥٠٠٠ قفة تجلب من مدينة أبو حمد . ويبيع توريح هذه المواد على الأهالي بوقت كاف قبل شحن الأمتعة . وبالإضافة إلى ذلك فإننا سحتاج إلى أسطول من عشرين شاحنة لنقل الأمتعة من المزارع إلى محطة السكة الحديد . ونسبة لاستمرارية عملية النقل ، فإننا سحتاج إلى فرقتين من الحماليين تكون الواحدة منهما - على الأقل - من ١٠٠ حمال . وبالنسبة للقرى الواقعة على الضفة الغربية فإن العملية ستكون مزدوجة لأن الأمتعة سيتم نقلها عبر النهر بإحدى البواخر .

وفي اجتماع مع السيد النريدي الصاوي مفتش السكة الحديد ناقشنا الترتيبات الضرورية للترحيل وحددنا المسار على الخط الرئيسي المتجه إلى الخرطوم حتى تقاطع عطبرة ثم على خط بورسوا إلى تقاطع (هـ) حيث

يسحب الحط جنوباً إلى كسلا ثم إلى حشم القرية . وسبب لأن حط حلقا - عطسرة كان خطأ حديد حقيقاً ، فقد استوجب ذلك استحداث فاطرات بحارية حتى عطسرة ومنها حتى بقية الرحلة يتم تسير قطرات ديزل كهربائية . وتستغرق الرحلة من وادي حلقا إلى حشم القرية أربعين ساعة . وقد تم الاتفاق على شحن الأمتعة المرورية في عربات الشحن تبع لتوالي السك في حشم القرية بحيث يمكن حمل أمتعة الأسر المتجاورة في نفس العربة . ويتم وضع علامة مميزة لمجموعة الأمتعة التي تملكها كل أسرة بينما يتم تثبيت قائمة بأسماء أرباب الأسر وعدد وعلامات أمتعتهم وعناوين أقامتهم الجديدة في حشم القرية وذلك لتمكين معتمد النواطين من معرفة وفرر إجراء الأمتعة وإرسالها إلى المزار قبل وصول أصحابها أما قطارات الركاب فقد تقرر أن تصمم كل منها مركبة مستشفى لرعاية المرضى وكبار السن ، ومركبة محتاطة من الدرجتين الأولى والثانية لراحة الحوامل وحديثات الولادة ، ومركبات من الدرجة الثالثة لبقية الركاب . ولتفادي الازدحام وحمل الرحلة مريحة يقرر لإمكان ، تم تخصيص عدد الركاب من ٨٠٠ راكب ( وهو الرقم المعتاد لركاب القطار الواحد ) إلى ٦٠٠ راكب لا يريدون . وبالرغم من أن الركاب سيتم توجيههم مقماً بأن تكون أمتعتهم المصاحبة لهم في حدود الحاجة التي تتطلبها الرحلة ، إلا أن مركبة أمتعة سيتم إلحاقها بكل قطار للركاب لمقابلة ما يتوقع من زيادة في المتاع . وتم الاتفاق كذلك على ألا يزيد فارق الزمن بين انطلاق قطارات الأمتعة وقطارات الركاب عن أربع وعشرين ساعة . ووفقاً للبرنامج سيتم ترحيل دواجن أسبوعياً .

قصا بعد ذلك برحلة قصيرة ( بالموتر تروتي ) على امتداد خط السكة الحديد إلى ( هرصر ) لتحديد محطات مناسبة لأقرب النقاط لقرى الصفة الشرقية ومن يقابلها من قرى الصفة الغربية . وعبرنا ( باللس ) إلى الضفة الغربية لاجتياز المواقع المناسبة لإرساء النواحر .

شكل نقل أمتعة (جزر كوكي) معصلة صعبة للغاية فالأهالي يعيشون في بيوت متناثرة على الجزر الصحيرية للشلال الثاني والتي تفصلها عن بعضها ممرات صيقة تجري خلالها بهرات جارفة . ولذلك يتعدى على أي مركب من أي نوع أن يدركهم ويلتقط حاجياتهم المنزلية ثم ينقلها إلى شاطئ النهر . فلن يكون أمامنا إلا خيار اللجوء للأساليب المتأخرة التي يتبعها الأهالي وهي أن تصنع ( أطوافاً ) من الخشب ويربط في أطرافها قرناً مفعوكة تريد حزم حملتها ، ثم نحمّلها بالأمتعة من جزيرة إلى أخرى ومن طوف إلى طوف حتى يبلغ بها الشاطئ . ومما يريد من صعوبة الأمر أننا اكتشفنا أن الضفة الشرقية قبالة الشلال الثاني كانت بالغة العلو عن سطح الماء وتوشك أن تكون عمودية الشكل بحيث يتعدى على أي باقلة أن تتلقى حمولة الأطواف ، كما يستحيل على أي حمال الصعود إلى قممها الشاهقة . انتهى بنا الأمر إلى حتمية نقل كل الأمتعة إلى الضفة الغربية حيثما أنبسط الانحدار . غير أن الرمال الموحلة هنا لا تفهوها إلا سيارات ( اللاندروفر ) التي ستحمل الأمتعة إلى ( عبارة ) أرقي قبالة مدينة حلفا لتعبر النهر إلى الضفة الشرقية .

في ضوء كل هذه المعلومات ، قمت بإعداد البرنامج الأولي للمرحلتين الأولى والثانية . ونبيّن لي أننا سحتاج إلى خمسة وخمسين قطار ركاب وستة

وستين قطار شحن ( بصاعة ) ملحق به ٢١٦ مركبة حيوان . أما المرحلة الثالثة والأخيرة والتي يبعد سكانها عن محطة السكة حديد ويحتاجون إلى مزيد من سيارات الترحيل فقد ترك أمرها لما يتمخص عنه الغد .

هناك نقطة أخرى تحتاج إلى حل . فأنشاء الساعات الأربع والعشرين التي تلي شحن الأمتعة وهي ما قبل مغادرة الأهالي ، تتعمد وسائل طهي الطعام مما يستوجب تدبير طريقة إطفاعهم إضافة إلى تجهيز وجبات الطعام أثناء الرحلة . يتم الاتفاق - في اجتماع مع بعض الأعيان - على أن دفع مبلغ إجمالي قدره ٥٠ قرشاً لكل شخص ، يكفي للوفاء بالعرصين وأن ذلك يمكن المسافرين من تدبير الطعام الذي يحلو لهم . واتفقنا أيضاً على ضرورة أن تصدق وزارة التجارة على حصة إضافية من النقيق لمخازن حلف للوفاء بحاجات الحبر أثناء عملية التهجير .

في هذه الأثناء واجهت شركة (توربو) - في حشم القرية - بعضاً من سوء الحظ فسيما كانت تقوم بحفر حديق - باستخدام المتفجرات لإرماء قساعة الحسرس ، اصطدمت بشق في الصخور الرسوبية متدعي مريداً من الحجر للوصول إلى طبقة ثابتة . وقد كلفتها هذه العملية مالاً وجهداً ووقتاً ثميناً . وعندما فرغت من حل هذه المشكلة ، لاحظت لها مصيبة جديدة من سوء الطالع . ففي ٢٧ مايو فاض نهر عصيرة بصورة غير متوقعة وغير معتادة . وتدفقت المياه من جبال أنثيوبيا العالية إلى فروع النهر وإنصببت في مجراه وجرفت السد المؤقت الذي يحمي قاعدة الحرس مما أدى إلى تسرب الماء إليها . وعندما انحسرت المياه بعد أيام قليلة ، حطت وراءها حراباً



ملحوظاً في موقع الحراة . ولم يتم ترتيب الأوصاع واستئناف العمل إلا بعد وقت مقدر .

أما شركة (هولزمان) فقد بدأت عملها بكفاءة في حفر القناة للرئيسة وتقدمت فيه بحطى جيدة . وأما شركة باريس للصاعات الكهربائية ( L,Industrie Electrique of Paris ) فقد بدأت في تكديس آليتها للبدء في إقامة الأبراج الساكنة للطاقة الكهربائية . وفي ذات الوقت بعثت مصلحة الإحصاء فريقاً من المساحين إلى منطقة إعادة التوطين بأجهزتهم وحرانطهم وعمالهم ( الجنرجية ) لتحطيط المدينة وقراها وتحديد مربعاتها ، وهذا عمل مصن تمثل في زراعة متواصلة للمواقع جيدة وذهابا ، وإرساء حجارة الحدود الفاصلة بينها وتثبيت الأوتاد في زوايا المواقع الخاصة للتعمير . وشرعت وزارة الري بجراعاتها وحفاراتها ونقلاتها في تحريك الأتربة على امتداد القنوات الفرعية وفق جدول رسمي صارم .

وخلال هذا الوقت بدأت قرية حشم القرية تنمو بفصل تدافع العمال من كل أنحاء السودان إليها بحثاً عن العمل مع الشركات المتعاقدة . وبرزت إلى الوجود الكثير من المطاعم والمقاهي في ساحة السوق وامتألت الحوانيت بالسلع الاستهلاكية، وشيدت لجنة التوطين مراً ( استراحة ) واسعاً على شاطئ نهر عطبرة قرب القرية كما تم تشييد مكاتب جديدة لمعمد التوطين ولنقطة الشرطة . وعلى الجانب العربي من القرية - وفي منتصف الطريق إلى الخيران - بدأت مستعمرة الري يدرلها ( استراحتها ) الجميلة ذات الطابقين في الظهور . وأقامت مصلحة المسكة حديد خطاً خصوصياً إلى موقع أعمال الحراة وخطوطاً أخرى إلى المحطة مصحوبة بوسائل تفريغ إصافية

لتواكب حركة ورود مواد البناء المتريدة وبما ما كان يوماً فقراً - لا تميزه إلا أكواح متواضعة لقرية حاملة الذكر أتحدتها عرب الشكرية محطة لثناء مقاية إبلهم - ليصبح مستوطنة حديثة مردهرة تعج بالحياة وأزير الماكينات وفي وادي حلفا شرعت وزارة الصحة في حملة واسعة ضد الأمراض المعدية بالمنطقة فتم تقسيم الحملة إلى جرتين تبعاً لطبيعة المرحل وتقنياته . تمثل الجرم الأول في مجيء الأطباء . وفي معيتهم فرق الممرضين والمرافقين بصيدلية غنية بالأدوية وبمعامل لعصص الدم والبول والبراز وتم تعيين وحدة الأشعة بمستشفى وادي حلفا بعاملين إضافيين ومعدات إضافية وكانت الوظيفة الرئيسية لهذا الفريق هي أن يمحوا كل الأمراض المعدية خصوصاً البلهارسيا والملاريا والسل . فأقام مراكز بالقرى وبدأ في تنفيذ أحد أضخم المشروعات في تاريخ الخنثات الطبية بالسودان . وأخصص كل شخص في المنطقة لعصص شامل وحررت له بطاقة بكل تفاصيل حالته الصحية . وتم تصنيف المرحلي بعناية وتلقوا أفضل العلاج الممكن . وقد تم إعطاء عينية حاصلة لحالات البلهارسيا كما أقيم معسكر طبي في منطقة معروثة لعلاج حالات مرسى السل حيث بلغ الشفاء كثيرون أما الحالات المتأخرة فقد تمت متابعتها بعلاج مستمر في مواقع معزولة . بحشم القرية أما حالات الملاريا فقد ووجهت بالطب العلاجي للمصابين بينما أخصص الآخرين من الناس لومائل الطب الوقائي الجماعي . وإلى جانب هذا النشاط العلاجي ، بُذل جهد كبير في حشم القرية لتعقيم المنطقة قبل أن يحل بها أهالي حلفا . وتمت السيطرة على حالات البلهارسيا في أوساط العرب المجاورين كما تم إطلاق حملة كبرى لتطهير صفاب النهر ومنطقة الحزان

من القوافع . ووجهت عناية إلى حالات السل وسط العرب وساهمت هيئة الصحة العالمية في الجهود الرامية لاستئصال الملاريا في منطقة المشروع . فعولجت كل الحالات وتمتع الأصحاء بحماية الوسائل الوقائية وبنلت جهود خارقة لإحلاء كل المنطقة من بعوضة (الأنوفيليس) الناقلة للملاريا .

أما الجزء الثاني من الحملة فقد تكوّن من أطباء العيون بقيادة الدكتور محمد شريف وبعاونه فريق مكون من خمسة عشر مساعداً طبيباً من بينهم في معامل ومحضر عمليات جاء هذا الفريق إلى وادي حلفا في فبراير ١٩٦٢ وبدأ عمله في بيت مؤجر قرب المستشفى . وكانت هيئة الصحة العالمية قد أجرت مسحا عاما لأمراض العيون في وادي حلفا صفت فيه العدوى طبياً إلى نوعين هما : (النراكوما ) وعدوى العيون العامة . وأوضح المسح أن ٦٨ % من السكان مصابون بالنراكوما . وقد أستخدم هذا المسح كأساس لبدء حملة العلاج . ويمثورة هيئة الصحة العالمية تم وضع خطة لضبط عمليات الحملة التي بدأت بتسجيل السكان من منزل إلى منزل ثم تقرر العلاج الجماعي الذي شمل كل شخص ، المريض والصحيح معاً . واستمر العلاج لمدة ثلاثة أشهر بوادي حلفا وخطط له أن يستأنف عند الوصول إلى حشم القرية . وقد تم إجراء مسح - مباشرة - بعد التهجير أعطى نتائج باهرة . فقد انصح أن ٨٠ % من الذين تمت معالجتهم في وادي حلفا قد شعوا تماماً . وبالسرع من ذلك فقد رأى الدكتور محمد شريف أن يواصل العلاج لأربع سنوات أخرى بعد التهجير مصحوباً ببرنامج ثقافة صحية منظم . وبذلك استطاع أن يبحح في استئصال أحد أوسع الأمراض انتشاراً في وادي حلفا .

في هذه الأثناء كنت مشغولاً بقضايا الجزء الجنوبي من المركز وبالمشاكل الإدارية التي ستواجه الأهالي بعد أن تعرق مدينة وادي حلفا وتحتمي من الوجود. وذلك أن آثار بحيرة السد العالي ستعند جنوباً حتى شلال (دال) وتصر كل المنطقة المأهولة بالنوبيين لحقائوين بالإضافة إلى عمودية عكائمة في منطقة السكوت . لكن المنطقة الممتدة على شاطئ النيل ما بين شلال دال وقرية أبو فاطمة على حدود مركز دبقلا والتي يسكنها السكوت والمحصن ، لن تعرق . وهذه المنطقة تشمل الجزء الأكبر من مركز حلفا ونسبة سكانها هي الأعلى في المنطقة التي ستغمرها المياه . وهي مثل منطقة حلفا الدينية تنظر إلى الأراضي الزراعية لكنها لا يعدمها مثل منطقة (نطس الحجر) . وبلاذ المحسن تفوق بلاد السكوت أرساً وثروة لكن الأخيرة مشهورة بتمرها الممتاز . والمنطقتان ترتبطان بمدينة حلفا عبر طريق بري ، فهي سوقهما الرئيسة وعاصمتهما الإدارية ومخرجهما الوحيد إلى باقي الدنيا لأنها نهاية الخط الحديدي وميناء البواخر المتجهة إلى الشمال وليس لهاتين المنطقتين إدارة مباشرة مستقلة ، لكنهما يتبعان لمجلس ريفي حلفا للذي يشكلان أغلبية أعضائه . غير أنهما يتمتعان بإدارة أهلية تقوم على وحدات على رأس كل منها ناظر ومحاكم أهلية تنظر في القضايا الطوعية تحت إشراف القاضي للمقيم حلفا . وبالنسبة لقضايا الأحوال الشخصية فإن هناك في عبري - مركز السكوت - محكمة شرعية تنتقل دورياً إلى منطقة المحسن لفصل نزاعات الأحوال الشخصية. ولكل منطقة نقطة شرطتها المعززة بقوة راجلة وبقليل من السوروي لمهاجمة التهريب ، ولها مدارس قراها ومدارسها الوسطى (للأولاد والبنات) في نلقو وعبري . وهناك مستشفى وعدد كبير

من المراكز الصحية المنتشرة في القرى ، وسوقين صغيران ههنا حراست  
صغيرة تدار - في الغالب بواسطة وكلاء لكبار تجار مدينة حلما . وسيخلق  
اختفاء وادي حلما فراغاً إدارياً وتجريبياً لابد من سده قبل روال رئيسه المركز  
والموق الرئيسية للمنطقة .

وهناك حلٌّ للمشكلة الإدارية بهذه المنطقة يحتاجان إلى رؤية قبل  
اتخاذ قرار بشأنهما . الحل الأول هو أن يتم إلحاق منطقتي السكوت والمحس  
إلى مجلس ريفي دقلا وصمهما إلى الدقللة . أما الحل الثاني فهو أن يكون  
لهما مجلسهما المحلي المستقل ومؤسساتهما الحكومية الخاصة . وقد استند  
الحل الأول إلى منطق أن الدقللة هم في الأصل نوبيون ويمتزون بصلة القرابي  
للسكوت والمحس ، كما يستند إلى أن جغرافية المنطقة الجنوبية من مركز  
حلما تماثل الأحوال الجغرافية لمركز دقلا ويمكن اعتبارها امتداداً له ومن  
بإحاطة أخرى فإن عدد سكان المنطقة لا يتجاوز ٧٠٠٠٠ نفس - وهو رقم  
صغير لا يؤهلها لقيام مجلس محلي مقنن ، وإن إيرادها التي تجبي - غالباً  
- من صريبة النخل ومن صريبة الأرض المحدودة ، لن تعطي تكلفة الإدارة  
مالاً تدعم من الحكومة المركزية . غير أن هناك عوامل معينة لا تساعد على  
دمج السكان في إدارة دقلا . فوفرة حينهم وبيئتهم حلقارية أكثر منها  
دقلاوية وليجتهد الحلقارية تختلف عن لهجة الدقللة . ومن الناحية التلويحية  
هناهم مرتبطون بأهالي حلما ولم تكن لهم أي صلات بحيرانهم جنوباً . أما من  
جهة التجارة فإن أنظارهم تتجه دائماً إلى الشمال . فحاصبيهم تسوق في  
حلما أو تحمل منها بالبواخر إلى مصر . وهناك جزء كبير من محصول  
تلحهم ليس له سوق في السودان خصوصاً تلك الأنواع الجيدة العبية

بالسكرينت وغير المعهودة لدى تجار النمر السودانيين والتي تتأثر بالنسوس ولا تقوى على مقاومتها . ولهذه الأنواع سوق رائجة في مصر ، ولذلك فإنها تصدر إلى هذه السوق التقليدية إضافة إلى ذلك فإن كل صغار التجار هي هذه المنطقة هم وكلاء لتجار الجملة بحلقا والذين يمولونهم في زمن الحصاد لتمكينهم من شراء المحصول لقاء عمولة معينة وأحيراً فإن المكوت والمحس يكتسبون للدائفة قدرأ محدوداً من الحب ويعارضون فكرة الخصوع لهم .

كل هذه الأسباب ترجح الأحد بفكرة إنشاء مجلس مستقل لا ضم المنطقة إلى دنقلا . ولذلك فقد أوصيت اخذاً في الاعتبار الأسباب السابقة بمنحهم مجلسهم المحلي ليكون مقره في دنقلا أكبر مراكز المنطقة أو في أي مكان آخر مناسب يتفق عليه الجانبان . وبالنسبة لنقطة الشرطة الذين كانوا تتعان لمركز حلفا ، فيتبعي تعريفهما ووضعهما تحت إشراف ضابط شرطة يكون مقره في (عيري أو دنقلا) أيهما يصير مكاناً لرئاسة المجلس . أما القضايا المدنية والجنائية فيمكن البت فيها بواسطة القاصي المقيم بدنقلا في جنسب نورية . ويمكن للقاصي الشرعي المقيم في عيري المطر في قصايا الأحوال الشخصية بالمنطقة مثلاً كان في السابق كما يمكن لمكتب ضابط الزراعة بدلقلا أن يتبع لمكتب تفتيش الزراعة بكرة . وبالنسبة لتسويق النمر فإن الجمعيات التعاونية الممولة بواسطة البنك الزراعي يمكن أن تحل محل تحسار القرى وذلك بتحقيق إستمرارية الحركة التجارية . ويتوقع إنتاج حلفا والسوبة المصرية من البلح ، يتوقع أن تحنكر الجمعيات التعاونية سوفه في مصر مما يؤدي إلى ارتفاع أسعاره .

إن اتصال هذه المنطقة بمياه خلفا الجديد سيكون من أصعب المصاعب . فالطريق الوحيد الذي يربط المنطقة بمياه خلفا ستعمره مياه البحيرة إلي مسافة ١٢٠ كيلو متراً ( أي المسافة من قرية لركة إلي نهاية الخط الحديدي ) . لذلك فقد أوصيت أن يقوم قسم الطرق بوزارة الأشغال باستكشاف الجانب الشرقي من حافة البحيرة علي أمل فتح طريق جديد من لركة إلي المحطة رقم ٤ ( مرة ٤ ) في صحراء العثمور أو منها مباشرة إلي المياه الجديد المقترح . وألححت علي سرعة القيام بهذا العمل لتجنب إحتياطات الحركة علي الإمتداد الجنوبي للمركز والعزلة التامة للمنطقة . في هذه الأثناء كانت وسائل المواصلات البرية المستقبلية مع مصر يجري التداول حولها في أعلى المستويات حتي يتم الوصول إلي حل لها قيل ترحيل بواخرنا إلي الخرطوم . ففي الوقت الحاضر يتكون أسطولنا من بواخر مسدحة الجسم عبر صالحة للملاحة في المياه العميقة . وإذا تقرر استئناف الملاحة بين المياه الجديد وأسوان ، فلا بد من تجهيزها ببواخر صغيرة ذات قعر حاد . وبما أن حكومة السودان كانت تدير حركة البواخر بالحسارة خلال السنين عاماً للمصية فهي لا ترغب في مواصلة المعاناة من هذا الصدام المر من . وبما أن الخط الحديدي ينتهي عند الحدود المصرية ، فهي تميل إلي ربط البنين بالسكة الحديد . لكن المصريين - وقد انتبهوا إلي لتكلفة الباطنة لمسد خط حديدي من أسوان عبر الصحراء المصرية مسافة ٥٠٠ كيلو متر إلي وادي خلفا كانوا يميلون إلي قبول ملاحة نهريّة بممراتية صغيرة عن تحمل أعباء إنشاء خط حديدي بذلك الطول . وعلي كل حال فإن بعضاً من الوقت سيمضي قبل أن يتم تصنيع البواخر المقترحة وتسييرها إلي بحيرة السد

العالي . وقد يحتاج هذا الأمر إلي مسين تتعرض أثناءها حركة الصادر بالمنطقة إلي الخطر ، فما أن نهار تماماً وإما أن تتحد طريقاً طويلاً إلي بورسعيد ثم تبحر منها إلي السويس . وهناك أمل ضئيل هي أن يقتر المصريون مصاعبنا المحلية ويحاولوا إيجاد طريقة لسد الفجوة التي سنخلقها معاندة بواحد المنطقة وفقاً للجدول الزمني الذي ينتهي بفيضان عام ١٩٦٣ . وعلى كل حال فإن هذه المشكلة تتجاوز حدود مسئولياتي التي تنتهي بتقديم تصور للتوصع كما يترأى لي .

واستناد علي كل هذه النقاط ، قمت بإرسال تقرير وافٍ حوى ميزانية لإدارة منطقتي السكوت والمحس مستقبلاً وشمل الاحتياجات الأمنية وذلك في ٢٩ يونيو ١٩٦٢ وعصوفته لمدير المديرية الشمالية كما أرسلت صورة منه إلي لجنة التوطن .





## الفصل الخامس عشر

### أثر التعويضات على الشعور العام (١)

بحلول يوليو تم إخطاري رسمياً بأن تاريخ بداية تحرير المياه في بحيرة السد العالي قد أجل إلى يوليو ١٩٦٤ م . وقد تلقينا إشعاراً سابقاً في مايو ١٩٦١ من وكالة رويتر للأخبار والتي أوردت تصريحاً للدكتور (فيروني)<sup>(١)</sup> خلال زيارته للخرطوم بشأن حملة إنقاذ آثار النوبة - يشير إلى أن العمل في بناء السد العالي سيأخر أربعة عشر شهراً بسبب التخصيصات البيئية غير المتوقعة . وبما أن الجهات المصرية المسؤولة قد بعث هذا التصريح ، فسأل حكومة السودان قد تجاهلته والترمت بالتأخير الأصلي المنصوص عليه في الاتفاق ، لكن لمصريين - كما يبدو - أجبروا أخيراً علي مواجهة الواقع وإعلان الحقائق . فأرجعوا أسباب التأجيل إلى التعديلات الجذرية التي أسجلها الخبراء الروس علي التصميمات الألمانية للسد العالي ، وإلى بطء الأعمال التخصيرية بسبب عدم كفاية العمالة والآليات والطاقة . وقد تم الترحيب بهذه الأنباء في جميع أنحاء السودان خاصة في لوسط لحة التوطيس التي كانت خططها لإنشاء القرى والمدنية - في منطقة الإمكان أبعد ما تكون عن الاكتمال . وبالنسبة لشركة (تورنو) فإن هذه الأنباء كانت بمثابة هبة من السماء وذلك لأنها فقدت وقتاً ثميناً في تعميق قاعدة الحزان وترسيم السد ومعالجة المياه التي تسربت إليه كما ذكرنا سابقاً . وستكون وزارة الري في موقف يمكنها من شق القنوات وإنشاء أبواب تنظيم التصريف وحفر قنوات ( أبو عشرين<sup>(٢)</sup> ) لري المزارع . وأما البعثة الطبية المقيمة في وادي حلفا فتكون قادرة علي مصاغة جهودها ومعالجة مزيد من المرضى قبل النهجير . وأم لجنة التعويضات فستراجع كل قوانينها علي مهل وتجهزها

(١) Dr. Veronesi G

(٢) قناة مريخة تسمى عشرين بدرجة د حزام

لمرحلة السداد . وبالنسبة لي فإنها تعطيني فرصة لتفتيح وتجميع كل تفاصيل برنامج التهجير ، ووقفة لالتقاط الأنفاس تمكيني من الانطلاق .

وهي منتصب أغسطس رار رئيس لجنة التعويضات وادي حلف أفتح مكتب بالمدينة يزاول منه عمله والشروع في ممارسة مسؤولياته بالمنطقة المتأثرة بالحرق . وقد سررتي أن سلمته كل قوائم التحويل وأشجار العاكهة وسجل الأراضي ومسئولية الإشراف علي عمل المحاكم الشرعية . وقد اعتبر - شاكراً - ما لمنا به أصعب جوانب العمل العائلي علي عفته . أما تقييم المنازل والعقارات التجارية فقد كان العمل يجري فيها وفق خطة مدروسة . وقصا بإعداد ميراثية أولية لتعيين ثلاث لجان تضم كل واحدة منها ضابط تعويضات ومهندس معماري ومساح وخبير تقديرات وثلاثة مقيمين محليين ومحاسبين و ثلاثة كتبة وضابط تسجيلات أراضي وأربعة راسمي علامات وساعي ورجل شرطة . وقد حُدد لهذه اللجان أن تعمل في مناطق مختلفة . فأُسند لثلاث منها العمل في القرى الواقعة علي شاطئ النيل فشرقي والعربي شمال وادي حلفا بينما أوكل للثالثة العمل بالمسيرة وعمودية (دغيم) . لا بد أن يذكر هنا أن التقديرات التي صدقت عليها وزارة الأشغال بالنسبة لقيمة المباني ، لم تشمل تلك المشيدة بالطين ولا تلك المبنية بالطوب الأحمر . وقد نُصحنا بابتداع أسس للتقدير تقوم علي القيمة الجارية لمباني الطينية بالمنطقة . ولقد أحدا بفكرة مهندس مركز وادي حلفا السيد حسن طه ( وهو نوبي من قرية دغيم ) والذي ذهب بنا إلي منزله - بالقرية - المبني من الطين علي الطراز المحلي ، وكنا نطمح أن معرفة قيمته ستجعل من السهل علينا إعداد جدول لتقديرات تعويض أصحاب المنازل الطينية ،

غير أن جولة قصيرة في القرى المجاورة وبالتفريق عشوائي في بنية بعض المنازل أوفقت علي حقيقة أن المنازل الطينية ليست كلها علي هيئة واحدة . وهناك التي لها أسقف متميزة عن أخرى . وهناك التي لها بوابد حقبقة بعكس تلك التي ليس علي جدرانها سوي منافذ للتهوية . ولهذه الأسباب فإن تطبيق القاعدة الإجمالية في التقييم لن تكون عاتلة ، فقررنا إجراء تغييرات دقيقة لكل المنازل في القري المعينة . وأرسلنا اللجان بإتباع سجلات تعداد المصادر كدليل ، وثوثيق هذه العملية كان عليا إعداد خارطة كروكية لكل منزل مشمول بالتعداد .

حتي ذلك الوقت لم يكن قد تم إعداد قائمة رسمية بمالكي المنازل الذين يرغبون في الترحيل إلي حشم القرية ، فالحكومة قد أعلنت مسبقاً أن الهجرة إلي حشم القرية ليست إجبارية ، غير أن الراغبين فيها سيتمتعون بمزايا سكنية و زراعية . أما أولئك الذين يودون السكن في أي جزء آخر من السودان فإن عليهم تدمير مأواهم ومعيشتهم ، لأن مسؤولية الحكومة - في هذه الحالة - ستقتصر علي توفير الترحيل المجاني . وبالرغم من أنه كان معروفاً : - عموماً - أن ٨٥% من الأهالي قد اختاروا الترحيل إلي حشم القرية ، إلا أننا أحسبنا من اللجبة ينبغي أن نقف علي رقم إجمالي صحيح بعدد المنازل المطلوبة هناك . وقد أتاح لنا تقييم المنازل هذه الفرصة .

كان علينا أن نكون علي أشد الحرص لتجنب أي انطباع عن عدم حيده اللجان حيال قضية التقييم ، فقررنا أن يتم للتقييم أولاً ثم نقوم - بعد ذلك - بسؤال المالك عما إذا كان يرغب في تعويض بقدي أم أنه يفضل امتلاك منزل في حشم القرية بدلاً عن عقاراته بالمقيمة . وحال تحديد الخيار قبله

يكون نهائياً ولا رجعة عنه . وبعد الاتفاق علي هذه المبادئ ، قررنا أن يلتزم معتمد التعويضات بإعلانها ولـي يحدد ٤ سبتمبر موعداً لبدء التقييم بجدول رسمي يعطي كل القرى في المنطق الثلاث المعينة . وفي نفس الوقت طلب من المعتمد أن يسمح رجاءً إلي كل المصالح لمصح إجازات للمستخدمين النوبيين الذين يملكون منازل في المنطقة المتأثرة بالحرق - ليتمكنوا من زيارة وادي حلفا خلال المواعيد المتفق عليها .

وفي ١٩ أغسطس صدر الإعلان بموجب البند (١٥) من قانون إعادة توطين وادي حلفا لعام ١٩٦٢ وتم نشره بالصحف . وحال ظهور الإعلان ، إصم المناوئون لخيار حشم القرية للعاصر المعادية للحكومة وكونوا منظمة سرية أطلقوا عليها . (حركة المقاومة ) كان هدفها التأثير - عن طريق الحداغ أو الإرهاب - علي الأهالي لمعلومة التهجير إلي حشم القرية والوقوف ضد تنفيذ قانون التعويضات ، وعلي وجه الخصوص : تعويضات المنازل . وبعثوا برسائلهم إلي ( دبيرة وأشكيت ) حيث تم يستجب لهم أحد أما في (جمي ونبرومة وأرقين جنوب) فقد حققوا بعض النجاح واكتسبوا مناصرة بعض المتطرفين . وعندما أحسوا بفشل مهمتهم ، قرروا تنظيم تظاهرة عنيفة في ٤ سبتمبر وإحداث شعب واسع النطاق بحرق محطات الخدمات التزولية ومكاتب اللجنة والبصائع ( تحت التحليس ) بحظيرة الجمارك وحو انبت التحار المؤيدين لخيار الرحيل إلي حشم القرية . وحططوا - كذلك - لتخريب خطوط الهاتف والتلغراف وحط السكة حديد الذي يمر بقرية دغيم . وبهناية أغسطس تم توزيع مشورات بقرية دغيم تدعو لأهالي الانضمام إلي محطط الشعب ، كما تم رفع شعارات علي الحيطان تندد بالهجرة إلي حشم القرية

وقدّم إلى مكثي عدد من المواطنين المؤيدين لخيار خشم القرية يشكرون من الإرهاب والإثارة التي تعرضوا لها في قراهم . وفي هذه الأثناء تجسّعت معلومات لسدي مركز الشرطة عن المنظمة وقادتها وحجم وأهداف مخطط الشعب . وبعد أن تدارستُ الوضع مع ضابط الشرطة وقائد الحامية العسكرية بحلفنا ، اتفقنا علي أن الموقف يتدهور بسرعة وأنها لم نتحد نكائير فورية - مواجهون بتداعيات خطيرة . ولذلك قررنا وجوب اعتقال قادة المنظمة الأربعة عشر وإرسالهم إلى الخرطوم لحبسهم شهراً . وفي ذات الوقت وصعنا كل مرافق للخدمات والمباني الرسمية تحت حراسة مشددة . وأرسلنا برقية مشفرة مطولة إلى وزارة داخلية ومكتب أمن صليبة شرعا فيهم الموقف وما اتخذناه من إجراءات . وفي أول سبتمبر تم اعتقال قادة المنظمة وجري احتجازهم في ثكنات الجيش انتظارا لترحيلهم إلى الخرطوم . ولتجنب زبود الفعل العامة غير المستحبة ، قررنا أن ننقلهم بالسيارات بعد منتصف الليل إلى المحطة رقم (١) (بمرة واحد) بصحراء العتمور . ومن هناك سُحبوا إلى القطار السريع المتجه إلى الخرطوم بسرّية تامّة . وبعد منتصف النهار سُرب الخبر ، فبدأ موكب مكون من ٢٠٠ امرأة من قرية دغيم . توقفن أمام منبى المركز وحنّون التراب في الهواء وهن يهتفن بشعارات معادية للحكومة . وقد تم التّشديد علي الشرطة بعدم التعرّص لهن مع إحكام فصلهن عن الجمهور الذي بدأ - حينها - يتجمع قريباً من الموكب وطلال يتصايحن لمدة ساعة ثم تفرق . وهكذا ماتت ( حركة المقاومة ) . وفي ٤ سبتمبر ذهبت أولي لجان التقييم إلى ( فرص شرق ) وبدأت في تّشجير المدرج . واستقبل الأهالي أعضاه اللجنة بحفاوة مما شجّعهم وجعلهم

يبدأون العمل بروح معبوية عالية . فتم تحديد مكونات البيت الأول وقياسها وتقييمها بما يبلغ ٣٠٠ جنيه . وعندما أعلن ذلك علي الملأ ، قوبل الإعلان بدرتياح مما يدل علي براعة الطريقة التي اتبعناها . وقرر صاحب البيت أنه داهب إلي حشم القرية ، وبذلك أبدي رغبته في تعويض نوعي . بعدها غس راسم العلامات قرنته الصخمة في الدلو المملوء بماء الجير وخط علامة كبيرة علي الحائط المحاور لمدخل البيت للدلالة علي تقييمه انتظارا لتعويض . واستمر العمل خلال اليوم الأول ليعطي سبعة بيوت بنفس الطريقة المذكورة . وانتشرت الأخبار في ذات اليوم بكل القرى لتخلق جواً طيباً لعمل اللجان الثلاث واستمراره دون عوائق . وفي الأيام التالية استطاعت اللجان - بعد أن اكتسبت مزيداً من الخبرة - أن تتحرك بطريقة أسرع . وبعد أسبوع تمكنت من مصاعفة سرعتها .

ووصل معتمد التعويضات مؤخراً - إلي وادي حلفا وذلك في ٨ سبتمبر وترأس لجان التقييم . وجاء وفي حورته حرمة من الاستثمارات التي تعطي كل أشكال التعويضات . وحسني وصوله كانت إجراءات دفع التعويضات تواجه مصاعب كبيرة شغلت ذهني لبعض الوقت . فكل القوائم كانت تحتاج إلي تدقيق كما أن الممتلكات المسجلة لكل شخص لم تكن مقيمة نقداً ، بالإضافة إلي أن ممتلكات كل شخص والمورعة علي قوائم مختلفة كانت تفكر إلي التصنيف والإحصاء ضمن قائمة نهائية مجهزة لأغراض التعويض . وهذا يتطلب مجهود محاسبي شاق مع درجة عالية من الدقة فإن أقل خطأ يمكن أن يشكك الأهالي البسطاء في مصداقية العملية المحاسبية

برمستها ، ويصيف - ما يحتاج من وقت لإتجار هذه المهمة - عبئاً إلى الأعباء التي نحاصرها .

أما الطريقة التي تتبع لدفع التعويضات فينبغي أن ترتب بعناية . فإذا تقرر أن تدفع نقداً فيكون ذلك عملاً مضمناً ، لأن هناك حوالي ٣٠,٠٠٠ شخص من المحتمل أن يتقاطروا لاستلام نفودهم التي تقدر قيمتها بمبلغ ٣ ملايين من الجنيهات . وسيحتاج الصرافون إلى أصابع بصلافية في كل يد لكي يتمكنوا من إنجاز العمل في ما تكفي من وقت قصير . وإلى جانب ذلك فإن حصيلة هذا المبلغ الصدم المدفوع بالسيولة النقدية ستؤدي إلى ارتفاع في أسعار السلع وإلى تصخم تلقائي محتوم . ولا أستطيع أن أتصور هؤلاء الثوبيين وهم يحومون بجيوب مفتحة دون أن يغريهم ذلك بالإسراف . ولستقدي هذا الإتلاف المتوقع في المال ، ولنجذب الأعباء الثقيلة لعملية الصرف ، كنت أنوي أن أقترح علي اللجنة إسناد دفع كل التعويضات النقدية إلى بنك تجاري . فهذا سيشجع كل أصحاب الدفوعات لفتح حسابات جارية نجعلهم أكثر ميلاً للانحياز لا لسحب من تلك الحسابات .

ولجعل القوائم واضحة ومبسطة بقدر الإمكان ، اتصلت بمصلحة لإحصاء في شأن إمكانية تحريرها وإعادةها بالشكل النهائي للصرف . وقد قصدت بذلك أن توضع القوائم بترتيب أبجدي لكل قرية ، ثم يتم تصميم نظام بطاقة مفهرسة باستخدام ألوان مختلفة تشير إلى طبيعة كل نوع من أنواع التعويضات ، وبذلك يتضح الاستحقاق النقدي لكل مستفيد منسوباً إلى ممتلكاته ، ونحفظ هذه البطاقات في ( كئالوج ) لرجوع إليها عند اللزوم . يلي ذلك بطاقة وسطي تصم كل أنواع الممتلكات والتعويضات المطلوبة ،



وأخرى يتم إرسالها للمستفيد خلال وقت كاف لمراجعتها قبل الدفع . وأخيراً  
فلابد من إعداد قائمة رئيسة بالمستفيدين في كل قرية توصلح تصيب المستفيد  
الواحد ، يتم إرسالها إلي البنك لأغراض التعميد .

واقعت مصلحة الإحصاء على مقترحاتي ، وبحثت باثنين من كبار  
الإحصائيين إلى وادي حلفا . وبعد دراسة متأنية للقائمة التي قضا بإعدادها ،  
أكدوا بأن حاسبهما الآلي يستطيع أن يؤدي المهمة ، غير أنهما قالوا إنها تحتاج  
إلى سنة أشهر . ولم يكن ذلك بالنسبة لنا أمراً مزعجاً لأن قسمة الوقت  
المتاحة هي خمسة عشر شهراً . وبذلك يمكننا أن نتخطى العقبة الرئيسية .  
وكتب ممتناً لهما على تعاونهما فأحضرتهما أنني سأبحث الموضوع أولاً مع  
معمد التعويضات ( السيد أحمد الطاهر ) الذي - كما ظننت - سيكون سعيداً  
جداً بما سيقدمه له من مساعدة ، وبعد أن شرحت له مشروعى وذكرت له  
العرض الطيب الذي تكلفت به مصلحة الإحصاء حثاً إياه للاتصال بها بأسرع  
ما يمكن ، فوجئت بأن استجابته القررية كانت سالبة . فقد قال إن انتظار ستة  
أشهر شئٌ كثير لأن الكتبة والمحاسبين يستطيعون أداء كل هذا العمل يدوياً في  
زمن أقصر . ولأن السيد أحمد كان من المتفاعلين الذين أعيد استخدامهم ،  
فقد انتهت - لأول وهلة - شعور بأنه لا يثق في بركات الإلكترونيات الحديثة  
كحال أولئك الذين ينتمون إلى الجيل «قديم» جميعاً . وعلى كل فقد كان ذلك  
بهاية خطئي . غير أنه ينبغي أن أسجل هنا أن السيد أحمد ألقى نفسه  
مستغرقاً في التفاصيل وأنه احتاج إلى أن يسرع - في عمله - ليؤكد برنامج  
التجهيز ، وأنه ألقى جانباً بكثير من القضايا التي شعلته سبباً ليقيم بتصفيتها  
في حشم القرية .

جاءت الاستمارات التي أعدها وطبعها السيد أحمد الطاهر ، معتمدة على الجداول التي كنا نستخدمها والمستملة على هوامش لتسجيل أرقام التعويضات حينما يصدر القرار بشأنها . ولقد استرعى انتباهي هامش في ستماره تعويضات المنازل حصص تحصيل الفرق بين القيمة المقدرة لمنازل الأهالي في وادي حلفا وتكلفة تشييد المنازل الجديدة في حشم القرية ، وأحدثت امرئ شعور رأسي دهوراً . فقد تبين لي أن أهالي وادي حلفا سيعدرون إلى وطنهم الجديد وهم منقلوب يدور تبلغ الملايين . فأرسلت في يوم ١٠ سبتمبر خطاباً إلى اللجنة التمس فيه أن ترحب الحكومة إعادة النظر في قرارها مستخدماً في ذلك الحجج الآتية :-

( إن الحكومة قد قررت تشييد المنازل في حشم القرية بمستوى عال وبمسواة من الدرجة لأولى دون أن تُجرى أي اتفاق مع الأهالي حول تسديد قيمة فرق التكلفة . وأن التعاطف الذي أبداه الرئيس عبود تجاه قضية وادي حلفا ووعوده المتكررة للأهالي وتصميمه على تعويضهم بوطن أفضل ومحطط على أحدث طراز ، قد أحدث اقتناعاً عميقاً بأن التحسن الذي طرأ على مستوى الإسكان هو أحد المرحلتين التي توقعوها جزءاً على تضحيتهم بموطنهم العريق . وإذا أصرت الحكومة على حيازة الفرق في قيمة التكلفة ، فلن يكون هناك تمثيل بين الحلفاويين والقبائل المحلية التي يمكنها - طوعاً - الإقامة في منطقة المشروع ، إلا من حيث أن النوبيين سيسكنون في منازل جيدة بنوها بملكهم .

نعم لتقدير قيمة المنزل ذي المستوى المتوسط مبلغ ٢٥٠ جنيهاً . وبعملية حسابية بسيطة يمكن الوصول إلى أن جملة الفرق في قيمة التكلفة

تقدر بمبلغ ٤ مليون جنيه . ولذلك، فإن من المستبعد تماماً أن يقبل الأهالي الرحيل إلى حشم القرية وعلى كاهلهم هذا الحمل الثقيل من الديون . وسيرداد الوضع سوءاً على الأغلبية العالبة من الأهالي الذين لا تزيد جملة مسحراتهم - في أي وقت - عن ١٠ جنيهات و عشرين جنيهاً فهل يفهم هؤلاء الناس ما تعنيه ملايين الجنيهات ؟ .

إن الديون العامة بهذا الحجم الكبير ليس لها سابقة في تاريخ السودان وفي الحالة التي نحن بصندھا فإن الدين لم يحصل لمشروع ربحي بحقق عائداً منسظماً يُصفي بمقتضاء . واقتناعي الشخصي أن تحصيل تلك الدين للهائل كان من قبل المستحيلات إلا إذا كانت الحكومة مستعدة لطرد الساكنين والاستيلاء على بيوتهم . وكان الأمل الوحيد لاسترداد تلك الأموال هو أن تنتعش الأحوال الاقتصادية للأهالي في وطنهم الجديد اندعاشاً كبيراً يمكنهم من الإسهام في حصيللة الخريفة العامة عن طريق الالتزام المصري.

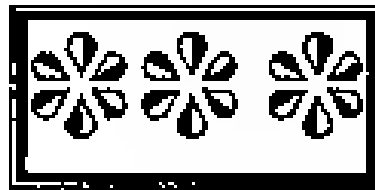
لهذه الأسباب أوصيت أن تعيد الحكومة النظر في قرارها وأن تعتبر الفرق في التكلفة مدحة منها للأهالي تعويضاً لهم عن التصحية بوطنهم الأم من أجل المصلحة العامة . فاقنعت الحكومة بهذا المبطق وأجازت توصيتي بالرغم من أن طروقاً غير مرئية قد طرأت لاحقاً ترفع فرق التكلفة إلى ١١ مليوناً من الجنيهات) .

وفي منتصف سبتمبر قام رئيس اللجنة بصحبه بعض الاعضاء بزيارة تفشيشية إلى رادى حلفا فاستقبلوا بحفاوة من أهالي المنطقة ومن بديع الطقس

على السواء ، وأعد لهم برنامج حافل بالزيارات يغطي كل القرى الواقعة شمال المدينة حيثُ حصروا كل الاجتماعات التي عقدت مع الأهالي والتي دارت فيها مناقشات مثمرة . وانحصرت النقاط المثارة في تلك الاجتماعات حول الحطط المتعلقة بالإسكان والحمايات الاجتماعية بحشم القرية . وبرزت في النقاش -شكوى عامة من قرارات لجان التقسيم الخاصة بتعويض منازل بعيسها ففي بلاد النوبة تعيش أسر الأزواج العائسين - عادة - هي منازل كبيرة مع أخوان أو أبناء أولئك الأزواج . غير أن تلك المنازل تقسم إلي أجزاء توفر الاستقلالية لكل أسرة وتكون ملكيتها مشتركة . وعندما قُيِّمت لجان التعويضات تلك المنازل ، اعتبرت كل واحد منها وحدة غير معزّاة وبالتالي قررت أن تسمح في مقابلها منزلاً واحداً بحشم القرية . ومن هنا جاءت الشكوى وثام السيد حس وأعضاء اللجنة - أثناء الزيارة التفتيشية يخصص عدد من هذه المنازل ، فوحنوا أن كل قسم منها هو في الحقيقة - منزل قائم بذاته . فقررنا - علي الفور - منح بدل جديد عنه في حشم القرية

وفيما عدا هذه الشكوى ، مارست للجان مهامها بسهولة ، لكننا تيقنا وقتها أن ما تبقي من حجم العمل كان ضخماً بحيث يتعذر علي تلك اللجان الفراغ منه في الزمن المحدد إذ سارت علي نفس الوتيرة . لذلك حصلنا علي موافقة فورية بتعيين ثلاث لجان أخرى للإسراع بالعمل وتأمين إيجازه وفق البرنامج . وكان لتعاون الأهالي أثره الراسخ في تحقيق ذلك الهدف وهو ما يدفعني لأشير - بالتقدير والعرفان - إلي تراث النوبيين المعظم بالكرم والذي

طوبى أعناق كل اللجان و فرق الإحصاء و الخدمات الطبيّة و المحاكم الشرعية .  
وأينما جئت تلك اللجان و الفرق ، لم يكن الأهالي يسمحون لها بإعداد أي لقمة  
من الطعام ، وكانوا - في كل القرى - يعملون أفرادها كصيوف . واستمر  
هذا السلوك الإنساني الزاقي حتى عندما كانت اللجان و الفرق تزاوّل عملها  
بين الأهالي الرافضين لخيار حشم القرية .



## الفصل السادس عشر

### تشبيد منطقة إعادة التوطين

في الصفحات التالية سأتناول كيف أن حكومة السودان حاولت إسناد عملية تشييد مدينة (حلفا الجديدة) وقرأها - في منطقة التوطن إلى شركات هندسية عالمية ، كما سأسرد المعوقات التي واجهت هذه المحاولة إلى أن انهارت في نهاية الأمر . كذلك سأعطي فكرة عن تسلسل الأحداث في علاقة شركة (ترب الهندسية للتشييد/ السودان / المحدودة ) بحكومة السودان خلال الفترة الحرجة عندما بقي علي وجود وادي حلفا أياماً معدودة وعندما أصبحت قضية إعادة توطين أهلها كلها معلقة في كف القدر . وبما أن الموضوع هو الآن أمام محكمة العدل الدولية ، فإني سأحصر قولي - تماماً - في الحقائق البارزة للقصة وأتجنب - بقدر الإمكان - الإدلاء برأيي الشخصي .

تم نشر إعلان عالمي في ٢٨ أغسطس ١٩٦١ بتقديم عروض لتشييد منازل الأهالي ومساكن الخدمات العامة ببلقري والمدينة الرئيسية بمنطقة إعادة التوطن . وحُدد التاريخ النهائي لاستلام هذه العروض يوم ٣٠ مارس ١٩٦٢ . وخلال هذه الفترة تسلمت اللجنة عروصاً من شركات التشييد في أقطار عديدة . وتم تعيين السيد محمد عباس فخير - نائب رئيس اللجنة - ليرأس فريقاً خاصاً يقوم بدراسة تلك العروض . وبعد شهر كامل وعبر أربعة وخمسين اجتماعاً فرغت اللجنة من عملها . وفي ٧ مايو رفع المهندسون الاستشاريون تقريرهم للجنة . واجتمع فريق آخر مكون من ممثلين للمصالح الحكومية العليا وجامعة الخرطوم لدراسة العروض في ضوء تقرير المهندسين الاستشاريين . وبعد أن عقد هذا الفريق ثمانية وعشرين اجتماعاً - ما بين ١٢ مايو و ١٧ يونيو ، درس فيها بعناية كل العروض - انتهى إلى

احتياز أربع شركات هي : (تريف للتشييد - السودان / المحدودة ) وهي شركة بريطانية و (نكو إكسپورت) اللعارية و (سيكوب) واندية و(فيليب هولرمن) الألمانية.

كان الاتجاه العام - في أول الأمر - أن توقيع العقد - شراكة - مع أفضل شركتين من الشركات المتنافسة . فتتولي ( تريف ) تشييد مرافق الخدمات العامة بينما تتولي ( نكو إكسپورت ) بناء منازل الأهالي . وبتراً لأى ( تريف ) تقدمت ببرامج متسارع في اجتماع عقد في كويلر ( ألمانيا ) في ١٨ أبريل ١٩٦٢ ، بحضور ممثلي حكومة السودان ، والمهنيين الاستشاريين ، تعهدت فيه بإتمام ١٧٠٠ منزل بحلول ٣٠ يونيو ١٩٦٣ و ٣٥٠٠ منزل بحلول ٣٠ يونيو ١٩٦٤ وإتمام الـ ٢٠٠٠ منزل الأخيرة بنهاية عام ١٩٦٤ ، فقد قررت الحكومة تخصيص كل العقد لها . وفي ٢ سبتمبر عقد اجتماع آخر في وزارة الأشغال حضره ممثلو ( تريف ) وأعضاء من اللجنة عليهم السيد أحمد عبد الله أرباب الذي سأل ممثلي ( تريف ) - علي اعتراض فورهم بالعطاء خلال الأسابيع القليلة القادمة - كم من منازل الأهالي يمكنهم إكمالها في ٣٠ يونيو ١٩٦٣ وكم منها في ٣٠ يونيو ١٩٦٤ ؟ فجاب ممثلو ( تريف ) - وفقاً لما ورد في وقائع الاجتماع أنهم - مع لأحد في الاعتبار التأخير الذي حدث في إرساء العطاء وهو أربعة أشهر ، والحاجة الماسة لباء أكبر عدد من منازل الأهالي بأسرع ما يمكن - يتوقعون أن يتمكنوا من تشييد ٢٠٠٠ منزل بحلول ٣١ يوليو ١٩٦٣ و ٩٠% من مجموع المنازل بحلول ٣٠ يونيو ١٩٦٤ . وقد اشترطوا أن تعطى أسبقية لتشييد هذه المنازل علي كل عمليات البناء الأخرى ، وألا يكون هناك مزيد من التأخير



لإرساء العطاء ، وأن يكون هناك وقت كاف للحطيم في الميناء مع تسهيلات بالسكة حديد ، وألا تعرض شروط جزائية فوق تلك المصموم عليها في العقد ، وأن يستحسن نظم ( الزونكو كو ) في البناء .

بهذا الفهم ، تم منح ( تراف ) العقد في ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ . وفي ١٥ أكتوبر وهو اليوم السابق لتوقيع العقد ، تسلّمت وزارة الأشغال خطاباً من ( تراف ) مؤرخاً بيوم ١٢ أكتوبر معه مذكرة مؤرخة بنفس التاريخ شرجت فيهما التزاماتها التعاقدية كما أرائتها . وقد جاء الخطاب والمذكرة محالفاً للالتزام الأصلي المتفق عليه في حيد كما يلي : -

#### ١ / العقد الأصلي :

(أ) كان سريان العقد يبدأ في ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ .

(ب) في خلال أربعة عشر شهراً أي في ١٦ ديسمبر ١٩٦٣ ، يتم إتمام بناء ١٤٥٠ منزلاً رائداً ٢٥٠ منزلاً مصنعة بواسطة المتعاقد .

(ج) في خلال ستة وعشرين شهراً أي في ١٦ ديسمبر ١٩٦٤ يتم تسليم ٩٠ % من المنازل أي ٦٤٨٠ منزلاً .

(د) يتم الوفاء بشروط العقد دينائياً في إثنين وثلاثين شهراً أي بحلول ١٦ يونيو ١٩٦٥

#### ٢ / البرنامج المتصارح :

مع الأحد في الاعتبار بدء سريان العقد ابتداء من ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ ، فإن الموقف الراهن هو كما يلي .

(أ) ابتداء من ٢ سبتمبر ١٩٦٢ حدث تأخير في بدء العمل مدته شهر إضافي .

(ب) بما أن العقد حتى ٣١ يوليو ١٩٦٣ لم يلزم الشركة بشروط محدودة ، فإن الشركة تمثل - بترتيبات خاصة - الفراغ من ساء ١٥٦٠ مرلاً في ذلك التاريخ .

(ج) أن يصبح التزام الشركة بباء ١٤٥٠ مرلاً أخرى بحلول ١٦ ديسمبر ١٩٦٣ .

(د) بما أن التزامات العقد في ٣٠ يونيو ١٩٦٤ لم تؤكد بصورة قاطعة ، فإن الشركة بترتيبات خاصة - تأمل أن تخرج من بقاء ٦٠٤٠ مرلاً في ذلك التاريخ .

(هـ) تلتزم الشركة بأن تخرج من بقاء ٦٤٨٠ مرلاً بحلول ١٦ ديسمبر ١٩٦٤ .

(و) الفراغ من تجديد جميع التزامات العقد في ١٦ يونيو ١٩٦٥ .

لربما لاحظ القارئ الاصطلاحات الفصفاة التي استخدمت في هذا الخطاب ، وفي إجابات ممثلي شركة ( ترف ) خلال الاجتماع الذي عقد في كوبلر مثل ( يتوقع ) و ( يأمل المتعاقد في إتمام ) التي احتيرت بعناية لعمومها ، ويحتمل أن تكون ( ترف ) قد حاولت إحداث ثغرات تفض منها حين الفضل . وعلى كل حال فإن هذا الخطاب قد صيغ بغير اللغة التي جاءت في البرنامج المتسارع المتفق عليه سفاً في اجتماعي كوبلر والخرطوم ، وهو ما لم يصمم في وثيقة العقد الموقع عليها في الاحتفال الذي أقيم في ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ .

أما قائمة الأسعار التي تم التعاقد عليها مع ( ترف ) فقد شملت ٦٣ صنفاً كانت أعلاها تكلفة تشيد المنازل والتي حددتها الحطاء كما يلي :

(أ) تكلفة منزل من غرفتين مجهز بتوصيلات كهربائية بمدينة حلوة الجديدة = ٩٥٣ جنيهاً و ٣٥٩ مليماً .

(ب) تكلفة منزل من ثلاث غرف مجهز بتوصيلات كهربائية في نفس المدينة = ١١٧٠ جنيهاً و ٦٣٥ مليماً

(ج) تكلفة منزل من غرفتين في القرى بعير تجهيزات كهربائية = ٨٩٧ جنيهاً و ١٨٤ مليماً .

(د) تكلفة منزل من ثلاث غرف في القرى بعير تجهيزات كهربائية = ١١٣٠ جنيهاً و ٨١٠ مليماً .

وبالنسبة للمرائق العامة فإن المستشفيات تحتل المركز الأول من حيث التكلفة إذ أن قيمة تشييدها تبلغ ٢٥٧.٦٨٢ جنيهاً و ٣٥٢ مليماً ، تليها قيمة تشييد المباني الإدارية والمدارس . وعلى وجه العموم فإن الأسعار التي تقدمت بها ( ترف ) بالمقارنة مع الأسعار الحالية للمباني تعتبر رخيصة للغاية . وهي ١٣ ديسمبر ١٩٦٢ ويعبر سبب معقول - أنها الحكومة تعاقدها مع شركة ( كوكس ) التي كانت مستشارها الهندسي . ولم تنجأ ( كوكس ) بهذا الإجراء إذ أنها كانت تلاحظ بمرع - ولأسباب غير معروفة السلوك العدائي الذي انتهجته الحكومة تجاهها منذ شهر يوليو . حدث هذا في الزمن الحرج وذلك عندما كلل المقارل الجديد . يقوم بإعداد الترتيبات لمشروع التشييد الضخم وعندما كانت ( كوكس ) ذاتها منهمكة في تجهيز خطط البناء لكل للمرافق ولمدة تزيد عن ثلاثة أشهر لم يكن للحكومة مستشار على الإطلاق وأقصى السيد أحمد عبد الله لرباب كل هذا الوقت في إتمام العمل الذي خلغته ( كوكس ) . وفي ١٧ يناير ١٩٦٣ . شرعت الحكومة في اتصال

مع شركة هندسية محلية هي (شركة اتحاد المهندسين) وذلك للإشراف على الأعمال الإنشائية التي تقوم بها شركة ( تراف ) وقد انخرصت ( تراف ) على هذا التعيين فائدة إن الاستشاريين الجدد لا يستخدمون مهندسين أكفاء وليست لهم خبرة في نظام ( الرويكوكو ) الذي ستخدمه .

وفي ٢٢ يناير حضر الرئيس عبود احتفالاً كبيراً في منطقة إعادة التوطين وأرسي حجر الأساس لمدينة حلما الجديدة وقرأها . وقد جنت إلى حشم القرية لحضور هذه المناسبة العظيمة في صحبة (صالحين) والسيد (ميرغني علي إبراهيم) رئيس مجلس بلدي مدينة حلما . ولم يمس السيد ميرغني أن يخطب معه كمية قليلة من التراب جرفها من عمق أساس أقدم مساجد وادي حلما لتكون مادة لحجر أساس منطقة إعادة التوطين وحضر الاحتفال أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة وأعضاء لجنة التوطين من الوزراء ، والاستشاريين الجدد وممثلو شركة ( تراف ) . وحلّط الاحتفال معتمد التوطين واللواء عروة وميرغني علي إبراهيم وصالحين وشخصي والمستتر هوليجسهد من ( تراف ) . وفي الختام تحدث الرئيس عبود طويلاً وأعاد تأكيد وعوده لأهالي حلما قائلاً إن الوقت قد حان للوفاء بها . ثم تقدم السيد ميرغني علي إبراهيم بكيس يحوي التراب المبارك وسلمه للرئيس . وبعد برهة صبّ عليه الماء ووضع على مالج ( مسطرين ) جميل قدمته ( تراف ) للرئيس ليكون مادة لحجر الأساس . ثم تلا للرئيس آيت من القرآن الكريم سائلاً الله تعالى أن يبارك الوطن الجديد

وبعد ختام الاحتفال ، قام الرئيس بجولة تفقدية على المنطقة . وفي هذا الوقت كانت ( توريو ) تباشر عملها في بناء الحراس ، حيث طلت أقداح

الأسمنت تزوج جيئة وذهاباً في حركة مكوكية فوق الأعمدة الحرسانية حتى وصل البناء إلى منتصف لارتفاع الكامل وكان الموقع كله يصج بالحركة كأنه حليه رجل . أما الشركة الألمانية ( فيليب هورمان ) فقد أوشكت أن تفرغ من حفر القناة الرئيسية ، بينما أحررت الإدارة التابعة لوزارة الري تقبلاً جيداً في شق القنوات الفرعية وإقامة بواباتها . وبدأت شركة ( لندستري إلكتريك الباريسية ) في تجميع أبراج الحطوط الدافئة للكهرباء التي تم تجهيز العديد منها لتُنصب في المكان المخصص له . وأخيراً فإن سكك حديد السودان قد استهلت العمل في مد القصبان على الخط الذي يصل حشم القرنة بحلقا الجديدة وتشييد مناني المحطة التي أشرأبت أعمدة إشاراتها وسلاسلها إلى أعلى .

ولم تكن ( ترغ ) من جهتها - ترقد في كسل وحمول ، فقد وصل جزء من ألياتها وبدأ تجميع كساراتها الصخمة في ( مساريب ) على صفة نهر عطبرة ، وتشيد مكابها ومحارزها وضبط قوائدها لإنتاج (الروبوكو) الذي تبني به حوائط المدارس . وحتى شهر أبريل ، كانت تحصيرات ( ترغ ) تسير بحظي مرصية توحى بأن البرنامج المتمازع سيطلق وفق الحطة الموضوعية . وعلى كل حال فقد أحدث العوائق تنادى في هذا الوقت - مما أحدث تراخياً في عمل الشركة على كافة المستويات . وترجع ( ترغ ) هذا التدهور إلى ثلاثة أسباب هي :

- فشل سكك حديد السودان في الوفاء بالتزامه بترحيل المواد من بور
- تسودان في الوقت المطلوب .
- وعجزها عن إعطاء الأسبقية في تحليل تلك المواد من المبدء .

• غياب المهندسين الاستشاريين الذين يقع على عاتقهم إعداد الخريط والإشراف على التنفيذ .

وتسبباً لهذه المصاعب المتصاعدة ، أعلنت الشركة أنه من المستحيل المضي في برنامجها المتسارع ، فتملصت منه وتمسكت بالعقد الأول . وكان وزير الداخلية - الذي حدد تاريخ التهجير في أكتوبر لتمكين الأهالي من اللحاق بالموسم الشتوي في وطنهم الجديد - مصمماً على حث ( ترف ) لتواصل تنفيذ برنامجها المتسارع . فبعث بخطاب إلى الشركة فند فيه كل ادعاءاتها وأصر على وجوب الوفاء بالتزاماتها المنصوص عليها في ذلك البرنامج . وببما كانت الأمور تسير على هذا النحو ، أوصحت القائمة الفعلية للمازل في وادي حلفا أن هناك ٧٥٠ منزلاً إضافياً لابد من توفرها في حشم القرية مما يعني - من حيث العدد - إضافة ثلاث قرى جديدة بكاملها إلى التقديرات السابقة . واتفقت الحكومة مع ( ترف ) أول الأمر على صم هذا الممدد إلى البرنامج ، غير أنها قررت - في ضوء المستجدات التي صاحبت حرج الموقف - إمكانية أن يتولى تشييد العدد الإضافي من المنازل مقاولون محليون .

وبناء على ذلك تم نشر إعلان بدعوة مقاولين لتشييد منازل بالقرى أو ٦ و٢ بالطوب الأحمر والحجر والبلوكات الأسمنتية . فعرض ثلاثة مقاولين محليين أسعاراً عالية للغاية ، إذ أن قيمة أنشئ عرض - للبلوكات الأسمنتية المفسرعة - كان أعلى من مثلي ما تعاقدت عليه ( ترف ) . ولضمان سرعة التنفيذ وافقت لجنة التواطين على عروض المقاولين الثلاثة وقسمت العمل بينهم بحيث يتولى كل واحد منهم تشييد ١٠٠ منزل على الأقل شريطة إكمال العمل

بنهاية نوفمبر ١٩٦٣ وكان المقاولون الثلاثة هم السيد علي دنقلا والسيد حمد الطاهر التلب والسيد محمد البربري وشريكه علي صبرا وقد قصدت الحكومة بهذا التصرف إيجاد مخرج - إلى جانب (ترف) - لتأمين قدر كاف من المزارب لأي - على الأقل - الفوج الأول من المهجرين في الوقت المحدد .

لم يكن هذا القرار المكثف حافزاً (ترف) التي كانت قواها تخور يوماً بعد يوم . وبحلول شهر أغسطس لم يظهر الوضع أي نوع من التحسن، وجاءت التقارير من مختلف المواقع إلى وزارة الداخلية مشيرة إلى المستوى غير المرضي لأداء الشركة . وفي ١٣ أغسطس رفع المستشارون تقريراً إلى الوزير قرروا فيه بوضوح أن (ترف) قد فشلت في الوفاء بالتزاماتها المتفق عليه في الاجتماع الذي عقد بالخرطوم في ٢ سبتمبر ١٩٦٢م وفي ٢٨ أغسطس كتب الوزير خطاباً مطولاً إلى (ترف) أشار فيه إلى أن كل المعلومات التي وصلته تكل على أن الشركة فشلت في تنفيذ التزاماتها . وبما أن حكومة السودان قد دخلت طرفاً في اتفاقية دولية لتهجير وإعادة توطين أهالي وادي حلفا بسلام قبل أن تغمر المياه بلادهم ، فقد عبر الوزير - في خطابه - عن شعور بأن الموقف قد وصل إلى نقطة تستوجب عليه أن يتعامل مع المسألة بما يراه مناسباً . وأندر الوزير (ترف) بأنه سيدعو مقاولين آخرين ويخصص لهم جزءاً من البرنامج ، ما لم تتقدم هي ببعض الحلول المرضية في غضون أسبوعين . وفي ١٥ أكتوبر جاء خطاب آخر إلى (ترف) يعلنها بانتهاء مدة الإنذار ، غير أنها ردت في ٢٣ أكتوبر ١٩٦٣ وأبدت عدم ارتياحها للخطوات التي قام الوزير باتخاذها وأعلنت رغبتها في

الانسحاب مع الاحتفاظ لنفسها بحق التصور من انفسها التي تعرضت لها .  
وعندما لم يؤد هذا الخطاب إلى نتيجة ، انسحبت ( ترغ ) بهدوء بنهاية  
ديسمبر .

إن من المؤسف للغاية أن تؤول العلاقة مع ( ترغ ) إلى هذه النهاية  
الكئيبة . فقد كانت التحصيرات التي قامت بها للشروع في تنفيذ التزاماتها  
التعاقدية ، من بين أفضل التحصيرات التي شهدتها المنطقة ولا تصارعها إلا  
تلك التي تنسب إلى ( توروب ) إذ أن آلياتها ومعداتنا صممت كسارات وحفارات  
وبلسنورات وجرافات وحراجات وحلطات ورافعات من كل الأحجام ،  
ومقطورات وقلابات وقوابل ، وأصول من الشاحنات والاندروفرات ،  
ورشة كبيرة للحداثة والصيانة ، وغرانش مليئة بالأسمت ، وسيخ من كل  
الأحجام ، وأبواب وشبابيك وألواح خشبية ومواد سقف . كل هذه التحصيرات  
تم تجهيزها بالموقع وفي الوقت المطلوب ودون أن يحدث تنكؤ في تنفيذها .  
وكذلك فإن أسلوب ( الرويكونكو ) المتبع كان عالي الكفاءة بسيطاً وأثبت  
مخانة وسرعة في البدء . ولم يكن من شك أن المسارل الأربعة والثلاثين  
التي أنجزتها ( ترغ ) ، كانت الأفضل من بين تلك التي شيدت في كل منطقة  
الإسكان كما لم تكن متانتها تحتاج إلى برهان . فقد بقيت صاعدة أمام  
العواصف الممطرة ولم تظهر صدوعاً أو أي نوع آخر من العيوب

ولم يبق انسحاب ( ترغ ) للحكومة خياراً سوى اللجوء إلى المقاولين  
المحليين لتشييد معظم ما تبقى من المسارل البالغ عددها ٧٥٦٠ منزلاً إلى  
جانب مرافق الخدمات العامة . كما أن الوقت المتبقي لم يكن يسمح بطرح  
عطاء عالمي جديد في هذا الطرف الإصطراحي صار تخطيط حركة البناء



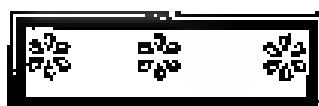
أشبه عملية إنقاذ يتم فيها استثمار المهارة المحلية حتى الثمالة . واستجاب للإعلان - في هذه المرة - حوالي خمسين مقاولاً تم تقسيم العمل بينهم . وكانت الأسعار أدنى من تلك التي تقدم بها المقولون المحليون السابقون إلا أنها كانت أعلى بكثير عما تم الاتفاق عليه مع ( ترف ) فتكلفة المنزل المكون من ثلاث غرف بلا توصيلات كهربائية ارتفعت إلى مبلغ ٢٣٢٠ جنيهاً ، بينما صارت ١٧٢٠ جنيهاً بالنسبة للمنزل المكون من غرفتين وبلا توصيلات كهربائية .

نقل هذه الأسعار مبلغ ١٥٠ جنيهاً للمنزل الواحد عن تلك التي سبقتها . إلا أنها تدرى عن أسعار ( ترف ) برقم مدهل وهو ١١٨٩ جنيهاً للمنزل الكبير و ٨٢٢ جنيهاً للمنزل الصغير ، إذ أن هذه الفروق في الأسعار تساوي تقريباً التكلفة الكلية التي كان متعاقداً عليها مع ( ترف ) غير أننا إذا أخذنا في الحسبان الإعفاء الجمركي الذي منح لـ ( ترف ) على كل مواد البناء المستوردة وإذا وصعنا في الاعتبار تكلفة البناء الحالية في السودان ، فإن أسعار أولئك المقاولين المحليين لم تكن مبالغاً فيها . وعلى كل حال فقد تم توقيع عقود هذه المقاولات لتنتهي في تاريخ أقصاه ٣٠ يونيو ١٩٦٤

ويلاحظ أن المستشفى والمرافق العامة الأخرى قد ذهب التعاقد عليها إلى مقاولين آخرين . وكان أبرز المقاولين - إلى جانب أولئك الثلاثة الذين سبق ذكرهم . جابر أبو العز ، أحمد أبو زيد ، صديق أبو عاقلة ، سيد عبد الله السيد . وقد كان لمهندسون الاستشاريين مسرورين بالإشراف على عملية البناء بواسطة البلوكات الأسمنتية المبرعة التي اكتسبوا فيها خبرة كبيرة . وبما أن المقاولين المحليين قد حلّوا محل شركة أجنبية وأصبحوا تحت مراقبة

القطر بأجمعه ، فقد كانوا مصممين على إثبات جدارتهم وإنجاز المهمة في التاريخ المديد ، خاصة وقد مهّل عملهم معرفتهم بكل أولئك المقاولين المحليين الذين شاطروهم الحمس والإصرار على أن يكونوا في مستوى التحدي . وجمع المقاولون مواردهم وآلياتهم وعملهم الماهرة واتجهوا بعقولهم المكونة من الشاحنات المحملة بمواد البناء إلى مواقع التشييد في حشم القرية . ولم تلبث مصطفة الإسكان أن امتلأت بمسكرات العمل ، وانتشر العمال - من كل أنحاء قطر - في مواقع إنشاء القرى ومنطقة للمدينة الرئيسية . وأقيمت أحواض عجن الأسمنت وجُهِّزَت ماكينات البلوكات المعرَّعة التي تدار يدويًا وبالكهرباء ، وبدأ حفر الأساسات . وأصبحت الطريق إلى (ساريب) القلْف من جراء حركة نقل الرمل والحرقصانة بالشاحنات الثقيلة . وبدأ في الظهور ما يلزم هذا النشاط - عدة من الساعة والمفاتي والمطاعم و(الأنادي) <sup>(١)</sup> ، بتراحيص مؤسستة . ومدّت مصلحة البوستان والتعرف خطوطها من حشم القرية إلى موقع حطاف الجديدة . وبسنة لأى المقاولين قد قرروا مواصلة العمل ليل نهار ، فقد جاءوا إلى معسكراتهم بمولدات كهربائية صغيرة ، وأعطت كشافتهم ومصباحهم الكهربائية انطبعاً غريباً بالليل في ذلك السهل المقفر .

.. دعونا الآن نعدّ (حشم القرية) وهي تستقل مقاوليها المحليين الجدد وبعود إلى (وادي حلفا) .





بنار لسنزل لى حد لجنه



مصنع سكر حد لجنه

## الفصل السابع عشر

أثر التعويضات علي الشعور العام (٣)

عملية تقييم المنازل - في وادي حلفا - تسير بهدوء ودون ان يتعرض لعوائق على امتداد المنطقة خلال المرحلتين الأولى والثانية للتحرير . ولقد ارتضى سكان القرى الشمالية - بكاملهم - الهجرة إلى حشم القرية فيما عدا خمس أسر يتزعمها الأعضاء المافدون في النحة المحلية المحطة أمثال محمد أحمد عوض ومحي الدين محمد عيسى بقرية (ديبر د) وأبو راس أيوب (١) في أشكيت وأسرة محمد أحمد جاشين في (أرقين جنوب) . أما في المدينة فهناك أسرة شريف داؤود وآخرون في ديبروسه . وفي قرية دغيم كان الوضع فريداً من نوعه فقبل وصول لجنة التعويضات - مباشرة - إلى تلك القرية ، شن المعارضون لخيار (حشم القرية) حملة عنيفة سرّاً وعملاً ضد كل المؤيدين لذلك الخيار . وأخذوا يستهزئون بهم عدد حروجهم في الطرقات ، وقاطعوا التعامل مع أصحاب الحوائيت والخرف منهم . وبالإضافة إلى ذلك كانوا يحشرون أوراقا مسن تحت أبواب المنازل تحثري على إساءات وتهديدات وعبارات إرهابية تدبرهم بعدم اختبار الرحيل إلى (حشم القرية) . ولأن مؤيدي (خيار حشم القرية) كانوا على يقين من حالة اليأس التي اعتبرت مندوبهم ، فقد قرروا عدم الدخول معهم في مواجهات مفتوحة . فقد لجأ بعضهم إلى فصيلة الصبر كما أن البعض الآخر - الأكثر دكاءً - لا بأساليب المحادعة لإقناع أولئك المناوئين برفضه لحشم القرية في حين أنه حقيقة كان أكثر إصراراً على الرحيل إلى هناك وعندما ذهبت اللجان إلى دغيم ، أعياها جمع كبير كان يتبعها بعرض التأثير على أصحاب المنزل لكي يخلّوا التعويض النقدي . فسرّبوا أول الأمر إلى المنازل التي كان

(١) ر. دت Ayoud ، في معنى الإثري ر. دت تحت حفظ معني حرمي - سر حرم

يجري تقييمها لأعتراف العمل وتعويق مسيرته ، غير أن بعض رجال  
للمشرطة الذين كانوا في معية اللجن ، استطاعوا صد ذلك الجمع وهياراً جواً  
من حرية لاحتيار لأصحاب المنازل يمكنهم من إبداء رغبتهم الحقيقية دون  
تأثير من أحد ، وبالرغم من هذه الإجراءات التحوطية من الأذكباء من  
أصحاب المنازل واصلوا المصبي في محاولة استفعال المساوئين فكلماً دخل  
أحد ممثلي اللجنة منراً لتقييمه فإن صاحبه كان يتدمج مع جماعة المساوئين  
الذين كانوا يرددون بصوت عال أنهم يحذرون التعويض النقدي . وبعد أن  
تفرغ اللجنة من التقييم ينادى على صاحب المنزل باسمه لتحديد خياره فإذا به  
يصيح وهو في غمرة الجمهرة - ( نقدي . نقدي . أريد نقدي . ) وكلمت هذه  
العجالة تقابل عادة بصيحات الابتهاج والتصفيق من جموع المساوئين . ثم يتقدم  
صاحبها نحو أعضاء اللجنة وهو يردد نفس العجالة مرة أو مرتين ربما لإزالة  
الشكوك حول خياره . وحينما يقف أمام رئيس اللجنة وجه لوجه فإنه يعيد  
تسريدها . حينئذ يقوم الرئيس بتسجيل اسمه ضمن الراغبين في التعويض  
النقدي لكن الرجل - بعدئذ يتوجه بسؤال هامس . ( ماذا سجلت ؟ )  
وحينما يحديه رئيس اللجنة بفوه ( تعويض نقدي ) فإنه يرفع صوته قليلاً  
قائلاً ( كلا . أنا قصدت بقولي نقدي أن يكون لي منزل في حشم القرية  
تعويضاً عن هذا المنزل . ) هنا يتم تعيين التسجيل إلى تعويض عيني يوقع  
عليه المالك . وعندما يرجع صاحبها إلى جموع المساوئين يصيح قائلاً : ( لقد  
طلبت تعويضاً نقدياً ) فيتلقونه بمزبد من التصفيق . وقد طلبت الخيارات  
الحقيقية لأولئك الناس الأذكباء أكثر سراً لزم طويل كانوا خلاله يتمنعون

بعلاقات طيبة مع مدونتهم ولم يكشف السر إلا بعد من غادروا إلى حشم  
القربة

وعسما تم القراع من تقييم المنازل في ( دغم ) ، اتضح أن الاغلبية  
العظمى من الأهالي كانت في جانب حبل الذهب إلى (حشم القربة) . ولم  
يساند الحبار النقدي سوى ٦٠٠ من ملاك المنازل في كل العمودية وهم  
من ( دغم جنوب وجزيرة المجراب ) ونسبة مئوية ضئيلة في وسط دغم  
وشمالها . أما (عنفش) فقد مالت بكاملها إلى التعويض العبي فيما عدا ست  
أسر وفي جمى استطاع العمدة حسن عقلا أن يسجل كل عموديته لخيار  
حشم القربة فيما عدا أقلية ضئيلة ساننت ( حسن عثمان ) سالعصو النشط في  
الجنة المحلية المسحلة والذي طالب بالتعويض النقدي .

وبنهاية شهر يوليو ، وجهي رئيس اللجنة للحاق به لحضور اجتماع  
مع المدير العام للسكة حديد السودانية لحسم موضوع احتياجات برنامج  
تهجير من القطارات . فجمعت كل الإحصاءات ذات الصلة بموضوع  
الركاب والشحن وغادرت بالطائرة إلى عطبرة . وهناك عقد اجتماعاً ناجحاً  
مع السيد محمد فصل<sup>(١)</sup> المدير العام الذي تعاطف تعاطفاً كاملاً مع موقفنا  
وشطبنا الإحساس بأن نجاح عملية التهجير يعتمد على نوع الخدمات التي  
تحتاج للمسافرين وعلى كفاءة نظام السكة حديد ومواكبته لتغيرات الحركة التي  
حدثتها العملية ترحيلهم . وبعد أن أطلع السيد محمد فصل على برنامج  
التهجير الذي قمت بإعداده ، قرر أن يخصص أربعة قطارات ركاب كاملة و  
أربعة قطارات بصاعة للعمل المتواصل بين وادي حلفا وحشم القربة لنقل

<sup>(١)</sup> تسمى عبد الله - حشم

المسحريين و أمتعتهم ومواشيهم خلال فترة إحصاء المنطقة من السكان وأكد  
لما السيد فصل أن حجم الحركة سيكون أكثر مما هو مطلوب وأنه سيوجه  
المكتب الرئيسي لإدارة حركة القطارات لإعطاء استجابة مرور قطارات  
التجهيز بحيث تقواصل رحلاتها نور عوانق إلى حشم القرية . وكان مشجعاً  
أن يفيد السيد فصل أن هناك ٢٠٠ عربة ركب مجهزة بإمكانات تهوية  
بضخمة على وشك انقراع من تصييعها في ورش عطبرة متتالف منها  
قطارات الركاب التي تحتاج إلى ووافق السيد فصل على أحداث تغييرات  
في أربع حافلات مطاعم بإزالة المقاعد والمقاعد واستبدالها بسرير حافلة  
لتكون مستشفى متحركاً لرعاية المرضى والعجزة . ولتأكيد كفاءة محطة  
السكة حديد بوادي حلفا ، فإن كل الاحتياجات من القوى العاملة الإضافية التي  
يطلبها السيد الرئيسي سيستجاب لها . وهكذا غادرت عطبرة وقد أُنشئت  
صدور ولحقت المستأ بالشكر للمدير العام على تعاونه المتميز

وفي ديسمبر ١٩٦٢ ، أعفى السيد حسن علي عبد الله من مسؤولياته  
كرئيس للجنة ، وأستأنف مهامه السابقة وكيلاً لولاية نجران الداخلية ... لقد كانت  
خدمته مع اللجنة وتعاونه وتوجيهه الرشيد لنا ، أمر قصير بالتسجيل وحين  
خلف السيد داود عبد اللطيف - في وقت عصيب - كانت لحكمة السيد حسن  
وبعد بطرته وقدراته الإدارية العدة أثرها في تمكنه من أحداث إنجازات  
عظيمة . ففي خلال فترة رئاسته للجنة تم تخطيط القرى والمدنية الرئيسة كما  
تم تصميم المسار وموافق الخدمات العامة . وعد صدور قانون إعادة توظيف  
وادي حلفا وعادته ، اتسع عمل اللجنة بإنشاء مكتبين فرعيين فاعلين أحدهما  
هي وادي حلفا والآخر في حشم القرية . كما تم تعيين ثلاثة ماعتمدين . وتغير



موقف الأهالي تجاه حيز خشم القرية بصورة جبرية . فقد تم ترويض  
مقاومتهم الشرسة والعنيدة وسحار كل سكان المنطقة . تقريبا - إلى جانب  
قرار الحكومة كذلك أمكن التغلب على مشاكل التعويضات العويصة بتحديد  
أرقام تفهيم معقولة . وباختصار فإن سره السنين اللتين قصاهما مع اللجنة  
شهدت انتقال عملية التهجير وإعادة التوطين من فكرة نظرية إلى حقيقة  
واقعة . وقد حل السيد عبد الله محمد الأمين . الذي كان حتى ذلك الوقت  
مديراً لمديرية كردع - محله وبتعيينه بطوي أحداث إعادة التوطين لعام  
١٩٦٢

ففي يناير ١٩٦٣ تم افتتاح معرض صحم بوادي حلفا من نبات أفكار  
للمسيد (طه عثمان) ساعد رئيس اللجنة . فبعد أن وقف السيد (طه) على  
النتائج الطبية لزيارة وفد أهالي حلفا لمرحلة التجريبية بخشم القرية، اقترح  
على إقامة معرض في مدينة حلفا يحتوي على نماذج وعينات وأشياء أخرى  
يكون من شأنه إعطاء فكرة جيدة لأهالي عن شكل وطبيعة منطقة إعادة  
التوطين . فوافقت على هذه الفكرة السيرة ، وصليت منه أن يقوم بتفصيلها  
فاستطاع تروأ الحصول على تصديق للتمويل النظم واتصل بالمصالح  
الحكومية المعنية . وقام أحد الفنانين التشكيليين من الخرطوم بتصميم قاعة  
العرض وكلف أحد الجالين بتهجير أجرائها الخشبية التي أرسلت إليها في  
وادي حلفا ليقوم بتركيبها . وبعد أيام قليلة وصلت النماذج والملصقات  
والصور الفوتوغرافية . وبحلول نهاية ديسمبر تم تشييد قاعة العرض بساحة  
المدينة كم قسم ترتيب النماذج ومادة المعلومات . وساهمت وزارة الري  
بمواذج عملي لحيز خشم القرية وآخر لنظم لإمداد المائي النقي من الآبار

للقري عن طريق المصحات ومستودعات المياه العالية و قامت  
شركة ( ترف ) بتجهيز نموذجين ضخمين لسورين من المنارل ونموذج  
كامل وجميل للقربة رقم ٨ ( وسط أرفين . ) أما وزارة الأشغال فقد ساهمت  
بنموذج لخدمات المياه في مدينة ( حلف الحديد ٠ ) وأما وزارة الثروة الحيوانية  
فقد بعثت بقطيع صغير من أبقار كنانة والبطانة الحلوب التي تعتبر أفضل  
السلالات في أفريقيا كلها كم بعثت بفقاسة بيض كبيرة ومعها ٥٠٠ ككتوت  
من انتاجيات منتقاة بعرض استعراض تربية الدواجن وفق التخطيط المبسط  
لمسطقة حشم القربة . وأرسلت مصلحة اللعابت عينات لأنواع مختلفة من  
الكتل الحشوية بكميات كافية لإقامة مورد ( سوق حطب ) وذلك في بقعة من  
الأرض حلف قاعة المعسرط . وبطمت وزارة الزراعة عرصاً ممتازاً  
لعينات من الحصر والبقوليات وقصب السكر والقطر . رجعت شركة  
( الهندسري إلكترويك للباريسية ) بنموذج عملاق لفرج من أبراج خطوط الإمداد  
الكهربائي . وأحدراً في وزارة الاستعمارات ساهمت بكميات لا تحصى من  
الصور المكبرة التي تعكس شتى أنشطة العمل بحشم القربة . ولم نكن لأصدق  
أن يتمكن ( طه ) من جمع معروضات هذه الكثرة في وقت قصير لولا أني  
رأيتها بعيني رأسي .

وانتهرنا الفرصة لا عود ممثلي كل المصالح - التي لها صلة بتعمير  
مسطحة إعادة التوطين - لحضور افتتاح المعرض . وكان محططاً - أولاً  
أن يفتح المعرض اللواء عروة وزير الداخلية ، غير أن أسباب تتعلق بمهام  
طارئة حالت دون حضوره . بعثت بالأميرالاي <sup>(١)</sup> محمد المهدي حامد

الحاكم العسكري للمديرية الشمالية بيانة عنه . وقد لقي الدعوة كل المسعورين وجاءوا بطائفة خاصة من الخرطوم فيما عدا السيد عبد الله محمد الأمين الرئيس الجديد للجنة الذي كان طريق الفرش إثر توبة قلبية . وبدأ الاحتفال صباحاً في ساحة المدينة بحضور حشد مكون من ١٠ آلاف شخص ، وتحدث فيه الحاكم العسكري ومبرغي علي إبراهيم وصالحين وشخصي ، معددين أوجه الحياة الجديدة في الوطن الجديد والثورة الاجتماعية والاقتصادية المحبطة لأهالي وادي حلف . واحتُمت المناسبة بعرض رياضي شاركت فيه كل الأندية الرياضية ماعدا نادي قرية دغيم .

وبعد لافتتاح مباشرة تقاطر على المعرض الزوار المحليون الذين أنظم دخولهم في مجموعات . وقد رتبنا زيارة الرجال والنساء بحيث يخصص يوم لكل جنس لدار المعرض في اليومين الأولين ٦٠٠٠ رجل و ٤٠٠٠ امرأة ، وكل كل زائر يريد أن يعرف كل شيء عن المعارضات . وفي اليوم الثاني جاءت سماء كثيرات من ( فرس و بطن الحجر ) لإلقاء نظرة على المعرض . وقد كنّ مسرورات للعبية ، لكنني علمت من أرواحهن أن معظم النساء في القرى عبرن عن رغبتهن في مشاهدة المعرض لولا صعوبة المواصلات فخصصت عدداً من السيارات لنقل المئات منهن - خاصة اللاتي ينتمين إلى منطقة ( صرص عكاشة ) للحضور وشاهدة النماذج المصعرة لأرضهن الموعودة . وأثارت النماذج التي عرضتها ( ترف ) ومعارضات وزارة الزراعة فصولين . ففي اليوم الأول المخصص للسيدات وقع حوار شديد في قسم الحصرواب كشف عن نظرة التحامل التي طبقت على المعارضين لمزارحهم القرية وأحيازهم صد كل ما يتعلق بإعادة التوطين .

فقد كانت حبات القفل الأحصر صحة على غير العادة ولانقة جدا، للحلط مع اللحم المعمر و لأرز المسالوق وطحنها بالسمن كما تفعل النساء عادة، واسترعى انتباه حجم القفل الأحصر إحدى السيدات الماصرات لحيار حشم القرية فصاحت قائلة : ( يا لحجمها وبهايب ) فأجابتها فتاة من المأونات لذلك الحيار قائلة على الفور (ستحتاجين إلى كيلو من الأرز لحشو حبة قفل واحدة وهذا ما لا تقدر عليه ) .

وفي ٩ فبراير - وباء على رجاء من اللجنة - فمت بتقديم اقتراحاتي حول كيفية إنقاذ محلات المصارف والمباني الحكومية وأشجار السحيل . فقد لاحظت أن النوبيين يستعملون في مزارعهم عدد محدودا من الأبواب والسواقد ، لكنهم يعتمدون في سفرها على عدد هائل من القصبان المولادية خاصة في منطقة (صرص - عكاشة) ولربما يمكن أن يستفاد من أبواب وبواب مباني المكاتب والمنازل الحكومية - رغم أن الكثير منها عتيق وبال - مثلما يمكن الاستفادة من قصبان السقف الكثيرة التي لا يكاد يحلو منها مكتب من مكاتب الدولة . وبالنسبة لمباني فندق النيل ومباني سكك حديد السودان بسفاتها وورشها فيمكن أن تنزع أبوابها وبوابها على أيدي أربابها وترسل إلى عطبرة . لكن تكلفة إنقاذ هذه المواد ونقلها إلى حيث الاستفادة منها ستكون مساوية - تقريبا - لقيمتها وهي جيدة إن لم تتجاوزها . كذلك لابد أن يوضع في الاعتبار ضيق الوقت المناخ ما بين إحلاء المدي و غرقها في مياه السد لابد من مشغولين بعملية التهجيز وليس من المرجح أن يصيف إلى أنفسنا مريداً من الصداق. أما بالنسبة لأشجار النحل فليس هناك معنى لإنقاذها ويستثنى من ذلك الشتل الجيدة التي يمكن لوزارة الزراعة أن تتفيا

وتسديدها وتعيد زراعتها في مكان آخر بالمديرية الشمالية . وهذا يعني أن كل أنواع الحيل - بلا استثناء - يجب ألا تمتد إليها يد حتى تنتقل إلى عالم الغيب واقتزحت في الحتام أن تطرح محلفات كل المدني في عطاء شريطة أن يتولى صاحب العطاء الفائز مسؤولية استخراج الأبواب والموافق وأداء السقف وتزجيلها بمعرفة . وبعد قبول اقتراحي ، منح لعطاء محمد عبد الرحيم<sup>(١)</sup> وشريكه عكاشة صالحين بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه . وبسبب تفرع المتسارع لمياه النيل - خاصة في موقع المدينة - فقد صعب على الميكانيكيين جمع الأسلاب لكليهما - على وجه العموم - حرجاً من الصعقة بريح مقدر . وقاما بتحرير ما جمعاه في مكان قريب المطار وأرسلا معطاه إلى منطقة إعادة للتوطن حيث أعيد استخدامه في إمدادات السارل .

وفي ١٣ فبراير أعلن اللواء عروة وزير الداخلية في بيان مطول عبر إذاعة أم درمان - فئات التعويضات التي وافق عليها مجلس الوزراء وهي نفسها التي أوصت بها لجائنا ، كما أعلن أن الحكومة قد اعتبرت الفرق بين قيمة السارل في وادي حلف رسع تكلفتها في الوطن الجديد منحة منها للأهالي وفاء لوعود الرئيس عبود وبرهانا على حسن نواياه تجاههم وقد قبل البيل برحب عام حيث وصفت منحة الرئيس عبود السحية نهاية للشائعات التي قالت إن الفرق الشاسع في قيمة الإسكان سيتم جبايته من الأهالي . وأصبح واضحاً أن الأهالي الذين اختاروا الذهاب إلى حشم القرية سيتمتعون بوصف متميز مقارنة بأولئك الذين فضّلوا التعويض . عن منازلهم - نقداً . وفي الحقيقة فإن البيل أحدث صدمة في صفوف المناوئين لحيار

<sup>(١)</sup> في اسم الصحيح : كذا حسب هم - عبد السلام عبد الرحمن - نشرهم

حشم القرمة . فالتمس كثير منهم الرجوع عن قرارهم بدعوى أنهم كانوا عرصة للتصليب من رفقاهم الآخرين ، إلا أن معتمد التعويضات رفض تلك الالتمسات إعمالاً على التحذير المسبق الواضح بأن لا رجعة في الخيار الذي شاعوه هم بأنفسهم . وحالف تم إعلان فئات التعويضات ، كان المواعيل الطبيعي الذي يرد هو : كيف ومتى يتم الدفع ؟ فقد تباينت آراء النوبيين حول الإجابة على السؤالين . فالغزاة العاديون منهم ومن مطلق حاجاتهم الماسة للمال - كانوا يتطلعون إلى دفع التعويض النقدي فوراً دفعة واحدة . أما الآخرون الأعقل والأكثر وعياً بحطل هذا الرأي ، فقد رأوا أن يكون الدفع على أقساط .

وبعد مرور أسبوع على صدور فئات التعويضات ، جاء إلى مكنتي أربعة من النوبيين المعتدلين وطلبوا مني بعد نقاش مطول ومثمر - أن أصبح الحكومة بدفع التعويض النقدي على أقساط وألا يكون الدفع بأي حال - جملة واحدة . وأشاروا إلى سابقة وقعت على أقرانهم من ( الكور ) في النبوة السفلي الذين تسلموا كل التعويضات النقدية عن ممتلكاتهم إبان الإغلاء الثاني لحران أسوان عام ١٩٣٢ دفعة واحدة ، فلقوها سريعاً عن بكرة أبيها مما أدى إلى هاربة وخيمة جعلتهم أكثر فقراً مما كانوا . واقترحوا أن يدفع القسط الأول للأهالي بما لا يزيد عن ثلث جملة التعويض - قبل توجيههم إلى حشم القرمة لتمكينهم من تسوية ديونهم وتمليكهم قديراً معقولاً من المال يهيئهم لمقابلة أعداء للحياه المباشرة عند حلولهم بالوص الجديد . أما بالنسبة لباقي أقساط التعويضات النقدية فقد أحبروني أنهم يدرسون حططاً لاستغلالها في شركة استثمارية . وقد تطابقت هذه الاقتراحات مع ما كنت قد فكرت فيه

، فناقشت معهم إمكانية قيام اتحاد لمرار عي - وذلك ما اقترحتة على لجنة التوطير سلفاً - أو إنشاء مصرف توبي في منطقة إعادة التوطير . فأمسوا على حقيقة أن هذه الاقتراحات تتماشى مع ما فكروا فيه ، و وعدوا بدراستها وحبسها . كان أولئك لرجال هم ، علي أحمد علي والمحامي محي الدين محمد نور وعلي الطاهر والمرحوم عثمان محمود . قمت بعد ذلك بعرض هذه الآراء الحصرية مشفوعة باقتراحاتي السابق القائل بوجوب أن تتم دفعيات التعويضات عبر مصرف تجاري وبعثت بها في تقرير مطول إلى اللجنة . والنسبة للدين لا يرغبون في الترحيل إلى حتم القربة ، فإن التوصية بشأنهم - بالطبع - كانت أن يدالوا بصيبتهم من التعويضات دفعة واحدة حتى يتمكنوا من تكدير إقامتهم في المكان الذي يختارون . وقد وافقت للجنة على هذه الاقتراحات في محملها - لكنها قررت دفع قيمة ثلث التعويضات فقط في وادي حلفا وأجلت دفع الباقي لحين وصول الأهالي إلى منطقة إعادة التوطير . ولأسباب فية صرفت وزارة المالية النظر عن اقتراحي بدفع قيمة التعويضات عبر أحد المصارف .

وفي مارس أحيل السيد عبد الله محمد الأمين إلى المعاش لأسباب صحية وتم تعيين السيد علام حس علام مدير المديرية الشمالية رئيساً للجنة . ومع أنني أسفت لمرض السيد عبد الله وإحالفته إلى المعاش ، فإن تعيين السيد علام كان بالنسبة لي بياً ساراً . فقد عملنا سوياً في المديرية الشمالية ، وبما أنه كان المدير فإنه ظل على علم بطبيعة الوضع في هذه الجراء من مديريته . وفوق ذلك فقد عرف بمشاطه وبمرايه الإنسانية مما أكسبه ولاء كل مصادقيه .

كما أن خبرته السابقة كمساعد ممتشٍ مركز وادي حلفا ، جعلته قادرٌ على الإمساك - جيدا - بأطراف المشاكل التي كانت تحيط بها.

وعندما فرغت لجبان التقييم من أعمالها في المنازل المأهولة بمناطق  
المرحلتين الأولى والثانية، اتجهت أنظارها إلى تقييم سوق وادي حلفا وبحث  
إمكانية تشييد دكاكين بختم القرية قبل وصول الأهالي إليها. لذلك تم تقدير  
قيمة ماني كل الدكاكين بواسطة النحان استعداداً للتعويض النقدي وعسا  
شرعا في تسجيل الأراضي التجارية لتعويضها عيباً جاءتها تعويضات جديدة  
من اللجنة أهدت كل القواعد التي وصفتها اللجنة الفنية (بخصوص تعويض  
الأراضي التجارية) خلال اجتماعها بالحرطوم . وقد رمت السياسة الجديدة  
إلى تخفيض الأراضي التجارية ذات الملكية الحرة في حلف الجديدة عن طريق  
مح أصحاب الدكاكين المتعددة الجزء الأكبر من التعويض نقداً . وهذه القاعدة  
الجديدة تفسر حرالي تلك المواقع المسجلة فهي تمنح دكاناً واحداً للذين  
يملكون ثلاثة دكاكين ودكاكين للذين يملكون أربعة أو خمسة ، وثلاثة للذين  
يملكون ستة أو ثمانية وهكذا . ولعل القارئ يلاحظ أن القاعدة لا تنظم بأنظمة  
حسابية أو أي من قوانين التسعير وذلك كان أثرها قاسياً على المالكين الذين  
يتقاصرون إيجاراً عن دكاكينهم . وقد تصررت أسرة شريف داوود التي  
كانت تملك ١٠٠ دكان كثيراً من هذه السياسة مما دفعها لرفع دعوى للمائب  
العام الذي حكم لها بعدد مساو للمواقع التي تمتلكها بسوق حلفا الجديدة . إما  
توزيع الدكاكين الجديدة وفقاً لخريطة السوق الجديد فق تقرر - بعد الاتفاق مع  
المالك - أن يكون بالقرعة



وقد أوصينا أيضاً - بفتح استينز لكل أصحاب الرخص التجارية الذين كانوا يزولون عمالهم التجارية بلا انقطاع من داخل دكاكين مؤجرة ، لشراء مواقع في سوق حلفا الجديدة عن طريق المراد المقبول . ووافقت اللجنة على التوصية وقام السيد عثمان حسين - أثناء زيارة لوادي حلفا - بإجراءات المزاد . وبما أن عدد المواقع كان على قدر عدد المتقدمين فلم تجر مزايدات ، وبيعت المواقع بالسعر الأساسي . وبعد الفراغ من هذا العمل ، توجهت بالبحر - إلى أصحاب المواقع للإسراع في تشييد دكاكينهم قبل بداية التهجير . فاستجابوا لطالبنا ووافقوا - خلال أيام قليلة - على خريطة نموذجية جديدة وكتبوا مقاولين من وادي حلفا بتنفيذها فجمع المقولون معداتهم وغادروا إلى حشم القرية للشروع في عملية البناء

ثم برزت مشكلة أخرى نحتاج إلى معالجتها وهي : كيفية توزيع القرى الحالية في وادي حلفا على مواقع القرى الست والعشرين بمنطقة إعادة التوطين فالامر لم يكن سهلاً كما يبدو ، لأن كل القرى في المنطقة التي ستعمرها المياه تمتد على شاطئ النيل إلى مسافة ١٠٠ ميل . غير أن مشروع إعادة التوطين جعل القرى عريضة ومربعة وتتكون من ثلاثة خطوط متوازية تبعاً للتصميم العام . علاوة على ذلك فإن القرى الجديدة تريد عدداً من القرى القائمة وقد تم تخطيطها لتشمل عدداً متساوياً من المنازل ، سيما تتراوح أحجام القرى - في المنطقة المعمورة - ما بين مستوطنات كبيرة مثل دغيم وديره وأرئيد ، إلى قرى صغيرة مثل (شيخ علي) و(الصحابه ) . ولإيواء الأهالي - في موطنهم الجديد ، فقد كان لا رماً أن يتم شطر القرى إلى

جرثيس وأل تجمع القرى الصغيرة في قرية جديدة ، ربما أمكن في بعض الحالات - صم مجموعة كاملة لأهالي قرية نعينها للعيش سوياً

وقد دعوت ممثلين لكل القرى وأربئهم خريطة منطقة إعادة التوطين وشرحت لهم كل الجوانب العصبية في هذه المسألة الشائكة . واتحدنا الخطوة الأولى بأن جعلنا الوصف الجغرافي للقرى الحالية معكوساً بالنسبة لموقعها في مطعه إعادة التوطين. وبما أن مدخل منطقة إعادة التوطين يقع فسي الطرف الجنوبي، فقد قرر الاجتماع أن يكون موقع (فرص) ملاصقاً له، ويستمر الوضع هكذا كلم اتجهنا شمالاً من أجل الحفاظ على علاقة القرى المتجاورة ما وسعت الحيلة. ولحسن الحظ فقد اكتشفنا أن عدد المنازل في قريتي فرص الحاليتين يتطابق تماماً مع عددها في القريتين الجديتين بحشم القرية ، فحصب القرية رقم (١) لفرص شرق وحصصا جارتها (القرية رقم ٣٣) لفرص غرب . ووجدنا عدداً فائصا من المنازل في قريتي (سرّه) حصصاها لدبيره شمال وأرقين شمال أقرب جارتين إليهما. وشطربا كل من دبيره وأرقين ودعهم إلى ثلاث قرى والترمب هذا النظم بملاسة فيما عدا المائق الذي واجه في القرية رقم ١٤ التي أطلقا عليها : بوهين سدة إلى المدينة الأثرية التي حملت هذا الاسم وقد تكوت هذه القرية من المنازل الفائصة عن دبيره وأشكيت والحصا . فاحتج الأهالي - أولاً - على فصلهم عن فراهم الأصلية لكنهم عندما ثقفوا أن قريتهم ستكون الأقرب إلى مدينة حلما الجديدة ، أشروا للقول . وقد احتفظت كل للقرى الرئيسة بأسمائها الأصلية أما القرى المشطورة من أصلها فقد سميت بالأسماء التي كان يطلقها عليها الأهالي عندما كانت قرى فرعية . فقريتا أرقين الجديتان سُميتا :

(شاركو تاري) و (أشاويركي) أما دبيرة ودبيرة شمال ( هاجر ) فقد احتفظتا  
بسكانهما الأصليين . وبالنسبة لأهالي قرية الكنور ( التي ليس لها اسم معين  
والتي تقع عند أطراف بوهين ) وقاربهم من عشق ودغيم ، فقد تم تجميعهم  
في حي بالمدينة الجديدة حيث توارثت منازل إضافية أما قريتي (الصحابة)  
و (شيخ علي) فقد دُمجتا في قرية واحدة أطلق عليها : (شيخ علي) .

وفي المدينة كان الوضع يتشكل على نحو طيب . فكل الأحياء تم  
توزيعها بسهولة حفظت لها شخصيتها وأواصر الجيرة . كما أن المدارس  
الفائضة تم تجميعها في حي واحد يتيح فرصة صبية للذين يرغبون في تغيير  
نمط حياتهم من ريفي إلى حضري ، غير أن هؤلاء لم يكونوا من الكثرة  
بمكس . فجامعات الطالبات مسوية لعدد المنازل المتاحة . وهناك عائلات  
شهيرة قليلة مثل عائلة صالحين وسليمان الشيخ المنتسب إلى (أشكيت ) قررت  
العيش في المدينة .

وبعد أن فرغ من هذه المشكلة المعقدة ، أرسلت قائمة طويلة بأسماء  
القرى إلى اللجنة وصورة منها إلى معتمد النواطين راحياً أن نحل الأسماء  
الجديدة محل الأرقام المتتالية المتبنة بالحريظة واشترطت أن يستعمل  
الرسميون والمقالون والعمال - في خشم القرية - هذه الأسماء وليسوء الحظ  
فإن كل الناس في خشم القرية اعتادوا على استعمال الأرقام إلى درجة أن  
الأسماء الجديدة لم يكن لها أثر على الإطلاق . والأسوأ من ذلك أن النوبيين  
عندما حلّوا بهذه القرى وجدوا أن استعمال الأرقام قد أصبح راسخ بحيث  
استحال استبدالها بالأسماء الأصلية . وبعد أولى زياراتي للمنطقة - بعد  
تعييني مديراً لمديرية كسلا مباشرة - كنت حقيقة - غير سعيد لرؤية لافتات

على مداخل القرى تحمل أرقاماً بدلاً من أسمائها ، كما أن للتوسيع أنفسهم  
اعتادوا الإشارة إلى قراهم بالأرقام . وعندما سألتهم : ( أين الأسماء الأصلية  
لقراكم ؟ ) اجابني أحدهم قائلاً بل السكان المحليين لحشم القرية يجهلونها .  
فقلت لهم : ( إن عليكم أن تعلموهم أنكم تعيشون في وسط اجتماعي لا في  
محيط عسكري . ) وفي أول اجتماعاتي بالمجلس المحلي اقترحت عليهم  
استبدال كل اللقبات التي تشير إلى الأسماء الرقمية للقرى ، بلقبات أكبر  
تحمل أسمائها الأصلية . كما اقترحت عليهم أن يصدر المجلس أمراً محلياً  
بعدم قنطر في أي ( عريضة ) أو وثيقة رسمية لا تسمى تلك القرى بأسمائها .  
وفي أبريل عيّن مجلس الوزراء لجنة وزارية بصلاحيات تنفيذية  
واسعة للإشراف على الشؤون المتعلقة بتهجير وإعادة توطين أهالي حلفا  
والبت فيها دور الرجوع إلى المجلس . وقد أملت هذه الترتيبات الظروف  
الطارئة والحرارة التي برزت نتيجة للبطء غير المتوقع في تشييد سارل  
الأهالي بواسطة شركة (ترب) . وهذا الوضع حساس للغاية بحيث أن أي  
تصويت يقع سيؤدي إلى مالا تحمد عقاه خاصة في وادي حلف التي كان  
يزحف عليها التوتر يوماً بعد يوم . وكان لابد من فعل شيء يؤكد أن الأهالي  
سيجسرون المأوى قبل أن تغمر منازلهم مياه المد العالي . وجاء إنشاء هذا  
الجهاز العالي مهمماً على اللجنة ومبطلاً لصلاحيات اللجنة الإدارية التي  
كانت مستشوراً لوزير الداخلية ومختصاً بالشبكة البيروقراطية ومؤكداً أسباب  
العمل مباشرة إلى اللجنة الوزارية . فنصل الأمور إليها طارئة لتناقش ويبت  
فيها على التو .

كان رئيس هذه اللجنة اللواء محمد حمد عروة وزير الداخلية وتشكلت  
عصيريتها من اللواء أحمد رصاصا فريد<sup>(١)</sup> وزير الزراعة والسيد مكي المصا  
وزير الري والسيد محمد حسين سليمان<sup>(٢)</sup> وزير المواصلات ( وهذا العصور  
الأخير نوبى من أشكيت وكان تعيينه إشارة لاستعراض أهالي وادي حلفا  
وتعويضهم عن العقد العظيم ب وفاة د. محمد احمد علي الوزير السابق للصحة  
والذي توفي إثر نوبة قلبية في أوائل (١٩٦١) .

. عقد الاجتماع الأول لهذه اللجنة في ١٢ أبريل ١٩٦١ ، حيث وجدت نفسها  
وجها بوجه مع القضية المركبة المتمثلة في حجر شركة ( ترف ) عن الوفاء  
بالتزاماتها التعاقدية .

وهي أواخر يوليو بدأت الشائعات - في وادي حلفا - تأخذ شكلاً جنياً  
مفاده ب تشييد منازل الأهالي ف تلكاً وأن المقاولين المحييين فشلوا في إنجاز  
مهمتهم حسب الميعاد المحدد . وكان هذا يعني - على أقل تقدير - أن  
برنامجاً لشهر سبتمبر لا بد أن يؤجل لتأخير متأخر يتعدى تحديده . وقد أكد  
السيد عثمان حسين تلك الشائعات مما زاد قلقي ، فكانت ردة فعلي المباشرة  
هي أن أعتبر برنامجاً الذي وضعناه للتأخير في شهر سبتمبر كأن لم يكن ،  
وأن تأجيله قد أصبح أمراً حتمياً . لذلك قررت الذهاب إلى حشم القرية لتقييم  
الموقف و معرفة ما أحدثه تأخر تسليم المقاولين للمباني من آثار على جدول  
ترحيل الأهالي . وأبى صالحين الرغبة في مصاحبتني فعانرنا كلانا إلى حشم  
القرية في نهاية الأسبوع الأول من أغسطس . وعند وصولنا كان موسم  
الأمطار والأوحال قد انظم للمطعة ، فأصبح من السهل علينا أن نتفهم  
صعوبة الحركة هناك في ذلك الوقت من العام .. كانت درجة الحرارة

معتدلة ، واكتسبت أرض انبساطه - التي ارتوت ماء - بعلالة سدسية من العشب أصفت على السهول الجذباء القاسية مسحة من العمومة واللين .

وقسمت بزيارة لموقع الحران فوجدنا شركة ( تونفو ) تعمل بعمتها الممهودة . وشاهدا ما وصلت إليه قائمة الحران من علو يكاد يبلغ الارتفاع المقدر له . ورأينا الماء يتدفق في القناة الرئيسية باندفاع صحب وحريز مندو . وعندما توجهنا إلى منطقة إعادة التوطين أطل علينا مطر ضئي القاء الرئيسية العالييس وأبراج الكهرباء والخط الحديدي الموازي للطريق - شريان الحياة إلى هذه الأرض الموات ، التي لم ينقص فيها عرق من قبل عدا ما تمثله إبل الشكرية المناثرة وهي ترعى في هذا الوقت من السنة . ولأن السماء قد أمطرت بعزارة حلال الليلة العنيفة ، فإن سيارتنا كانت تكبد السير في الوحل بجهد جهيد ، وتتمايل ذات اليمين وذات الشمال على الطريق اللرج تكاد عجلائها تسعرس فيه إلى الأبد . وعجاء تغير المنظر وظهر جبلا (المعاقل) أو ( سره ) كما أطلق عليهما لاحقاً ، وبدنا بوضوح من جهتي الشمال واليمين . وفي منتصف السهل الذي يبينم ظهرت في الأفق المسائي البيضاء لقرى منطقة إعادة التوطين وسدت هيئة المنازل التي لم تكتمل تحت أشعة الشمس المنعكسة - من ذلك الموقع ، مثل حطام مينة من الزمن العابر . وبعد مسيرة متعثرة في الطين بمسافة ٥ كيلومترات أخرى فوق الطريق الموحد ، طالعبنا إحدى بوابات القناة الصحمة التي بيت متقاطعة معه . ثم دلنا يمينا على طريق يسير محاذياً للحافة اليسرى للقناة الفرعية إلى القرية رقم (١) التي كانت تقوم بتشييدها ( ترف ) عند سفح جبل المعقل . فمرلدا ومرربا - تقريبا - على كل المعازل سيرا على الأقدام . وأخرى

صالحين فحسباً واسعاً على الأرضيات والأسقف واحتتر قوة الجدران سكمت  
من يده وجرّبت حركة الأبواب والنوافذ قنح وإغلاقاً ، ثم أمكنت سابعه إلى  
الأقفال والمزاليج وبعد أن حل في كل المعرف ، بدأ عليه الارتجح

ثم انتقل إلى المنازل التي كانت تحت التشييد ، ورأينا رفعت (ترف)  
وهي نقل الألواح الأسمنتية لتقيم بها الحدران ، وبينما كنت أستمع - بانتباه -  
إلى أحد مهندسي (ترف) الذي كان يشرح لي الطريقة المتبعة في البناء ،  
لمت نظري أن صالحين كان مشغولاً تماماً في فحص دلو لرفع التربة من  
حفرة ذات عمق مناسب أعنت لمراحل . فعندما يزر الدلو من الحفرة حاملاً  
في جوفه كمية من التراب ، اتجه إليه صالحين مباشرة وأخذ منه قبضة ثم  
نطس فيها مئياً وفركها بيده ثم صاح قائلاً ( ليس فيها حصاة واحدة ! ) فقد  
تأكد له أن الطبقة الترابية ليست سطحية كما كان يظن محي الدين بن أحيه .

وفي القرية رقم (٢) شاهدنا عدداً قليلاً من المنازل المكتملة وما تبقى  
كان في شكل طبقات من الألواح وصعدت على الأرضيات انتظاراً لعملية  
التشييد . وفي القرية رقم (٦) كان يسعوا (ترف) يضعون قوالب الطوب  
الأسمنتية المحقوفة بعضها فوق بعض لإقامة منازل الأهالي .

وبالرغم من أن مستوى تشييد (ترف) قد جلب إلى أنفسهم السرور ،  
إلا أن تراحيقاً قد أزعجنا . وخرجنا من هناك لرؤية ما وصل إليه العمل في  
القرى الثلاث التي عهد بها إلى الممولين الوطنيين . وفي القرية رقم (٣٣)  
شاهدنا رؤساء العمال والبنائين والعمال التابعين لعلى دقلاً وهم مسهمون في  
بعمال محنته ، غير أنهم - ورغم حركتهم الدائبة - كانوا متحلفين عن  
الجدول الرسمي المحدد وكان كثير من المنازل أما نصف مكتمل أو في

مرحلة الأساس. وغادرت القرية ونحن على اقتناع بأن (على دفلاً) لن  
يستطيع تحت أي ظرف الوفاء بالتزامات العقد في سبتمبر . ومثل ذلك  
كان انطباعاً عن مستوى إساءة زميليه الآخرين في القرية الآخرين .  
وعرجت على حشم القرية وقضينا الليلة في (الاستراحة) تحت رعاية مصيفها  
العلوي السيد عثمان حسي . وفي وقت مبكر من صبيحة اليوم التالي ،  
غادرت المنطقة بقلوب مثقلة بالهموم

وفي طريق العودة توقفت بالخرطوم لعدة أيام ، فعلمت من السيد علام  
أن التأخير غير المتوقع في إكمال إساءة المنازل قد استوجب على اللجنة  
الوزارية تقديم موعد بداية التهجير من سبتمبر إلى نوفمبر . وغادرت إلى  
وادي حلف وأنا لا أملك خياراً غير أن أحصح برنامج التهجير للطرود التي  
استجبت .







إعداد قوانين التعويضات



عزّات حسن علام

**العسل الثامن عشر**

**الرحلة التأويخية للباخرة (الشويا)  
عبر الشلالات**

في ١٥ أغسطس ١٩٦٣ ، تحركت الباخرة ( الثريا ) من الرصيف الرئيسي لميناء وادي حلفا في رحلة - هي الأخطر والأجسر - إلى الجنوب عبر الشلالات المربعة نحو الخرطوم .. كان العرص من هذه الرحلة غير المعبوفة في تاريخ الملاحة بالسودان هو التغلب على المحاولات التي تثيرها هذه الموانع الطبيعية في وجه البواخر التي يمانل حجمها حجم ( الثريا ) ، واستكشاف إمكانية العملية بترحيل أسطولنا النهري .

ولقد وصفت - من قبل - كيف أن هناك محاولات ناجحة قد جرت في القرن التاسع عشر بواسطة إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا حاكم مصر في عام ١٨٢٠ ، ثم بواسطة الجبرال (ولرلي) - قائد حملة الإنقاذ في عام ١٨٨٤ ، وأخيراً محاولة الجبرال (كتشمر) في عام ١٨٩٨ عند بداية حملة استرجاع السودان. ودون تقليل من أهمية إنجازاتهم المشوية بالخطر، فإن البواخر التي استقلوها كانت أصغر حجماً من (الثريا) ومن ثم كانت درجة المخاطرة العالية لرحلة هذا المركب

ومن بعد اتفاقية مياه النيل، كان إخلاء أسطول النهري مشكلة شائكة لدى رئاسة مصلحة الواحورات<sup>١</sup> ... هل يتم تعبئة البواخر وترحيلها على أجراء بواسطة السكة الحديد إلى مرسى الخرطوم بحري لإعادة تجميعها ، أم تسير صد التيار إلى الخرطوم وهي تواجه محاطر الشلالات المربعة ؟ .. إن الخيار الأول يحتاج تنفيذه إلى نصف مليون جنيه ، بينما تشكل العملية الثانية معامرة كبرى صد سلامة البواخر وحياة البحارة وفي عام ١٩٦٢ أحيل

---

<sup>١</sup> هكذا كانت تسمى في أو بعضا عهد " مصلحة النقل النهري " قبل بعد ترحيل

الموضوع برمته إلى السيد إبراهيم مدي - المهندس النشط والجرىء  
المسؤول عن منطقة ( حلعا - كريمة ) انبورية للدراسة وبيع الرأي.  
وللتعرف على مخاطر تسيير أسطولنا كل المسافة ضد التيار - إلى  
الخرطوم ، قرر إبراهيم مدي القيام برحلة استطلاعية - برورق صغير لكنه  
قوي - في اتجاه منبع النهر عبر الشلالات الثلاثة الأعلى إلى ( كريمة )  
فجمع كل البيانات التاريخية المتوفرة عن المعامرات السالفة، وأعد بياناته  
بمداية حول الحطوط التي وضعها أسلافه وتتبع المسارات التي التزموها  
والطرق التي استخدموها لسحب بواحرهم بين المعمرات الصيقة النوعة تجاه  
التيارات العنيفة، حتى بلغوا بها المبدء النهائي . وقد قال لي إبراهيم - مرة  
( كنت أطلع تلك التجربة للمتمة ولم أكن أدرى أن القدر قد ابحر لي إحدى  
تلك المعمرات. ) وبمساعدة خريطة للشلال الثاني وصورة جوية ممثلة  
النقطة مصلحة الآثار ، رسم إبراهيم مدي خط سيره عبر الشلال الثاني .  
وبكل هذه التحفة المعرفية ومسلح بحرائطه ويوميته ومسطره وأمتعته،  
إعتلى الرورق ( عطاس ) البالغ طوله ٢٠ قدما ، يصاحبه اثنا من القباطنة  
وسنة من البحارة وغادر وادي حلعا في سبتمبر ١٩٦٢ . وتتبعهم من  
المشاطى - سبارتا (لاندروغر) بعض السرعة على امتداد الضفة الشرقية للنيل  
وهما فحمائل الحيام والراد .

والسجل التالي لتلك المحاطرة التاريخية يعتمد على ما رواه لي بطلها.

إبراهيم مدي :

لقد أبحرنا لمدة نصف ساعة في مياه هادئة مروراً بالجرء الجوبي  
من مدينة حلعا، وفعة النجيل المترامية على امتداد قرية دغيم، فأطلال مدينة

بوهيس القسيمة حتى بلغوا حافة المياه المتدفقة من الشلال الثاني وامتد  
أمامهم جرر ( كوكي ) الصحرية بعيداً إلى خط الأفق، وسنت محرى النهر  
من صحرة ( أبو سر ) غرباً إلى قرية ( عبكة ) شرقاً . وغمرت مياه بواكير  
فصل الدميرة القنوات الصغيرة التي تحيط بتلك الجرر ، وانفج الماء بسرعة  
جبوية محدثاً دوامات وزبد دواراً وسحباً من الرداد .

وواصلوا مسارهم الوعر بحرر من قناة إلى أخرى بين السحدرت  
الصحرية الشاهقة وخلال الصخور الحادة ، وأخذ رورقهم الصغير بتحس  
طريقه صد التلر الجارف . وعندما انركوا منتصف الشلال ، اتسعت الجرر  
وعلت صخورها وعت أكثر قسرة . وتعطلت حركة الحياة إلا من حقة من  
الكركي تحلق فوق ذلك الريع للبركاني الموحش . تبحث عن أسماك مية  
ثم راء حموح للتيار وارتفع صجبه حتى طعى على أريز الماكينة ، لكنهم  
واصلوا المسير الصامد . وبعد مضي ساعة ، داوم السيل الهائج عدوانه على  
الزورق وغدا جرر الماء رعداً ترده الجرر الجبلية صدى لا يقطع . ثم  
ألقوا نظرة إلى الجنوب فإذا هم على مسافة قصيرة من ( الباب الكبير ) ،  
أحضر مواقع للشلال على الإطلاق . هذا داهمتهم موجة عاتية ارتفاعها ١٠  
أقدام حطت من منحدر حاد لا يفصلهم عنه سوى سبعين ياردة، بينما كانت  
الأمواج تصطلق ببعضها بعضاً . وعند ( الباب الكبير ) دانه - وهو ثرة  
عرصتها ٢٥ قدماً - ينفع الماء إلى مسافة خمسة أقدام في كل دفقة، مما  
يجعل ابتلاع الدوامات الهائلة للزورق الصغير أمراً محترماً لو حاولوا التقدم  
فانحسروا - في مناوره جانبية - شرقاً يلتصقون مرةً امث وسط كيرات  
تصرب رورقهم ذات اليمين وذلك اليسار كأنه قطعة من القلين . ها عثروا

على ممر مأمور يتسع لعور الورق لكنه صيق نفعية بالنسة إلى ابو حر  
الكسيرة . غير أن التبر في هذا المنفذ كان قوياً بحيث يستعصي على دفع  
ماكسة الورق . فمَدَّت الأسلاك العولادية نحو الصفة الشرقية وبمساعده جمع  
من الرجال انتظموا على صدر الشاطئ . وهم يراقبون الموقف بدقة منهية  
- وسدادة الماكسة بسرعتها القصوى ، أمكن سحب الورق إلى حيث هأ  
التبر . وهكذا تمكنوا من التغلب على الشلال الثاني عبر ذلك الممر الصيق  
متجيبين (الفاب الكبير) و (كابالك) و (قرج) و (سرحان) ، أي تلك المسحرات  
العوارة الواقعة في جهة العرب . وأبحروا بالورق في مياه هائلة على  
الشاطئ الشرقي ، مما مكنهم من بل قسط من الراحة من قبل إبراهيم  
ملاحظاته معكرته ووضع على الخريطة ممراً بدلاً يُسَقِّ بِإِحْمال المتفجرات  
عند انحصار النهر

ثم واصل أفراد الفرقة البسلة مسيرتهم نحو الجنوب ، فأبحرو  
الأميال السبعين التالية في مياه ساكنة وهم راكضون بم حلقوا من بحاح أذهب  
عليهم ما كانوا يكابدون من هم عظيم غير أنهم ما لب أن أتركوا القسم الأسفل  
من الشلال انقث حتى تبين لهم أنهم كانوا محصنين ففي الصباح المنكر ،  
أيقظ الجريز الذي يمال صوت ماكينة الطائرة - إبراهيم عن نومه وسمع  
( رئيساً ) من البحارة يعلق قائلاً : ( يوشك الشلال أن يجرف نفسه ) .  
وبالإنحياز إلى العرب تمكنوا من انعور خلال مصيق في سعة ، غير أنه  
صعب ، ثم التقوا بالمياه الساكنة من جديد وبعد عشرين ميلاً أخرى من  
الإبحار ، وجدت الفرقة نفسها في مواجهة أصعب مناطق الشلال على  
الإطلاق : ( أم بكون ) . إنها صحور سوداء شعبة معموسة إلى نصفها في

المياه للهائجة ومبتوثة في مجرى النهر وكأنها تفر من أرواح العرقى للذين تحطمت مراكزهم عندها منذ عهد بعيد . وشق الزورق طريقه وسط هذه الجمر الشيطانية فاصداً (تدحور)، ذلك العائق العنسي الرهيب الذي ابتلع البخرة (الجيرة) قبالة قرية (مك الناصر) في عام ١٨٩٦، حيث لارال حطامها باقياً حتى اليوم . وهذا القطع من انشلال يتكور من رؤوس بركانية بعضها تحت مطح الماء والبعض الآخر يثرثب خارج المياه مكوناً جزراً صحيرية جرداء . وتسبب الصحور المعمورة بالمياه انكساراً مائياً بطوح ذات اليمين وذات الشمال بقوة رهيبه، محدثاً رداً مصحوباً بهدير يصم الأذان .. في غمرة هذا الموقف، كانت الفرقة عاجزة عن فعل أي شيء ، تلك أن أي محاولة للتراجع كانت تعني أن التيار سيجرف الزورق المرتعش إلى حيث يصطدم بصخرة تهشمه نهشياً ، بينما يعني أي تقدم، صراعاً ممبياً مع التيار الراحب الذي سيعطب على قوه دفع الماكينة قال إبراهيم :

( لم تكن للحياة - بالنسبة لي - أعذب مما كانت عليه في تلك اللحظات .. فقد تراءت أمامي صورة أطفالي ، ولأجلهم وانسي الشجاعة والإصرار على هزيمة الخطر ) .. ثم انفتحت إلى رفاقه التمشية فرآهم مذلولين مشلولين تدور أعينهم كالذي يعشى عليه من الموت، لأنهم كذلك كانوا مهمومين بلا شك بتذكر أهلهم . وفجأة صاح (الرئيس: محمد) بصوته الأجل . ( ثم ماذا بعد ؟ ) فاستجمع إبراهيم شجاعته وحكمته قائلاً - بصوت عالٍ - إبه لا مخرج ، لا بالتقدم، وإن عليهم أن يحاولوا الخلاص من ذلك المكان الرهيب مهما كلفهم الشئ . وأثيرت الماكينة . في لحظة - يفوتها القصوى . وأمسك ( محمد ) الحائق بعجلة القيادة بكل ما يملك من قوة . وأحد الزورق يرتجف في مكانه

كأنما شئنا إلى قائم ، غير أنه كنز يقاوم التيار ويشق طريقه إلى الأمام ببطيء لا يكاد يُحس . لأنه أمضى ساعة ونصف الساعة ليقطع عشرين متراً في ذلك الموضع العسير . وتلقت الفرقة الصعداء حين حلفت (سجور) وراءه ، وأحرث حبوباً إلى قرية عكاشة . ومع ذلك ، تحلّت الرحلة محدّرات مائية وصيف في المجرى وقوة في التيار .

وعند وصولهم إلى قرية عكاشة أتوا صلاة الشكر ودعوا الله . وجاء ذلك الرجل الصالح أن يوصلهم إلى (كرمة) سالمين وأن يعيدهم إلى أهلهم غانمين وقضوا يومين في تلك القرية ، هدأ حلالها - جنانهم واستعانوا

فيها - هدوء أعصابهم ، ووجد إبراهيم مدي ، ما يكفيه من الوقت لتسجيل انطباعاته . وفي اليوم الثالث حرمت الفرقة معدات المحبم ووضعنها على سيارتي (الانسروفر) ثم توجهت إلى الزورق وواصلت رحلتها حبوباً لمسافة أميل قليلة إلى شلال (دال) الذي هو آخر حفات الشلال الثالث . ومجرى النهر هنا واسع وتعرّضه سلسلة من المحدّرات والجدال تجعل سطح الماء عبر كل الممرات عرضة للتيارات المضطربة والأمواج العالية . وقامت الفرقة هنا برهة من الوقت حينما كان زورقها يعلو ويهبط فوق أمواج كالجبال . وفي إحدى اللحظات رفع الزورق إلى علو شاهق حتى بدا وكأنه يطير في الهواء ، ثم هوى غاطساً في غور عميق بين الأمواج الصاعدة مما جعل من المحال سعلى الدين على متنه -- أن يروا شيئاً غير جدار من المياه

وجاءتهم التيارات المتدفقة من أعالي النهر ترعد وتوقف تقدمهم وتفقد السيطرة على الزورق . وكان الخوف قد تملكهم أصلاً -- قل أن يعقدوا الأصل في التعلب على هذه المعصلات . فقررُوا -- ثراً -- أن يميلوا إلى



الشباطي العربي . ولي طريقهم لإرساء الزورق ، توقفوا عند جزيرة صغيرة تقطعها أسرة وحيدة . عندما رأى الأطفال مركبا ميكانيكياً لأول مرة في حياتهم ، هرعوا إلى بينهم لإفلاخ الحبر المثير لوالديهم . فعاء شيخ كبير بعد قليل - من ذلك البيت المبعثر يرحب ببلقادمين . فأحبروه بما لاقوا من عناء . فصعد على متن الزورق - بعد أن وصل إليه مستعبداً يعود من الحطب الطافي لا يريد طوله عن متر وقادهم إلى بر الأمان بدرائته وحبرته الطويلة بالموقع . وعند طرف الشلال ، طلب منهم التوقف ثم ولح الماء سائحاً وهو ممسك بالعود الطافي . في المياه الهائلة إلى جريته الصغيرة .

وإلى الجنوب من ( دال ) أصبحت الملاحة سالكة واستقبل أهالي القرى الذين اصطعقوا تحت طلال النيل على ضفتي النهر - جماعة الفرقة بابنهاج وهم يلوحون بأيديهم مرحبين وفي خصم هذا المشهد الذي رفع معنوياتهم، إندفعوا إلى المرحلة الأخيرة من المعامرة : الشلال الرابع . فبعد بضع ساعات وصلوا إلى مصيف للنهر ذي تيارات صالحة وأمواج متلاطمة وترامت منازل قرية (أوردوان) الطبيعية المتناثرة عند سمح أحد التلال ، وكل هذا يعنى الاقتراب من مدخل الشلال . وولج الزورق ببطيء وحذر - فوهة القناة عند ذيل الطود الصحري . وتقدم إلى منتصف الشلال المكون من سلسلة كثيفة من صخور المرو واليارلات حيث تكون الليل عصابة مصرية لكسر شجاعة الفرقة وتجربتها مكنيتها من اجتياز العقبة وقال إبراهيم يصعب الموقع : (وصلنا بسلام إلى ههنا : (كرمة)، بعون الله وتوفيقه . )

وعند عودتهم إلى وادي حلفا ، انظر إبراهيم لبعض الوقت حتى  
يخسر النيل . وفي نوفمبر قام برحلة للشلال الثاني حيث فحص قنواته خلال  
فترة انحسار النهر . وقام برسم خريطة حدد بها خط سير رحلة أسطولنا  
النهرية كانت معايرة لخط سير ( عطاس ) . فقد عثر على مسار أفضل عبر  
قنوات (مستاثوا) عند مؤخرة الشلال الثاني و (كارموني) التي سحب من  
حلتها إسماعيل بنشا قياساته، ثم (كراج دولي) ، وأخيراً (الباب الكبير) بدلاً  
عن (أورونوف) التي سحب القرويون عبرها (عطاس) . ومن سمى يعبر  
المسار الشلال عند (دخانوج) ويجتاز قناة صيقة قرب الضفة العربية . وتم  
احتجاز قناة قرب الضفة الشرقية في قطاع (تجور) وكل هذه القنوات عميقة  
بما فيه الكفاية خلال فترة الفيضان لمرور البواخر لكنها تتطلب جهداً مالياً  
لإزالة الصخور من أطرافها حتى تتسع للملاحة . وقام إبراهيم بتحديد أماكن  
كل هذه المصائق بالبحر ليتم تسعها في الشتاء ، كما قام مهندس كريمة عبد  
الرازق بنس العمل عند انحسار النهر بالشلال الرابع، وحدد بضعة مواقع في  
معبر يقال له . ( خور العطاس )

وبعد هذا المسح الجزئي ، أعد إبراهيم تقريراً واهياً لمصلحة  
الوابورات قائلاً إنه من الممكن عبور أسطولنا إلى الخرطوم شريطة إكمال  
سفن الصحور على امتداد الخط للملاحة قبل فيضان ١٩٦٣ . وظلت توفير  
القدر الكافي من المتفجرات من مصلحة الجيولوجيا وإرسال الخبراء لهذه  
أعمال السف في مطلع الشتاء.

وبعد دراسة متأنية لذلك التقرير ، وافقت مصلحة الوابورات عليه ثم  
وصل إلى وادي حلفا فريق ماهر من عمال مصلحة الجيولوجيا في بواكير

ذلك الشتاء - ومعهم ثغاباتهم إصاعة إلى كمية كبيرة من مطريف المتفجرات . فأحدهم إبراهيم منفي بني الشلال الثاني حيث عسكروا في قرية (عبكة) . وقصوا عدة أيام يسفون مداخل معبر (مشاتوا) ثم تقدموا نحو قناة (كارموسى) واستأنفوا العمل . وعندما قمت بزيارتهم في أحد الأيام وجدت إبراهيم يصنع حوته فوق رأسه وهو يقود حملة تنفيذ مشروعه التاريخي . فأرسلني الثوب الذي كانت تحشى بالمفجرات إبان محاولة إسماعيل بشا لتوسيع ممر كارموسى لعبور مراكبه في عام ١٨٢٠ . وفي مواقع (الناب الكبير) و (سمنة) و (تجور) ، بدل إبراهيم عناية فائقة لتجنب تفجير مالا حاجة لتفجير من الصخور حضية الإحلال بدرجة ارتفاع الماء، وحتى لا تتأثر المناطق المنخفضة من النيل بشح المياه التي تروى السهول . وفي ذات الوقت قاد المهندس عبد الرزاق فريقاً صغيراً سعت للصحور البررة في منطقة الشلال الخامس، وفي (حور العطاش) على وجه التحديد . وبحلول شهر فبراير تم تنظيف المسار الملاحي إلى الخرطوم، ومن ثم بدأ إبراهيم في التخطيط لتنفيذ معمرته الثانية بالغة الصعوبة لإنجاز الناحية (الثريا) على طول الطريق إلى أعالي النهر حتى الخرطوم، مع بداية هيمان النيل في أغسطس ١٩٦٣ .

وفي منتصف مايو ، أدخلت (الثريا) إلى حوض ميداء وادي حلفا الواسع، حيث تم فحصها بدقة ووضع لها خطة مفصلة للصيانة تحضيراً لها للقيام بالمحاضرة المرتقبة . واستعداداً لأي عنصر من عناصر المجازفة ، تقرر إعدادها أحسن حالة ممكنة لمجابهة الامتحان . رخص لهذا العمل فريق كبير من أمير وأنشط الصباغ والميكانيكيين يعملون - بالتناوب - ليلاً

وبهارا على الرصيف وفي الورشة . ولقد عشت بالقرب من رصيف وادي حلفا لسنوات ست لم أشهد خلالها مثل تلك النشاط الدؤوب . فقد كان العمال يستشعرون الامتحان العسير الذي ينتظر باحرثهم، ولذلك امتلأوا عزيمة وقوة . وامضت الباهرة ثلاثة أشهر كاملة بالرصيف لم يفلت منها - عسار من المراجعة . وهي مستهل أغسطس اكتمل تجديدها وملئت حرائقها الاحتياطية بالوقود .

في هذا الوقت لاحت نبشير فيصل النيل بوادي حلفا ، فقام إبراهيم مني بآخر رحلاته الاستكشافية إلى (مشانوا) و (كارموسي) في ١٤ أغسطس حيث وجد المياه تمور بالدوامات وفي صديحة اليوم التالي أجرى الاختبار النهائي للبحارة وبدأ عمل الرصيف يربوونها بأكثيل الزهور وجريد الحل والأعلام الملونة .

وفي المساء أمحرت (الثريا) الجميلة - ببطء - من الخوص إلى المرسى الرئيسي لميناء وادي حلفا وهي تنظر معها زورقين و تطلق صافرتها في بوبات مقطعة . وتدفع الأهالي إلى شاطئ النهر وإلى الميناء - من صار لهم ومن منطقة السوق - لوداعها . وعدم بلغت المرسى كان هناك م يريد عن ٣٠٠٠ شخص علي رصيف الميناء . كانوا كلهم يلوحون بيدهم النظم البحارة على ظهرها المديد . غير أن الأسى عسى أولئك الأهالي لأن رحلة (الثريا) كانت تعني لهم بداية التمهيد الجماعي من وطنهم الحبيب . وكنت أرى في عيون إبراهيم والبحارة - رغم ما ينتظرهم من محاطر - الثقة والعزيمة

وهم يُحيّون الجموع وفي المدعة الحامسة مساءً وبعد أن أُطلقت

(الثريا) صائفة طويلة- تحركت ببطء وهي تتهاذى بحر الجنوب

كانت تلك هي المرة الأولى التي نتجه فيها (الثريا) إلى جنوب وادي

حلفا . وعندما جنّ الليل توقفت عند مؤخرة الشلال الثاني ، جنوب (جريدة

المجرب) . ثم أبحرت في الصباح الباكر إلى المدخل وواصلت مسيرتها

وحدها لاقتحام القساء . فتقدمت لبرهة من الرمن لكر التيار العنيف ضد أحد

المحبات الحادة أوقفها تماماً . هت رُبطت الحبال المعدنية إلى صخور حافة

القناة . وعند أديرت أدرع الرافعة تسدّها حركة الماكينة بقوتها الأقصى .

وبدأ المركب يتحرك بصعوبة عظيمة ، انقطع فجأة أحد الحبال وأرشد كما

الموط الفولاني ليصيب أحد البحارة (المسمي : محمد قناوي) إصابة مميتة ،

فتوفي في الحال ، كما أصاب بحار آخر بجرح بسيط . وأعتبر هذا الحادث

المؤسف في اليوم الأول لانطلاق الرحلة - مدعاة للتشاوم لكنه - لحسن

الحظ - كان الأول والأخير خلال كل الفترة التي شهدت تسيير الأسطول .

وتأخّرت الرحلة لساعات ريثما يتم نقل جثمان (قناوي) إلى المدينة ويرمل

البحار الجريح إلى المستشفى ثم إستؤنفت الرحلة في المساء . وعندما وجد

إبراهيم أن البحرة قد توغلت في المضائق الوعرة ، صمم على اتباع الطريقة

التي التزمها سلفه في القرن التاسع عشر، فوضع حطة محكمة لسحبها إلى

الأمام . وشدّت الحبال الفولانية إلى ظهر البحارة وربطت على رؤوس القتال

القائمة على الضفتين . وقامت على كل حبل طائفة من رجال البحر الأمداء

يجدونه بمساعدة الماكينة الرافعة بكل قوتها - حتى بدأت البحرة - زنة

٢٥٠ طن - ترحف خلال المعبر . وبعد أيام من الجهد المتواصل، اجتاز

المركب مصيقل (مشسكوا). وعند وصولهم إلى (كارموي) - ذات القاعة  
الواسعة - ندهمهم للتيار العنيف والمنحدر الحاد، فصعب على البحارة سحب  
الثريا مطولها البالغ ١٤٥ قدماً وعرضها الذي يصل إلى ٣٠ قدماً إصطفة إلى  
وربها الثقيل - فاتبعت نفس الطريقة التي استعملت سابقاً في سحب البحارة  
وطول البحارة يجذبونها - سخابة النهار وأحياناً إلى ساعة متأخرة من الليل -  
لما يقارب الأمسوح حتى اجتازوا بها إلى ما وراء (كارموي) . وقد قمت  
بريائتهم هناك رأيت التيار يدفعهم إلى أدنى حتى بنت لي البحارة  
وكأنها تصعد إلى قمة الشلال. واقفاً في بحسب بالفتشاًوم وتلكني شعور بأنه  
لس يأتي يوم مطلقاً أسمع فيه بدحول مركب الفحم سالماً إلى حوض البواخر  
بالحرطوم بحري ورعاً عن ذلك فقد حدثت روعي - يوماً ما - شجاعة  
إبراهيم وثقته بنفسه، وما إن أنجر البحارة مهمتهم الخطيرة عند جنادل  
(كارموي)، حتى ثقت أن تعاونه كان يستد إلى قاعدة صلبة أما الزورقان  
فقد تم سحبهم دون مشقة نسبة إلى صالة البنية وحدة الثور - وعندما عبرت  
الفرقة فرعي الشلال الثاني المعروفين باسم: (كواندا) و (فلوندي) ، ألقت  
بمسها لدى مدخل (الباب الكبير) - وقد أخبرني إبراهيم أنهم عندما لمحووا  
المدخل لأول مرة - خلال رحلة (الغطاس) كان عرضه ١٠ أمتار وكانت له  
هاوية عمقها ٨ أمتار، أي أنه كان شلالاً سهوياً. وكان إبراهيم يستعرب كيف  
استطاع إسماعيل باشا وكنتشر سحب مراكبهما فوق سطحه. فلم يجد إجابة  
عنى ذلك رغم أن الفاريح يثبت أنهما قد فعلاه دون شك - ولقد قام إبراهيم  
وفرقة بتفتيت المدخل ليصير عرضه ١٣٥ متراً عند رأسه الجنوبي ثم إلى  
١٦,٥ متراً فسي مكان ثان ثم إلى ٢٠ متراً في مكان ثالث، وسببة لاستشر

الماء تبعاً بزيادة العرض ، فقد خفت قوة اندوعه وبالتالي صار للتيسر أقل عنفا . وامكن - بجهد يماثل ذلك الذي بذل لاجتير (كارموسي) - اختراق (الباب الكبير) . وهكذا قصت الفرقة خمسة عشر يوماً من العس المتواصل قبل أن تجتاز الشلال الثاني وبعد أن تصحمت عصابات البحارة إلى حجم كرات البولو (١) وعندما تم سحب الزورقين بسلام و عيد قطرهما إلى (الثريا) ، أبحرت السحرة بمحاذاة الضفة الشرقية طوال الليل . وأثناء الرحلة هرع البحارة إلى قبة (أبي حوة) طالبين مركة ذلك الولي وسألوا الله أن يجسهم أي أهول أخرى مثل تلك التي راجهتهم في الشلال الثاني .

وعندما حلفت البحارة الشلال الثاني إلى ظهرها ، واصلت المسير جنوباً فوق مياه هادئة بين صفتين موحشتين ذواتي جروف صخرية حشة وتلال بركانية لا حياة فيها . ومضت الرحلة مريحة على امتداد ذلك الشاطئ النيلي المهجور ، حتى سمعوا حنين (شلال سمنة) قبل أن يلغوه بساعات . وعندما دخلت (الثريا) الممر ، كانت الصكينة أصعب من أن تدفع بها إلى الإمام . فبشر البحارة الحبال الفولادية بمعاونة الرافعة اليدوية ، لكن التيار المتصارب - في منتصف المدخل - أصاب المركب في جنبه فمال برأية حرجة . وروى إبراهيم أنهم فقدوا الأمل جميعاً - فطؤوا أن (الثريا) قد انقلبت بالفعل . لكن رباطة جأش البحارة وحكمة (الرئيس) السديدة أنقذتها . وتقدم المركب وهو بطوى سحرات (سمنة) بسرعة كيلومترين في الساعة ، مترنحا بين صخور الإردواز والبنات حتى بلغت (أم بكول) . وكان التيسر قاسياً بما يكفي لمنع تقدم البحارة . ولذلك أخذت زور وتتحول من

(١) هذه رياصة سبية وهو كروي من حديد مطبق عليه كعصا من الحديد والبرونز الخشبية .

جانب إلى آخر بينما كانت الأمواج العالية تُلطم مقعها ونعوص بها في سبوة  
ثم ترفعها عاليًا • وشرع البحارة يثوبون أيّأت من القرآن الكريم ويسألون الله  
الرحمة • واستمروا في هذه الحالة الصابونية لساعات ، غير أن المركب  
استوى - أخيراً - على المياه الهائلة من تلقاء نفسه • وبعد أن هدأت نفوس  
البحارة عقب هذه المحنة ، استنصر أحد البحارة إبراهيم عن النقاط للصعنة  
التي منازلت تنتظرهم ، فسمى له إبراهيم سبعة عشر جاجر ، آخر • وهذا  
صبح بحر ثلث ( أخبرنا - إن شئت - عن مرید 1 ) فلقد بدا لهم أن  
متاعبهم لن تنتهي أبداً •

ودحت ( الثريا ) بعد أن اجتازت ( أم بكون ) - منطقة المياه العميقة  
ذات الجرر البركانية والمصايق • وتباطأ إبحارها وهي تترشح من فج إلى آخر •  
وقد ترها - في بعض الحالات - وهي لا تكاد تتقدم إلا بواسطة المبادرة  
والالتفاف حول نفسها بسرعة تكفي إلى نصف كيلومتر في الساعة • وسارت  
بهدء السرعة مرور بحرائب ( الحيرة ) حتى بلغت موحرة ( تجور ) ذات  
المحدرات العشيّة • وقد علق إبراهيم - لاحقاً - على هذه المنطقة معتبراً  
إياها الأسوأ • وطأ جوانحه تمور بالقلق حشية على سلامة ( الثريا ) التي  
اتجهت إلى جزيرة صخرية حيث صعد إبراهيم و ( الثريس ) على إحدى  
الصخور واستكشفوا الموقع بالسطار • وهذا الماء أكثر مما كان عليه لكن  
المحدرات الدوامة جعلت رأس إبراهيم يصاب بالدوار وأيامت البحيرة إلى  
درجة الصمم المطبق ، وأبحر المركب ببطء وحرر إلى تلك المنطقة الرهيبة •  
وعندما وصل إلى منتصفها ، وجد أن التيار من العف إلى حد جعل من  
المستحيل التقدم بوصة واحدة • فاحرفوا به شرفاً في اتجاه الممر الذي تم



توسيعه بالمتحركات خلال الشتاء ، وبمساعدة الحيات الهولندية والرافعة اليدوية  
سحبوا (الترب) بصعوبة عبر (تجور) وحالما أدركوا ان مياه الساكنة ،  
أبحروا جنوباً بين الصعاف الصحريه حتى تراعت التلال الرحمانية لشلال  
(عكاشة) عند خط الأفق واجتازوا منحدرات (عكاشة) بقليل من الجهد ثم بدأ  
البحارة يستفسرون عن متى يدركون شلال (دال) .

روصلت (التربا) إلى شلال (دال) طهراً وشقت طريقها بين  
المنحدرات المائية الجياشة ووسط الصخور البركانية القاسية المنتشرة عبر  
مجرى النهر إلى مدى ٤ كيلومترات ، وعند العمق كانت تقرب في  
منتصف الشلال حيث التيار الخاطف والأمواج العالية ، ودائراً من أن  
البحارة كانت تبذل قصارى قوتها ، إلا أنها طالت تراوح مكانها إلى أن أخذ  
التيار يدفع بها ببطء للوراء ، وحيثما نظر البحارة لم يكونوا يرون سوى  
سلاسل من الانحدارات الصحريه تسد الطريق وأمواج تتدافع من خلالها نحو  
الشمال ، فانحاروا بالبحارة إلى العرب احتماء من حطود إثر حطود حتى  
بلغوا بها الشاطئ، حيث لا أثر لحيد إلا بحلات - دوات جريد يابس - هائلة  
لأزمان ، هذا التقط القوم أنفاسهم ثم استأنفوا مسيرتهم - قرب الغروب -  
بناصلون عبر شلال (دال) . فوجدوا معبراً عريضاً شديد الانحدار والإرتفاع  
لا يزيد طوله عن ١٦٠ متراً ولكنه يحط عند مستوى الماء إلى ستة  
أمتار ، وطفق البحارة جميعاً بشدود الحيات الهولندية ويدبرون الرافعة إلى ما  
بعد الغروب حتى تمكنوا من سحبها إلى المياه اليدنة

وبعد أن جعلت (التربا) شلال (دال) إلى ظهرها ، أبحرت بسلم  
هذه مياه ساكنه بين صفتين مأهولتين بالسكان ومحموئين بأشجار النخيل

والحضسرة . وانتظم الأهالي في زُمر عدد الشاطئ بلوحون للبحارة ويهتفون لهم بعبارات التهنية . وفي (عري) وقف معظم أهالي قري السكوت ينتظرون - وصور الباحرة - على شاطئ السهر . وبعد استقبال حار ، أخذ الباحرة قسطاً من الراحة ثم واصلوا المسير جنوباً في اليوم التالي .

يعتبر الشلال الرابع مقارباً مع الشلالين الثاني والثالث سهلاً ولا يشكل مصاعب جتية خاصة و(الرئيس) وبعارته يعرفون مشاق الرحلة ، ولذلك فقد استطاعوا أن يجتازوه دون محاطر تذكر . وعندما وصلوا (بلقو) جهز المحس استقبالاً ضخماً للباحرة . وتجمع كل أهالي البلدة وسكان القرى المجاورة تحت طلال النحل - بالقرب من آثار مدينة قديمة ويطمو استقبالاً مدهشاً للباحرة . ثم عبرت الباحرة عند نقطة في رأس الشلال الرابع وبلغت (كرمة) بسلام . وهنا تصامس المناقلة والمحس وأقاموا احتفالاً كبيراً تكريماً للباحرة الديس أفلحوا . حينئذ في التعب على أحطر مراحل المعامرة . وبما أن (كرمة) لا تصم في مقابرها قبة لوكي ، فقد اكتفى الباحرة بالدعاء عند حكمة الاحتفال . ومن (كرمة) إلى (كرمة) اتسع النيل وصعفت لمواجهه . وفي هذه المنطقة التي تتمتع بخدمات ملاحية منتظمة وممتدة ، نال الباحرة نصيبهم من الراحة واسترخت أجسامهم وأعضائهم من بعد عناء . وعند وصولهم إلى (كرمة) استقبل المهندس عبد الرزاق وقبيلة الشايقية (النريا) استقبالاً لفتحين واحتفوا بالبحرة أحسن الإحتفاء .

وعندما غادروا (كرمة) لاحظ أمامهم المناعب من جديد . فقد دخل المركب على سلسلة من المنحدرات المحيطة بالجرر الدركانية التي تسد مجرى النيل . ومثلما كان الحال في منطقة الشلال الثالث ، فإن الشلال

الحامس انتظم ففى حلقات مترابطة من المساقط المائية التي تفصلها عن بعضها امتدادات من المياه الزائفة . واول تلك المساقط وأصعبها كان ( حور العطائر ) الذي أحس خلفه تدفق الماء فجأة مما أدخل البحارة في تجربة حرجة . وأدى صيق الممر وانحدار الماء بين جانبتين من صخور البارلت إلى الإطاحة بالثريا وأحت تقرح يميناً ويساراً ثم ترتطم بالحافيتين الصحريتين لاستحالة السيطرة عليها في حضم التيار العنيف، مما جعل الموقف بالغ السوء والخطورة . وفى غمرة اليأس ، أوشك البحارة أن يرفعوا راية الاستسلام ، لكنهم لادو بالصبر وقوة العزيمة لسحب المركب بالحبال الفولاذية مثلما فعلوا فى ( مشانوا ) . وبمحاولة أخيرة - استجمعوا فيها كل قوتهم - جذبوها خارج منعذ ذلك الممر الحطير . وتقدموا حتى وصلوا شلال ( أبو حمامة ) حيث اتسع مدى المياه ورادت قوة التيار مثلما رانت مناعبهم . وأحدو يستخمون الحبال الفولاذية كلما كل ذلك ممكناً ويستعيرون بالرافعة وبأبنابهم لجذب المركب حتى صعدت بوصة بوصة - تلك الممر الصعب . وأثر ذلك على أبنابهم فنورمت بالروح . غير أنهم واصلوا عملهم وهم يصعدون منحدرًا إثر منحدر حتى صرخوا رجها لوجه أمام أعني المنحدرات على الإطلاق وأحرها : ( أم حراب ) . وفى هبة أخيرة يائسة ، حذب البحارة المركب دفعة واحدة هائلة حطت به فى المياه الساكنة مثلما يفعل العدائون حين يبلعون نقطة النهاية . فأحدوا بعد أن تنفسوا الصعداء يتصايحون ويرقصون ويهتئ بعضهم بعضاً .

ثم أبحروا حتى سفلوا (أبو حمد) . عبر أهالي جزيرة (مقرت) النهر إلى الضفة الأخرى وانصمروا إلى انقرويين الذين اصطفوا لاستقبال أول بحارة

-اقتحمت كل تلك الموانع شُصل إليهم استقبالا مشوبا بالعاطفة والحماس .  
وبوصولها إلى (أبو حمد) تكون ( الثريا ) قد صنعت من المنحدرات ما يبلغ  
مجموع ارتفاعاتها ٦٥٠ بوصة ، منذ أن غادرت وسي حلفا . ومع بقاء لها  
بعد أن تعلت بجراح على الشلالات : الثاني والثالث والرابع والخامس (لا  
معتبر (السبلوقة) بالشلال السادس شمال أم درمان وهو ممر مائي واسع بم  
فيه الكفاية - لمزور ( الثريا ) بسهولة ويسر .

ومن (أبو حمد) إلى (بربر) كان مجرى النهر سالكا وساكا ولا  
تعرضه إلا منحدرات (الكربة ) التي اجازتها البحرة بحير مشقة . وفي  
بربر، استقبل الاهالي (الثريا) - على امتداد الشاطئ بالترحيب ، بينما  
كانت الجموع تُرى على الضفة الشرقية للنهر عند عطبرة ساعة مغادرة  
المركب لمدينة بربر . وعند وصول ( الثريا ) إلى عطبرة ، بقي البحارة  
استقبالا جماهيريا كبيرا حصره المدير العام لسكك حديد السودان والحاكم  
العسكري ومدير المديرية . وبعد أن مكثوا لبعض الوقت في عطبرة وقبل  
أن يبارحوها - تلقوا برفقة من أحد زعماء الجعليين بشدي ( وهو خالد أحمد  
حساند ) يدعو فيه كل بحارة الناحرة لركوبها صيوفه الحصوصيين لحطة  
حلولهم بتلك المدينة إلى أن يبلغوا الخرطوم .

وهي الطريق إلى أعالي النهر ، كان سكان القرى على صفتي النيل  
- يهتفونهم بالنجاح . وحال وصولهم إلى شدي كان في انتظارهم استقبال  
جافل . فقد تجمع الجعليون هناك من كل القرى المجاورة ومن بينهم كل  
أهالي المنطقة - تقريبا - الذين عبروا النيل من الضفة الغربية ليمشركوا في  
الاحتفال . وعندما رسا المركب، صعد شيوخ الجعليين - بقيادة الناصر

إبراهيم حاج محمد والشيخ خالد محمد خالد . على متن الباخرة للترحيب بطاقمها ، ثم - هبوا بصيوفهم - الذين قاربوا السبعين - إلى مكان الحقل الذي أقيم على الشاطئ ، ، كانت الحشود ضخمة ، وكانت عبارات الترحيب بطاقم الباطنة تحتل بصريات نحاس الجعليين ، ونبحت الثيران والحراف لإعداد وليمة تذكارية مناسبة وصول الباطنة الثالثة في تاريخ المنطقة من رادي حيفا - إلى ديارهم . كانت الأولى هي ذلك الإسبيل الذي وصل به ( ولرلى ) إلى المئة عام ١٨٨٥ عقب معركة ( أبوكلية وأركرو ) وهو في طريقه إلى الخرطوم لإنقاذ غردون ، أما الثانية فقد كانت الأسطول الذي قد كثر في أعقاب معركة البحرية بعطبرة عام ١٨٩٨ م حينما ألقى المئة وقد استجابت إلى حراب بعد أن يهدى محمود ود أحمد . وأما الثالثة فقد كانت ( الثريا ) التي جاءتهم في مهمة سلمية ، وقد حدثني إبراهيم بأن الاستقبال الحار والضيافة الكريمة التي أبداهم الجعليون فافت كل الاستقبالات التي لقوها . و لأن قبيلة الجعليين عرفت بالشجاعة فقد أعجبها ثبات البحارة ورسالتهم . وقبل أن تبحر الباطنة مدينة ( شدي ) ، حُمت بالبائح والفاكية والحصريات وكل أصداف الراد التي جابت بها ربيعة للشيخ خالد أحمد خالد .

وفي ٤ أكتوبر وصلوا إلى الشلال السادس ، وحينها كانت مياه الفيضان قد انحسرت، لكن معبر السلوق كان ممتلئاً بالمياه ، فاجتروا بهلا صعبية . وبعد مسيرة ساعة في لجة واسعة من المياه ، ظهرت قبة المهدي البيضاء مستترية عند وصول الباطنة إلى الطرف الجنوبي البعيد بحال كرري . فالتفتت قوى البحارة وارتفعت أرواحهم المعنوية . وعند اقترابهم من الطرف الشمالي لمدينة أم درمان ، لمحوا جموعاً راخرة تملأ الشاطئ

تماماً من ( أبو روف ) إلى ( الموردة ) وهي تحيطهم ، بينما كانوا يحضرون في منتصف النهر وعن يسارهم جزيرة توتى وأمامهم - إلى الجنوب البعيد أقواس قنطرة أم درمان ( ١ ) مهيمنة على المشهد ودليلاً على اقتراضهم من مقر الدليلين ، وعد وصولهم إلى المقر اتجهوا شرقاً وولجوا النيل الأزرق . . . كان هناك تجمع كبير على امتداد شارع السير بالخرطوم أخذ يحى الطاقم بينما كانت ( الثريا ) الطافرة التي حافظت على زينتها وأعلامها المنوية تسوق زورقها وتتهادى نحو المرسى . وحين مرت بالقصر شوهه الرئيس عبود واقفاً بالشفرة بلوح بكلتا يديه ، فنادوه التحية بحماس وبصافرة طويلة وفي مرسى الخرطوم بحرى أعد كل عمال وموظفي مصلحة الوابورات بقيادة مديرهم السيد / عبد الرحمن الساجي - وجمع صغير من مواطني الخرطوم بحرى استقبالاً عاطفياً ، بينما أحدث كل البواخر التي كانت بالمرسى تصوت بصافرات ترحيب عالية إلى أن رسا المركب ببطء وسلام ٠٠ لف قطعت ( الثريا ) مسافة ١٤٩٤ كيلومتراً وصعدت إلى محدرات مائية بلغ ارتفاعها ٢٣٠ متراً ، وكانت تسير بمتوسط سرعة بلغ ٢٩ كيلومتراً في اليوم واستغرقت الرحلة خمسين يوماً .

وعندما تسامع الناس بوصول ( الثريا ) ، إنجاثت مئات البرقيات من وادي حلفا و من بينها برقية طويلة من شخصي نيابة عن أسر الحارة وأهالي المنطقة هائبهم فيها بسجاح مهمتهم التاريخية وعبرت لهم عن إعجابي بسلامتهم وحرى استقبال رسمي بمصلحة الوابورات حيث تم تكريم الطاقم ومن صممهم محمد قنوى الذي استشهد في بداية الرحلة - بمكافأة مالية

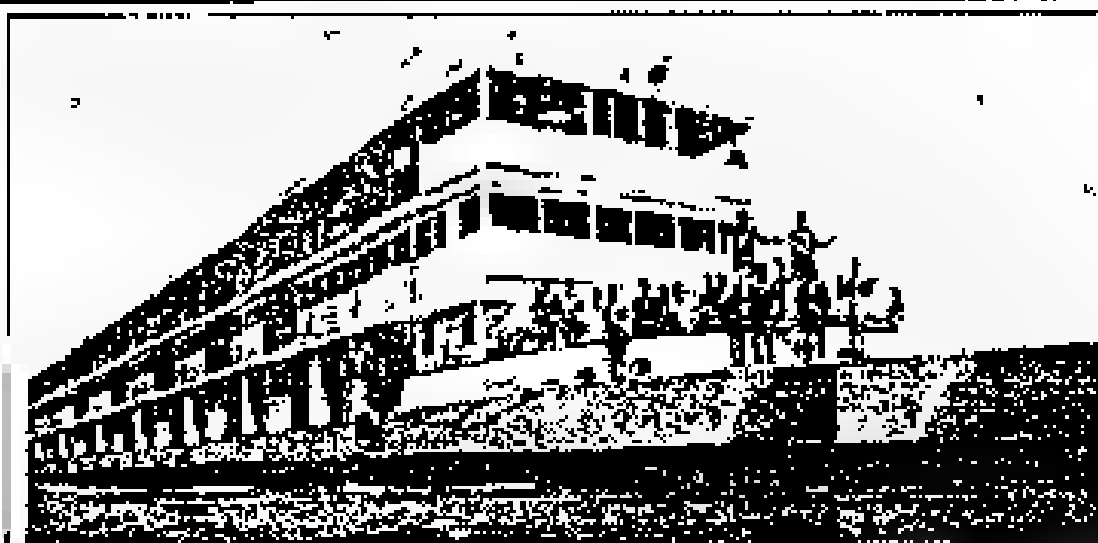
تساوى مرتب شهر رغم أنهم كانوا يستحقون ما هو أفضل . وكنت أتمنى لو  
أن إبراهيم و ( الرئيس ) وطاقم البحارة قد رأيت صدورهم النياتيين  
والميداليات .

وهكذا احتكمت تلك المحاضرة التاريخية (للثريد) والتي أثبتت عملياً  
إمكانية إبحار أسطولنا تجاه أعالي النهر إلى الخرطوم بدلاً عن ( تفكيرك )  
البوخر إلى أجراء ونقلها فوق النهر إلى مرسى الخرطوم بحري لإعادة  
تركيبها بكل ما يعنيه ذلك من تكلفة مالية . وأعد إبراهيم تقريراً قيمياً عن  
الرحلة أوضح فيه كل المواقع العvisية بالشلالات ووضع كذلك - حطة  
مفصلة لصيانة الأسطول قبل رحيله من وادي حلفا مع حلول فيضان العام  
التالى وأوصى - أخيراً - بتجهيز الرافعات اليدوية لكل النواحر ببكرات  
متفاوتة، وصنّب رافعة كهربائية ذات طاقة عالية على صفة النهر  
عند (عبيكه) لسحب البوخر عبر (الباب الكبير).





إبراهيم عيسى يخطط مدينة ليرحلة ( الثريا ) جنوباً .



(الثريا) تتأهب لرحلتها التاريخية



(الثريا) تجتاز الشلال الثاني



## الفصل التاسع عشر

الأمسات الأخيرة لما قبل الرحيل

بالرجوع إلى الموقف في وادي حلفا في أعقاب رحلة ( الثريا ) إلى  
الخرطوم فقد تبع الأهالي وشخصي بقلق أنباء مسيرة البناء في حشم القرية  
حيث وجدت الشانعات أرضاً خصبة لتبصر وتفرح . فاقترحت على اللجنة  
إداعة برنامج أسبوعي من راتيو أمدرمان لتوصيح التقيم الذي تحرره عملية  
الإنشاءات وبيت المعلومات المتعلقة بمنطقة إعادة التوطين حتى يتمكن الأهالي  
من متابعة ما يجري في وطنهم الجديد . ووجد اقتراحي هؤلاء وبدأ تقديم  
برنامج يحتوي على أخبار متنوعة عن حشم القرية ووادي حلفا . وحالما  
بدأت إداعة البرنامج اتصحت الروية للأهالي وأحدثت الشانعات تواردي .  
واستمر حالما على هذا الوضع الطيب إلى أن لفت نظري - منتصف أكتوبر  
وبلا سبق إندار - إلى أن اللجنة الوزارية قد أرجأت موعد التهجير - هذه  
المرة - ليناير ١٩٦٤ . فسببت هذه الأنباء في هبوط روحي المعنوية إلى  
الخصيص . وأستغرب الأهالي - أيضاً - للتبديلات المتتالية لمواعيد  
التهجير وبدأوا يستندون التحط الذي اعترى قرارات الحكومة . وعندما  
ابصرت برميلي السيد عثمان حسين بحشم القرية ، كانت وجهة نظره حول  
الموقف هناك غير مشجعة على الإطلاق . فشعرت بإحباط لم يسعني لأجد  
حيلة أشبع بها فضول الأهالي .

وفي حواتيم أكتوبر ، وقفت على تقرير بعثت به وزارة الري إلى  
رئاسة السكة حديد بقطر بشير إلى أن كل المنطقة المأهولة من فرص وحتى  
(جمي) ستعمره المياه مع أول محزون لها خلف المد العالي وذلك ابتداء من  
فيضان العام المقبل . وأرسل التقرير للسيد الدرنيري قصاوى مفتش السكة  
حديد بوادي حلفا الذي أطنعني عليه مشكوراً فلاحظت أن أي سمحه منه لم

ترسل إلى رئاسة لجنة إعادة التوطين بالحرطوم . ولحسن الحظ فقد كان  
بطلاعي عليه قبل يوم واحد من مغادرتي إلى الحرطوم في زيارة قصيرة  
وعند وصولي إلى هناك أكد لي السيد علام أن المعلومات التي جاءت بالتقرير  
كانت صحيحة . ولأنني كنت علي علم بالوضع المتعلق بموقف حركة الباء  
في منطقة إعادة التوطين ، فقد تملكي قلق عظيم . وحاورت السيد علام -  
طويلاً . حول الموقف ونعتُ نظره إلى المصاعب التي تنتظر الأهالي في  
حالة عدم اكتمال بناء المزارع في الوقت لمصروب . فإن التهجير تحت ظل  
الظروف المائلة يحتاج إلى ثمانية أشهر علي أقل تقدير . أما إذا تأجل إلي ما  
بعد ذلك فإن تهجير السكان لن يكتمل قبل حلول الفيفس . وشاطرتني علام  
هو اجسي بأن ذلك موقع . وفي آخر الأمر وحيي بأن ليحت عن حطة بديلة  
لإيواء الأهالي مؤقتاً - في الأماكن المرتفعة قرب الغري المهددة بالغرق،  
إلي أن يكتمل بناء منازلهم بحشم القرية . وعلي الرغم من إدراكي لعدم  
إمكانية تطبيق هذا الاقتراح ، فقد رأيت أنه من الأفضل أن أرفع به تقريراً  
واهباً إلى اللجنة عند عودتي إلي وادي حلفا .

وفي ٧ نوفمبر كتبتُ تقريراً مطولاً عثرت فيه عن محاذي وشرحت  
المخاطر التي سحقتُ بالأهالي إذا لم يتم التهجير قبل أن نغرق المنطقة .  
ويجد القارئ أدناه النقاط الرئيسة لتلك التقرير .

إن المناطق التي يهددها الغرق - توات - تشمل تسع عموديات ويبلغ  
مجموع سكانها ٣٣٠٠٠ شخص. وهذا الرقم يقترب من ثلاثة أرباع سكان  
المنطقة المتأثرة بمياه السد العالي . وقد تم تقدير أمتعتهم بحمولة ثلاثة وستين  
قطاراً . هذا يستتد مواسيهم . فهذا لم يتم تحرير تلك الأمتعة بطريقه سليمة

فإنهم مستعرض للتلوث و الحراب . أما إيواء أولئك المواطنين مؤقتاً فقد كان يعي الشروع في تنقيب عملية متكاملة بالمناطق المهددة يتم من خلالها نقل ممتلكات الأهالي إلي مواقع لا تستطيع السيارات الوصول إليها ، فضلاً عن أن احتياجاً من الحيام هتتر بـ : ٧٠٠٠ حيمة كان من المتكوك فيه الحصون عليها

ستغمر المياه الطرق الرئيسية بالصفتين الشرقية و العربية مما يجعل من المستحيل عليا - الاتصال بالمحيطات . كذلك فإن المواصلات النهرية ستكون غير عملية نظراً لأن المنازل المهجرة و غابات النجيل المتشائمة ستكون عائقاً للملاحة في مساحة واسعة قبالة الشواطئ المتاحة لتلك المحيطات .

وسيبقي الأهالي كالأحياء ليس فيشوا مأوهم ووسائل كسبتهم معرضين دوماً للجوع و العاقة . وستنق مائبتهم من الجوع بسبب انعدام قسنة خصراء . بصاد إلي كل ذلك حرارة يونيو و أغسطس الحارقة التي ستكون فوق الاحتمال ما لم يتوفر الضل الكافي .

وسيتهدد الوضع الصحي انعدام المراحيض المناسبة و الافتقار إلي الصرف الصحي الضروري ، فيتوالد الوباء الذي بدوره - يشر الأمراض و ستجرف المياه المتدفقة كل المقابر و مراحيض القرى فتحتل المواد العضوية وتتكاثر ، مما قد يؤدي إلي حالات وبائية لأمر اص مهلكة مثل التيفويد و الكوليرا .

ولأن كل الأهالي سيواجهون أخطاراً جسيمة فلا يؤدي إلي حصار في الأرواح والممتلكات ، فإنهم سيعانون معنوياً ، وهذا بدوره سيؤدي إلي احتقارهم لكل العمل للجليل الذي تبذره الحكومة من أجلهم .

وفي حتام التقرير طرحت اقتراحين علي السجبة لتجنب الوضع غير المستحب الذي كنا نتوقع . فإما أن تتصل حكومة السودان بالجمهورية العربية المتحدة لتأجيل برنامج التحرير مدة ستة أشهر حتى يكتمل بناء المصادر بحشم القرية ( رغباً عن أن الاستجابة لهذا الالتماس كانت تبدو بعيدة ) ، وإما أن تعلن حالة طوارئ خاصة تهدف إلي إيقاف عمليات البناء في ممرات انقطر وتوجيه كل البنائين والصناع ورؤساء العمال إلي حشم القرية للمساعدة في حركة إنشاء القرية .

وحالما تسلم السيد علام هذه التقرير - وقد كان يشاظري التعاطف مع الوسيين - أطلع اللجنة الوزارية علي محتوياته وسبب إلي أن الحكومة المصرية كانت مقبلة برنامج تحرير صارم ، فقد رفضت - بالطبع - التماس التأجيل . ووجدت اللجنة الوزارية نفسها وجهاً لوجه أمام ضرورة إيجاد وسيلة أو أحري لحل المشكلة

وفي ١٠ ديسمبر تلقى دعوة لحضور اجتماع اللجنة الوزارية يعقد في الخرطوم خلال أربعة أيام من هذا التاريخ . وحضر الاجتماع - أيضاً - السادة علام حمس وعبد الله شداد نيابة عن المهندسين الاستشاريين ومعتمد التعويضات . وقد قدم السيد شداد شرح مفصلاً عن موقف الإنشاءات بحشم القرية قرية قرية ومقاولاً مقاولاً . فالتصيح أن العمل عموماً كان يسير ببطء وأن الوضع بدأ غير مشجع إلا أنه لم يكن ميئوساً منه تماماً . وأنه

إفادته بالقول إن العمل يحتاج إلى شهرين لإتمام منزل الفلج الأول من المهجرين ، ولذلك التمس تقديم تاريخ اسلام تلك المنارة ليكون في مارس . وقد سألته - في ذلك - معمد التعويضات الذي أحرب عن عدم اكتمال قوائمها وعن احتياجه لمدة شهرين كي يراجعها ويحيلها للصرايين .

وجاء دوري في الكلام ، فحدثت الاجتماع صراحة بأن التاريخ المحدد قد تم تغييره ثلاث مرات ، مما هز ثقة الأهالي - أصلاً - في قرارات الحكومة وتقديراتها . ثم إن كل الأهالي الذين سيقعون في المرحلتين الأولى والثانية للتهجير ما زالوا ينتظرون - في وصح متأرجح - منذ يوليو وقد حرموا حرراً من معنهم وتهربأت أمرحتهم تسم للرحيل إلى وطنهم الجديد . يضاف إلى كل ذلك - وتبعاً للبرنامج النهائي الذي وصعاه للتهجير والذي كان في أصله مزدحم - فإن إحلاء المناطق المهددة بالغرق يحتاج إلى ثمانية أشهر كامدة ليس من بينها فترة شهر رمضان . وفي هذا التاريخ فإن وادي حلف - دائماً - تكون على وشك أن تحل في الوجود . ومن هنا فإن أي تأخير في البرنامج سيكون له عواقب وخيمة كما أن أي معادير جديدة لن تلقى القبول .

سيد اللواء عروة والميد علام وجهة نظري ووقف السيد سليمان حسين الذي كان علي دراية بأوضاع أهله - إلى جانبي وأصر علي نهائية الوقت المحدد للتهجير . أما الوزراء فقد درسوا كل الاحتمالات لإكمال بناء قري إعادة التوطين في الوقت المحدد مع السيد عبد الله شذاك صاحب الحيرة الطويلة في التعامل مع المقاولين والذي عثر عن إبداءه الكامل لشرح الموقف ووعد بالمسعي بكسب تعاون المقاولين من أجل إصافة ساعات عمل جديدة

ومصاعفة الجهد . وكان علي ثقة من س المقاولين - في هذه الظروف -  
سيفتروا وصنع الأهالي الذين أتيحت من أجلهم تلك المباني . بعد ذلك حدثت  
اللجنة الورقية تسريح تحريك أول قطارات التوجيه ليكون ٦ يناير وتم  
توجيهي للعمل بمقتضى هذا التسريح . كذلك وجه معتمد التعويضات لمصاعفة  
جهده وبدء تنفيذ التعويضات في وقت مناسب . وعندما بعض الاجتثاث شعرت  
براحة عطية .

وحينما عدت إلي وادي حلفا ، عقلت سلسلة من الاجتماعات مع كل  
المعنيين من موظفي الدولة ، كوتت من خلالها نظاما يقوم علي فكرة توزيع  
العمل علي لجان أوكلنا لها مهام محددة . فوكلت علي اللجنة الأولى مسئولية  
توزيع المنازل الجديدة بحشم القرية . وكانت تتكون من مهتم المركز  
وضابط إداري وعمدة المنطقة وشيخ القرية المعينة . وتقرر أن يوافقها  
معتمد التوظيف بخرائط تفصيلية لكل قرية توضح مواقع القطع السكنية بأرقام  
مبسطة . وعند استلام اللجنة لهذه الخرائط فإن تحصل من معتمد  
التعويضات - علي قوائم المالكين - ثم تعقد اجتماعا عاما لكل المالكين  
المعنيين نطلعهم فيه علي تفاصيل الخرائط وتطلب منهم تنظيم أنفسهم في  
مجموعات تتشكل علي أساس الجيرة ، مع الأخذ في الاعتبار عدد المنازل في  
كل ( مربع ) وبالاتفاق مع أقرب الجيران يحضر كل مالك منزله . وبعد  
إنجاز هذه المهمة ، تقوم اللجنة بتسجيل الساتج في دفتر بأرقام متتالية لمنازل  
القرية الجديدة ثم تصدر بطاقة لكل مالك تحوي اسمه وقرية وشيخ ورقم  
منزله وعدد من يعرفهم . ويُشترط أن أوقع علي هذه البطاقة بوصفي معتمداً  
للتجهيز وأن تحتم بحتم خاص وحال توزيع البطاقات ، ترسل اللجنة نسخة

من قائمة المالكين -- تسبق قِطار الميجريين إلى معتمد التوطين لتمكينه من وضع لوحات تمييزية علي واجهات كل المنازل محشم القرية قبل وصول أصحابها . أما الساحة الأخرى من القائمة فتحفظ بمكتني .

ويجدر هنا أن نذكر أن الجيران الحاليين في أغلب الحالات يصلون متجاورين ولا يفترقون إلا في حالات نادرة ، كما أن هذه الترتيبات تتيح فرصة فريدة للأقارب المشتكين بين القرى العديدة ليلتئموا ويدققوا عملة الحوار .

واحتصت اللجنة الثانية بدفعيات حرم الأمتعة وقيمة راد السفر . وتكونت من ضابط إداري وعمدة وشيخ القرية المعنية، وعاشر عملها حال للعراة من اكتمل توزيع المبرول . ومن واجباتها أن تتسع لكل رب أسرة جديهي لشراء حاجيات حزم الأمتعة ، وأن توفر مبلغاً من المال لكل أسرة يمكنه من الحصول علي راد الطريق وذلك بمعدل ٥ قرشاً للشخص ، وأن تتأكد من توفر مواد حزم الامتعة كالجوانات و المقاطف والحيال بكميات كافية بالسوق ، وأن تطمئن علي ما يكفي من الخمر بالمحابر أثناء سير عملية النهج .

واحتصت اللجنة الثالثة بعملية حمل ونقل الأمتعة إلى القطارات وكانت برئاسة السيد السري الصاوي ومعه عدد من موظفيه كأعضاء . وقد لوكت لها عيد من الواجبات : أولاً : حصر كمية الأمتعة المسافرة لكل دعة ، بعرض تحديد عدد العربات الملحقة بكل قطار ثانياً - تسليم أمتعة المسافرين عند عبدة اباب وتسليمهم المستندات الضرورية لأمتعتهم والتي تشمل (بوليصة) تأمين باعة . ثالثاً . تعيين العدد الكافي من الحمالين بشروط



خدمة السكة حديد لعرص حمل الأمتعة و لأطمئنان إلى شحنها بواسطة الشاحنة ثم إنزالها في عربات السكة حديد . رابعاً تعيين عدد من التجار من لإصلاح ما قد يضرأ علي الأمتعة من تلف جراء شحنها ونقلها وإنزالها في عربات السكة حديد . خامساً ، إدارة حركة سائقي الشاحنات الذين يقومون بعملية نقل الأمتعة والتأكد من أنهم يؤدونها بطريقة مرصية . سادساً ، مراقبة عملية الشحن في عربات السكة حديد والتأكد من أنها تجري وفق أساليب السكك بحسب القربة لكي يتم فرزها بسهولة عند وصولها وأخيراً - إلصاق قائمتين بمحتويات كل عربة من عربات السكة حديد من الأمتعة (إحداهما علي باب العربة من الداخل والأخرى من الخارج ) واصحابها وقراهم وعلامتهم المميزة و عدد أجزاء أمتعتهم ، وذلك لعرص تسهيل التعرف علي أمتعة كل شخص عند وصولها إلي محطة السكة حديد بحسب القربة

أما اللجنة الرابعة فقد أوكل إليها أمر اجلاء المرضى والعجزة والحوامل وحديثات الولادة ومواليدهن ، وعصويتهن من الممرض الطبي وموظفيه . وكس علي هذه اللجنة أن تقوم بتزجيز كل هذه الحالات إلي القطار بسيارات الإسعاف وأن يطمئنون علي توفر أسرة الممرضى والعجزة علي عربة القطار الخاصة التي تم تجهيزها لهم . وبالنسبة لحالات المرضى المتأخرة وحالات الولادة الحديثة فقد كان علي اللجنة أن تتأكد من توفر ظروف الراحة لها علي العربة المزدوجة من الدرجتين الأولى والثانية . وهناك مصنع خاص في هذه العربة المزدوجة ينبغي تأمين إمكانية تحويله إلي مصده عمليات صغيرة لإجراء العمليات الطارئة أثناء الرحلة . كما ينبغي أن توفر اللجنة الإمدادات الكافية من الأدوية والمواد الضيية في كل قطار . كذلك

يتوجب أن تُراعى حالات الأمراض العقلية - علي قلّتها - وأن تدومي لكي يلزم أصحابها الهدوء خلال الرحلة . ويجب أن يرافق كل قطار طبيب عمومي وقابله وممرضين

أما اللجنة الخامسة والأخيرة فقد كانت مهمتها الإشراف علي ترحيل انماشيّة والدواب . وكان علي الصايط البيطري بالتعاون مع سلطات السكة الحديد تحديد العدد المقبول منها علي كل قطار بصناعة والتأكد من أن عربات الدواب المطلوبة قد ألحقت به . كما كان عليها تعيين العدد المطلوب من المشرفين أو الرعاة الذين يتولون ترحيل تلك الدواب والقيام عليها خلال الرحلة ورعايتها في حشم القرية إلي أن يتسلمها أصحابها . وكان لابد من توفر قدر كاف من العلف والماء للإبقاء علي حياة تلك الحيوانات بحالة جيدة . وبالإضافة إلي اللجان الوارد ذكرها ، قرّرت تعيين صافط تهجير لمرافقة كل قطار من قطارات الركاب . ومسمح مبلغ ١٠٠ جنية نقداً لتمكين من مواجهة أي ظرف طارئ مثل وفاة راكب أو تأخر القطر لوقت طويل بسبب حادث أو قطع في الخط الحديدي . وسيكون من واجباته عند وصوله حشم القرية إعداد تقرير بمصروفاته إلى وحتت - وإيداع العائض لدي خزينة مكتب التوطين . وقد وافق معتش السكة حديد علي تقديم خدمات بوفيه خاص مستجول يرافق القطار ويوفر للركاب الشاي والقيوة والمرطبات والوجبات الخفيفة علي نفقتهم خلال الرحلة .

وأبلغ الاجتماع رسمياً بأن عملية تهجير السكان ستبدأ في ٥ يناير

١٩٦٤ وفقاً للجدول التالي .

٥ يناير : ترحيل وإرسال أمتعة الفوج الأول لأهالي فرص غرب .

٦ يناير : مغادرة أول قطارات التهجير بالفوج الأول لأهالي قرية فرص غرب

٧ يناير : ترحيل وإرسال أمتعة من يتبقى من الفوج الأولي لأهالي فرص غرب .

٨ يناير : مغادرة السفين من أهالي فرص غرب .

٩ يناير : إرسال الأمتعة للمزلية للفوج الأول لأهالي (سرّه غرب .)

١٠ يناير . مغادرة الفوج الأول لأهالي سرّه غرب .

١٢ يناير - إرسال أمتعة من يتبقى من الفوج الأخير لأهالي سرّه غرب

١٣ يناير : سفر الفوج الأخير لأهالي سرّه غرب

١٦ يناير : بداية شهر رمضان ( فترة انطار )

وعلي الجانب الآخر ، كل نظيري : (معتمد التوظيف بحشم القرية) قد استعد لترقيم المسجل ونشيت لوحات علي أبوابها بأسماء المالكين ، وفرر ونقل الأمتعة إلي سكني القادسيين قبل وصولهم ، وتأمين كمية معقولة من الفحم ورجاجة (كبروسين) وجرّة (ريز) مليئة بالماء وعلمة ثياب وحصة من الطعام الطازج لليوم الأول من وصول المهجرين (قبل أن يتلقوا أنصبتهم من إمدادات منظمة الأغذية والزراعة العالمية) ، وكمية من العلف لحيرثانيم، وتوزيع المزارع ( الحواشات ) لأرباب الأمر عقب اليوم الأول لوصولهم .

وبعد أن تم توزيع ترتيبات إجلاء السكان علي اللجان ، أمصيت بعض الوقت في إعداد كتيب صغير أسميته : ( دليل المهاجر ) وصفت فيه انعطافات التي ينبغي علي كل رب أسرة إتباعه أثناء فترة الرحيل خطوط

حصوة ، شارحا له ما هو مطلوب منه في كل مرحلة بلغة سهلة وذلك بدءاً من حرم أمتته إلي أن يدخل بيته الجديد في حشم القرية . وقد طبع الكتيب في الخرطوم وشمل صوراً بملامح عديدة من حشم القرية وخريطة توصلح خط سير الرحلة ، وتم توزيع آلاف النسخ منه بالأهالي .

وفي هذه الأثناء انطلق الزديري الشط بء علي مبحرة منه إلي القرى وفي معيته فريق من حواء حزم الامتعة ( من بين عمالة ) ليعلّم الأهالي كيفية حرم أدواتهم وأثاثاتهم بأفصل الأساليب وبما أن ألياف الورقية لم تكن متوفرة بقدر كاف ، فقد وجد بديلاً عنها في ألياف شجرة النخيل وفي الملابس المستعملة وذلك ( لتسليم ) الامتعة القابلة للكسر . لقد كان هذا البيان العملي مفيداً للغاية خاصة لهؤلاء السويين الذين لم يعمدوا في حياتهم حركة جماعية لنقل الامتعة والأثاثات .

وبسبب كس الموعد النهائي يقترب ، كنت أقوم بزيارات مستظمة إلي القرى الشمالية ، وأقصي معظم الوقت في (فرص وسره غرب) نشرح للمهجريين ما هو مطلوب منهم قبل أن يعادروا إلي الوطن الجديد وحدثتهم عن كل الترتيبات التي أعددناها من أجل سلامة الرحلة ، كما أخبرتهم بما قام به رميلي السيد عثمان حسين - في حشم القرية استعداداً لاستقبالهم وإعادة توطينهم . وقد كس السيد علام حريصاً علي معرفة تفاصيل مواقعها خلال تلك الأيام الحرجة ، فقدم إلينا ودهننا سوياً بحوب فحاء الصفة الغربية . وقمنا بزيارة (فرص وسره وأرفين) وأطلعنا أهلها علي تفاصيل رحلتهم لأمة إلي أن تنتهي باستقبالهم في حشم القرية . وعقد السيد علام - كذلك - اجتماعاً بمعتم التعويضات حيث وقف علي ترتيبات تسديد المستحقات تبعاً لتبرامج ،

ثم أسرع قافلاً إلى الخرطوم قبل أن يطير إلى حشم القرية لتفأكد من أن الأمور تسير بصورة مرضية .

وبدعوه من الأندية الرياضية بمختلف أحياء مدينة حلف ، عقدت العديد من الاجتماعات الناجحة مع الأهالي وأوصحت لهم المشاكل المتوقعة خلال فترتي ما قبل وما بعد التهجير والاستعدادات القمينة بتمكينهم من التغلب عليها ، وتلقي الأهالي إجابات شافية علي كل أسئلتهم المتعلقة بعملية التهجير . وكان الحضور الحاشد - لذلك الاجتماعات - دليلاً يثبت على الرغبة الصادقة لفهم دقائق المعلومات . وبجانب هذه الاجتماعات ، صاعف مكتب إعلام جهوده وأحد يورخ شرته اليومية علي نطاق واسع

وفي الأول من يناير ، أقام احتفالاً كبيراً في ذكرى آخر مناسبة تقدم للاستقلال السوداني بوادي حلفا . وقد قمت - في حطية مطولة - بالتطرق إلي تفاصيل الترتيبات التي تمت من أجل ترحيل الأهالي بصورة آمنة ، وإلي الثورة الاقتصادية الكبرى التي ستعبر مجري حياتهم في حشم القرية . وتحدث السيد علي أحمد علي رئيس المجلس البلدي حينها ، والذي أستشعر أن الساعة قد أرقت ليتقدم ويتسلم مقاليد قيادة أهله في تلك الأيام الحاسمة - بلعة بالوعة عن الصغوط النفسية التي نحاصر الأهالي خلال تلك اللحظات الحرجة فقال ( أن قلوبنا ستظر معلقة بأرض الأجداد حتى لو فتحت لنا أبواب الجان . ) .. لكنه دعا الأهالي للتذرع بالصبر والامتنال إلي مشيئة الرب بالرصب واليقين . ثم أضاف يقول : ( إننا نصحي بأرضنا من أجل وطننا الأم وبرككي تلك التصحية بالصبر والثبات . ) وحث الأهالي علي الالتزام بتوجيهات وإرشادات مكتب التهجير الذي يسر له من هم سوي تأمين

رحيلهم وسلامة أمتعتهم . وتلاه السيد ميرغني علي إبراهيم الذي ألقى خطبة مؤثرة مليئة بعبارات الأسى علي فراق أرض الأجداد . ثم تحدث السيد صالحين حديثاً طيباً علي مآل ما جاء علي لسان السيد علي أحمد .. وأمّ الاحتفال كل سكان المدينة وقراها تقريباً وقد شاركت الحامية العسكرية والأندية للرياضة في البرنامج بفقرات شيقة . ورغماً عن ذلك فقد بدا أن الجميع جاؤوا بوجوه متجهمة وقلوب محزونة وكأنهم يشعرون قريباً عربراً .

وبعد أن انتهى الاحتفال ، أحبرني أعيان سرّه وفرص غرب أنهم بصدد إقامة احتفال وداعي ضخم بقرية سرّه في صبيحة الثالث من يناير . وأحبرني العمدة صلاح عمدة فرص بأن قريته قد تكون للمكان الأسب لإقامة الاحتفال بحجة أنهم سيسبقون سرّه بالرحيل . غير أن انشغال قومه أما بحرم أمتعتهم وبما يتملّح تعويضاتهم ، وسنة لتدهور صحة أحد المسنين بقريتهم والذي طلت حالته ميؤوس منها وظل موته متوقّعا في أي لحظة

فقد اتفق مع عمدة سرّه ( حسن محمد علي ) علي إقامة الاحتفال في قريته . وأحبروني - كذلك - بأنهم قد قاموا بالفعل بدعوة كل أهالي الساحة تقريباً بالإصافة إلي أهالي مدينه حلما . فوافقت علي هذه اللسنة الرقيقة ووجهتهم بتدبير أمر ترحيل كل من يرغب في حضور الاحتفال . ووجهت ضابط إعلامنا السيد محمد فضل الله - بالتعاون معهم لإعداد برنامج الحفل .

وفي ذات الوقت كانت استعداداتنا - موادي حلما - ليوم الرحيل تجري علي قدم وساق فوصلت عربات الركاب الجديدة إلي ورش المسكة حديد بالمدينة . وانتبهي شعور بالارتياح عندما وقعت عيني عليها . فقد كانت كلها جديدة تمام وكانت مفاعدها واسعة ومريحة . كما كانت مروّدة

سراوح وبصاعة خارجية تمكن الركاب من معنيتها وتتيح لهم التجول -  
عندما يتوقف القطار في المحطات غير المدورة . ولقد ابتُهِجت حِمْزَايت  
عربة المستشفى بصفيّ سرائرها النظيفة والمريحة وبمذاصدها الصغيرة  
الموصوعة في متناول أيدي المرضى . ووصلت - أيضاً - عربات البصاعة  
بأعداد كبيرة وأوقفت جاساً في محطتي حلفا وعقش . وخصصت مصلحة  
الوابورات كذلك - باخرة لتكوير علي أهبة الاستعداد علي شاطئ البحر عند  
فرص قليل معذب الرابع من يناير . وفي جولة رافقي فيها مساعدي  
( السيد بنيم ) عبر قرية فرص ، لاحظ أن الأربعة قد كتبت بكثير رملية  
يمكن أن تجعل من المستحيل علي شاحناتنا الثقيلة ( من طراز الكومر )  
التوجه بحمولتها إلي الباحة . ولذلك قرروا جمع كل أسطول من عربات  
( اللاندروفر ) ذات الدفع الرباعي - رغم حمولتها المحدودة - واستخدموها  
لإنجاز المهمة بطريقة أفضل . واستطاع المرحوم سعد الدين عبد العلي  
الذي وقع عقد الترحيل مع سلطات السمكة حديثاً - أن يهرب أكثر من مائة من  
صعابدة أسوان لاستخدامهم في عمليات شحن وتفريغ الأمتعة .

وبالنسبة للحيوانات ، فقد أجري الصابط البيطري كل الترتيبات لعلها  
وجمع كميات هائلة من السوحات التعريفية ليكتب عليها أسماء مالكيها ويعلقها  
بحبل متينة علي رقاب تلك الحيوانات . وقام الطبيب الشرعي بتهيئة إحدى  
( قمرات ) الدرجة الأولى لتصبح غرفة عمليات صغيرة مجهزة بالمعدات  
اللازمة والعقاقير والمواد الطبية . كما قام بانتداب الممرضين والقابلة لمراقبة  
العروج الأول وأجري الكشف الطبي علي كل للحالات المرضية المعقدة .  
وبالإضافة إلي ذلك ، قم بزيارة إلي قرية فرص حيث تولي الكشف علي

الحوامل والعجزة ، بينما قائد المهندسين حسن طه لحيته وفي حوزته خريطة لقرية فرص الحديدية - إلي فرص وشرع في توزيع المساكن . وذهب معتمد التعويضات السدي وأصل عمله نيل نهار إلي فرص ومعه فريق من الصيادلة والمحاسبين وحرينة مالية وجرس وبدأ في دفع الاستحقاقات . وعندما قمت بزيارة حافظة إلي هناك سررتي أن أحد الأمور تسير بسر نام وفقاً للخطوة . وعندما وقع بظر العمدة ( الشيخ صلاح ) علي شخصي ، تلقائي بجماعة بقدر عدها بثلاثين رجلاً - قدمهم إلي باعتبارهم أرباب أسر معزبين - جاءوا للانضمام إلي أسرهم قبل أن تبدأ عملية التهجير . وقد أكدت ليهجتهم المصرية صحة المعلومة التي أدلي بها العمدة وزادولي تأكيداً بما قالوه لي من أن فوجاً آخر من زملائهم المعزبين في مصر سيلاحق بهم . وعندما استفسرت صلاح عن صحة المريض العجوز ، علمت أن حالته خطيرة .

وفي الثالث من يناير أقيم احتفال وداعي كبير في سره غرب حصره كل أهالي قرية فرص وأهالي سره وما جاورها من قرى إلي جانب جمع غفير من مدينة وادي حلفا . واشتهرت الفرصة بدعوت مرسلتي الصحف الذين كانوا بالمدينة لتغطية أخبار التهجير وذهبنا جميعاً إلي سره فعبروا النيل عند سره شرق . ثم مررنا بمجموعة من أشجار الحيل قبل أن ندخل فصاءً تظله بعض شجار الدوم . ثم بدت لنا حشود ضخمة في واجهة القرية حيث نصب هيكل لسرادق واسع من أعود الحيل مطأل بحصائر ليلي الصفيوف وهج للشمس الحارق ، بينما تجمع القرويون - في شكل نصف دائرة - أمام السرادق الذي زين بجريد النخل وبأعلام من كل لون . وعندما



كنت أحيّ الجمهور ، أخبرني الشيخ محمد عبده . إمام مسجد قرص بوهة  
الرجل المريض في الليلة الفائتة . ثم علّق بارتياح قائلاً : ( حير له أن  
يتوفي هنا من أن ينزع سكرات الموت علي متن القطار . ) ولاحظت أن  
القوم كانوا وجلين من أن يتوفي الرجل في الطريق لأن ذلك كان يعني إشارة  
شؤم ، فضلاً عما يسببه تجهيز الجارة وندبها في إحدى محطات الطريق من  
ارتباك . فكان ذلك من الحالات النادرة التي يكون فيها الموت مدعاة للارتياح

وقد خطبت طويلاً في ملك الجمع وشطرتهم مشاعر الأسى علي  
فراق أرض أجدادهم ومسقط رؤوسهم الذي ترعرعوا فيه منذ فجر التاريخ  
وأحبوه كما لم يحب أحد أرضه ووطنه . ثم ذكرتهم بأهم ليسوا أول من غادر  
موطنه وهاجر وسألف حياته في مكان آخر . فتاريخ الإنسانية برحر  
بهجرات أسهمت في ازدهار حضارات عظيمة . وتكعيم هذه الحجة ،  
استشهدت بتأثير هجرات الأمريكيين والأستراليين والعرب الذين نقلوا  
حصولاتهم إلي أماكن نائية كانت يوماً ما مظلمة ومثجلة ، فما لبثت أن  
ازدهرت وأزنت . وأعدت إلي أدهانهم مسيرة الهجرة الجماعية لقبائل السود  
إلى فترة المهدية ثم دأبت إلي التعبيرات الجذرية المتوقعة في حياتهم حين  
يستوطنون ( خشم القرية ) . وأشرت إلي أنهم سيفقون بخيلهم الذي كان يمثل  
العمود الفقري لاقتصاد وطنهم الأصلي كما أشرت إلي أن اقتصادهم سيتحد  
وجهة معايرة خاصة وأن أسلوبهم الحالي في الزراعة كان محصوراً في  
فلاحة حيازات صغيرة من الأرض تزرعها الأمهات بمساعدة أطفالهن . أما  
في خشم القرية فإن الأرض واسعة والتربة خصبة والري متيسر ، وهذه هي

البينة التحية للاقتصاد الزراعي الناجح . ولن تكون هناك مشاكل لسابقه في  
خشيم للقرية وميرفح الماء بواسطة الحرا - إلي القنوت ويتم التحكم في  
مساره عن طريق بوابات لري المزارع . وستكون المزارع كبيرة بحيث  
يستعذر علي سيدة الصرل وأطفالها فلاحتها والحصول علي إنتاج جيد منها .  
ولذلك فإن العائد من الإنتاج المنتظم للتمر ينبغي أن يكون دافعاً حقيقياً لبذل  
مزيد من الوقت في العمل الزراعي . وحدثهم من أن أي إهمال للمزرعة  
سيؤدي إلي شح في الدخل مما ستكون له عواقب وخيمة علي مستوى المعيشة  
بدلاً من تحسينه . بضاف إلي ذلك أن المشروع الجديد بخشم القرية هو أحد  
أعظم أصولنا القومية التي ساهم دافع الصرائف - بسخاء - في إنشائها .  
ومن هنا فإن المزارع الكسول والفلاح المتبطل لا مكان لهما في هذا المشروع  
وسيلقي بهما بعيداً . أما القصور المتوقع في الأيدي العاملة فيمكن معالجته  
جراحياً . بالعودة المحتملة للقاسرين من المعتزبين الذين سيصممون - أخيراً -  
إلي أسرهم بالوطن الجديد . وأهم من ذلك كله ، إمكانية قيام تعليلات زراعية  
ميكانيكية لملاحاة الأرض جماعياً . وفي ختام كلمتي تميت لهم السعادة  
والرحاء في وطنهم الجديد .

وألقي علي أحمد علي خطاباً مؤثراً عثر فيه بإسهاب عن المشاعر  
العاطفية التي تربطهم بوطنهم ، وعن الشعور العام المقعم بالأسى الذي يحسه كل  
واحد منهم لفراقه إلي الأب ثم قال - بنبرة دافئها لثر الدين واصحاً - ( إن لنا  
في هجرة بيتك الكريم أسوة حسنة . فقد كانت هجرته من مكة إلي يثرب معشحة  
بنشر دعوة الإسلام في ربوع لعالمين ) ثم استشهد بآيات من القرآن الكريم  
والأحاديث النبوية داعياً إلي الصبر والإمتثال لإرادة الخالق . وكان واصحاً أن  
( علياً ) قد بلغ به التأثير مبلغه وقد حقيقته لعبيرات عدة مرات أثناء إلقائه خطابه .

ونحدث من بعده الإمام محمد عبده الذي سأل أن يلقب بتطل التهجير - حيث أنقى خطبه عقلانية حققت ألهم وحلقت جواً من الارتياح بما نصممه من ملح وطرائف . رديح أمالي (فرص وصرص) الكرماء ثلثة عجول نصيولهم وقنموا طعام الغذاء المكور من العنة ولأرز واللحم، لجميع وبعد تلك الوجبة الشهية انقصر الاحتفال . وفي مساء الرابع من يناير ، ذهبت إلي فرص وفي صحتي مسعدني (يوم) وصابط لإعلام لالشرف علي للمسات الأخيرة لعملية التهجير فوجدنا أسطول ( اللاندر وهرات ) قد سبق بالوصول إلي هناك وأبصرنا أمتعة الفسوح الأول محرومة ومصعوفة أمام مدرن للقرية . وكان هناك أيضاً فريق للحمالين الصعايدة يعسكرون تحت صلال للبحر قرب للقرية، يسم أرسيت الباحة وعلي منها عمال المسكة حديد باستمرااتهم وأبو ألهم للمخصصة لوسم الأمتعة. كذلك جاء عمال البيطرة ، ووقف فنار الصناعة بعرباته القرعة في المحطة علي الصفة الشرقية . أما معتمد للتعويضات وجماعته من الصديرة فقد فرغوا من دفع الاستحقاقات في الوقت المحدد . ولجبرني العمدة صلاح بأن النجدة المكلفة بتوزيع المسمرل الجديدة قد أنجرت مهتها وأن كل مالك قد شلم بطاقةته كما تسلّم مصروفات حرم الأمتعة وقيمة راد الرحلة . وعدا في المساء إلي وادي حلى وقد بدت علينا مظاهر الارتياح .





سليمان محمد حسين

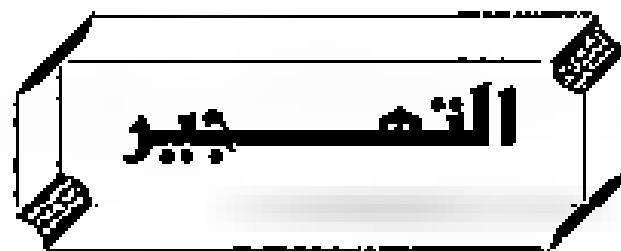


شحن أمتعة اهالي قرص



محمد الفضل

## الفصل العشرون



في اليوم التالي ( الحامس من يناير ) عبرتُ و(نديم) النيل إلى عرص  
قيل الشروق علي متن لنش الشرطة ، فوجدت أن عملية إخلاء الأمتعة قد  
بدأت سلفاً تحت إشراف (الدريديري) . كانت الكتيبات الرملية الماعمة قد  
حصرت الحركة إلى منطقة الشاطئ ، فساحت عجالات العديد من السيارات  
في الرمل ، واحترق (مولد) أحد (لاندروفرات) مما احتاج إلى وقت  
لاستبداله بآخر .

وعندما حملت الباحرة أول دفعة من الأمتعة ، عبرنا معها إلى الضفة  
الشرقية للإشراف علي تفريغ الحمولة في القطار . وأثناء قيام عمال السكة  
حديد والحمالين بعملية فرر الأمتعة ونقلها إلى عربة البصاعة ، جلست  
و(نديم) علي صحرة مساء قبالة المحطة نتناول شيئاً من الإفطار . ومن هذا  
الموقع رأينا شاحنة حكومية وهي تنطلق بسرعة شديدة قادمة من مدينة حلما .  
وعندما اقتربت منا ، لاحظنا أنها تحمل عدداً من رجال الشرطة المسلحين  
وعلي رؤوسهم خوذاتهم العولادية . فخطر لي لأوب وهلة أن الوصف في حلما  
لم يعد آمناً ، مما أزعجني . وعندما وصلت السيارة نزل منها المرحوم (علي  
مسعود) صابط الشرطة - وقد تمطق مسدسه ثم اتجه إلينا . لكنه عندما  
رأنا نتناول إبطارنا بسرور وسمع أهازيج الحمالين وهم يشحنون الأمتعة في  
القطار انفجر صاخكاً وبنت عليه علامات الارتياح . وأوضح لنا أن شائعة  
قد انتشرت في مدينة حلما تفيد بأن أهالي فرص قد بكسوا عن الهجرة إلى  
خشم القرية ورفضوا تسليم متعتهم لعمال السكة حديد ، وأنني ونديم  
تدخلنا في الأمر . لم نسلم من أياديهم مما ألجأني للعبور إلى الحدود المصرية  
وأوقع نديم رهينة لديهم . وكنت للشائعة قد طبقت الأفق بحيث صلتهم كل

من كان في المدينة . ولهذا السبب فقد جمع الضابط كل ما استطاع من قوة الشرطة وأنطلق لتحليصا . وعندما نظرت إلي نديم رأيتني بكاء يفجر مثلي من الصراخ . قلت لمساعد انه لا اعتراض عدي علي أن أجد بواسطة النوبيين ، إلا أن الهروب والهجوم إلي مصر لا يشبهني . وبعد أن تناول (علي مساعد) كوباً من الشاي معنا ، وجهته بالإسراع إلي نقطة الحدود بقرص شرق ومهاتفة رجاله بسلامتنا وبأن الأحوال تسير كالمعتاد .

وفي المساء كانت أمّعة ودواب العوج الأول قد حطت - سائمة - علي القطار واحتاجت البحرة إلي ثلاث رحلات للفراع من نقلها إلي الضفة الغربية. أما الجمالون فقد احتاجوا إلي ثلاث نوبات عمل لإتمام تلك المهمة . وفي الساعة الحامسة مساء أرسلت الفاطرة ثلاث صافرات عالية إيدافاً بمغادرة أول القطارات إلي حشم القرية . وهي محطة حلقة سلّم للمهندس حسن طه مظروفاً صحفاً ( للكمساري ) يحوي قوائم توزيع المساكن ومعلومات أخرى متعلقة بالعوج الأول معروء إلي معتمد التوطين بحشم القرية . وتم توجيه ( الكمساري ) بتسليم المظروف للمعتمد شخصياً ساعة وصوله إلي هناك . ورودت عربة الدواب بأعلاف حصراء جلّبت من مزرعة ( راشد ) كما تم توفير المياه الكافية للرحلة . وبعد تجهيز كل هذه الاحتياجات غادر القطار وادي حلقة وأحتفي زويداً زويداً في صحراء العثمور .

وعندما عدت إلي مكّتي كان أول ما فعلته أن اتصلت بحشم القرية هاتفاً وأخطرت الميدين علّام وعثمان بمغادرة القطار وبالمظروف الذي أرسلناه مع (الكمساري) لمعتمد التوطين . وبعداً في التحوُّط فقد وجهت المهندس حسن طه للاتصال بحشم القرية وإملاء كل القوائم المبينة بالمظروف

- هاتفا - وذلك ليتسنى للمعيين تخصيص مساكن مهجري الفوج الأول  
بوقت كاف قبل وصول القطار إلي هناك . ثم اتجهت إلي علي أحمد علي  
القائم علي شؤون تهجير الفوج الأول والذي ظل يتزدد علي فرص بالنظام  
ويتبادل الرأي مع المهجرين . فراجعت معه واجباته وتناقشنا في كل دقيقة من  
الأمور التي يمكن أن تقع أثناء الرحلة . وكان علي - وهو رجل ذو مدرلة  
مرموقة - علي دراية تامة بأهمية دوره خاصة وهو يقود الفوج الأول .  
وكانت لحكمته ومحنته الصانقة لقومه والاحترام الذي يلقاه من كافة قطاعات  
المجتمع ، ما جعلني علي اقتناع أنه كل الرجل المناسب لقيادة فريق المقدمة .  
وعدت إلي منزلي قبيل منتصف الليل لأجد أن روجتي قد تلقت  
محادثة هاتفية من شقيقي في الخرطوم برجولي ضرورة مهاجته فور وصولي  
. وخلال دقائق قليلة استطعت أن أجري الاتصال . فأفادني أن الشائعة قد  
انتشرت في الخرطوم فتحدث عن مصاعب بلقيها في فرص وعسري  
إلي الحدود المصرية . ورغم أن روجتي قد نفت الشائعة إلا أنه لصر علي  
سماع الحقيقة مني شخصياً . فأكدت له ما قالت روجتي . ويدو أن الشائعة  
التي انتشرت في المدينة صباحاً ، قد نقلت - بلا شك - عن طريق عمال  
الهاتف إلي زملائهم في الخرطوم والذين قاموا - تبعاً لذلك - ببثها هناك .

وفي فجر السادس من يناير قصدنا فرص فوجدنا أن قطار الركاب قد  
تم تجهيزه بالمحطة كما وجدنا الممرضين وهم يطفون عربية المستشفى  
ويصعدون المساند علي الأسرة . ثم مررنا علي كل العربات فوجدناها بحالة  
مُرصبة وقد مدت بكميات كافية من المياه . وعند الشروق عبرنا إلي الضفة  
العربية حيث وجدنا الطبيب وبعض مساعديه بالقرية يقومون بالعحصن الطبي



النهائي علي كبار السن من المهجرين وتم إخطار ذوي المرضى بأن الإجراءات قد اتحدت لنقلهم مباشرة إلي القطر ساعة وصولهم إلي مدينة حلف. ولا حظت أن كثيراً من الناس قد جاءوا من قرص شرق وصرص شرق وصرص غرب وأمدان وبلائه . ( عني للحدود المصرية ) لودع الفوج الأول . وقد كانت الرائحة النفّاذة للحرم للمشرية - والتي ملأت الجو - دليلاً علي أن كل ربات البيوت قد كن بجهرن طعام الرحنة . كما أن ريش النواجر الذي كانت تطيره الريح قد دلّ علي أن كسبة مقترنة من الدجاج قد دبت ذلك اليوم وعندما كن عمال المسكة حديد - تحت إمرة الدرييري - يقومون بورن الأمعة الخاصة بالفوج الثاني ، لاحظت أن الشيخ محمد عبده الذي كن مقرر له أن يكون من ركاب القطر الثاني - قد شرع يكوم أمنعته عند مدخل بيته . وفي منتصف النهار وصلت عربة الإسعاف بصحب فريق من الممرضين لأحد المرضى والمستين و دوات الحمل المتقدم إلي اتاخرة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانت الحفائب والسلال والحشاك تتراكم أمام ساحل العنزل بينما أحد الحمالون يرفعونها علي الشاحنات ثم ينقلونها إلي البحرة . وفي الساعة الثالثة عصراً حمل المسنون والمرضي - تحت إشراف الطبيب - إلي موضع خاص بالبحرة . ثم حلت ساعة التراق حين دخل معظم أرياب الأسر إلي منازلهم لإلقاء النظرة الأخيرة عليها ثم خرجوا وهم يتراعون المفاتيح الحشبية من الأبواب الخارجية تكبراً وجدانياً عزيزاً . وانجهوا - بعد ذلك - في موكب كبير إلي المقابر فراهة الفاتحة علي قبور أسلافهم ، وعالوا إلي البحرة يدرهون التموع وببكي بعضهم بحرقة وعويل . وطلّوا يديمون النظر إلي قريتهم ويمسحون دموعهم حين بدأت البحرة تتحرك . لقد أدركوا أنها النظرة الأخيرة التي ن تتكرر . وكل كبار السن منهم - الأكثر شجاً . أولئك الذين أثارت الرسارة اللوداعية لقبور في نفوسهم ذكريات الحزن الدفين علي أحداث أعزاء توشك للمم أن تضويها إلي الأبد

وكان الشهيد مؤثراً إلي أبعد مدى . وحيمب عليف سحابة من لحرر مشحونة  
بالمواساة والعراء الجميل . وبالسحرية الأقدار .. فقد كان ، لأطفال هم وخدمهم  
الذين هم يؤثر عليهم الموقف ، بل إلى رحلة القطر كانت بالنسبة إليهم صرباً من  
التروية

وقبل أن تعادر الساحرة فرص ، صعد عليها كل سكان القرية  
( مسافرون ومودعون ) ، فعبرت بهم إلى الضفة الشرقية بحمولة كاملة .  
وعندما أدركنا الشاطئ ، حمل المسنون والمرصني أولاً إلى عربة المستشفى  
التي بالقطر ثم تولت القافلة إدخال الحالات المتقدمة من حوات الحمل إلى  
كبائن الدرجة الأولى ، يتبعهم من تبقي من الركاب يستقروا في عربات  
الدرجة الثالثة . وهنا قرر الشيخ محمد عبده ( بطل التهجير ) فجأة مصاحبة  
الفوج الأول إلى حشم القرية بالرغم من أن أمتعته كانت مكتسة أمام منزله  
انقطاراً لنقلها إلى قطار الفوج الثاني . وقد طلب مني ترتيب رحيل عائلته  
وأمتعته بقطار الفوج الثاني ، فوافق . وأحتل مزايلو الصحف - الذين رأوا  
مصاحبة الفوج الأول من المهجرين في رحلتهم إلى وطنهم الجديد - إحدى  
كبائن الدرجة الثانية . وري سائقو القطر ومساعدوهم مقدمة القطرة بجريد  
البحل والرفور إحتفاء بهذه المناسبة التاريخية . وغادر كل سكان فرص  
شرق قريبهم وجاءوا إلى المحطة لوداع جيرانهم وفي الساعة الخامسة مساء  
- وحير أرس القطر صافرته العاليه - انهمرت دموع غالب الركاب بينما  
عمت المحطة نوبة من العويل والصراخ هي أوساط المودعين . وأحدث  
أسمع بانتباه إلي ما يقولون . وبعد هبة بدا لي أنهم كانوا يصيحون  
ويلوحون بعمائمهم للمسافرين قائلين : ( آفيا الوفو .. هيزوقو ) أي :  
رائدكم العافية . وعلي حيرة الله . ) وعندما بدأت عجلات القطر تكور ،

حطاً للخطافويون فعلاً أولي حطّي الخروج من دارهم التي ستعمرها مياه السد العالي بعد حير . وظل المسافرون يحتقون في قريتهم عبر النيل وهي تتصاعل في أنظارهم كلما أوغل القطار جوب إلي أن أُنحفت انحناءة موهجئة للحط الحديدي - حول أحد الجبال القريبة بعيداً عن الأنطار .

وتجمع كل أهالي سرّه شرق وديره وأشكيت علي امتداد حط السكة حديد وهم يلوحون بأيديهم أو بجريد النخل ويرفعون أصواتهم بشعار الساعة : ( آقب لوقو .. حير أوقو .. عديلة .. عديلة . ) وتجمع كل سكان ديروسه والتوفيقة وأركويت والجبل في الساحة التي تفصل الحط الحديدي عن المياني لوداع الراحلين . وعندما وصل القطار إلي محطة عفتش في الساعة السادسة مساءً ، إنثحيت جانناً علي أحمد علي ونعته مائة جنية لمقابلة أي مصروفات اضطرارية غير منظورة - أثناء الرحلة - وسلمته لفة من قماش (الديبل الأبيض) معلقة بقصعة من الورق وطلبت منه أن يحتفظ بها سرّاً في حقيبته لأنه قد يحتاج إليها كعناً إذا قرر الله أن يتوفي أحد الركاب في الطريق . وقام الطبيب المرافق بنقل كل الحالات المرضية المهجرة ضمن الفوج الأول - وأرسلهم مفارلهم علي أسرة عربة المستشفى ثم طفت وفي صحبتي بنديم وصابط الإعلام علي كل العربات وصافحت الركاب فرداً فرداً منميتاً لهم كل حير . وكابوا كلهم حراني وكس بعضهم لا يزال يدرف الدموع العرور . وأملاّت المحطة بالداس وما لب تحرك القطار حتى ودّعوه بعواطف مشبوبة وتناسي أهالي دغيم خلاقاتهم وتجمعوا في حشد كبير أمام القرية لوداع المسافرين . أما أنا وبنديم فقد سايرنا القطار حتى المطر ثم عدا إلي المدينة بعد أن لوّحنا لهم بتحية الودع الأخيرة .

وعند الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين مساءً اتصلت هاتفياً -  
وبصورة مستعجلة - بحشم القرية . فتلقي محدثي طه عثمان الذي أتياني بأن  
الكل ينتظرون أخباراً بقلق . وأصاف بأن شائعة قد راجت حول تكوّن  
أهالي قرى من الرحيل في آخر لحظة ورقصهم معاندة قريتهم ، وأن الجميع  
في حشم القرية لا يعرفون موقفاً بالمسيط . وقد رددته ببيان مقتضب حول  
مغادرة القطار الأول وحدثت له ساعة مبارحته محطة عنقش . فسمعه ينقل  
الأنباء إلي السيد علام والذي - بدوره - أمسك بسماعة الهاتف وتحدث إلي .  
فاعتذرت له عن عدم تمكننا من مهاذفتهم أثناء النهار لأننا كنا مشغولين  
بترحيل الفوج الأول من المهجرين الفاطنيين علي الضفة العربية حيث لا توجد  
خدمات هاتفية . وقلت له إن الموقف هناك كان يختلف تماماً عما تسمّاه  
مروجو الشائعات . ثم أحطته علماً بكل الخطوات التي اتخذناها لمعاندة  
الفوج الأول ، وبالروح المعنوية للمهجرين ، وبالوداع الحار الذي لقوه من  
كل الأهالي ، وبميعاد تحرك القطار وما حمله من حاجيات الركاب . وبدأ لي  
أنه كس مرتحاً للغاية ومسروراً لسماع قصة البداية لطيفة التي حققناها .  
وأخبرني أن اللواء حسن بشير نصر ( رئيس هيئة الأركان وعضو المجلس  
الأعلى للقوات المسلحة ) واللواء محمد أحمد عروة : وزير الداخلية ، والسيد  
سليمان حسين : وزير المواصلات ، والسيد مكي العنا : وزير الري ، قد  
وصلوا إلي حشم القرية ليشهدوا لاستقبال الصبح الذي تم إعداده إحتفاءً  
بوصول الفوج الأول . ثم تحدث إلي اللواء عروة مهذباً لنا علي البداية  
السيّجة ومؤكداً لي أن كل الاستعدادات قد اكتملت هناك لاستقبال المهجرين  
وإراحاتهم . وأختم المحادثة عثمان حسين الذي أطلعته علي كل التفاصيل

وعلي أمتعة الركاب وعلي ساعة معادرة الفطور وادي حلفا . كذلك أجريت إتصالات هاتفيين أحدهم مع الحاكم العسكري والأخر مع مدير المديرية بالدمر .

وأرسل صابط الإعلام تقريراً مفصلاً إلي إدارة أم درمان تمت إداعته في الساعة الثامنة مساءً . وفي اليوم التالي قدمت الإذاعة برامحاً حاصلاً أحاطت بوقائع المناسبة وشمل البرنامج خطبي الذي لقينته هي مرةً والذي أذيع عدة مرات . وفي صبيحة الساع من يناير أوبرت كل الشعب - هي عناوينها الرئيسية - أثناء عملية التهجير وعطت -بالنصيل عبر مراسليها الذين كانوا بين ظهرانيها في وادي حلفا - أحداث معادرة القوحي الأول من المهجرين .

وأفاني علي أحمد علي - الذي رافق القطار إلي حشم القرية بأن قبيلة الرباطات عن بكرة أبيها كانت في استقبال القطار بمحطة أبو حمد حيث كان الترحيب جازاً ومصياً . وجاء عباس النجاني - الصابط الإداري لمدينة بربر إلي المحطة ليرحب بالقادمين الذين قدمت لهم جميعاً أقذاح النشاي من أوان ضخمة (قيرانات) . واستقبل المسافرون فيما بين أبو حمد وعطيرة بمظاهر المحبة والتعاطف بكل المحطات . وفي عطيرة كان هناك حشد من الناس - جاء بعضهم من الدامر ليكونوا في استقبال القطار ونقاصر دويو عطيرة تلقائياً - علي المحطة للترحيب بأبناء عمومته المتوجهين إلي وطنهم الجديد، إلا أنهم لم يحطوا من الاقتراب من القطار . وأقيم احتفال كبير بالمحطة حضره العميد محمد المهدي حامد والسيد حسن قرين والسيد محمد الفضل . وانبري الحطباء يعبرون عن اهتمام كل للمواطنين

بمصدر أدالي حلقا جميعهم ويتمنون لهم السعادة في مقرهم الجديد . وقبل أن يستحرك القطار انهمرت الهدايا - من جوانات السكر ودقيق القمح والأرز وصفايح النخس والزبد والزيت والحلوي ( لأطعم ) - أنني جاد بها الأفراد وممثلو السلطات المحلية . وفي محطة (مسار ) جاء الهدنوة يتلقون القطار بأولني الثماني المتروعه يطوفون بها علي الركاب بالشكر والترحاب .

وبالزعم من أن القطار قد وصل الي محطة (هد) في ساعة متأخرة من الليل وفي برد قارس ، إلا أن ذلك لم يمنع أعداءاً كبيرة من الناس أن تكون ناضطاره . وكان من بين المستقبليين الشيخ ( بريق ) أحد رعماء الهدنوة الذي جاء من مقره البعيد في صحبة رؤوس من قومه وهم يحملون جوانات الدقيق والسكر وصفايح الزبد والحصل . وألقي الشيخ ( بريق ) كلمة مطوكة بلهجة انجب - رعم معرفته الحيدة للعربية - أكد فيها للتوبيس أن للهدنوة لهجتهم المستقلة مثلهم . وبعد أن رحب بهم ، أمر علي إدراك البجا العميق لحجم التصحية التي بذلوها لصالح الأمة جمعاء ، وطمانتهم علي احترام قومه لهم وحرصهم علي العيش معهم بسلام وحبور ثم قدم هديته التي قال عنها إنها رهيبة إلا أنه رجا قبولها باعتبارها عربود للصدافة . وحدثني (علي) بأن الجميع قد هدهم الشعور النبيل الذي أهداه أولئك الناس وأنه قد أنني علي خطية الشيخ ( بريق ) مؤكداً احترامهم وتقديرهم له ولقومه جميعاً .

وفي محطة (أرما) ، توافد الهدنوة من (تمدي وهادي ومتايب وجرجر وتوقار وهمشكورس) ، لإستقبال خيراتهم الجدد . وكان مثيراً أن تراههم بشعورهم المليئة التي تنصح بالدمن وسيوخهم وحاجرهم وعصيتهم المتهدلة من أكتافهم . وجاء الماطر ( محمد الأمين ترك ) علي رأس رعماء

قيلته لاستقبال القطر . وتجمع كافة أهالي أروما من التجار والعمال والمرارعين والموظفين وتلاميذ وتلميذات المدارس في القاء المقابل لرصيف المحطة انتظاراً لوصول القطر . وعندما دخل القطر المحطة مروراً بصنع الكرتون أطلقت صافرة المصنع صغيراً عالياً تحية للركاب . ثم ماجت المحطة كلها بصحب عيب . . للنساء يوقعن علي ( الذلوكة ) ويغدين . . والهندوة يضربون بحس باطرهم ويهتفون مرحبين بالجاوية ( نايوا . . نايوا ) بينما رفع آخرون لافتات من القماش تحمل عبارات الترحيب . وفي حقيقة الأمر فإن الجميع كانوا يهتفون ويوحيون بأسيهم . وألقى (علي ) كلمة شكر طيبة في الجموع . وقبل أن يعادر القطر امتلأت عرباته بهدايا المستقبليين .

وفي كسلا - وحال معادرة القطر أروما - بدأت الكتل البشريّة تتقاطر علي المحطة . وتوافد كل أهالي المدينة ليكوبوا في استقبال القطار كما توافد عدد كبير من سكان حي الشعيه وقري (البي عامر ) المنتشرة علي صفة نهر القاش إلى جانب (الرشايدة) للرحل الذين تصادف درولهم بالقرب من مدينة كسلا . وعندما وصل القطر ، كان الاستقبال إسطورياً . فقد نصاعدت في الجو إفعاعات اللوكة وغناء النساء وهتافات كل الذين أموا المحطة من الناس . وقال (علي) - يصف المشهد - : ( لقد هزتنا حرارة الاستقبال . فسكان كسلا كانوا علي الدوام ودودين ومتكففين بالحنان . وعدد زيارتنا الأولي لهم في أبريل ١٩٦٠ طوقوا أعناقنا بعواطفهم وكرمهم (الأصيل) . . وتتابعت كلمات التشجيع من الشخصيات القيادية ببلية من مواطني المنطقة تعبيراً عن الترحيب بمواطنيهم الجدد وإعلاناً عن سرورهم

بمجيء أهالي حلفا للعيش إلي جوار مدينتهم، وليتقاسموا معهم جهود تنمية المديرية وقد ردّ (عليّ) علي كلماتهم بحطاب نليع ثم تبعه الشيخ محمد عبده بحدث جرى حشد فيه عبارات إنجليزية مكثرة كانت مدعاة للإصحاك والأرنبيح . وجمع سكان كسلا خاصة المزارعون - أكواماً مكتسة من الحيوانات والسلال المليئة (بالقرب هروت) والليمون والموز وكميات مهولة من الخضروات من كل صنف بالإضافة إلي أنواع أخرى من المؤن ، حملوها إلي عربات القطار ولقد كان حجم الهدايا التي تدفقت علي المسافرين علي مدي الرحلة - كبيراً للغاية بحيث أن القطار - عندما وصل إلي حشم القرية - كان محملاً بما يقوى حاجة المسافرين وبما يتعذر معه حمل المزيد . وأتجه القطار من كسلا مباشرة إلي حشم القرية وعندما عبر القطار قطرة البطانة ، لمح الركاب نهر عطبرة .. وترك المشهد انطباعاً - في نفوسهم بصالة النهر منازب بالثقل العريض الذي حلقوه وراء ظهورهم، لكنهم استعجبوا لمسطر القطعان الهائلة لإبل (الشكرية) التي تجمعت علي ضفتيه تستقي في تلك الساعة من النهار . وعندما وصل القطار إلي حشم القرية ، كان في استقباله عثمان حسين ومساعد (محمد محبوب حسب الله) والموظفون، حيث رحبوا بالقائمين وصحبوهم إلي منطقة إعادة الإسكان التي إتجه إليها القطار فوق الحط الحنيددي الجديد المتفرع من القصيب الرئيس .

وتمثل الركاب والقطار يسرع في إتجاه منطقة إعادة التوطين ، وتعلقوا كلهم بوافد العربات وعيبرهم مشوقة للاكتحال بلمحة أولي من وطنهم الجديد . وعندما كان القطار يسرع نجاه (محطة الشيخ عمر) ، حجبت الحراف العالية للعرع الشرقي للقفء - عن أنظرهم - مشهد القرية ، وحين عبر



القطار القنطرة ، إنكشف فجأة أمام أعينهم منظر وطنهم الجديد . هي تلك اللحظة برزت الرؤوس من كل نوافذ القطار بعيون قلقة وقلوب نافذة الصبر . فعلى يمينهم - وعلى مقربة من سفح جبل المعيفل - ظهرت البيوت البيضاء لقرية هرم شرق ( القرية رقم ٣٣ ) التي شيّبتها شركة (كرف) والتي ظهرت ملامحها جيداً أمام الحافلة الحمراء للمزرعة التجريبية . واستطاعوا أن يروا في مواجهتهم - مباشرة وعلى البعد - برج الإشارة ثم - على مسافة أبعد مبانى المحطة - وعلى يسارهم بما يبعد عن نصف المسافة إلى خط الأفق ثلاث منازل قراهم البيضاء عبر خففات ضوء السراب وكانت المنطقة برؤسها قد ثقت بثقوات وقُسمت إلى مزارع وحرثت تربتها إنظاراً لتفلاح .. هنا كل الزكّاب يستعدون لمغادرة القطار . فإذا بالعبات يخلعن الجرجار ويرتدين العسائين العنابية ( اللابس ) التي تستر جسم المرأة بأوسط السردان . أما اللاني تقمت بهن السر فقد نمسكن بزيهن الوسي . وقد تمصّيت أن لو خرج جميعهن من القطار بملابسهن التقليدية لتأكيد قوة الضامح الذي يميّزهن . وما إن بلغ القطار برج الإشارة حتى أفعال النوبيون البطّارة بالجموع الراحرة وبالأمواح البشرية المتلاطمة التي ملأت المنطقة المحيطة بمبانى المحطة وأدركوا صحامة الاستقبال الذي كان يسطرهم .

وبعد أن مرّ قطار بيرج الإشارة ، أحد بضئ بيض طفق السائق يطلق صافرات منقطعة نحية للمستقبليين وهو يدخل للمحطة وكان حريد التحيل الذي راس مقدمة القطار بطق مدي إعرار الركاب لشجرة حولهم التي مسحهم الحياة طوال وجودهم في وطنهم القديم . وأحيراً وعدء أنهى القطار

رحلته التاريخية وتوقف بالمحطة ، أحب إحدى الفرق الموسيقية الكسائوية  
تعرف أعضاء الشجيرة .

وتجمعت الحشود من كل أنحاء المشروع للترحيب هؤلاء القادمين  
الذين توأصت أعمال إعادة التوطين من أجلهم سبعين عديدة . وحاء العاملون  
في حقل البناء وفي مصلحة الري وفي وزارة الزراعة جميعاً بالمشيدات  
ووقف الوزراء والموظفون ينتظرون - جميعهم - علي الرصيف . وسرع  
أهالي قرية خشم القرية القطار وأنصموا الي الحشد الذي بلغ حجمه المنتهى .  
وشاهد - علي البعد - في الطرف الشمالي آلاف من الناس علي أسطح  
المشيدات والعربات الثقيلة يشكّلون أبراجاً وأعمدة من الأجساد البشرية . وإلى  
الجانب اعلى آلاف الشكرية الإبل وأقاموا جداراً طويلاً سميكاً من لحم ودم  
، وكان منظرهم بديعاً وهم يهزون سيوفهم تبعاً لعدائهم . وبررت في  
منتصف الحشد - لافتت الترحيب ، ولاحت لوحات كتبت عليها عبارات  
التحية والسلام مثل : ( حللتم أهلاً وبنلتم سهلاً . ) و - ( أهلاً بكم في وطنكم  
الجديد . ) .

وتقدم إلي لقطار اللوء / حسن بشير والورراء وأعضاء لجنة إعادة  
التوطين وماظر الشكرية وطافوا علي الركاب محبين . ثم حملاً المرصي تحت  
إشراف وزير الصحة شخصياً إلي مستشفى صغير مؤقت مجهز بكفاءة تامة ،  
بينما نقل باقي المسعريين وأمتعتهم بقافلة من السيارات إلي قريتهم الجديدة .

وفي قرية عرص غرب الجديدة ، قام عثمان حسن ومساعدوه بإرشاد  
القادمين إلي مدارلهم . ولم تكن هناك صعوبة في أن يتعرف كل ساكن علي  
مرسله إذ أن أسماء المالكين كانت مدونة علي الأبواب بصحيفة عبارة (

أدخلوها بسلام آمين ) .. وكان إطباع السكان الأولي من مستوى المنازل - مدعاة لسرور عامر - وقد عثر العملة صلاح وبعض أعيان فرص الآخرين - عن ذلك الانطباع عندما جئتهم بأحر الأفواج المعارضة من سره . يقولهم . ( لم يكن تصديق أول الأمر - أن هذه المنازل كانت ملكاً لنا . لقد شعربا وكأنا موظفون يفتشون منازل حكومية . ) .. لقد قالوا فيما بعد - إنهم دخلوا كل غرفة وحدقوا في الجدران والسقوف والأرضيات ، ثم خرجوا يضربون إلى المنازل من الخارج . وكانوا سعداء للغاية بسماع صياحات الفرح المستنطق من حاجر النساء في كل بيت . ووجدت كل أسرة أمتعها محفوظة بأمان في منزلها إلى جانب ( رير ) ماء ورجاحة كبروسين وعلبة ثياب . كما وجدت في زاوية السور الخارجي حرمة من حطب الحريق وبعد قليل من الوقت ساق العمال البيطريون النهل إلى داخل القرية وسلموها لأصحابها . ولم يكن (علي دقلا) - المقاول الذي يبي القرية - بأقل أريحية وتقي من (نوربو) الكاثوليكية المذهب . فقد شيد في منتصف القرية مسجداً ملحفاً به دكانين لبيع اللحم والحصار على نفقة الحاصة وجعله وفقاً لأهاليها . وكان هذا العمل هدية مخفية تقبلها أهالي فرص بالشكر والعرفان . أما الشيخ محمد عبده شخصياً - فقد سره أن يجد مسجداً يمارس فيه مهم الإمامة . وجلب المهندسون الاستثنائيون كميات كبيرة من العاكهة الطازجة من كسلا وقدموها مجاناً إلى الصيوق القادمين . وندح أعيان القبل المجاورة عدداً كبيراً من الثيران والكباش احتفاءً بأهالي القرية وطعم الناس جميعاً في ذلك اليوم بويون وغير بويون .

واربعت القرية ذاتها بالأعلام والرايات وأسيرت الساحة الرئيسة  
بالتزيت الملونة والكاشفات التي استمدت إصاعتها من المؤكد الكهربائي لملي  
دنقلا

وفي المساء بدأ الاحتفال الرسمي وملأت الجموع ميادين القرية  
وشوارعها واختلطت صريرات اندلوكة وبعات الموسيقى بغناء النساء . وفاد  
الشيخ محمد حمد أبوس ( ناظر الشكرية ) قبيلته للمشاركة في الاحتفال .  
واعنتلى اللواء عزوة منصة الخطابة وألقى خطاباً مطولاً وشاملاً ،  
رحب فيه بأهالي حلما في وطنهم الجديد وأكد لهم أن كل الترتيبات قد اكتملت  
لإقامتهم القرية ولإتجاح مهمتهم كمرارعين في المشروع الجديد . وتطرق  
إلى كل مظاهر الحياة الجديدة وشجعهم على العمل الدؤوب واستثمار ما أتبع  
لهم من الفرص . وتلاه السيد سليمان حمير وزير للمواصلات النوبي  
الأصل - فأكد لهم أن الحكومة ستواصل رعايتها الخاصة لهم حتى يعتادوا  
على نمط الحياة الجديدة . ثم ألقى اللواء الطاهر عبد الرحمن المقبول -  
الحاكم العسكري لمديرية كسلا - وعثمان حسين كلمتي ترحيب وتبعية  
ناظر الشكرية الذي تحدث حديثاً طيباً رحباً فيه بالقدامين مؤكداً أن الشكرية  
قبيلة تتسم بالكرم والشرف وأن تاريخهم يرحر بدلائل الوفاء لجيرتهم . ثم  
رحب بأهالي حلما في موطنهم الجديد قائلاً إن قبيلة الشكرية قاطبة - رجالاً  
ومالاً - تقف رهن إشارتهم وقدم خنية شخصية قولها خمسة وعشرون  
بكرة حلوباً وقطيعاً يتكون من خمسين كبشاً لصيوفه الجدد . وقام أعيان  
الشكرية ورجال القبائل التي تنتمي إليهم بتقديم هدية من مائتي ثور . وتقرع  
الشريف إبراهيم الهدي بثلاثة من الإبل احتفاءً شخصياً منه بالقدامين .

ورد (علي أحمد علي) بحديث معهم بالعاطفة قنلاً ( إن الاستقبالات الحارة والحانية التي تلقيناها علي طول الطريق من فرص والترحيب والحماس السدي بصفاء الألبان وصرلنا ، أنسان احراب بفقد الوطن ) وأصابع: ( إن أهالي حلفا قد صحوا بأرصهم من أجب وطهم الكبير . و هم حبما يفعلون ذلك لا يطسرن ديثاً من احد من مواطبيهم ولا يشعرون أن احد في السودان يستغي أن يكون مذب لهم بالشكر والامتنان . فقد ادوا واجبيهم في سبيل وطهم برصاً وكران . ات . ولا راقوا مستعدين لتقديم مريد من النصحيات إذا اقتضى الأمر تقديم المريد منها مستقبلاً )

وبعد أن انقضى الاحتفال الرسمي ، بدأ برنامج ترفيهي من الموسيقى والمساء أنه هرة عمانية موسيقية أوفنتها حصيصاً وزارة الإعلام لإحياء المناسبة . وأمد البرنامج إلي ساعة متأخرة من الليل . وهي اليوم التالي . تسلم عمدة سرّد من زميله العمدة صلاح عمدة فرص - البرقية التالية من حشم القرية :

(لقد حللنا بلجيه . . أسرعوا بالمجيء . )

وأثارت أخبار هذه الاستقبالات - التي تناولتها الصحف وأسئع إليها الناس عبر برنامج إذاعي خاص بث مباشرة من قرية ( فرص الجديدة) مشاعر عميفة في نفوس الناس الذين تأثرت منطقتهم بالعرق والدين تحقّوا من أن قنائل السودان عني تباينها وتنوعها ، تجمعها وشيجة الوحدة وتقرّياها إلي بعضها مشاعر الحب الفياضة . ولقد لمست أنا شخصياً أن الروح المعنوية ليولاء القوم كانت عالية وأن أحراهم قد تلاشت.

وبينما كانت كل هذه الاستعدادات الطبية تجري في حشم القرية ،  
انشعلت بحس بإرسال أمتعة الفوج الثاني من مصر . وعندما وصلت برقية  
العمدة صلاح إلى سره ، كن قطار الفيضاعة يدخل - سائقه - محطة (الشيخ  
عمر) . وفي الثامن من يناير غادر فوج (فرص غرب) الأخير إلى الوطن  
الحديد كسابقه وودع بنفس المشاعر الدافئة واستقبل في الطريق مثلما استقبل  
الفوج الثالث . وقد صحب (سليم) هذا الفوج إلى حشم القرية وحيث كان حسن  
طبه ولجنته قد قاموا بتوزيع منزل قرية (سره غرب الجديدة) تبعاً للخريطة  
قبل أن تصلهم القوائم في معية نديم ، وفي ذات الوقت كل معتمد التعويضات  
قد فرغ - تقريباً - من دفع مستحقات أهالي سره . واتجه عمال السكة الحديد  
إلى سره ، وبدلوا في إخلاء أمتعة الفوج الثالث وقد لاحظت أن أولئك  
العمال قد اكتسبوا خبرة مكنتهم من أداء عملهم بسرعة أكبر .

وعندما كنت أدرس مسئولياتي بسره رافقت صديقين إلى (فرص)  
لإلقاء نظرة على ما صار به إليه بعد الإخلاء . فتجولت برفقتي ودخبت بعض  
المنازل . فوجدنا أن الصحاف الخرفية التي تزين البوابات قد برعت ولم يبق  
منها إلا أنرها الذي انطبع على الجدران الطينية المحيطة بتلك البوابات وعم  
السكون المطبق القرية إلا من الكلاب التي تركها أصحابها من خلفهم.  
وظهرت آثار الصباغ حول القرية وهي داخل غرف المنازل مما يدل على أن  
مجموعة منها قد تسلمت إلى هناك في الليلة الماضية . وبدأت القرية محتلة تماماً  
عما كانت عليه (فرص القديمة) التي عرفتها فيما مضى ، فقد طهر عليها  
الحرر وبدأ جوتها مهيماً لأنسي أذكر حالتها قبل التهجير . وبطرت يمة  
ويساراً إلى الأماكن التي كنت ألتقي فيها بالأهالي وأتجاسد معهم أطراف

الحديث ، وإلى المنازل التي كانت يوماً ما مأهولة بأناس ودودين وكرماء كم دعونسي إلى دخولها . وسقفتني ذكرياتي إلى الاستغراق في حضم عميق من الرؤى جعلتني أتصور عياناً أشاحهم وأشكالهم المميرة .

وصعب علينا ان نطيل الوقوف في تلك القرية المهجورة ، وعندما ركبنا العربية تحمعت الكلاب وأخذت تجري من حولنا، ولم يظهر على تلك الكلاب الجوع لأنها - كما يبدو - تكادوت وجيه مشبعه من فصلات ديبج النواجس في اليوم السابق . وعندما غادرنا المكان لاحقاً بعصها على طول الطريق إلى سره بحساساً منها بما وجدته فيها من مسحة إنسانية أرادت أن تتشبث بها . وعندما عدت إلى مدينة حلفا أمرت شرطته بالذهاب إلى (فرص) وإطلاق الرصاص على ما تبقى من تلك الكلاب راحة بها من أن تجن جوعاً.

وغادر الفوج الثالث من المهجرين - بسلام - من سره إلى حشم القرية بنفس المشاعر الحنونة من ألهم القاطنين على الصوة الشرقية وبدات الاستقبالات السوداء في كل المحطات الواقعة على الطريق . وفي المحطة (رقم ١٠) ، عند نهاية صحراء العتمور ، أ جاء المحاص بحدى الحوامل فولدت ذكراً قبل أن يصل القطار إلى أبو حمد . وجاءت عملية الولادة - على يدي القابلة - بسيرة وبطفل معافي كان أول من ولد أثناء الرحلة ليريد عدد الركاب واحداً . وتخلد المناسبة أطلق عليه والده جمال صالح للشيخ اسم : ( حمد ) .

وبما أن الفرح الرابع كان متوقعاً له أن يكون لأخير قبل حلول شهر رمضان ، فقد قررت أن أصاحبه حتى بلوغه قرينته الجديدة لأرى بعيني

أحوال أهالي قرص هالك وقد سحب هذا الفوج أيضا عمدة سره الذي رفض أن يسافر مع الفوج الأول وأثر ن يبقى ليطمئن على معادرة احر المهجرين القرية بسلام

وفي يوم الرحيل ١٢ يناير - تلقيت مكالمة هاتفية من نقطة الشرطة بعرض تفقد بوصول شخص من (بلاته) - على الحدود المصرية يقول بأنه وثلاثين شخصا آخرين قد جاءوا من القاهرة بعرض الالتحاق بأسرهم قبل أن نعاد إلى (قرص الجديدة) . وسببة عدم وجود وسيلة انتقال تصلهم بالفوج ، فقد التمسوا مني اتحاد ما يلزم لترحيلهم إلى سره لأنراك القطار الأخير المتأخر إلى قريتهم الجديدة مشتم القرية . ولأنهم لم يكونوا يحملون معهم متعة سوى حقائب صغيرة وبعض اللقافات ، فقد بحث إليهم بالقوارب الحجرية للسكة حديد والشرطة لتجئ بهم قبل أن يتحرك القطار . ولحسن الحظ فقد وصلوا في الوقت المناسب ، وأخبرني أحد البحارة أن هؤلاء الأشخاص عند مرورهم بقريتهم - أطلوا النظر إليها بأسى ، ثم أخذوا يلعنون كلاً من الرئيس عبد الناصر والرئيس عبود على ما سبباه لهم من أذى.

وفي الساعة الرابعة مساءً بدأ إجلاء الركاب من القرية إلى القطار ، وقد كان العدد هذه المرة أكبر من سابقه ، فبدأ أصيب إليه أبناء (قرص) القادمين من مصر - والذين وصلوا في ذلك اليوم يكون القطار قد امتلأ تماماً . وقد التمس مني عكاشة صالحين وقلة من أهالي قرى أخرى ، السماح لهم بمرافقة الفوج وزيارة رفاقهم (بعرض شرق الجديدة) بحضم القرية ، موافقت على طلبهم مما أسعدهم أن يكونوا - معنا - من المسافرين .



وفي الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين مساءً -- أي بعد الغروب غادر القطار محطة (سرة شرق) وكان في وادعه أهالي سرة شرق وأهالي دبيره. وعندما مر القطار بدبيره جنوب وأشكيت ، اصطفت الأهالي قبالة خط المسكة حديد وهم يهرون مصابيح الزيت المصينة ويرفعون أصواتهم بتحية الوداع : ( عذيلة . أهالوهو .. هير أوقو ) و غادر القطار صبة وادي حلفا في الساعة الثامنة مساءً ، وعندما وصل عطبرة استقبلته جموع كبيرة من الناس . وأصنرت جماعة النوبيين هناك بقب رجل واحد على مقابلة أهلها ، فسمح لها بذلك وقصت وقتاً طويلاً دخلت خلالها القطار . كما أن العميد محمد المهدي حامد والسيد حسن قرين والسيد محمد الفصل والسيد عبد الرحمن محبوب وقائد الشرطة ، كانوا جميعاً على رصيف المستقبلين . وتحدثت معهم طويلاً حول كل جوانب عملية التهجير ، ولم أنس أن أنقل لهم نداء لأهالي على الاستقبال الذي وجده الأفواج المسافرة وما تركته في نفوسهم من أثر طيب . وشكرت كذلك محمد الفصل على التجهيزات الخاصة التي وفرها على قطارات التهجير وعلى جهد عماله المجهد تحت إشراف (السريري) . وقبل أن يغادر القطار عطبرة ، تلقى الركاب هدايا مقدرة من المستقبلين .

وفي محطة ( هيا ) ، جاء الشيخ (بيرق) - للمرة الرابعة في أواخر الليل لاستقبال القطار ، وألقى كلمته الطيبة وقسم هداياه الكريمة . فرد عليه عكاشة صالحين بحديث معبر قال فيه إنهم طلوا يتابعون - بكل التدبير - المشاق التي يتكبدونها الشيخ وقومه بالمجيء من صفائح بعيدة لمقابلة قطارات التهجير ، وإبهم يعثرون بكرمه الأصيل ومشاعره العفوية تجاه مهجري

وادي حنعا . وأكد له أن الاستقبال الحافل الذي أظهره أهالي مديرية كسلا كان صمات على ما ينتظر العلاقات بين الطرفين من مستقبل مشرق . وفي (أروما) رأيت المحطة تملح بالهندوة وبأهالي الصبية ، يفودهم الدطر (ترك) وأعيان قبيلته . وقد الصايط التبعيدي ابو حير الحاج أجز - أعضاء المجلس البلدي يجمعون تقاطر على المحطة كل التجار والعمال والموظفين . وبعد الاستماع إلى خطبات عديدة ، ألقى عكاشة كلمة شكر بليلة اتم حملت هدايا من جارات وصفائح الزاد إلى انقطاع مثلما حدث في كسلا .

واستقبل عثمان ومحمد محبوب حسب الله القطار لدى وصوله إلى حشم القرية . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين من يوم ١٥ مارس وصل القطار إلى المحطة القريبة من قرية سره . وبصبت حيمة واسعة بالمحطة لإنزال القادمين وقامت لهم المرطبات جميعاً . وحضر إلى المحطة كل أهالي فرص كما حضر أهالي سره الذين انتظموا في الفوج الأول وذلك لاستقبال أقربهم . وعندما رآني الشيخ محمد عبده - الذي عمره السورر خاطبني بالإنجليزية ( بما نصه بالعربية ) قائلاً : " أهلاً .. كيف حالك ؟ " وتبادل معي العدة الشط صلاح حديثاً طويلاً بالمحطة عز فيه عن شكره لما بذله من أجل تأمين رحلاتهم وأخطرتي بأن الجميع كانوا شوقين وكرماء بهم سد وصولهم . وبعد أن تم نقل المرضى إلى المستشفى حمل الركاب بالسيارة إلى قريتهم وأحلوا مسكنهم الجديدة .

وفي المساء ذهب إلى قرية فرص لالتقي بأهلها في شوق متبادل وكأننا افتراقنا - عن بعضنا - زماناً طويلاً ، وقد تمست التعبير الكبير الذي اعتري أحوالهم إلى درجة أن أياً منا لم يكن ليصدق أن ما حدث يمكن أن

يصير في فترة قصيرة لا تتعدى العشرة أيام واستقلوني بحفاوة وأصر كل واحد منهم على أن أدخل بيته صيفاً عليه . وفي نهاية الأمر رحلت أغلب المنازل وقد أسعدني أن وجدت القوم في سرور وحبور . وكان الشيخ محمد عيه فحوراً بمسحده فأحدثني لمشاهدته وهناك علق مارحاً بيته - وهو حريج الأزهر وبطل عملية التيجير يتوقع أن يعينه الرئيس عيود وريراً للأوقاف وبعد أن قضيت وقتاً طيباً مع أهالي فرص ، ذهبت إلى سره فوجدت الناس - كذلك - في روح معنوية عالية لكنهم كانوا مشغولين بوصول القادمين الجدد وذهبت كل مساء فرص - إلى هناك لمساعدة صديقاتهن في فصل الأمتعة وترتيب منازلهن . وجئنهن بكميات كبيرة من الطعام المطبوخ الشهي الذي يتفوق على ذلك الذي يقدمه مكتب التوطين إذ أن الأول أعد على الطريقة الدوبية .

وأخبرني العمدة صلاح الذي صحبني في زيارتي لسره . أنهم استعجبوا - عند دخولهم قريتهم لرؤية قطعان من الحمير الهائلة تمرح في أرض المشروع . لكنهم علموا مؤخراً أن اللواء طلعت فريد قد جلبها إلى هذه المنطقة - عندما كان صابطاً صغيراً إبان الحرب العالمية الثانية ، حينها كانت قوة دفع السودان تستعد لشن هجومها لاستعادة سيبة كسلا من الطليان في يناير ١٩٤١م . فجاء العقيد فريد بقطعان من الحمير ليستخدمها الجيش في عملية إزالة الألغام من مسار الفرق العسكرية المتقدمة وحال استعادة المدينة ، تم تسريح القطعان في منطقة حشم القرية لترعى في سهول البطانة وتمسقي من مياه نهر عطبرة ، وما لبثت أن تصاعف تحدها . قال العمدة

صلاح (بعد الوقوف على هذه الحقيقة ، أخذ كل من حماراً إلى بيته لاستخدامه في حمل حاجيات مررته ) .

وبعد أن قمت برحلة (سره) رافقت عثمان حسين في جولة على القرى الأخرى والمدينة فلاحظت أن سرعة إنجاز المباني تفوقت من قرية إلى أخرى . بعضها أوشك أن يكتمل بينما لم تتجاوز نسبة تشييد بعضها ٥٠ % . وقبلت عند الله شدة وهباته على لتحار مباني القرى الأولى في الوقت المحدد رغم أنها - تبعاً لشروط العقد - كل ينبغي أن تجر مد وقت طويل . فاحسبي بأن المواعيد التي ضمنت في العقود فرصتها الحكومة دون تفكير مسبق مع المقاولين . وأصاف قاتلاً إن كلاً من الحكومة والمهندسين الاستشاريين كانوا يدركون تماماً أن المواعيد التي تم تحديدها كانت مبكرة جداً ، لكنهم أصرروا عليها للضغط على المقاولين لإتمام العمل بأعجل ما يمكن . ثم قال : " الحقيقة إن معظم المقاولين أنجزوا ما لم يكن في حسابنا ، ولا بد لي من أن أخبرك باسم جميعاً تقرينا قد استوردوا آلات تصنيع المكعبات ، الأسمنتية جواً من إيطاليا وكانوا يعملون على مدار الساعة . ومن خبرتنا الدائرية فإن سرعة الإنجاز كانت أكثر من مرصية ونؤكد لك أن جماعتك سيحلون بسلام في قرأهم قبل أن يدركهم فيضان بحيرة الأسد العالي " وقد أراحني هذه الكلمات لأنني رأيت ما يؤكد من جهود المقاولين .

وعند عودتنا ، جلست وعثمان لمراجعة برنامج التهجير لينماشى مع المواعيد المستوقعة لإكمال مباني القرى بخشم القرية . وكان لي أيضاً - حديث مطول مع علام الذي أمضى وقتاً طويلاً بخشم القرية يشرف على وصول وإعداد تخطيط الأبراج الأربعة للمبشرين وتدارسها الموقف في كل

من وادي حلف ومطقة إعادة التوطين . وفي اليوم التالي (أي ١٦ يناير ) حُرِّمَ شهر رمضان وأصبح الجميع صائمين . واستُقبلتُ سيارة (لاند روفر) إلى ودندي لزيارة والدي الذي لم أراه منذ سنوات والذي كان يكافئني على الدول وأنا سوادي حلفاً دائماً إتياني لأعمل كل ما في وسعي لمساعدة النوبيين حتى يتحاوروا محبتهم . فقد عمل بوادي حلفاً خلال عشرينيات القرن العشرين عندما كان موظفاً حكومياً ، وكانت فكرته عن النوبيين إيجابية . وبعد أن قصيت نصف يوم بودندي أسرعنا بالعودة إلى وادي حلف عن طريق الخرطوم .

قصينا رمضانا شديد البرودة تميزَ بطقس قارس وجاف هبطت فيه درجة الحرارة - عند منتصف الليل - إلى نقطة الصفر (متزامناً مع الشهر القسطي : طوبة) . ويقول النجارون النوبيون إن " اشماسير لا تلتوي أبداً في شهر طوبة ، لكنها تنكسر . " ولا أدري إن كان ذلك صحيحاً أم خطأ ، لكن الطقس كان شديد البرودة بحيث كل يعلب علينا الجوع ويعتري جلود الجوع والخشونة . وبحلول العيد هزلت اجسام الجميع وحف وزنها وخلال شهر رمضان أعدتُ ترتيب البرنامج النهائي المراجع وطبعته .

وبعد أن مضت أفراح العيد ، واصلنا برنامج التهجير . ففي السادس من شهر مارس تم شحن متعة العوج الأول من أهالي (فرص شرق) بسهولة نظراً لأن هذه القرية تقع على خط السكة الحديد مما وفر علينا عملية نقل الأمتعة إلى الباحة ثم عبور النيل ، فضلاً عن أن هذه القرية تمتد على سهل مسطوح مكننا من استخدام الشاحنات الثقيلة . وعند منتصف النهار كان القطار

قد شجى بالامتنعة و الحيوانات ثم غادر إلى حضم القرية هي الساعة الواحدة ظهراً .

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ذهبتُ إلى فرض شرق  
لأفاجأ بخلو المحطة والقرية من الناس . وعندما استعسرت عن أين ذهب  
السكران ؟ أجابني أحد عمال السكة حديد بأنهم جميعاً قد حرجوا إلى المقابر .  
فذهبت بدوري إلى هناك ، وعندما وصلت إلى قمة مرتفع من الأرض بعصل  
القرية عن المقابر ، رأيت مشهداً غير مألوف . فقد كان الأهالي يحملون  
جريد النخل ويضعونه على شواهد القبور بينما كانت حنقة النكر تدور حول  
المقبرة . وزيت قبة العكي عثمان وهو أحد الصالحين الذين عرفتهم القرية  
بلايات الخصراء لطائفة الحتمية وقد أحاط بها الناس وهم يقرأون قصائد  
المولد العثماني<sup>(١)</sup> . كان المشهد مؤثراً للغاية . وبعد أن قصي مكان القرية  
رهاء الساعتين وهم يترحمون على الأموات ، عادوا إلى القطار وهم يرفعون  
راياتهم العريضة الخضراء .

وعندما كان المرحوم العمدة محمد الأمين يبثي انطباعه وتقديره  
للتربيات الحسنة التي أصبها لرحيلهم ، هرتنا - فجأة - مشهد عاطفي  
عميق . فقد رايت شابة في العشرين من عمرها تحضن سيدة متقدمة في السن  
والإنسان تصم بعضهما بعاطفة حياشة بينما انهمرت من مآقيهما الدموع .  
وكان أبنيهما وتوجعهما يمرق بياض القلوب . وعندما سألت العمدة عن الخبر  
أجابني أبهما أنه وأبنته حكم الزمان عليهما بالفراق . وقد كانت اليبس تعيق  
مع زوجها في قرية (أسدن) بالقرب من (فرص شرق) على الحدود المصرية

سورة مائدة او سورة (المائدة) التي يلقونها شعر لبيد غيلد غيلاد ابن حني من مصر انظر بقية حتمية

. وبما أنهما سيرحلا إلى (كوم أمبو) قرب أسوان ، فإن البنت جاءت لوداع أبيها وأُمها الذين سيعدان إلى حشم القرية .. كن الشهيد محرباً لأنهم قد لا يرون بعضهم إطلاقاً مرة أخرى . وبلغ بي القائر منتهاه فانتحيت جانباً لأكشف دموعي . وكان ذلك أحد المشاهد المقلعة في مأساة (عملية التهجير )

وهي الساعة الحادية عشرة صباحاً غادر القطار بالعرج الأول من أهالي (فرص شرق) ، وكانت الأعلام الحمراء لطائفة الحتمية التي تحقق من تولد الحافلات تصفي على القطر مسحة درامية حالصة .

كان يتعين أن تتأخر معادرة العوج الثاني من أهالي (فرص شرق) إلى حين اكتمال مساكنهم بخشم القرية . ولعل القارئ يذكر أن هذه القرية قد أوكل تشييدها لشركة ( ترف ) والتي تركت بعض المنازل عندما انسحبت مؤجراً - دون أسوار ودون مرابض . فأوكلت المهمة إلى وزارة الأشغال وقد همت من عثمان أن المنازل ستكون جاهزة لإيواء العوج الثاني من أهالي فرص خلال عشرة أيام . ولهذا السبب قمت بوضع قرية (الحصا) في برنامج الترحيل المطروح بحيث تأتي عقب العوج الأول لفرص شرق . وعندما ذهب عمال السكة حديد إلى قرية (الحصا) لجمع الأمتعة توطئة لترحيلها ، رفض أهالي القرية تسليم أمتعتهم بحجة أنهم يصدون التقدم بمذكرة لي في نفس اليوم تحوي أسامياً معينة ، وأعلموا أنهم في حالة عدم الاستجابة لمطالبهم سيقلعون عن الترحيل . ربما أنت قد بدأت بالفعل إخلاء العوج الأول لأهالي قرية فرص شرق ، فقد راحت شائعت تتحدث عن نحر الوصع بقرية

(الحصا) وعن أن أحداثاً مريبة قد وقعت بهدف عرقلة عملية التهجير . غير أن حقيقات هذا الوصف تتركز فيما يلي

وصل إلى علمي في منتصف سبتمبر ١٩٦٣م من الأهالي قد بدأوا يحصرون أراضيهم الزراعية لفلاحة الموسم الشتوي . وبالقطف في التحديدات المستمرة في مواعيد الرحيل والقصور في إنجاز المباني بحشم القرية ، كانت سبباً وراء ميلهم للاعتقاد بأن عملية التهجير لن تبدأ قبل شهر أبريل . لذلك فقد لفت نظر لجنة الترتيب إلى هذه الظاهرة وأشرت إلى آثارها غير المستحقة أثناء سير عملية تهجير الأهالي، إذا سمح لتلك التحصيرات الزراعية بالاستمرار . فسمتّع الأهالي عن الذهاب إلى حشم القرية قبل أن يجمعوا حصادهم لليانع . وهي حلقة المطاف طلعت قراراً حاسماً يمنع كافة الأهالي من بدر محاصيل النورة الشتوية. ولأن اللجنة كانت تحس بأن اقتراحي بحوي - صمنا - الرما من المستوليين بأستمرار البرنامج بالإضافة إلى احتمال كونهم غير واثقين من مقرة المقاولين بالالتزام بمواعيد إكمال مباني القرى ، فقد وجهتني بصح الأهالي - من واقع أن عملية التهجير ستستأنف خلال الشتاء بأن يصرفوا عن إدخال أنفسهم في فلاحة الموسم الشتوي وأوصحت لهم بأن من لا يلتفت إلى هذه النصيحة عليه أن يتحقق من مخاطر احتمال أن يعادر المنطقة قبل موسم لحصاد ويلاحظ القارئ بالرغم من الصباغة الهشة لهذه النصيحة للرسمية - أن الحكومة ستكون قد تورطت بالتزام لا فكاك منه إذ تأخرت مسيرة عملية التهجير حتى أبريل... هذا إذ اصبح الأهالي لتصيحة وقد شعرت - شخصياً - بأن مع الأهالي منع باتاً من التحصيرات الزراعية سيكون أفضل من جعل الباب مصف



موارد لينحل منه صناع المتاعب كما يحدث عادة ، وعلى كل حال -  
واجساساً مني تأني أحمل مسئولياتي للأحرار - فقد أصدرت تقييداً مكتوباً  
بشرفنا اليومية في ذلك الخصوص . وكانت ردة فعل الأهالي إيجابية ، حيث  
نحلت كل القرى عن زراعة الدرة التثوية في (الحصا) و (عفش) و  
(دعيم) .

وهناك نقطة ثانية تتعلق بدفع تسجيل الأراضي وحرية تصرف  
النوبيين في أراضي الملك الحر بخشم القرية . فقد وعد الرئيس عبود - بإبان  
رياسته التاريخية لوادي حلفا - بأن يتم تسجيل أراضي الملك الحر الخاصة  
بأهالي المناطق المتأثرة بالعرق كما هي عند حلولهم بالوطن الجديد . ومن  
جهتهم فإن النوبيين أنفسهم لم يطلبوا تعويضاً عن أراضيهم ، لكنهم كانوا  
حريصين على إثبات ملكيتها الحرة حتى يؤكدوا حقهم في الحصول على ما  
يسويها في خشم القرية . ورغم أن لجنة إعادة التوطين قد وافقت على هذه  
الفاعة من حيث المبدأ ، إلا أنها قررت تسبب ما صم لأراضي المسجلة  
ملكاً حراً إلى منطقة المشروع بإيجار شهري قدره أربعة شللات للفدان كما  
هو الحال في مشروع الجزيرة . لكن النوبيين لم يوافقوا على هذه الترتيبات  
التي تجعل أملاكهم الحرة تنوب في أراضي المشروع بيدا الإيجار البحت  
دون أن يكون لهم الحق في حيازتها واستغلالها في حالة رفضهم للاعتراف  
الررعية بين المزارع وإدارة المشروع . ويدنو أن كسر ملك الأراضي  
على وجه الخصوص - لن يرصو بحواشة واحدة في مقابل أراضيهم  
الواسعة . يضاف إلى ذلك أن النوبيين أحسوا بأن القرار لا يتماشى مع  
صمواتهم ولا يتوافق مع روح ما وعد به الرئيس عبود من هنا عم الشعور

بالصميم والتبشكي وبرر سؤال جماعي وجه لكل المسؤولين الكبار الذين راوا  
حلقا وهو . " عملتول أية في الاراضي الملك ؟ "

وعند رار عنام والذي حقا لأول مرة ، تناقش طويلا حول هذا  
الموضوع وشعرت بأنه كان متعطفاً نصفاً مع وجهة نظر انوسيين ووعده  
بأنه سيرفع الأمر إلى اللجنة في أول ساحة وسيحاول البحث عن حل  
وعلى القرى أن يصع في حساباته أن اللجنة قد قررت منح كل أسرة  
سنة مساحتها فدان واحد لانتاج الفواكه والخضروات في مواقع حول القرى .  
وقد بلغت المساحة الكلية لهذه الساتين ٨٠٠٠ فدان تم تجسيها من أرض  
المشروع .

وبما صا صبا إلى (الحصا) فإننا نجد أن أهلها لا يملكون إلا أراض  
محدودة جداً على نظام الملك الحر مما يجعل إصرارهم على إعادة تسجيلها  
بحشم القرية كتعويض أمراً لا يرضى إلى درجة المطالبة الجسدية. لكن إحساسهم  
بالعس كانت توججه مقاومتهم لفكرة التنازل عن محصول قمحهم الذي أوشك  
على الصبح . وسية لعلمهم بصعقت حاجتهم في هذا المقام ، فقد بدأوا  
يخططونها بعض الدعاوى من أجل إحداث تلخير يمكنهم من جمع محصولهم  
قبل معادرة القرية نهائياً . وقد شجع هذا السلوك ملك الأراضي المستثمرين  
للاتضمام إلى أهالي (الحصا) وتصميم دعاوهم في منكرة التظلم التي تقدموا  
بها . ومن جهة أخرى فقد شجعت التطورات الجديدة في الموقف العناصر  
الماهضة لحيار حشم القرية ، فحاولوا مؤازرة أهالي الحصا لكن تلك  
العناصر فوشت منهم بجفاء ، إذ قالو لهم إلهم لا يعارضون التهجير وإن  
يختلفهم مع الحكومة لا يرمى إلا إلى تحسين الأوضاع في الوطن الجديد .

وفي الثامن من مارس ، جازني وفد من ( الحصا ) برئاسة محي الدين الشيخ والمرحوم عثمان أبو الريش وسلموني مذكرة تحوي المطالب الخمسة الآتية أولاً : تأخير تهجير قريتهم إلى حين فراغهم من حصاد الموسم الشتوي ثانياً : إعطاء صمان لصلاحيه المباني الجديدة في حشم القرية لمدة خمسة عشر عاماً تكون الحكومة - خلالها - ملزمة بصيانتها وترميم ما يعثر بها من تصدع . ثالثاً : ألا تكون أراضي الملك الحر جزء من الأراضي الزراعية للمشروع وأن يتم تسجيلها قانوناً خارج حدوده . رابعاً : أن تعطي الحكومة - كذلك - ضماناً بأن ما تبقى من التعويض النقدي محفوظ في أيد أمينة وأن يدفع لهم ساعة وصولهم إلى وطنهم الجديد . وأخيراً : أن تمنح لهم المزارع (الحواشيات) بعقد ايجار مدته ٩٩ عاماً .

وأثناء نقاشي الأول معهم تبين لي عنادهم واستحالة إقناعهم بما يعبر وجهة نظرهم . ولذلك وعدتهم بدراسة مذكرتهم ومناقشتها مع الأهالي عند زيارتي (لحصا) والتي اعتزمت أن أقوم بها في اليوم التالي . وعند معادرتهم مكثني هائكة غلام وأطلعته على الوصف قائلاً إنني سأحاول إقناعهم بالرحيل إلى حشم القرية طبقاً للبرنامج ، رغباً عن أنني بم أكن متفائلاً بإقناعهم . فوافقتني على رأيي وطلب مني الاتصال به عند عودتي من القرية. لقد شرحت أولاً الأسباب التي كانت وراء المطالبين الأول والثالث . أما المطالب الثاني فقد عكس شكوكهم في مثالة المباني بحشم القرية إذ أن العجلة التي كانت تصاحب برنامج التشييد هي سبب المخاوف التي اتابتهم . وأما المطالب الرابع فقد كان مجرد صدى لشائعات راجت - في ذلك الوقت - حول أن الوصف الاقتصادي للبلاد لم يكن مطمئناً . وفيما بعد وعندما تسلموا

تعويضاتهم النقدية بحسم القربة ، تبين لهم أن الشئعة لم يكن لها أساس من الصحة . وأما المطلب الخامس فقد كان فكرة حمقاء لا سابقة لها في تاريخ إدارة الأراضي في بالسودان . وبداء على ذلك جيزت إجاباتي .

وفي اليوم التالي . يصحبي فخير ومحمد فصل الله - ذهب إلى

(الحصا) . كانت أشراف القرية معطاء بعلالة زاهية من حصرة الحقول

وعلى وجه الخصوص فقد كانت سنابل القمح حشر بإفناح وفي مما جعلنا

ثلاثتنا - شعر بالتعاضف مع المطلب الأول من مطالب أهالي (الحصا) لأننا

لمسوا كما في مكسهم لما تصرفنا - التأكيد - غير الطريقة التي تصرفوا بها .

وعند وصولنا إلى القرية وجدنا جمعا كبيرا في انتظارنا . غير أنني لاحظت

أنهم لم يكونوا بالطلاقة والود الذي أعرفه عنهم رغم أنني لم أكن منهم -

حينئذ - أي بادرة عدا . فاستنحت من هيئتهم أنهم كانوا لا يتوقعون من

أخباراً طيبة ولذلك شرحت لهم كل النقاط المتعلقة بتسجيل لأمالك الحرة

بالمشروع مستشهداً بالوضع في مشروع الجزيرة والمائل . أما بالنسبة

لمحصلاتهم السنوي فقد شرحت لهم إلى أن تحديراً قد وجه إليهم بأن عملية

التجهيز تبدأ في الشتاء وأما نصحابهم بعدم بخر محصول الدورة الشتوية ،

وأصغت مؤكداً أن المباني ستكون من النوعية المتينة رغم استعجال إكمال

تشبيدها . وقلت لهم ' إن تعويضاتكم في أيد أمينة وإن الحرية العامة قد

خصصت ما يعطي حقوقكم النقدية ' . وعدم فرغت من كلامي أحدوا

ينظرون إليّ وكان صدقهم حيلة الأمل . وأحطرتني العمدة الصانع بغيرات

حاجة أنهم لن يرحلوا ' لم يستجب لمطلبهم ، فتوكل كلامه بالاستحسان

من قبل المجتمعين وقد أوضحت لهم أنهم إن كانوا يرحلون ستجاية إيجابية

من الحكومة فإن عليهم أن يطالبوا بما هو معقول ونصحتهم بحسم لتسرع في الوصول إلى مثل تلك القرارات الخطيرة أو تنفي تلك الروح الدكتاتورية وقلت لهم إن إصرارهم على عدم الترحيل إلى حشم القرية يعني أن القرية التي حصصت لهم - هناك - ستكون إلى غيرهم من الأهالي الذين هم على استعداد للترحيل . وحاولت - في الحتام - أن أهدئ من ثائرتهم بقولي إنني سأحظر الحزطوم بالموقف وأن القرار النهائي سيكون بيد الحكومة.

وعند عودتي من الحصا - أخطرت علام بالموقف ، فأفادني بأنه قد أبلغ الموضوع سلفاً - إلى اللجنة الوزارية بتوصية تدعو إلى تخصيص أراضي للملك الحر خارج المشروع . كما أفادني بأنه - وفقاً للموقف الزم - فإن كل الأمر ستمصر قطع الأراضي المخصصة للساكنين لأنها ستتمج في أراضي الملك الحر . وقال إنه سيكون بوادي حلفا في اليوم التالي لإجراء مزيد من النقاش مع الأهالي في محاولة لإقناعهم . واتفقا على أن أدعو قيادات قرية ( الحصا ) للاجتماع به في مكنتي بدلاً عن مواجهة جمع غير منظم مثل ذلك الذي التقيت به في ذلك الصباح

وفي الاجتماع الذي عقد لي اليوم التالي نقل علام إليهم القرارات التالية أولاً استجابة الحكومة لمطلبهم المتعلق بفصل أراضي الملك الحر عن المنطقة الزراعية (الحواشيات) شريطة أن يكون ذلك على حساب أراضي الساكنين المخصصة للأمر . وقد فُتحت المساحة المحددة لأراضي الملك الحر بما يساوي ثلاثين ألف هكتار في مقابل ١٥ ألف هكتار كانت مملوكة بوادي حلفا ، وذلك بمساحة ٢ : ١ وافقت عليها الحكومة مسبقاً . ثانياً - فيما يخص بتعويضهم النقدي فيمكنهم أن يطمئنا تماماً بأنه سيدفع لهم حال وصولهم إلى

حشم القرية ثالثاً : إن المنازل قد تم تشييدها بمواد من الدرجة الأولى من الجودة وتتوافق مع المستوى وخطط المصنف بها من الجهة الفنية، وأن صل المقاولين بحصص لإشراف المهندسين الاستشاريين الذين تم تعيينهم - حصيصاً - بواسطة الحكومة لهذا الغرض وبالنسبة للمطالبة بمدة خمسة عشر عاماً صمماً لمستوى تشييد تلك المنازل فقد اعتبرت فكرة خير صائبة رافتها الحكومة أمراً يتعدى أن توافق عليه . رابعاً : إن مطالبتهم بمنح المزارع لهم بعقد إيجار لمدة ٩٩ عاماً تعتبر مطالبة غير معقولة ، ذلك أن الحكومة كانت تحس أنها قد أوفت بالتزامها بعد أن خصصت ربع مساحة المشروع لإسكانهم ولم يكن منطقياً أن يتوقعوا معاملة تختلف عن تلك التي يلقاها مواطنو السودان الآخرون فيما يتعلق بالتكافؤات إيجار الأرض . خامساً : لقد حذرتهم الحكومة مسبقاً بعدم زراعة الموسم الشتوي وأوصحتهم بعدم بقاءهم أن الذين لا يلتفتون إلى تلك النصيحة سيعدمون بمعاداة المنطقة قبل حلول موسم الحصاد . وأخيراً : أمهلهم علماً مدة أسبوع لتتبرر أوضاعهم وإلا تترك لهم الخيار ببقاء حيث يريدون إذا امتنعوا عن الرحيل ومن ثم تُمنح قريتهم الجديدة لأناس آخرين .

وبعد استماعهم إلى هذه القرارات ، غادر الوفد المكتب وقد بدا على وجوه أعضائه عدم الرضا . وراح علماً رادي حلفاً إلى الخرطوم في اليوم التالي .

وبعد مرور يومين جاء إلى مكثي علي أحمد علي ومحيي الدين أبو الريش (الشويق لأصغر لعثمان) وأخبراني أنهم ناقشوا مع أهالي (الحصا) وأحراراً معصم التوفيق . فقد تحلّى لأهالي عن مطالبهم الأخرى غير أنهم

معيين للعاية بحصاد موسمهم الشتوي . وعند سماعي لهذا التحول اندي حدث في موقفهم ، شعرت بالارتياح وأخبرتهم أنني توصلت إلى حل لمشكلاتهم وأريد أن أناقشه معهم بقرينهم ذلك المساء . وعندما ذهبت إلى (الحصا) وجدت الناس مهزائين لقبوله ومتعاونين . طرحت عليهم خيارين لإنقاذ محصولهم . إما أن يحلقوا عشرين رجلاً منهم يقوموا بعملية الحصاد ، وإما أن أصدر تذاكر سفر . إذا رغبوا في ذلك - لعشرين رجلاً يعودون إلى القرية بعد أن يرتبوا شئون أسرهم بختم القرية لتعهد ما رر صوا وحي محصوله . وذهبت بما وعندت إلى أبعد من ذلك حيث أنني تعهدت لهم - في أي من الحالتين - أن أرتب لمعادرة أولئك الرجال القرية بأول قطار عقب الحصاد إلى قرينهم الجديدة بختم القرية وهم يحملون محصولهم . قبلوا الخيار الأخير بسرور وفيها ذلك الاجتماع الناجح بأن طلبوا حصور عمال السكة حديد إلى قرينهم لحمل أمتعتهم إلى القطار المعادر إلى ختم القرية .

وفي ١٣ مارس - أي بعد أسبوع من ساية مقومة أهالي (الحصا) للرحيل - غادر أول قطارات الشحن بأمتعتهم ، إلى ختم القرية ثم تبعه قطار الركاب في اليوم التالي . وفي ١٧ مارس غادر الفوج الأخير من أهالي (الحصا) إلى قرينهم الجديدة. وقام السيد لرنيل<sup>(١)</sup> ممثل الأمم المتحدة بالسودان والذي لفتت تلك التطورات انتباهه عند زيارته لأولى نوادي حلها ووقوف على الترتيبات التي أعدهاها للتهجير وكان انطباعه عليها إيجابيا للعاية

وبعد الفراغ من ترحيل أهالي (الحصا) غادر الفوج الأول من أهالي فرص شرق إلى ختم القرية يوم ٢٠ مارس . وسارت العملية بلا أدنى تعقيد

إلى أن تم يكمل إخلاء الفوجين الأول والثاني . وسيكون مملاً على القارئ  
- أن يحاط علماً بكل التفاصيل ، لكن هالك بعض الأحداث الشبهة التي  
تستأهل أن تسجل.

وبعد تجربة (الحصا) ، قمت بمراجعة برسم التهجير بعرض تأجيل  
رحيل أهالي قريتي (عفش) و (دغيم) ليتسنى لهم حصاد ما زرعو ، قبل أن  
يغادروا إلى خضم القرية . وقبل يوم من مغادرة الفوج لأول أهالي (أرقين) ،  
أخبرني ساعي مكثي - الذي ينسب إلى تلك القرية - أنهم استيقظوا في  
الصباح ليجدوا أن القرية قد اكتظت بالمعتزين العائدين الذين وصلوا بالياخرة  
الليلة العائنة . وقال لي كثيراً منهم كانوا يعتبرون في عداد الأموات منذ عهد  
بعيد ، وكان أقرباؤهم يحرقون فيهم وكانهم قد بعثوا من قبورهم ، فقد انقلب  
الخوف بعض الناس بالفعل . ومن الطريف أن أحد العائدين والذي فارق  
روحته منذ أربعين عاماً وفي حصنها وليد ذكر - كان في استقباله بالمحطة  
حفيد الطالب بالمدرسة الثانوية .

وعندما غادر الصاولة المطقة ، تلاحظ أن كل حافلات القطار قد  
امتألت بأقفص الحمام والأور و لأرانب مما يوحي بأنهم قد أخذوا معهم كل  
دواجنهم معهم . ويرحيل الصاولة احتفت كل أسراب الحمام من سماء  
المدينة

وسبهاية يونيو كانت كل القرى الشمالية قد تم ترحيلها إلى خضم القرية  
فيم عدا فوج واحد من سره شرق لم تكتمل منازل قريته هالك - فقد ظل هذا  
الفوج معزولاً ويفتقر إلى أي وسيلة مواصلات نقله إلى حيث يتسوق  
وخصصت لأفرادهم سيارة لهذه الغرض وصلت أنا وبديم تردد عليهم لتثبت لهم



أنهم ليسوا كما ينبغي. وكنت - أول الأمر - أخشى عليهم من هجمات الصياع  
الجانحة التي تعج بهم تلك المنطقة . بعد أن نفذت بقايا أطعمة المزارع  
برحيل أهلها إلى الوطن الجديد . لكنني لم ألتق سُكاوي في هذا الخصوص .  
وفي ٣٠ مايو ، غادر الفوج الأخير لقرية (أرقين) بعد أن حُف وراءه  
رجلاً معتزلاً للناس هو : صالح عثمان ... لم يكن لهذا الرجل منزل إذ أنه  
كان يعيش في عشة . وقد باعت كل المحاولات لإقناعه بالرحيل في صحة  
أهالي قريته وأصر على البقاء وحيداً بالقرية إلى أن غمرتها المياه . وفي  
وقت لاحق نجح المقيمون بدعيم في إقناعه بعبور النهر والعيش معهم على  
شاطئ البحيرة .

وبقي الشيخ محمد أحمد عواص ولزمنه - وحدهم - بقرية (ديره )  
مثلما فعلت أسرة أيوب التي بقيت بقرية (أشكيت ) إلى أن داهم الماء منازلهم  
ففرقت . وقد جاء كل من أحمد محمد عواص (وكان مديراً لإحدى المدارس )  
ومحمد طه أيوب (وكان يعمل بمصلحة السكة الحديد في عطبرة) إلى وادي  
حلم - بإجازة - لإغاثة وإفاد أسرتهما ولم يتمكنوا من ذلك إلا باستخدام  
قارب ، إذ أن الطريق البري كان حينئذ قد غاص إلى ما تحك الماء . ثم  
انضمت الأسرتان إلى المقيمين بقرية (دعيم ) .

وعندما غادر الفوج الأخير (من سكان الضفة العربية) قرية الكنور  
الواقعة قرب مدينة بوهين الأثرية حلف وراءه مجموعة ضخمة من الكلاب .  
وبسبب لأن الشرطة لم تكن - في ذلك الوقت - تمتلك ما يكفي من الذخيرة فقد  
عاشت تلك المخلوقات أياماً بلا طعام وهي تعاني من شدة الجوع . وكان  
بإحداها - الذي يسمع عبر النهر - مؤثراً . وفي أحد الأيام عندما كنت أقف

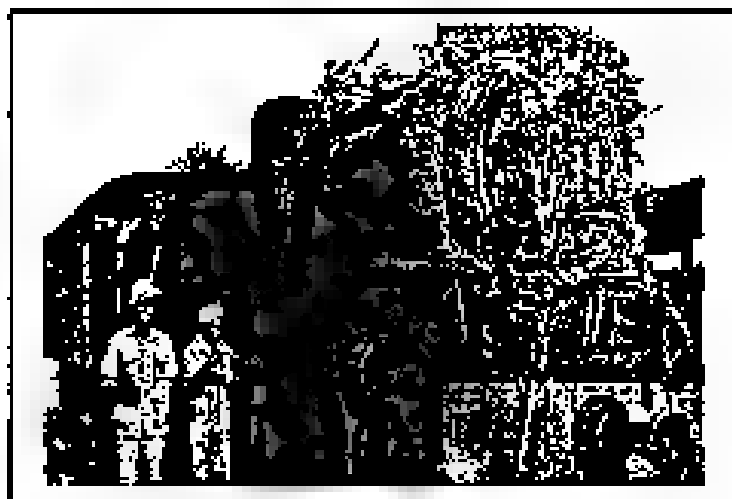
على شاطئ النهر عند هدى النيل - إنقطعت عيائ العنيد عنها وهي تسبح  
في اتجاه النيل الشرقي بحثاً عن الطعام ولا شك أن حركة الأنمييين وأصواء  
المدينة ليلاً على ذلك الشاطئ قد أغرقتها بعبور النهر والانصمام إلى من  
تبقي من بني الإنساب في هذا الوقت أبرقت عجلأ مدير الشرطة في عطرة  
لإرسال شحنة من الدخيرة لتدارك الموقف .

وفي مايو جنحت قاطرة خارج الخط الحديدي قرب برج الإشارة  
بمحطة (عقش) وسدت الطريق ، وبذلك أصبح برنامج التهجير مهدداً بالتأخير  
ولم تكن هناك مساحة من الوقت تسمح بانتظار وصول رابعة من عطرة  
لانتشال القاطرة ، فأقدم للدريزي المبدع خطأ حقيقياً ألغى حول القاطرة  
الجانحة . ولم تلبث قطارات التهجير أن استأنفت رحلاتها بعد تأخير لم  
يتجاوز الأربع ساعات . وفي أغسطس تبعت هذه المعالجة عندما خرجت  
عن الخط ثلاث عربات بصناعة فارغة بالمحطة (نمر ٥ ٢) في صحراء  
العثمور .





علي احمد علي



قطار الفوج الاول



الوان حسن يثير



الوان محمد احمد عروة يرحب بالفوج  
الاول في (حلقا الجديدة)

## **الفصل الحادي والعشرون**

**الموقف في وادي حلفا وخشم القربة  
بعد عملية التهجير**

شرح محمد عثمان عبد الرحمن وعكاشة صالحين في انشراح ما يمكن  
انشراحه من ممتلكات منازل القرى المهجورة بعد إخلالها من السكان مباشرة .  
فجرنوا أسقفوف من عوارضها الخشبية واقتلعوا الأبواب والنوافذ ونقلوها إلى  
مستودع قرب المطر . فصار مطر تلك القرى بالفعل - كأنما حلت بها  
كارثة . وقد رأيت (فرص شرق) في حالة من الحراب شبيهة بما آلت إليه  
الكنيسة الأثرية الكائنة إلى شمالها ، وجاء فريق من مهندسي مصلحة الريد  
(البوسنة) وانتزعوا كل أعمدة التليفونات على مدار خط حلها - فرص ولتوا  
الأسلاك في بكسرات عملاقة . وقد حركت كل هذه المواد في ساحة قرب  
المطار لنقلها إلى الحارطوم . وشرعت مصلحة الأشغال في فك مستودعات  
المياه بالمدينة وقرية (نخيم) وتجرنتها وحسبها على عزبات السكة حديد .  
فتبين لي كم هو سهل أن تحرب من أن تبني . وانهماك رجال الهندسة  
استجلبوا من مديرية كسلا - في بيث شبكة أنابيب المياه ونقل المستنقذ منها  
إلى المطار . وكان شيقاً أن ترى رجال الهندسة المغرمون بمناق التمر  
يجيئون إلى وادي حلها في موسم نضجه وأن تراهم في وقت فراغهم .  
يحصيرون السياط ويجمعون ما يتساقط من ثمار .

وبعثت نفس المصلحة بالمهندس حمد عبد الحليم لانقاد محطة  
الكهرباء وملحقاتها قرب أن تعمرها المياه . وبدلاً عن بدء العمل بالأحياء  
المهجورة بالمدينة ، شرع أولاً في قطع الأسلاك الكهربائية الممتدة إلى منزلي  
نفسه ثم امتد يده إلى المنازل التي يقيم بها الموظفون . وبما أن الطقس  
في ذلك الوقت - كان قسي مروء حرارته ، فقد اقتعدنا بعينه المزارع  
والثلاجات وقطع إمداد الماء بالمثل إلا أن حسن طه كان شغوقاً عليه فمأخذاً

كمية من (الثب) لتغذية ماء النيل من الطمي فأصبح بعد ذلك صالحاً للشرب  
والعسل. وجاء كل الموظفين بجرار (قذوية<sup>(١)</sup>) وقصور فخارية لتجريد الماء .  
وتكرمت عليها مصلحة السكة حديد بإمداد مستطم من الفلج الذي تصعه في  
مبزلاتها بعطيرة وبأنتها بالقطارات العائدة

وأرسلت هندسة السكة حديد جماعة كبيرة من العمال إلى فرض لحلج  
الحط الحديدي . فبدأوا العمل في يوليو وانتزعوا كل القصبان وشحبوها على  
عربات خاصة حملتها إلى عطيرة . ثم بدأوا في تفكيك سقائف الورش  
الفسيحة التي شيدت في عهد الحديوي إسماعيل قبل قرن من الزمان . ومن  
عجب أن وجدت الدعائم الحديدية والواح الراك بحالة سليمة وقابلة  
للاستعمال . أما سدق النيل فقد أرسلت أثاثه وأمواله وموافده إلى عطيرة .

وبنهاية أغسطس تحولت رادي حلفا الجميلة الحية - إلى مدينة  
مهجورة وحرايات . فقد انتزعت كل الموائد والأبواب ومحت أحشاب السقف  
من بعض المنازل . فأصبحت المدينة كثيفة وموحضة وكأنها قد نهضت مند  
قرون. وقد تحولت في شوارعها الحالية من الناس وأن أحسن حرباً عريقاً .  
فكان كل الأهالي الذين عشا بين طهرانيهم حتى الأمس القريب قد هلكوا  
ومصوا إلى الأبد . وتجردت منازل علي حسب الله لاشين وبريس وعبد  
أحمد سليمان وشوربجي أم حضي - ذات الطوابق المردوحة والفاحرة من  
كل بهتها وأبوابها وموافدها .

وبينما كان كل هذا الدمار والحراب يجري في رادي حلفا ، تواصل  
البناء بسرعه القصوى في حشم القرية وأخذت منازل القرى تكتمل و تسلم

واحدة تلو الأخرى وفقاً للجدول الزمني المتسق مع برنامج التهجير . ووصلت  
كل أفواج المهجرين بالسلامة وأنزلت في قرأها الجديدة وسلمت مرارعتها .  
وكانت الحادثة الوحيدة التي وقعت في ٢٢ مايو - هي أن الفوج الثالث من  
أهالي (أرقين) وجد عند وصوله - أن المارل كانت ما تزال (تحت  
التشييد) . فأقوا مع الفوج الثاني لمدة أسبوع ثم انتقلوا إلى مار لهم الجديدة .  
وقد تم تجور هذه العقبة بروح طيبة من قبل الصيوف والمضيقين .

وفي يونيو هبت عواصف عذبة على الحراء الشمالي من منطقة  
الإسكان . وحاجت تلك العواصف من منطقة (قش داي ) في الشمال بسرعة  
هائلة مثل الإعصار وقد حملت معها سحب كثيفة من الرمل الناعم والأتربة .  
فاجتازت القرية رقم ٢٢ (دعيم ) التي شيدها المقاول جابر أبو العز وأطاحت  
بمسقوف المبرل والأعمدة وأحدثت دماراً مفاقماً في مبانيها ، وقدمت بألواح  
السقوف والأعمدة في الشوارع وساحات البيوت ، أوقعت الجدران الأسمنتية  
للأسوار عشوائياً أمام البيوت . وبالجملة فقد تأثر بهذه العواصف إثنان  
وسبعون منزلاً . وكانت معاناة هذه التجربة بالسنة بلويزيين - الذين لم  
يحتدوا على مثل هذا الطقس القاسي ولم يألوا رؤية ألواح أسقف منازلهم  
تطير في الهواء كالورق - مرعة ومباعدة . ولحسن الحظ فقد اقتصرت  
الإصابات على حائتي جروح طعيفة ، لكن الأهالي ادعوا أن خسائرهم من  
المواشي كانت كبيرة .

ونم تكوين لجنة لتقصي الحقائق صممت فنيين - أوكلت لها مهمة  
البحث في الأسباب التي جعلت الدمار - الذي أحدثته العاصفة بالمداني  
كبيراً إلى ذلك الحد . وأجرت اللجنة فحصاً دقيقاً للمارل المصابة وحُصت

التي أن أعمدة السقوف لم تكرر مُحكَّمة الربط بأعالي الجدران، كما أُنصح أن مواصفات البناء لم تضع اعتباراً لها مثل سلامة كاف يتيح فرصة لمقاومة الصعط الناتج عن عاصفة بقوة تلك التي هبت . هذا إذا بعصياً عن حقيقة أن العاصفة دُفِعَها كانت عنيفة بصورة استثنائية . كما حُصِت إلى أن الأعمدة التي تربط ألواح جدران الأسوار ، أقيمت على أساسات غير عميقة مما أدى إلى سقوطها . وفي جانب آخر اكتشفت النحمة أن عديداً من السكان ألقوا النوافذ التي تأتي منها الريح مفتوحة على مصاريحها بينما أعنفوا تلك التي تخرج منها . وعندما هبت العاصفة إلى داخل الغرف لم تجد موقداً فندفعت تزيح السقوف الصاعدة عن طريقها وتطيح بها في الهواء .

وراجع المهندسون الاستشاريون خطة البناء لتدارك هذه العيوب الفنية وقام المقاولون بإعادة ربط معازل السقوف بما يصمن القوة والثبات ، وعمقوا قواعد أعمدة الأسوار . ونصحوا بأن يقوم السوييون بإغلاق حوافهم عندما تعصف الريح .

ولم يكن الموقف في القرية رقم ٢٢ يعود إلى طبيعته حتى فرغت منطقة الإسكان - في إحدى أمسيات أوائل أغسطس - بروبعة رعية عيفة ومطلت الأمطار كأفواه القرب ، تصاحبها بروق ورعود مزعجة . وكانت هذه التجربة بالنسبة للسويين (الذين انغرس في موسيم - أصلاً - خوف الأمطار والرعود ) شيئاً رهيباً . فقد سمعت أن عصيم قصى الليل تحت السرير وهو يرتعد من الخوف وأن امرأة يملكها الفرع أغلقت دواب ملابسها على طفلها . وزاد الطين بلة أنهم عندما استيقظوا في صباح اليوم التالي وجدوا المنطقة



يكاملها غارقة في مياه الأمطار . وباصت الحداول المحيطة بالمسطقة ماءً ووحلاً شل حركة السير .

وبست هذه الحالة - التي جعلت المنطقة تعوص في الطين متاعب جملة لعثمان حسين . فعندما رأى عثمان استحالة استخدام الشاحنات لنقل الأمتعة والركاب ، لجأ لاستعمال (التراكثورات) في إنجاز العمل وكانت محطات السكة حديد - كذلك - قد عمرتها المياه مما جعل الحماليين بغوصهم حتى الركب للوصول إلى حيث تقف قطارات البصاعة . وعجزت التراكثورات عن أداء المهمة فعاض بعضها في الوحل وسقى بعضها قطع المتاع ماءً حتى ارتوت . وقرر عثمان إيقاف تفريغ قطارات البصاعة من الأمتعة إلى حين أن يتحسن الموقف .

وبالإضافة إلى كل هذه المتاعب المتصاعدة في منطقة الإسكان ، زاد الوضع سوءاً انقطاع جزء من خط السكة حديد الذي حرقته المياه - في جهة (الشيناب) قرب (هيا) وفي جهة (قاش داي) قرب (أروما) تجمعت الأمطار العزيرة التي هطلت في القطاع الشرقي من مركز أروما لتندفع في بهيرات جارفة وتحدث تلفاً بالغاً في خط السكة حديد عند (قاش داي) ثم سدّفع غرباً وتبتلع الجسر الذي يعبر عليه الخط عند (شيناب) وتبقى قطاعاً طويلاً منه معلقاً في الهواء . وهكذا تكثّست كل قطارات النهجير في خشم القرية وهي محملة بالركاب والأمتعة ، انتظروا لجفاف المياه التي أحدثتها تلك الأمطار .

كانت سكك حديد السودان التي تنفذ فائزاتها مجدول رسمي صارم - معبته بالنأخير الذي طرأ في حركة تلك القطارات لفترات طويلة بخشم القرية

وأرسلت برفقية غاصبه إلى معتمد إدارة التوطين حذرته فيها بأنها ستقوم بتطبيق برنامج التهجير إلى ما بعد موسم الجفاف ما بين يوم تربع العربات الأربع والثمانين المحجورة وإرسالها فوراً إلى وادي حلفا . وقد ردّ عليها عثمان بأنهم يبدلون كل ما هي وسعهم لتجفيف المحطة من المياه غير أن تفريغ القطارات وتسريحها سيحتاج إلى أيام عديدة . وأخبرني عثمان بالهاتف أنهم يواجهون وصعاً حرجاً . فكل الركاب محجورون داخل القطارات منذ أيام وقد توفي منهم مريض متقدم في السن . كما أخبرني أن كل شيء يعتمد على نجاحهم في تجفيف المحطة من المياه وعلى توقّف الأمطار عن بهطول خلال اليومين التاليين . وبالتأكيد فإن سكك حديد السودان كانت - أيضاً - في وصع حرج . ومعظم مقطوراتها كانت محجورة في بور تسودن نسبة لانجراف الحط الحديدي ولم يكن عندها فائض من العربات يمكن أن تستعده إليها . فكل طبعياً أن تقترح على اللجنة تأجيل عملية التهجير إلى ما بعد موسم الأمطار (أي حتى منتصف سبتمبر) . ولقد سببت لي هذه الأنباء قلقاً حقيقياً لأن منسوب النيل قد بدأ بالفعل في الارتفاع وبحلول يوم ٢٠ أغسطس أرسلت البرقية التالية للجنة ولعثمان حسين :

"لوحظ ارتفاع مفاجئ لمنسوب النيل هنا . فبدأ استمرت المياه في الارتفاع بهذا المعدل ، فإنها ستعمر الأجزاء المنخفضة من مدينة حلفا حلاً وستعزل قريباً (أشكيت) (ودبيره) حال اندفاع الموجة الأولى على الطريق الوحيد الذي يمر أسفل (جبل الصحابه) .. إن أي مشاق يلقيها المهجرون في خضم القربة تكون بالمقارنة مع أخطار العيصال الراحف "

وبعد أن أرسلت هذه البرقية ، تحدثت طويلاً مع عنكم وقلت إليه ملخصاً وافياً بالخطر المحدق بالأهالي إذا ما استجابت اللجنة لاقتراح مصلحة السكة حديد . وبما أن علام كان حبيراً بالمنفعة فقد نفيت تماماً الأسباب التي كانت وراء توسلاتي . ولذلك فقد وضع كل حجج أمام اللجنة الورارية والتي قامت بدورها - بتوجيه سلك حديد السودان للعمل بمقتضى التماسا مهما كانت النتائج وفي ٢٢ أغسطس غادر العرج الأخير لقوية (أشكيت) إلى حشم القربة يتبعه من تنفى من مهجزي (ديره) ثم تلتها بقية أقواح المدينة وقرى ( فارقي ) (ودعيم) و(المجرب) . وفي ٢٠ ديسمبر غادر آخر الأفواج المنطقة وبذلك انتهت المرحلتان الأولى والثانية من التهجير .

غادر المنطقة ١٠٠٠٠ من الأهالي ومعهم ٣٦٥١٤٢ قطعة من المتاع بأحجام مختلفة و ١٦٠٠٠ رأس من الماشية وفخداً - في الطريق - أربعة من الركاب أحدهم على محمد آدم (من ديره) والذي كان يعاني من سرطان الحلق وقد توفي بأبو حمد . وتوفي آخر بمحطة حشم القربة . أما الثالث والرابع فقد توفي في القطارات المحجورة بمحطة حشم القربة . وفي الجانب المشرق من رحلات التهجير ، كان (حمد) تلت ثلاثة من أموالد الذين استهلوا حياتهم صار حين داحى مركبات القطار .

ابتداء من ٢٠ أغسطس واصل مسوب النيل ارتفاعه المنتظم . فلم يعد الفيضان يأتي في شكل موجات - كما كانت العادة - لكنه أحد يرتفع بانتظام واستمرار . وبانتهاء أغسطس وصلت الدفعة الأولى من الفيضان الموسمي والتي أحالت مياه النهر إلى طيبة دكة اللور . وفي نفس الوقت تراجعت موجات من المياه من أنبي السهر نقيذ من مسوبه وتصعب تياره وامتدّت

الشيطان إلى منتهىها وأصبح متوقفاً في أي لحظة - أن يعبر الماء عنها  
ويُدفع إلى الأعالي . ولقد تم اتحاد حبيبتين مؤقتة لتجسير المقاطع الصعبة  
على الرصيف المقبل للسوق (حيث كانت حوانيت التجار المقيمين ما تزال  
ملبئة بالصنائع ) وعلى امتداد محطة السكة الحديد حيث كانت عملية إخلاء  
المواد والأمتعة ما تزال جارية .

وفي الساعة الواحدة صباحاً اندفع النيل من نقطة (لم تكن في الحسب)  
عند مدخل المياه وعمر محطة السكة حديد ورجف حتى بلغ مباني المستشفى  
. كانت تلك بداية الطوفان . و عندما صحونا في الصباح الباكر وجنا ساحة  
المحطة وكل المنطقة الواقعة إلى جنوبها ، نغوم في المياه وتلف كل الأمتعة  
المنقاة على الرصيف . وحصرت المياه حرس عرصات بصاعة وغمرت ما  
طوله نصف ميل من الحط الحديدي . ولم تجر قاطرة من القمم لإفقاد  
الحريات المحصورة خوفاً من أن يهار القصيب تحت ثقلها . وبدلاً من ذلك  
استطاع فريق من الحماليين دفع الحريات على أرض رابسة . وبإستخدام  
الألواح الخشبية المثبتة بأحكام على برميل النعظ الفارغة ، أمكن صنع رمث  
(طوف) لنقل الأمتعة المبللة إلى مكان جاف . وبينما كان جميعاً بالمحطة  
نحاول انقاذ ما يمكن بقاءه . في الساعة الواحدة والنصف طهراً - فتح النيل  
ثغرة في نقطة مقابلة لمسجد التوفيقية وطوق قطاعاً واسعاً من منطقة السوق .  
فمما يتجنىد كل القوى العاملة المثبقة لترحيل البصائع من الحوانيت التي كان  
يعصها قد بدأ يهار . ورأيت لحد المساء يسقط على بعد عشرين متراً من  
سيارتي وأسرعت وأرحتها إلى مكان آمن . وفي المساء إنهار جسر (القيصر)  
المقابل لمباني السردارية ، لتندفع المياه إلى العرف الحالية وتحتل المنطقة

المحفصة الواقعة غرب ورش السمكة حديد إلى بركة عصيمة الأتساع . وإلى الجنوب من مكسي تنقلت المياه بعنف خلال حديقة منزل مدير حوض البواخرو أحطت بالمسجد الإسماعيلي وبذلك عرلت منزل مدير المطر ومنزل مهندس الحوض المجاورين لمنزلي . واستصب فندق النيل غارقاً في المياه إلى منتصفه مثل معبد فيلة بأسوان . وفي قرية دعيم هوت إلى الأرض حوالي ثلاثين منزلاً ، فأرسلت فريق إنقاذ من رجال الشرطة بصياراتهم لانتشال الأمتعة .

وفي المساء شرعنا في عملية مستعجلة لإحلاء الأمتعة من أحياء الموظفين والمكاتب الحكومية . وتم نقل كل الأمتعة المنزلية والشخصية إلى منطقة المطر حيث وصعت في فناء واسع تحت حراسة الحدم . وفي اليوم التالي شحنت أمتعتي الخاصة في عربتي قطار ولم أبق - تحت يدي - إلا الحاجيات ذات الصلورة القصوى .

وتواصل ارتفاع المياه تدريجياً فعمرت السوق كله ورحفت على المنطقة السكنية في النوفيقية والعباسية . وانهارت معظم الحيوانات وذابت الضيعة منها واختفت من الوجود . وبحلول الساعة التاسعة من يوم ٢ سبتمبر ، بلغت المياه منازل بريس وعده أحمد سليمان وتلك غطت للميدان الرئيسي للمدينة . وفي حي النوفيقية أفتحت المياه الطريق الممتد ما بين المسجد ومحلات جالتلي هانكي واصطفت - من هناك - شمالاً لتعمر الحي بأكمله حسنى النادي وحوصرت مباني المستشفى والمركز وانهار جزء كبير من المستشفى . وفي منطقة (القيقر) اندفعت المياه غرباً عبر الطريق المتجه إلى فندق النيل وهي تجرف أكويماً من العمارات والرواحف ثم تعرق مشروع

، أشد الزراعي بكماله وتنتهي عند شارع الإسفلت لعدم للمدينة أما حط  
المسكة حديد الذي يربط الورش بمحطة (عقش) فقد غرق أيضاً وبذلك  
اعزلت الورش التي كانت عمليات إحلالها تجري حتى تلك الساعة. وقد تم  
في نفس اليوم مد حط حديدي من منطقة الورش إلى الحط الرئيسي  
المتصل بعقش حيث أحليت المواد قبل غروب الشمس . واستطاعت مصلحة  
البوسنة والتلغراف بعد لأي أن تنقل كل معداتها إلى منطقة المطار ،  
وبذلك أغلقت مكتب وادي حلسا القديمة بجانب غير أنني استعت أربع  
مجموعات من الطوايع والصققتها على مظاريف وحتمتها بتاريخ ذلك اليوم  
المشهود تذكراً وتحليداً .

ومسي السماء ذهبتُ إلى منطقة المطار لأرى موقع إقامتنا الجديد .  
وهناك وجدت أكوام لمتعة الموظفين المبعثرة بإهمال في القساء الواقع شمالي  
مباني المطار . وقد شعلت مصلحة البوسنة والتلغراف الجراح الشرقي من تلك  
المباني وشرعت في مد خطوط الهاتف لتتصل بالخط الرئيس . وعندما عدت  
إلى منزلي ، وجدت أن المياه قد تسربت إلى الحديقة من جهة مبنى السردارية  
، ولوشبك مصبوب للثيل أن يبلغ سقف الجسر . ورأيت للقران التي كانت  
تعيش في مخزننا - تخرج من أجادرها حاملة صغارها في أفواهها وسرع  
هاربة إلى الأعلى . وهذا لي أنها قد اشتمت غريزيا رائحة الخطر . وعندما  
كنت أتأمل هذه الطاهرة الطبيعية ، طرقت سمعي صوت كترقة الرعد أت من  
جهة السردارية ، ورأيت سحابة من الغبار تملأ الجو . . لقد حرق المبنى دقعة  
واحدة إلى الأرض . وأصبنا سحابة يومنا - ذاك - هي جمع معدات المكاتب  
ونقلها إلى منطقة المطار .

وعندما عدت إلى منزلي أحر الليل ، وجدت فراشي مغمماً بالرطوبة . كنت مهكاً وبحاجة إلى الراحة ، لكن احتمال أن تتدفق المياه إلى بيتي أثناء يومي كان يقلقي . وبما أن قواي الجسمانية كانت لا تمكنني من العودة إلى منطقة المطار ، فقد قررت المخاضرة بقضاء تلك الليلة بالمدنل غير أنني جعلت حافة الملاءة تتدلى حتى تلامس الأرض وذلك لكي يوقظني البلب متى مما رجعت المياه إلى مستوى الفراش . وبمت نوم قرير العيب هائيبا ، واستيقظت في الصباح الباكر لأجد أن العيب قد بدأ يطرق حافة الأجراء العليا من الجسر . ورائت المياه المتدفقة على الحديقة من جهة المردارية . فخرجت أنظر إلى المنطقة المحيطة بالمرن فإذا بي أجد أن منزل مدير الحوض قد هوى تماماً إلى الأرض ، الخارقة هي المياه ، وإده بشق عائر قد أصاب المسجد الإسماعيلي من سقفه إلى قاعدته أما هي للمدينة فقد غدا مبي المستشعي حطاما وانمى جزء منه تماماً . وأما منزل الطبيب فقد زال من الوجود فيما غدا مجموعة من أشجار النخيل كانت تظل برؤوسها من تحت الماء تعلن عن مكانها . وتوسطت منطقة السوق بحيرة تثار فيها جرر من أنوام الحيوانات المنهارة ، بينما بدأ الجزء الغربي من للتوفيقية في السقوط . و عدت إلى منزلي وجمعت - بمساعدة حائمي - ما تبقى من المتاع معه كابي إلى منطقة المطار وتركيت عكاشة صانحين يحاور أن يستخلص ما يستطيع من المبنى قبل أن تدخله المياه . وعندما وصلت إلى هالك أمرت النحائم أن يربط الكلب إلى عمود خوفاً من أن يعو - أدرجه إلى المدنل الذي كان متوقفاً أن ينهار في أي لحظة . وفي الحقيقة فزسي . بعد أن تم ربط الكلب كنت أشعر بأنني في حجة أبصاً إلى من يشد وثاقي . فقد ظننت

أترد على المدينة باستمرار لأرى ما كان يجري ، ولم أكن أصل إلى المطار إلا وأعود نازلة أخرى إلى المدينة . وفي المساء حملت آلة تصويري الفوتوغرافية من ماركة (روليفل كس) ورؤيتها فلم وهي صعدتني بديم وذهب إلى المدينة لالتقاط بعض الشرائح الملونة. فرأينا في منطقة القيقرة جزءاً من المسجد الإسماعيلي وقد أنهار بينما كان الأثر الوحيد الباقي لمنزل مدير الخوص هو السقف المعنبي العائم فوق أعينته الخشبية حيث موقع المدخل .. كانت المياه قد اقتحمت بالفعل شرف مدخلي وغمرت الحديقة . ولاحظت أن الشجيرات التي كانت قد جلت بسبب انقطاع الإمداد المائي قد انتعشت من جديد كما أن أوراقها التي تعصنت وأغصابت التي تلت عادت وامتألت بالحياة . غير أن دفقة الماء التي أحبتها لم تلبث أن ردتها إلى عالم الاحتصار والبقاء . ثم مررنا بحي الموظفين حيث سقطت معظم المنازل وتتبعنا أطراف سيل المياه ونحن بصير بمحاداة جدران منازل العباسية حتى بلغنا الطرف الشمالي من التوزيعية عبر ملعب كرة القدم وحديقة البلدية . حينها كانت المياه قد وصلت إلى مركز الشرطة وملأت المنطقة المنخفضة جنوب الحديقة ... هنا رأيت منظر صاعقاً . فلقد استحال ذلك الحي الجميل بمنازل العاشرة ذات الطابقين . إلى حطام . وصفا عبر الشوارع فوق الأنقاض والنقطة بعض الصور . كانت الجدران - حتى تلك الساعة - تنهوى وك هي كل لحظة نفاجاً بدوي المباني المتساقطة المرعب يتبعه سحب الغبار ويصاحبه تصحح السماء المقتاتر . ولم يتمكن من أن نواصل السير إلى الأمام فخرجنا على مائي الندي التي كانت أعلى من مستوى المياه . ومن هنا استطعنا أن نرى منزل عائلة شريف دود دا للطابقين وندى سي بالطوب



الأحمر وقد أثار جره مه . أما مرل (بغمور) فقد انتصب صامداً رغم أن المياه قد حاصرتة من كل جانب . وكم أثار سطر التوفيقية ونحن نشاهده من نقطة العادي . أحرانا .. بها بداية النهاية لوادي خلفا تلك النهاية التي لم تأت بمئة ولكنها جاءت مع زحف مياه النيل المبارك . واهب الحياة ومصدر الردهية وأصل وجود المنطقة وأهلها .

وفي اليوم الخامس من سبتمبر لم يبق من التوفيقية إلا المسجد ومئذنته الشاحنة . فقد غمرت المياه ملعب الكرة وأسقطت حائطه الشمالي . وأصبح حي الموظفين بكامله جزء من محرقى النهر . أما في (ديروسه) فقد أحدث المسارل تتساقط ودابت بيوت الطين كقطع البسكويت . وتفتت مثلني بعد أن انشق من منتصفه ومالت أعمدة طابقه الأرضي وتلى سقعه برؤية حادة . لقد أهاح المنظر في وحداني ذكريات السوات الست الأخيرة التي عشها فيه سعادة وهناء .

وتواصل الدمار بالمدينة وبالقري الشمالية ليلاً ونهاراً إلى حين أن غارت وادي خلف نهائياً في ١٧ سبتمبر مدفولاً إلى الخرطوم لانتقاد مصيب أمانه اللجنة القومية لشؤون جنوب السودان حديثة الكرين . وعندما فارق المنطقة كانت أعالي العباسية ومارل ديروسه والتيس هي التي لم تتركها المياه ، لكن معظم القرى كانت قد ابتلعها الطوفان . وانسد الطريق إلى عرص عند جبل الصحابة .

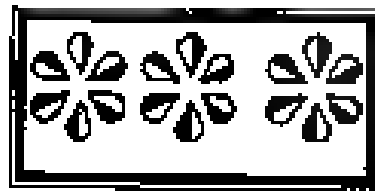
وبما كان مطول الأمطار العريضة يعرّص برنامج التهجير إلى حشم القرية ، غادر أسطول بوعربا نهائياً من وادي خلف جنوباً في ١١ أغسطس . وفي أبريل قام مهندسو الحوض بفحص كل بواخر الأسطول للنظر في إمكانية

قدرتها على القيام بالرحلة الخطيرة . وهرروا أن بعضهم يستوجب أن يتم الاستعانة عنه بسبب المعجز والتخلص منه مطلقاً (خصوصاً البحارة) . "السودان" التي كان قد أدخلها إلى البلاد "توماس كوك وإبنه" ( وأوقفت عن الخدمة منذ سبعين سنة . وظللت طافية على شاطئ البحر كجرء ملحق بعدق النيل . وقد تم تفكيكها الآن وبيعت حديداً حامداً وهناك باخرة صغيرة هي (العمز) ، كانت في خدمة اللورد كننغر إبان سبي التخصير لإعادة فتح السودان . وقد بيعت لأبناء عبد الحمي موسى (الأخوان بريس) الذين أرسلوها إلى أسوان حيث تم تجديد صاكتها ومعداتها واستخدمت في الخدمة الملاحية بين وادي حلفا وأسوان في أعقاب إجلاء أسطولنا النهري . وهناك سبع موارح تقرر أنها غير صالحة للعمل فبيعت كقطع معدنية (حردة) . وتم تفكيك الرصيف العائم وأرسل بالقطار إلى الخرطوم بحري

ورؤى أن الباخرتين : (المريخ) و (النجم القطبي) والمركب الصلب المسمى . (النوبة) في وضع يمكنها من الإبحار جنوب حيث تنشر الخدمة - في أعالي النيل - مع (النريا) .

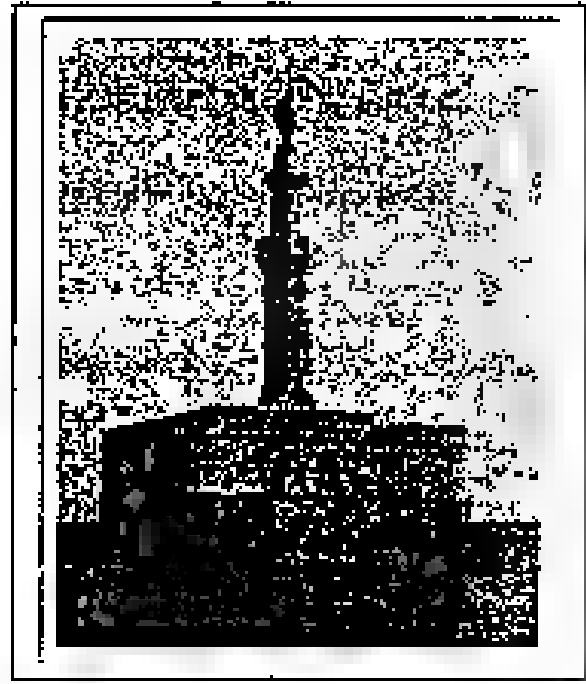
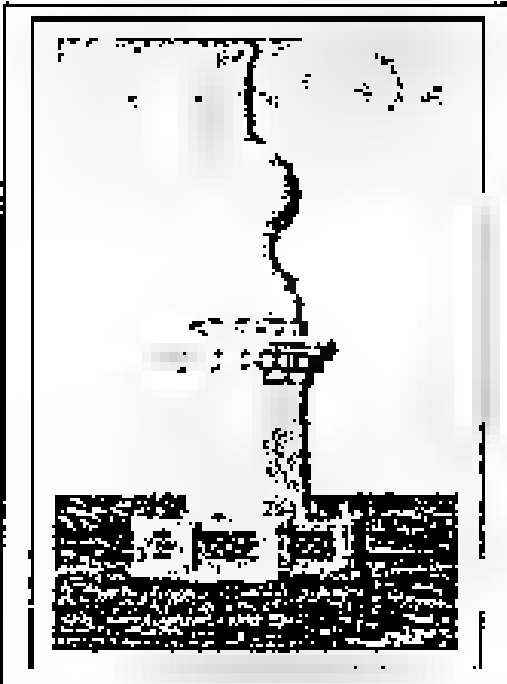
قام المهندس إبراهيم منفي بوضع خطة عبور الشلالات وقامت البواخر الواحدة تلو الأخرى وعلى مدى فواصل رمية قصيرة - باجتياز الممرات الوعرة وكانت في موحرتها (النوبة) وكانت خطة إبراهيم تقوم على كبح جماح المياه المتدفقة عبر الممرات عن طريق رفع مستوياتها بحيث يتباطأ التيار . فكللت مساعيه بالنجاح . وقد رأيت - في أواخر أغسطس - الرفعة الكهربائية العملاقة عند قرية (عيكه) وهي تسحب (المريخ) عبر (الباب الكبير) . ورغم كل الطاقة التي بذلت فقد استغرق العمل أسابيع لتبلغ البخرة

الماء الهلثة . واصلت (البوية) المثابرة مسيرتها - في المؤخرة - دون أن  
تمتد إليها يد المساعدة . وعندما بلغ الأسطول الصغير أعالي الشلال الثاني ،  
تم تفكيك الزافعة وحملها على متنه إلى الخرطوم . ومضت الرحلة - بعد ذلك  
في أمن وأمان .





المياه ترحف نحو المستشفى



جامع دغيم قبل وبعد الفرق

## الفصل الثاني والعشرون

إخراج أجساد العظماء من مراقدها

ببما كنا على رشك أن نزع من تهجير الأحياء في تلك الأيام  
 المردحمة بالعمل - اتجه اهتمامنا إلى إحراج أجناس الموتى من مراقدها  
 وبخاصة جسدي الأمير (عثمان دقة) ، وسيدي (إبراهيم الميرغسي) فقد  
 برزت فكرة نقل جثمان عثمان دقة إلى حيث يعاد دفنه - في مكان ما بشرق  
 السودان - ذلك لأول مرة في عام ١٩٥٨م عند قدومي لوائي حلفا (التي  
 قصي فيها دقة سني أسره حتى أخرقته الوفاة .)

إن الذي يطلع على تاريخ المهدية لا تحظى بصيرته حقيقة أن أحداث  
 تلك الحقبة التاريخية قد اتسمت بمعارك متصلة أظهرت السودانيون كمحاربين  
 عظماء وأشداء . وحاز محاربون . بينهم - على إعجاب كافة المؤرخين  
 بالنظر إلى ما أجزوه من انتصارات ، ومن بين هؤلاء الأمير عثمان دقة  
 "أمير الشرق" . فحلال محاصرته لسواكن حاصر دقة ثمان معارك في نلال  
 البحر الأحمر ، فالتحق الهزيمة بطاهر باشا في معركة الثب (٢٣ ديسمبر  
 ١٨٨٣) وبحر الجبال ببيكر في معركة طوكر (٤ فبراير ١٨٨٤) وبارل  
 سرايا الجيش البريطاني في واقعة هندوب (يناير ١٨٨٨) حيث اخترق المربع  
 (١) البريطاني . وفي معركة كرري (٢ سبتمبر ١٨٩٨) اعتبر وبسنون  
 شوشل هجوم دقة العنيف على فرقة الرماة الحادية والعشرين البريطانية  
 المعروفة باسم (اللانسرز) (٢) بموقع حور شمبات أهم معالم تلك الملحمة  
 ... لقد قرأت كثيراً مما كتب عن سيرة عثمان دقة وأنا أحسبه أحد أبطالنا  
 القوميين العظماء .

(١) ملك حربي نميكي يشتهر به الجيش البريطاني .

The British 21<sup>st</sup> Lancers (٢)

.. في اليوم التالي لوصولي ، قمتُ بزيارة لقبره الذي صمّمته المدام  
لنواقعة خلف صريح سيدي إبراهيم الميرغني .. فلم أجد للقبر شاهداً يعكسي  
من التعرف عليه غير حائط قصير من الطين كان يحيط بالمرقد - محفور  
على صفحته اسم الأمير العظيم . وبالرغم من أن المويين كانوا يوقّرونه  
باعتباره رجلاً صالحاً ويقَدِّرون تديبه وتقواه ، إلا أنهم لم يكونوا على علم  
بتاريخ ذلك (القي) <sup>(١)</sup> الذي قصي تسعة عشر عاماً بين ظهرانيهم أسيراً مطلقاً  
ثم مات وقبر في مدينتهم العريفة . إني أعري هذا الموقف إلى حقيقة أن  
حلفاء لم تكن أيداً جزءاً من السودان خلال حقبة المهديّة ، ولذلك فقد انعزل  
سكانها عن الأحداث التي جرت خلال تلك السنوات بالبلاد وغابت عنهم  
بطولات الرجال الذين صنعوا الثورة

في ٥ أكتوبر ١٩٥٨م كتبتُ إلى مدير الميرية الشمالية أقترح عليه  
إخراج جنّات عثمان دقنه من قبره ونقله إلى بلاد نيجيا وإعادة دفنه وسط  
أحفاد المقاتلين الذين حاربوا تحت قيادته . وأشرتُ إلى ضرورة نصب لوحة  
تذكارية لاثقة على قبره تعتبر عن تقدير الأمة له ، لكنّ اقتراحي لم يلق سوى  
التجاهل . وفي يونيو ١٩٦٣م - وتحت تهديد المنطقة بالعرق - ثرت المسألة  
من جديد بمحكمة بحثت بها إلى لجنة إعادة التوطين استعرضت فيها تاريخ هذا  
السنّطل واقتُرحت - من باب أن كل انتصاراته العسكرية في قتال البحر  
الأحمر كانت ترمي إلى غزو سواكن التي عزّت عليه إعادة دفن جنّات في  
مدخل تلك المدينة العنصرية عند بوابة كتشسر . ومصيت في اقتراحي إلى القول  
بإقامة لوحة تذكارية على قبره تسجّل تفاصيل حبه العسكرية من أجل تحلّيد

نكرهه في وجدان أحيل العد ، ولأسباب غير معلومة أمسكت اللجنة الوزارية عن الرد على اقتراحي وبذلك ظلت القضية معلقة إلى حين . في ذلك الوقت كان الدكتور صه بعشر طبيب الأمراض النفسية والعقلية بحري مسحا بالمنصفة ويتردد على وادي حلفا . ولأن جدّه كان أمياً ليت المال التابع لإمارة عثمان دقة ، فقد قرأ رأيت حلال لحدى رياراته للمنبية على أن إنقاد جنس عثمان دقة يعتبر قضية قومية وأن من واجب الحكومة أن تقوم به . وقرراً في حالة عدم تحلي اللجنة الوزارية عن موقفها السلي قبل حلول العيصان - أن يقوم بأندس بنح القبر وإحراج الجنس ليتّم دفعه إما في أم درمان أو في سواكن على نفقتنا الخاصة .

وفي أغسطس جاء الفرج من جهات أخرى . فقد اتصل الأمام الهادي المهدي والسيد الصادق بلجنة النواطين . لعلمهما بتلك اللجنة الوزارية للحصول على الموافقة لنقل الجنان وإعادة دفعه في قة المهدي واهتمت الصحافة بالأمر واسترعت القضية الانتباه . وفي محاولة بممارسة مريد من الضغط ، سرب طه عثمان اقتراحي إلى الصحف . وقام السيد العدير حمد - صابط مجلس بلدية برر تسودان بإكساب القضية طابعاً شعبياً حين لفت إليها نظر المجلس فرحب المجلس بالاقترح وعين لجنة خاصة تقوم بالتحضير لاستقبال الجنس عند وصوله إلى بور تسودان وإقامة احتفال جماهيري عند بوابة سواكن . واحضر رئيس المجلس وزير الداخلية بالقرار وطلب موافقته قبل أن يمضي المجلس في التحصيرات . وأحست اللجنة الوزارية بأن الموضوع قد أصبح ساحاً بحيث يتعدى علمها المادي في تجاهله وأن قراراً إيجابياً ينبغي أن يتخذ . وتم تشكيل لجنة مشتركة من ممثلي الأنصار



وعصوية لجنة التوطيين لتحديد المكان المناسب لإعادة دفن الجثمان ، لكن اللجنة المشتركة لم تتوصل إلى قرار وتجمد الموضوع من جديد . ثم قرر اللواء عروة - وزير الداخلية - وصع الأمر بين يدي مجلس بلدية بورسودان ومنح المجلس موافقته للسير في إجراءات استقبال الجثمان .

وفي ٢٧ أغسطس تسلمت برفقة من صابط مجلس بلدية بورسودان نعيد بأن المجلس قد انتدب مساعده سليمان عثمان فيري لحضور عملية إحراج الجثمان من قبره بوادي حلفا ومرافقته إلى بورسودان . كما ألتفتني البرقية بأن ترتيبات قد أجريت مع سكك حديد السودان لإرسال مقطورة إلى حلفا في يوم ٢٨ لنقل الجثمان .

وتبعاً لذلك أعدنا ما يلي لإحراج الجثمان من القبر يزمن كاف :  
تابوت خشبي متين يمكن إغلاقه بإحكام ، ولعاقبة من قصش النسلان وقارورات عطر ومطهرات ، وعلم السودان لتعطية التابوت، وستة معاول دوات رؤوس، ومجاريص، وعشرة أكاليل من الزهور عليها ديباجات توزج للمعارك العشر التي حاضها عثمان نقة (يتم تجهيزها يوم إحراج الجثمان من القبر) وتم إيلاء المفتش الطبي لحضور عملية فتح القبر و إشراف على عملية إحراج الجثمان .

ونشرنا إعلاناً دعونا فيه من تبقى من الأهالي لحضور المناسبة في الساعة الرابعة عصراً ليوم ٣٠ أغسطس بالمقبرة . وفي ٢٩ أغسطس وصل سليمان من بورسودان وأخبرني بأن مجلسه قد جهز احتفالاً ضخماً لتلك المناسبة التاريخية وأن القبر الجديد قد تم حفره قرب بوابة كتشنر بسواكن . وفي الوقت المحدد وبحضور جمهرة كبيرة من الأهالي ، أصل أربعة من

الحقاريين معاولهم وسجاريهم في قبر عثمان دقة ... كانت التربة هشة مما سهل الحفر الذي لم يمض عليه سوى ربع ساعة حتى بلغ العطاء الحجري للفسر حيث كان جثمان الأمير يدعى براحته الأبدية . وأزاح الحفاريون الحجر الذي كان يعطي للحد عند الرأس فرأوا كفن الدبيل بحالة جيدة كما رأوا الشريط الذي يربط طرف الجثمان أعلى الرأس ثم أراح الحفاريون بقية حجارة الحد واحداً إثر واحد ليظهر الجسد كله ملتوقاً في كفيه ببحكام ... كان الكفن دانه بحاله طيبة إذ أن حياكته لم تفقد عروة واحدة ولم تحل المسوات السبع والثلاثون إلا نقطة صفراء باهتة ظهرت على هامش بياضه الناصع . وشمما رائحة طيبة خفيفة أبلغنا أن الجسد الحبل لم يتحلل بعوامل الجفاف . ثم رفع الجثمان على يدي ستة من الرجال (اثنين عند قدميه واثنين عند كتفيه واثنين على جانبيه ) ووضع على أرض مبسوطة حيث كشفنا عن وجهه للتأكد من شخصه ... كانت ملامح الوجه ظاهرة سوى أن جلد الوجه قد جف عند الوجنتين فأبرز العظام . أما فروة الرأس فقد احتفظت بجدها وأما شعر عثمان وحاجباه الكثيفان فقد بدا كما هما بينما طالت لحيتاه العريضة تتجلى بحصاب الحناء . ثم غطينا وجهه وكسونا الكفن بطبقة من الدبيل ونثربا عليها العطر . ووضعنا الجثمان في القبروت . وممرت غطاءه وعطيناه بعلم السودان وجعلنا أكاليل الزهور فوق غطاء العلم . كان المشهد مؤثراً وببلاً معاً .

أقيمت خطبة مطوّلاً ، وصفت فيه حياة عثمان دقة ابتداء من لقائه بالمهدي عقب سقوط الأبيض عام ١٨٨٢م وتعيينه أميراً على الشرق وانتهاء بوفاته في الأسر بوادي حلفا عام ١٩٢٧م . وأشدت ببطلانه الباسلة التي

دافعت - بعناد - عن حرية بلاده ضد العدو الأجنبي ، وحثمت خطايي قائلاً :  
" قصي بطلنا العظيم سيوف حبيته التسع عشرة الأخيرة أسيراً لدى السلطة  
البريطانية هي هذه المصيبة . وعاش وحيداً كسير النفس إلى أن توفي يوم أن  
يحبس به أحد كما لو كان مخلوقاً وصيغاً عاش ومات حاملاً للذكر والآثر .  
لكن التاريخ هو ذاكرة الأمم التي لا تجهل ولا تنسى . فالآثار الجليلة التي  
يخلقها الرجال تبقى أبداً من بعدهم مهم طال عليها التحايل والإهمال ، لأنها  
كوميص النار تحت الرملة فإنه سرعان ما يتوهمج - على مر الأيام - ويضيئ  
الطريق أمام أجيال المستقبل .. لقد حلت علي جيلنا اللحظة التي يتوجب عليه  
فيها أن يعظم ويحلل هذا البطل ويتعلم من سيرته ميادئ التصحية البطولية  
النبيلة والشجاعة والإنسانية "

وعندما فرغت من إلقاء خطايي ، حمل ثمانية من رجال الشرطة  
التابوت الذي علته أكابيل الزهور بينما تبعه الجمع الحاشد ببطء وسكون إلى  
محطة السكة الحديد . وهناك وصح التابوت هي الحافلة التي تم إغلاقها وختمها  
بالشمع الأحمر . وفي اليوم التالي ألحقت الحافلة بقطار الركاب الذي غادر  
المدينة صباحاً . وعند وصول القطار إلى عطبرة صبيحة أول سبتمبر كان  
في استقباله بالمحطة جمع عفير على رأسه الحاكم العسكري الذي ألقى خطاباً  
تمجيذاً للمناسبة . ثم فصلت الحافلة من قطار الركاب وحولت إلى خط جانبي  
لحبر إلحاقها - في المساء - بقطار مصانع كان متجهاً إلى بورنسودا . وقبل  
مغادرة القطار لعطبرة تلقى سليمان فحاة - توجيباً رسمياً يهيد بتعبير مكن  
إعادة دور الجنان من سواكن إلى (أركويت) ، وأرّ عليه تسليم حافلة القطار  
إلى أحد ضباط الشرطة بمحطة (صيت) قبالة (أركويت) . وفي الصباح

الباكر فصارت الحافلة عن القطار في تلك المحطة حيث تململ صابط الشرطة  
 يسما واصل سليمان رحلته إلى بورسودان وحيداً وقد امتلأ سخطاً ، وفي  
 بورسودان أصيب الجمهور -الذي أعد استقبالاً جليلاً- بخيبة أمل كبرى  
 نتيجة ذلك التعبير المفجئ . وفي ذات اليوم أصدر اللواء عروة بياناً أوضح  
 فيه الأسباب التي دعت إلى تعيير موقع دفن الجثمان وكانت كما يلي أولاً :  
 إن عثمان دقة لم يتمكن من الخدمة سواكن ، وسيكون من غير المفهوم أن يتم  
 دفن الجثمان هناك . ثانياً : إن اختيار (أركويت) تم بحجة أنها كانت نقطة  
 مراقبة لمعظم غاراته على منطقة تلال البحر الأحمر . ثالثاً . إن (أركويت)  
 موقع مباحي معروف ، وسيكون من الأفضل مواراة الجثمان ترابها وإقامة  
 لوحة تذكارية على القبر وتشيد متحف صغير يتردد عليه المواتح بدلاً من  
 إقامة هذه المنشآت في أطلال سواكن حيث يندر أن يزورها أحد .

وبالرغم من أن هذا البيان كان يحوي أسباباً مقنعة إلا أنه أثار بعض  
 الشكوك من جانب الأنصار على وجه الخصوص . لأن اللواء عروة الذي  
 كان ينتمي إلى طائفة الحتمية لم يكن يود أن يرى عثمان دقة مدفوناً سواكن  
 قرب ضريح السيد تاح السر الميرغني . ومهما كانت الأسباب فإن الاستقبال  
 الحافل الذي أعاد في بورسودان قد ألغى وتم تأجيل مراسم إعادة الدفن يومين  
 لتمكين من يرغب في الحضور من بورسودان ليشهدها . وفي الرابع من  
 سبتمبر وصل إلى محطة (صمت) الحاكم العسكري لبور تسودان بصحبه  
 أعضاء المجلس البلدي وكبار الموظفين والأعيان بمن فيهم ممثلون لأسرة  
 عثمان دقة . وحاصر من (سكاك) السيد سر الحتم جعفر الميرغني كما  
 حصر صباط وجود حامية (جيت) . وتحلف عن حضور المناسبة الإمام

الهسادي المهددي ووفد من رجال الأنصار بسبب عطل أصاب ماكينة الطائرة التي أفلتتهم استدعى الرجوع إلى الخرطوم بعد وقت قصير من الإقلاع .

خُمل العش من الحافلة التي كانت تقف بالمحطة - على أكتاف ضباط الجيش فيما حمل آخرون أكاليل الزهور (التي ظلت بحالة جيدة رغم الذبول الذي اعتراها) وساروا ببطء إلى جانب العش الذي نقل بعد ذلك إلى شاحنة عسكرية حملته إلى أركويت يتبعه موكب طويل من السيارات . كان القبر جاهراً على قمة تل مدجج بالفرب من هدى أركويت حيث ووري الجثمان الثرى .

في عام ١٩٦٦م قمتُ بزيارة للقبر فأحسيت أن أقيته مذبذباً في بقعة مهملة وقد علته طبقة خرسانية مبلطة بمسحة من الأسمنت الحشن وكما جرت الأحداث فإن نظام عبود قد سقط بعد شهر من إعادة دفن الجثمان ، ولذلك فإن أحداً لم يهتم بتقيد ما وعد به من لوحة تذكارية ومتحف .

وفي ٥ سبتمبر وبعد أن فرغنا من ترحيل جثمان عثمان دفنه تلقيتُ برفقة شخصية من السيد محمد عثمان الميرغني - أكبر أنجال السيد علي الميرغني تعهد بأن وفداً من الحلفاء قد توجه إلى وادي حلف لإحراج جثمان سيدي إبراهيم الميرغني ونقله إلى حلفا الجديدة ، متعساً مني أن أقدم لهم كل ما أستطيع من عون . ولقد أسفجت لهذا الالتماس الهام وأجريت كل الترتيبات الضرورية لفتح القبر وإجلاء جثمان الشريف علي غرار ما فعله لجثمان جثمان دفنه وتم إعداد أكاليل الزهور بينما جهر الختمية الرينة التي تتطلبها المناسبة وفق طريقتهم .

وفي السادس من الشهر وصل وفد مكون من ٢٥٠ شخصاً إلى وادي حلفا على قطار خاص بقيادة الخليفة إبراهيم صالح سوار الذهب والخليفة علي محمد عثمان مالك والخليفة محمد الأمين خوجلي والخليفة مير عني محبوب وهم جميعاً رجال معروفون ومجتلون لدى طائفة الختمية تطلقهم جمع من المرامطين بمحطة (عسقلش) . وقد أحبرت الخليفة إبراهيم صالح بكل التحضيرات التي أعدهاها ، فشكرني قائلاً لهم - من ناب معرفتهم للظروف الصعبة بسوادي حلفا - بعد جلبوا معهم كل المعدات التي يحتاجونها لإنجاز المهمة . وتم الاتفاق - بناء على موعد معادرة القطار لوادي حلفا في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثامن من سبتمبر - على فتح القبر في الصباح الباكر من نفس اليوم

وفي الساعة التاسعة من صباح ٧ سبتمبر ، اتصل بي الخليفة إبراهيم صالح هاتفياً وأحطرتني بأنهم قرروا الشروع في فتح القبر فوراً (قبل يوم من الموعد المتفق عليه ) وأن جمعاً غفيراً حبيبها قد أمّ الصريح . والتس منى أن ألحق بهم فأسرعت إلى صريح سودي إبراهيم . وهناك وجدت حشداً يملأ المسجد والساحة فتي يقوم عليها الصريح وقد علت في الجو مدائح الختمية ببرات مؤثرة . وكان بعضهم يلوّحون بأسبافهم بينما انخرط العصر في بكاء وحبيب . وتلقاني الخليفة إبراهيم صالح سوار الذهب عند المدخل وقادني إلى داخل الصريح . وهناك رأيت الناس في زحام وكانهم قد رح بهم في غلبة سرددين . فلم يكن هناك موطن لتقديم ناهيك عن مجال يمكن الحفارين من القيام بعملهم . ولم نستطع - إلا بمساعدة الشرطة - من إجلاء جزء من ذلك الجمع الحاشد ليتسنى لك بدء عملية الحفر . وتصدر الاحتفال الخليفة علي

محم . عثمان مالك حيث أُلقي بفيلكة تاريخية عن سيدي إبراهيم ثم تلا جزءاً من القرآن الكريم ثم أنشد قصيدة (المرآق) التي عادة ما يدهن الحثمية موتاهم على نعوماتها الحريفة . وطوال هذا الوقت كانت عملية الحفر تتواصل وكانت الرمال تجرف حارح القبر . وجاءت اصطكت مقدمة العأس بحجارة اللحد . فعم المكان صوت عميق ، وبدأ الحفاريون في إزالة الرمال عن حفرة القبر دون أن تمتد أيديهم إلى لعطاء الحجري . في تلك اللحظة حرج بي الخليفة إبراهيم صالح من داخل الصريح وأراني قائمة من ستة خلفاء بخط السيد علي الميرغسي ، وأخبرني في السيد علي قد وجه بالأل يبق في داخل الصريح غيرهم عند بحراج الجثمان . عند ذلك أمرت الشرطة بإخراج الجميع من الصريح وألا يسمحوا لأحد بالدخول إلا بإشارة من الخليفة إبراهيم . ولم تمض سوى لحظات حتى حرج الجميع ثم دخل الخلفاء الستة وأغلقوا الباب من خلفهم وبقيت أنا بالحارج كذلك . وبعد مرور ربع ساعة فُتح الباب ونودي علي . فدخلت الصريح ومن خلفي حشد يتراحم على الباب . هناك رأيت جثمان سيدي إبراهيم ممتداً على كوم من الرمل جوار حفرة القبر ، وبدا الكفن الذي يلبسه شديد البياض ، كما بدا الجسد بحالة طيبة - قصيراً وممتلئاً ولحياً . وبعد أثرت السنوات الست والخمسون - منذ أن ووري الثرى علي قوة احتمال القماش فتآكل قليلاً من أطرافه . غير أن الخليفة مالك قال لي ذلك حدث عند رفع الجثمان من القبر . وأخبرني خليفة نوبي حصر بحراج الجثمان ومشارك في حمله إلى حارج القبر لي الصد كان على حاله يوم دفن ، وهذا ما أُميل أنا إلى تصديقه .

وحلال لحصات بمثابة الصريح بالناس الذين كانوا يتدافعون من أجل الوصول إلى الجسد المسجى لينالوا معمة يتبركون بها . ويرل آخرون إلى داخل حفرة القبر ليعترفوا من الرمل المبارك بقدر ما يستطيعون ويصرّونه في جلايبهم وعائلاتهم . واسنخود آخرون على حجارة اللحد بنية أن يستخدموها - أنفسهم - في قبورهم حين يتوفاهم الله

في خارج الصريح عمّت المكان جلبة وتعلّلت أصوات البكاء والنرايم وأحد الناس يرقصون بعصيتهم وسيوفهم وهم مسخرون بمعجزة الجسد المصور . وذبحت أعلام كثيرة تحليداً للمناسبة وقُسمت لحومها على الجميع . كنى الاحتفال أشبه ما يكون بطقوس روحية سامية عمقت إيمان الناس بصلاح سيدي إبراهيم وعلو شأنه

ووضع الجثمان عقب ذلك - على (عنقريب) وحمل إلى ساحة المسجد بعد أن غُطي بقطعة شفاقة من قماش أحمر لينمك الجميع من إلقاء نظرة عليه ، ونقى على تلك الحال إلى ما بعد صلاة العشاء . ثم وُضع في التابوت وحُفظ داخل المسجد تحت حراسة الشرطة إلى اليوم التالي .

وفي الساعة العاشرة من صبيحة الثامن من سبتمبر امتلأت ساحة الصريح مرة أخرى بالناس . ووضع التابوت - حينئذ - على عنقريب رُحرف حصيصاً لهذه المناسبة وحمل على أكتاف رجال الشرطة في موكب صحم إلى محطة (عقش) حيث أدخل حافلة معلقة . وغادر القطار الخاص في الساعة الحادية عشرة صباحاً

كان السيد علي الميرغبي يرغب - أولاً - في نقل جثمان سيدي إبراهيم إلى المرحلوم بحري لينهض هي صريح السيد المحجوب غير أن إلحاح



التربيين على دفعه في وطنهم الجديد ، دفعه إلى إرسال الجنمان إلى حلفاء الجديدة ليقيم هناك .

لم يكن سكان دعيم راضين لروية الجنمان وهو يقل من منطقتهم لاعتقادهم بأن بقاءه في ظهر ابيهم سيمنع النيل من إغراق المنطقة وقد ساد أغلبية شعور بالإحباط امتنعوا بسببه عن حضور عملية فتح القبر وإجلاء الجنمان .

قوبل القطار في (أبو حمد) بحشد من الناس جاءوا للتعبير عن مشاعرهم تجاه الرجل الشريف . ونحرت الثيران وورعت الصدقات على الفقراء والمساكين . وفي (عطبرة) كان في استقبال القطر بالمحطة جمع كبير صم الحاكم العسكري للمدينة . وفي محطة (هي) رافق الجنمان إلى (حلفاء الجديدة) السيد أحمد الميرغني الابن الأصغر للسيد علي وسعه السيد مر الحتم والسيد هاشم ، جلا السيد جعفر . وعند وصول القطر إلى كسلا خرجت المدينة عن بكره أبيها بقيادة السيد الحسن الميرغني وأقامت احتفالاً صحفاً استقبالا للجنمان . وقبل أن يصل الجنمان إلى حلفاء الجديدة بمسافة بعيدة - إستقبله مئات من الشكرية والهندرة على ظهور الجمال بينما تسابق موكب صحف من السيارات والساحات على جانب القطر وهو يتجه إلى المحطة . وتوقف القطر عند نقطة قبالة مكان الدهن حيث تجمعت كتل بشرية جاء بعضها من مناطق مائية ليشهدوا استقرار الجنمان في مثواه الأخير . كان هناك شيوخ الشكرية جميعهم يعتلون جمالهم وسط آلاف من أتباعهم - ويلوحون بسيوفهم اللمعة تعبيراً عن ولائهم وإجلالهم لصاحب

الجثمان . وتجمع النوبيون من كل القرى لاستقبال الجثمان الشريف الذي أظلمه صاحبه بالبركات طوال إقامتهم في الوطن القديم .

ثم أخرج النابوت من الحافه فتلقته الجموع بمشاعر غامرة من التهليل والأنشيد . وعلت أصوات البعض من هول الإثارة بينما انحرفت أخرى في البكاء والحزن . وانبرى الحاكم العسكري للمطقة ورعماء العشائر خطباء بكلمات مؤثرة . ثم تحدث الخليفة علي عثمان مالك فشكر المستعسلين على تجسّمهم مشاق القدوم من أصفاح بعيدة لبشدهوا مر اسم للنفن وأنتى على ما نحرّوا من ذبائح الإبل والبقر والصلن قرباناً بين يدي الماسبة الشريفة .. كان القبر جاهزاً فأخرج النابوت ثم ووري الثرى . ولحيط القبر بمظلة مؤقتة من الحديد المصقول إلى حين أن يكتمل بناء الضريح . وفي وقت لاحق حصص السيد علي الميرغني مساحة واسعة من الأرض - في حلفا الجديدة - لبناء معهد علمي ومسجد يحمل اسم سيدي إبراهيم إلى جانب سيج فحم قام حول القبر .

وبعد أسبوع من إجلاء ونقل جثمان سيدي إبراهيم ، استقبلتُ وهذا من الأنصار بحث به الإمام الهادي المهدي لإجلاء وإجلاء جثمان عمه : (السيد الطاهر المهدي) الذي توفى نوادي حلفا أثناء عودته من المنفى بمصر عام ١٩٠٨م . وما أنه كان قد بنى بمقبرة دغيم التي كانت الميهه حينئذ قد عمرتها عند وصولهم ، فما كان في الإمكان بخراج الجثمان فعند الوعد إلى الخرطوم دون أن يلجز المهمة .

ومن بين الموتى العائدين ، لم يتم إحصاء وإجلاء أحد سوى جنس  
النسيب (أحمد أبو حبل) حموا (إبراهيم مدي) الذي قتل أيديهم في الخرطوم .  
وبقى الموتى الآخرون في أجدانهم بسلام وسكينة .

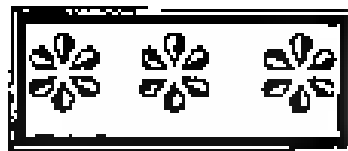
وفي ١٧ سبتمبر غادرت وادي حلفا منقولا نهائياً إلى الخرطوم محلف  
(بنديم) ليتولى مهمة تهجير الفوجين الناقبين وتهجير الفوج المرحلة الثالثة  
(عموميات صرص ودواشات وعكاشة ، ) وبحلول يوم ٢٢ سبتمبر غادر  
الفوج الأخير من المرحلتين الأولى والثانية المصطفة .

وفي ٢١ أكتوبر سقط نظام الرئيس عيود ، فتكاثفت الحكومة الجديدة  
(تحتسركها الرغبة في تشويه سمعة إدارة عيود ) مع العناصر المساوئة للتهجير  
بالخرطوم وحلفا القديمة . وفتحت الباب واسعاً أمام الاتهامات والانتقادات ضد  
قضية التهجير وإعادة التوطين برمتها . والشئى الأمر إلى رفع شكاوى تحوي  
كافة أخطاء الاتهام ضد الأشخاص الذين اضطنوا بواجبات التهجير وإعادة  
التوطين . وتم تكوين لجنة لتقصي الحقائق تولت فحص كل جوانب المسألة  
وإعداد تقرير عنها . وعقدت اللجنة عدة اجتماعات وأطلعت على كافة وثائق  
وتقارير لجنة التوطين بالإضافة إلى تقرير مراجعة عامة شمل كل حسابات  
المصروفات . ولم تجد اللجنة ما يستأهل توصية بمشروع اتهام لأحد . وقام  
رئيس الوزراء بصحبه بعض الوزراء وقادة التوبيين المقيمين في الخرطوم  
بزيارة لحلف القديمة وقابلوا السكان المقيمين هناك . وكان طبيعياً أن يجدهم  
الوفد في وضع حرج لأنهم ظلوا في حركة مستمرة تبعاً للارتفاع المطرد في  
مستوى المياه الذي كان يضاردهم . وسيحتاج الأمر إلى سنوات عديدة قبل أن  
يتوقف مستوى المياه عند شواطئ ثابتة يحيط عنها السكنى رجالهم بصورة

بيائية . وبدلاً من أن يكون رئيس الوزراء عملياً فإنه بذل وعوداً معرطة  
بتعذر الوفاء بها ويصعب تنفيذها على الفور .

أخرت هذه المناورات تهجير المرحلة الثالثة وجعته أمراً مشكوك فيه  
ببم تواصل ارتفاع منسوب المياه وهدد المنطقة الشمالية لعرص سلعرق  
وقطع الطريق الوحيد الذي يصلها بالداخلية الجنوبية . ولحسن الحظ فإن  
الوضع لم يستمر هكذا طويلاً . فحالما تسلمت الحكومة المنتخبة مقاليد  
الأمر ، اتخذت قراراً بمواصلة تهجير المرحلة الثالثة ، وتم رصد اعتمادات  
سالية لتشييد القرى اللارمة مما مكن لمقاولين من إنجاز بنائها بسرعة  
معقولة . وأصبح تصميم المنازل أفضل وأنسب مما كان عليه . في المراحل  
السابقة - بالرغم من أنه تم بنفس الإمكانيات المتوفرة .

وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٦٥م . وبعد مرور عام بالضبط على سقوط نظام  
الرئيس عبود - غادر الفوج الأول من المرحلة الثالثة إلى حشم القرية .  
وبحلول يوم ٢٣ نوفمبر تم تهجير الفوج الأخير من المنطقة وكان عدده  
٢٢٥٧ شخصاً . غير أن العقبة الوحيدة التي واجهت التهجير في هذه المرحلة  
هي أن السيارات كانت تقطع مسافة طويلة من القرى إلى محطة السكة الحديد  
وإلى مطار وادي حلفا . (في حالة "أكمة" وقرية عكاشة بلغ طول المسافة  
١٢٠ كيلو متراً ) . ولم يحدث كما أخبرني (نديم) - أي حادث ذي خطر  
خلال تهجير هذه المرحلة . وإلى هنا أسدل الستار على عملية التهجير بكل  
مراحلها الثلاث .





جثمان عثمان دفنة قبل نقله إلى أركويت



جثمان إبراهيم الميرغني قبل نقله إلى حلقا الجديدة

## الفصل الثالث والعشرون

### تكاليف التمهيد وإعادة التوطين

أشارت مديرية لجنة التوظيف كثيراً من الشك في الأوساط الشعبية وعلى صفحات الجرائد والأرقام التي قالت بها الشائعات خصوصاً فيما يتعلق ببناء المساكن - كانت مبالغاً فيه ، فقد قدر البعض تكلفة بناء منازل وحده بما جملته ٧٧ مليوناً من الجنيهات

.. إن الحسابات الختامية لكل التكاليف المرتبطة بهذا الموضوع وفق للمراجعة التي قام بها معتمد مصلحة المراجعة (١) - جاءت كما يلي .

#### ١ - المرتبات والعلاوات :

١.٦٣٦,١٣٠ جنيه

يشمل هذا الرقم رواتب وعلاوات كل الموظفين والعمال التابعين للوزارات الحكومية الذين شاركوا في تنفيذ عمليتي التهجير وإعادة التوظيف ( رئاسة لجنة التوظيف ، إدارة التهجير بوائي حلف ، مكتب إعادة التوظيف بحشم القرية ، إعداد قوائم التعويضات وتسيدها ، مصروفات عمليات الإحصاء ومرتبات موظفي الأشغال والري والزراعة والصحة والتعليم والثروة الحيوانية والغابات والأمن والمصاحبة والإعلام ، الذين كانوا يتبعون لجنة التوظيف ) .

#### ٢ - الخدمات للمصلحة :

٤٤٦ , ٧٥٥ جنيه

كان الرقم الأكبر - الذي يندرج تحت هذا المصنف هو تكاليف ترحيل المهجرين بالمناحيات ونقل أمتعتهم من مكان إقامتهم إلى محطة قسكة حديد بوائي حلفاً ثم من محطة حشم القرية إلى قرىهم الجديدة ، إضافة إلى تكاليف ترحيل كل الموظفين والعمال بالسكة حديد والسيارات خلال سنوات بدء مخطط إعادة التوظيف ، وتكاليف خدمات البريد والبرق بقيمة المعدات المكنية .

#### ٣ - تكاليف الإسكان والمرافق الحكومية :

١,٢٦٩ , ١٥,٩٠٠ جنيه

(١) ديج.د. محمد محمد العبد - حالي - القاهرة

كبر ذلك أكثر وأهم بنود المشروع كله وتدرج تحته قسمة تشييد ٧٢٢٤  
مدراساً للأهالي و ٢٠٣ مدراساً حكومياً لسكن الموظفين والعمال ومسجداً جامعاً بحلقة  
الجديدة و ٢٥ مسجداً صغيراً بالقرى وأربع مدارس متوسطة ومعهد علمي و ٢٧  
مدرسة ابتدائية ومستشفى كبير (درجة أولى) ومكاتب إدارية للمجلس المحلي  
ومحكمة ومدرسة للشرطة ومستشفى بيطري وسوق للحوم والحضر بالمدينة  
ومسجد ومكتب للبريد والبرق ورئاسة للري وأخرى للزراعة ومحطة مياه شرب  
للمدينة .

ومن بين كل هذه الأعمال الإنشائية كانت عملية تشييد مدارس الأهالي -  
وحدها - ١٤٠٠٠,٠٠٠ جنيه .

#### ٤- أتعاب المهندسين الاستشاريين: ٤٢٧,٠٧ ١ جنيه

وهي المبالغ التي دفعت للسادة (كوكس الهندسية) وللمهندسين الاستشاريين  
السودانيين الذين أشرفوا على تشييد المباني

#### ٥- التعويضات : ٢,٩١٣,٨٦٧ جنيه

وقد تم دفعها لأهالي وادي حلفا عن ممتلكاتهم الثابتة التي غرقت تحت مياه  
البحيرة . وقد بدعت تعويضات النحل - وحدها - حوالي ٣ مليون جنيه أما  
تعويضات الأراضي والمساكن فقد استعنت من هذا الرقم

#### ٦- إدارة المهجرين : ١,٠٣٦,٥٧٧ جنيه

وتشمل قيمة ترحيل أهالي وادي حلفا وأمتعتهم بالسكة الحديد إلى موطنهم  
الجديد بالإضافة إلى تكلفة حرم الأمتعة وقيمة زاد الرحلة للمهجرين .

#### ٧- إعاشة المهجرين : ١٣١,٥٤٢ جنيه

دفعتها الحكومة مشاركة في العوز الذي وفرت له منظمة الأغذية والزراعة  
العالمية وتكلفة لوجيات الطعام الذي تقدم للمهجرين في يوم وصولهم للوطن الجديد  
ويشمل هذا المبلغ إدارة كميات العداء الذي وفرت له المنظمة وتوزيعه



## ٨- مصروفات أخرى :

٢٠١٩٦,٧٨٤ جنيه

تم شراء كل الماكينات الزراعية من هذا المبلغ لمشروع حشم القرية إضافة إلى قيمة أسطول السيارات المخصص لإدارة المشروع ويشمل السلع أيضاً كل مصروفات تحضير الأرض للمرحلة الأولى للمشروع وتكاليف المزرعة التجريبية ومصنع السكر وحفر قنوات (أبو عشرين) وحفر بئر مياه للشرب للقرية .

وهكذا فإن جملة بتود المصروفات التي خصصت لعملية التجهيز وإعادة

التوطين قد بلغت ٢٥,٩٩٥,٧٨٤ جنيه .

لقد أنحى كثير من الناس باللائمة على اللواء فريد أو قل : على إدارة عبود بقوله، مبلغ ١٥ مليون جنيه تعويضاً من مصر ، على أساس أن هذا المبلغ كان صائباً للغاية . إلا أن منطق الدافدين لم يصح اعتياداً للمصروفات الباهظة التي حُصصت لتسييد مزارل لأهالي وقيمة ١١ مليون جنيه صرفت على إقامة خزان حشم القرية . وقد رأى الدافدون أن كل هذه المصروفات كان ينبغي أن تخصص (العائتورة) التي رجعها اللواء فريد للحكومة المصرية وفي ظني فإن تلك الحجة لم تكن من الإنصاف في شيء فهي للمقام الأول فإن كل المنزل التي عمرتها مياه المحسرة - تقريباً - كانت من مستوى مكن ، فهي إما مبان طينية أو من الطوب الأحمر وكان متوسط قيمة المنزل حسبما أوصحته قوائم التعويض لا يتعدى ٢٥٠ جنيهاً ، ولو شئت إدارة عبود انقري الجديدة في حشم القرية بالمستوى الذي كانت عليه في وادي حلفا ، لانخفاض مبلغ ١٤ مليون من الجبهات إلى ٢,١ مليون جنيه - كحد أقصى - إذ وصعباً لي الاعتناء الارتفاع الطفيف في قيمة المساكن الطينية بوسط السودان . وإن الذين يحتجون بعدم قدرة المبنى الطينية على الصمود أمام الأحوال للمناخية بحشم القرية ، ينبغي أن يتذكروا أن كل قرى الجريزة - رغم أمطارها العريضة - شيدت بالطين وأن بعض المنازل - هي حشم انقري ذاتها - شيدت بالطين الحام . ولعل السبب في ارتفاع تكلفة المبنى في حشم

القرية بالصورة التي بنيتها الأرقام يرجع إلى أن إدارة شؤون كانت قد صممت على حلف ظروف معيشية حديثة تقوم على تخطيط عصري وتشييد مباني بالمواد الثابتة ( هذا ما لم يكن من هموم المصريين ) ولو سارت الأمور مع شركة (برف) كما كان مأمور لا نزلت قيمة التكلفة الإجمالية إلى ما دون النصف ، ولا بد من أن يشير إلى أن المصريين أنفسهم لم يوفروا مثل هذا المستوى للعالي لنوبيهم الذين تم تهجيرهم إلى (كوم أمبو ) ومن ناحية أخرى فإن الحاجة القائلة بإضافة تكلفة حرق حشم القرية أو جزء منه إلى (العائرة) ، تنحصرها حقيقة أن أهالي حلف لم يكونوا يعرفون حرق في وطنهم القديم ، وكانت وسائل الري عندهم مقصورة إما على موائيم التقليدية أو على المصحات ذات الدفع المحدود . وقد تم تعويضهم عنها في السند (رقم ٥) من الميراثية للوردة أعلاه ولعله من المناسب -هـ- أن يذكر أن كل تلك المصحات قد تم تفكيكها بواسطة وزارة الزراعة واستحدثت في أجزاء أخرى من السودان .

بما حرق حشم القرية فقد كان مشروعاً مستغلاً وظل قيد النظر منذ أيام الإدارة البريطانية عندما كان السد العالي مجرد فكرة تستوي قتيلاً من علماء الميراثيين . وحتى لو تم احتيل مشروع بديل للسد العالي ، فقد كان لا بد من قيام مشروع حشم القرية ولا أطر حينئذ أن أحاسن عرض على السماح للنوبيين - باعتبارهم سودانيين وبالنظر إلى الصيق القادح في أراضيهم الزراعية بالسروح من بلادهم والإقامة في منطقة المشروع دون أن يفقدوا ما غرسوه في وطنهم الأول . ولعل الحاجة لما منه لرقعة زراعية - والتي واكبت تهجير أهالي وادي حلفا كانت هي وحدها الدافع للإسراع بتنفيذ المشروع مما أوحى لكثير من الناس أنه أقسم حصصاً للحلفاويين دون أن يستهوا إلى حقيقة أن أهالي حلفا لم يشعروا سوى خمس مساحته بينما تم تقسيم باقي المساحة على القبائل المحلية .

بعد غابت حقيقتان هامتان عن ذهن القاصين ، أولاهما أن الفائدة الإجمالية التي جناها السودان من مياه النيل المتوقعة من قيم الممد العالي قد بلغت ١٤٥ مليار متر مكعب . أي صعب التخمينة التي توقرت للمصريين أنفسهم . ورشما عن ذلك من الحرية العامة المصرية حصلت تكلفة إنشاء المشروع دون إقحام السودان في التزامات مالية . وثانيتهما أن كل ما صرف على قيام مشروع حشم القرية لم يكن هدرأ . فإذا وصفت جانباً تشييد المنازل والتعويضات النقدية ، فإن كل المصروفات وجهت إلى استثمار اقتصادي مجد . فالمشروع بالضرورة يدر دخلاً بدائمه . إضافة إلى العائد الذي يتمتع به المزارعون من خلال إنتاج المحصولات الزراعية . فهو يغذي الحرية العامة سنوياً بمبلغ ٦ مليون جنيه .

لقد انتقد البعض معدلات التعويض التي دفعت عن أشجار السحل باعتبار أنها كانت سخية للغاية بالمقارنة مع مبيع الجنيهين الذي دفعه المصريون تعويضاً عن السحلة الواحدة في النوبة السفلى . وأن أعترف أننا كنا نميل قليلاً إلى شيمة الكرم غير أننا لم نبالغ في ذلك فقد شرحت مسبقاً . كيف أننا صممنا معياراً لمعدلات تعويض عادلة . كان المبدأ العام الذي لفرم به أعضاء اللجنة هو الوقوف بصلاية ضد أي إتجاه يسبب ظلماً للمصريين فيما يتعلق بتعويضهم عن سحلهم . وساور إحساس بأنه من الحبر أن نجرل لهم العطاء قليلاً من أن نال من حقوقهم شيئاً فجامت النتيجة متماشية تماماً مع لأسعار التجارية لأشجار السحل في السوق واستفاد السريون من القاعدة التي اتبعها باعتبار المعمر والمشول من السحل في مرتبة الذي في أوج إنتاجه . أم معير المصريين لتفسيرات التعويض في النوبة السفلى - فليس من شأنه .

وإذا ما عدنا إلى تكاليف إقامة مباني الخدمات العامة (البند الثالث من ميزانية التهجير وإعادة التوزيع) ، فإننا نقف عند حقيقة أن تلك المباني أقيمت من أجل خدمة منطقته المشروع وما يجاورها من القرى لا من أجل خدمة أهالي والذي

حلف فحسب . وبالتالي فليس من الإنصاف أن تحمّل قيمتها الكليه ميزانية [عادة  
توضير أهالي وادي حلفا المتحدة

دعوا لأن تلقى بصره واقعية على قيمة ( العائورة ) التي كس ينبغي أن  
يسندده المصريون كتعويض عادل لحكومة السودان . فإن المادة (٥) من الفصل  
الثاني للاتفاقية تعرف الغرض الأساسي للتعويض وتحدده كما يلي

( توافق الجمهورية العربية المتحدة على دفع مبلغ ١٥ مليون جنيه مصري  
لجمهورية السودان تعويضاً كاملاً عن الخسائر التي تقع على الممتلكات السودانية  
البحالية بسبب تحرير المياه في بحيرة السد العالي إلى ارتفاع ١٨٢ متراً ) . وهكذا  
فإن من الواضح أن التعويض كان يعني بالممتلكات التي تضرها مياه البحيرة لاغير .  
إلا أن السقاة الحائقيين كانوا يقولون به كان من الواجب أن يشمل التعويض إقامة  
مشروع إحتياسي لأهالي حلفا ، ناسين أن كل أشكال الاقتصاد الزراعي للمطقة  
( الأرض ، النخيل ، وسائل لاي ) كانت - بالفعل - جزءاً من الممتلكات للعارقة  
التي تم تعويضها بمبلغ الـ ١٥ مليون جنيه . وفيما يلي تفاصيل الممتلكات التي  
فقدت مع بها قيمتها .

منازل النوبيين :

٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

أشجار نخيل وأصول زراعية أخرى:

٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه

أراضي ( ١٥,٠٠٠ فدان ) :

٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه

مباني حكومية :

٠,٢٥٠,٠٠٠ جنيه

الجملة :

٨,٢٥٠,٠٠٠ جنيه

الأرقام الواردة أعلاه هي جملة قيمة الممتلكات التي عرفت في مياه  
البحيرة بالمطقة المتأثرة بفيضان السد العالي والتي تم تعويض حكومه السودان  
عليها تماماً . وتعطي عملية إدارة التهجير حتى وصول المهجرين إلى قراهم

الجديدة بسلام - كل الفصل السادس (١,٠٣٦,٥٧٧ جنيه) ، وبصفه الفصل الأول (٠,٨١٨,٠٦٥ جنيه) وكل الفصل الثاني (٠,٧٥٥,٤٤٦ جنيه) وكل الفصل السابع (٠,١٣١,٥٤٢ جنيه) وذلك ما جملته ١٠,٩٩١,٦٣٠ جنيه وبفائض قدره ٤ مليون جنيه تم رصده لإجراء أي تعديلات على مشروع إعادة التوطين . وأظن أنه - وفقاً لهذه الأرقام - يمكن للمرء أن يحكم على مدى عدالة أو عدم عدالة المبيع المقرر للتعويضات (١٥ مليون جنيه) .

في استقاضي الشخصي للقائورة التي تقدم بها اللراء فريد هو أنها بُعِثت على الترحيل ولم تستند على قوائم مفصلة للممتلكات المتضررة أو تقديرات دقيقتها بقيمتها وذلك فقد شابها عنصر المغامرة ، ولو لا الصدفة للمحضنة لما كانت النتيجة عادلة. بقيت نقطة أخرى تتعلق بالاستناد الذي وجه لعملية الصرب الإضافي التي حدثت في العمليات الإنسانية بموقع خزان خشم للقرية . فقد كانت التقديرات الأصلية لتلك العمليات مبلغ ٧ مليون جنيه، إلا أن الأعمال الإنسانية الإصاحية والظروف الأخرى غير المتوقعة أدت إلى زيادة التقديرات لتصبح ١١ مليون جنيه. هذا بارت ثائرة الصحافة ونيج المحررون - الذين شابت عنهم حقيقة الوصف - مهالات بائدة، غير أن الموقف الحقيقي الذي أوصحته وزارة للري في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٦ أشار إلى تفاصيل الأعمال الإصاحية التي لم تشملها وثيقة العقد الذي أبرم مع شركة (ترب) وذلك كما يلي :

١ - تحويل مجرى نهر عطبرة مؤقتاً :

٤٩,٠٠٠ جنيه

٢ - تجسير أعماق وصفاف القناة الرئيسية بالأسمنت

المسلح لمسافة معقولة من مخرج بحيرة الحزان :

٢٧٢,٠٠٠ جنيه

٣ - إقامة أعمال إنشائية لمحطة (التربيات) في الجانب

الأعلى للنهر خلف الحزان .

١٢٥,٠٠٠ جنيه

٤ - قررت الحكومة إقامة مصنع للسكر - أثناء تشييد

لحرس - هي منطقة حشم القرية ويمثل قصب السكر

على عكس محصولات الدورة الزراعية - يحتاج

إلى ري مستمر طوال العام ، كما أن منسوب مياه

بحيرة الحرس سيكون منخفضاً بحيث لا يغذي القناة الرئيسية

في فصل الحفاف ، فقد تقرر إقامة مصحنتين عملاقيين

عند الحرس برفع المياه إلى القناة بتكلفة قدرها . ٣٥٠,٠٠٠ جنيه

٥- تشطيبات الخزان وأعمال إنشائية أخرى : ١٥٠,٠٠٠ جنيه

٦- معدات إضافية للأعمال الكهروميكانيكية : ٤٧٦,٠٠٠ جنيه

٧- أثناء عمليات الحفر في قاع النهر ، اضطرت شركة

(توربو) أن تعمق الحفر ، مما تطلب صرفاً إضافياً

على المعدات والمواد . ٩١,٣٧١ جنيه

٨- أ- لاحتياجات مؤقتة في قاع النهر : ٨٨,٠٠٠ جنيه

ب- أتعاب المهندسين الاستشاريين للأعمال الإضافية ٢٥٩,٥٣٤ جنيه

٩- أ- مطالبة شركة (توربو) مقابل إضرابها في رفع

معدل تنفيذ المباني تعويضاً عن الوقت الذي صاع في

حفر أعماق النهر : ٧٧٩,٠٠٠ جنيه

ب- مطالبة شركة (توربو) مقابل أعمالها الميكانيكية

والكهربائية المرتبطة بتشغيل المصحات ٤١,٠٠٠ جنيه

١٠- تحرير مئاة الأعمال الأسمنتية التي لم يكن

تحريرها مقررأ قبلاً :

١,٣٠٠,٠٠٠ جنيه

الجملة ٤,٢٨٦,٨٠٥ جنيه

وقد صادق مجلس الوزراء ، على هذا المبلغ في ١٧ أكتوبر ١٩٦٦ م .

## الفصل الرابع والعشرون

مشكلات ما بعد التمهيد

في نهاية عام ١٩٦٤م كان أكثر من ثلثي سكان المنطقة المتأثرة  
 بفيضانات النيل العالي قد وصلوا إلى حشم القربة ، وبدأوا في الاستقرار بمدينة  
 حلفا الجديدة وقراها . ولقد احتلت حياتهم الجديدة في العديد من جوانبها عما  
 ألفوه في موطنهم السابق . لقد تغيرت أوا البيئة . فالنيل يشطاه الحصر  
 وجزره السندسية ، وبساتينه الكثيفة والمنقرفة وبساتين النحل على ضفتيه ،  
 هذا النيل الذي سبوا فيه (قلوكاتهم) ، وشاهدوا فيه البواحر الرائحة والعائبة  
 من مصر ، وهي محملة بالركاب والبضائع . كل ذلك لم يعد له وجود في  
 موطنهم الجديد . فمشهر عطبرة كان وادب صيفا مقاربة بالنيل الحريص ،  
 وشواطئ نهر عطبرة كانت كثيفة وتكتسي بمجموعات متفرقة هنا وهناك من  
 شجيرات السط الشوكية التي وقعت دليلاً على طبيعة تلك الشواطئ الجافة .  
 وعوضاً عن الامتداد العسج والحلي للصخراء برمالها التي لا يهطل عليها  
 المطر ، وهضابها الصحيرية ، التي عزلتهم عن منطقة السافنا ، أصبح لهم  
 حصارام مسطح ممصر في منطقة الصائنا يسكنه عرب جاءوا إلى منطقة  
 المشروع حديثاً أو رعاة نبل يترحلون بقطعانهم في أرض البطانة . وأكثر من  
 ذلك فإن طرائقهم في الزراعة تغيرت بصورة جذرية ولم يعد هناك نخل في  
 موضعهم الجديد ولا ساقية ولا جروف . وبدلاً من النقص الحاد في الأرض  
 الذي طالما عانوا منه لزم طويل في وادي حلفا وبدلاً عن محاصيل الدورة  
 الزراعية التي كانت النماء يقم فيها بالإندار والحصاد ، أصبحت المشكلة  
 في كثرة التعامل مع متطلبات الحواشيات (الجديدة) الواسعة التي مبحث لهم  
 وإذا تركوا الفصح جانباً فقد كان عليهم الحصول من السوق على محاصيل  
 الدورة الزراعية التي يتكون منها غذائهم . فالعنس والكمبكي والتمرس وكذلك



للسلة التي يُعد من أوراها طريح (الورث) الشعبي الذي يؤكل مع الكايدة، لا يمكن راعتها في حلف الجديدة . وممكنهم الجديدة أنشئت على طرار الماء في أواسط السودان الذي أثر على العمارة النوبية ليتناسب والظروف الساحلية للبيئة الجديدة. فضلاً وجود هذا للصحاف الصيفية لتربس بوابات المنازل، ولا وجود للمساطب التي تمتد على طول الجدران الأمامية والتي تجلس السرة عليها في المساسبات الاجتماعية . وفوق ذلك كله تنعم أشجار الخيل التي يستظلون بها من حرارة الشمس .

ومن الناحية الاقتصادية فتقدوا مصدراً مضموناً لا يتطلب عملاً إلا وهو الدخل الذي كانوا يحصلون عليه من ثمار الخيل . وكان يتوجب عليهم الاعتماد على قواهم البدنية أو على استخدام الآلات ذات التكلفة المالية العالية، كما أن مداحيلهم من الحولات البردية تعدت نسبة لأن عدداً من أرباب الأسر الذين كانوا معتربين عن أسرهم أثروا بالعودة والاستقرار مع أطفالهم في ديارهم الجديدة

وبعامة فإن وسطهم البيئي قد أضر اهترافاً عميقاً ، كما أن محيطهم الجديد أفادهم بتحارب وحبرات جديدة ، لم يعتادوا عليها ، كان يتحتم عليهم التكيف معها .

إن مناقشة تأثيرات مجمل التحولات هذه على المجتمع النوبي الذي حل بختم القرية ليست موضوعيها ، ولكنني أعتقد أنها تدعو لإثارة انتباه علماء الاجتماع ، ونهيت لهم مجالاً ثراً للبحث أنا مهتم بتقديم صورته واضحة للحطوات التي تم اتخاذها لحل المشكلات الآتية التي واجهت المهترئين في

المرحلة الأولى ، وهم يضعون أقدامهم في الطريق الصحيح نحو الاستقرار النهائي :

### (١) الأراضي الزراعية :

بالرغم من أن الخطة الأصلية لمشروع إعادة التوطين كانت تتكون من ثلاث وعشرين قرية ، وهي كل قرية ٢٥٠ منزلاً بمساحة كافية حول كل قرية ، حيث تعطي أعداد (الحواشي) أعداد المنازل ، ومع أن مدينة حلف الجديدة وصعت في الوسط ووقعت كل قرية على مسافة ثمانية كيلو مترات من الأخرى حتى لا تتجاوز المسافة بين أكثر الحواشي بما وحدود القرية عن أربعة (كيلو مترات) ليصبح وصول الفلاح إليها سهلاً ، إلا أن هذه الخطة الأصلية المحكمة ، - لسوء الحظ - قد تأثرت أثناء التنفيذ باستجابة الحكومة للشائعات القائلة بأن نسبة مقبرة من سكان حلفا يصلون السكنى بقرية من صراف للحيرة ولذلك قررت تخفيض عدد المنازل في عدد من القرى وبحصة القرى رقم (٢١، ١٦، ١٢، ٩، ٧، ٤) . فقد تم تخفيض المنازل في كل قرية منها إلى مائة وخمسة وسبعين منزلاً . كما تم تخفيض عدد المساكن في القرية رقم (٢٣) إلى مائتي منزل. أما في القريتين (٢٠ و ٣٣) فقد تم تخصيص المنازل إلى ٢٣٥ منزلاً . ولقد كان لهذا القرار أثر مروع ، ففي المقام الأول تحتم لاحقاً (عندما اتضحت الصورة) ساء قريتين إصابتين استجابة للوضع الذي حتم نقل السكان إلى مناطق أقل ازدحاماً ، كما أن عدد الحواشي في كثير من القرى أصبح أكثر من المساكن ، في الوقت الذي بقصت الحواشي في القرى الأخرى مما أحدث اضطراباً في عملية توزيع الحواشي الصادرة والتي تم تخطيطها من قبل

وعندما استجابت الحكومة لمساعدة أهالي قرية ( الحصا ) بفصل منطقة المشروع عن أراضي الملك الحر ، كان ذلك على حساب الأرض التي تم تخصيصها من قبل للحواشيت . لذلك فقد تم تقليص (الحواشيت) فعليا وجاء هذا القرار متراميا مع إلغاء قرار تم اتحاده من قبل بنصر على منح كل عائلة فدانا واحدا لريادة الفاكهة . كما أدى هذا أيضا إلى إبطال النظام الصارم الراسي إلى أن تكون كامل الحواشيت على حدود القرى .

ولما لم تجد الحكومة حلا لهذه المشكلة المثيرة للقلق ، اتحدت قرارا يقضي بان يقوم منح الحواشيت على نظم يقوم على أسبقية وصول المهجرين لديرهم الجديدة . وفي هذه المرحلة التي لم تتصح فيها الرؤية، وصل أول أفواج المهجرين إلى منطقة حشم القرية . وما إن وصلت الأفواج الأولى من المهجرين حتى أطلقت مشكلة أخرى برأسها . شبت من بعد من بدود الاتفاقية المتعلقة بالأرض الزراعية . فوفقاً لهذا البند كان على المزارع دفع ثمن جنيتهات وستمائة قرش مقابل ربي خمسة لندس في دورة القمح الزراعية هذا البند تم رفضه من قبل النوبيين . فلقد تم تقدير قيمة الري في الحقيقة على أساس الفئة المقررة له في كمل المشروع وذلك نظراً تأخذ في اعتبارها التشغيل والصيانة وما يتم استهلاكه من أصول هي عتية الري . ولحساب ذلك بصورة صحيحة ، كان أكثر العناصر أهمية ( والذي كان موضوعاً لنقاشات مطولة ) هو متوسط العمر الافتراضي لحرم حشم القرية ذاته . وبالتسبة لهذه النقطة أورد ممثل مصلحة الري ما يقيد بأن الخزان سيعمل أربعين عاماً لا غير . أما الاعتراضات التي أثارها الأعضاء من غير النوبيين -وهي أن حران سار الذي تم بناؤه من الحجر والأمنت المسلح يمنع من

العمر أربعين عاماً ومن المتوقع أن يستمر في الخدمة لسنوات قادمة كثيرة . فلم يكن لها من أثر . وتم الأخذ بالرقم الذي ذكره ممثل وزارة الري دون تغيير . وقد أدى ذلك إلى رفع تكلفة الري كثيراً وجعلها تكاد تساوي تكلفة الري بالطمبات . ولقد قاوم السوييون مبدأ جمع رسوم المياه معتمدين في مقاومتهم على أن الاتفاقية الزراعية في مشروع الجزيرة لا تنص على جمع رسوم للمياه فيما يتعلق برعاية محصولي الدرة والقمح ، وأن الدولة يكتفت هناك بجزء من أرباح القطن المنتج ، وبالصرائب التي يدفعها المزارعون عن المحاصيل التي يزرعونها باختيارهم . وبناء على ذلك فقد طالب السوييون بتطبيق ذات الشروط عليهم .

المشكلة الثالثة كانت مشكلة سايكلوجية حاصلة ذلك أنه كل من المقرر أن تتم حراثة الأرض وتحجيرها للزراعة قبل وقت كاف ، حتى يتمّ توريثها على الأهالي فور وصولهم لبدءوا عملية البذار للدورة التنويرية . ولقد ألمح اللواء عروة إلى ذلك في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة وصول الفوج الأول للمهجرين . وبعد يوم واحد فقط من وصولهم طلبت الحكومة منهم استلام حوائثهم وبدء العمل في الدورة الزراعية . وقد تجاهل الأمر ( والذي تم تطبيقه بصورة آلية ) الظروف النفسية للمهجرين في أيامهم الأولى في موطنهم الجديد . وما كان على الحكومة أن تتوقع منهم حال وصولهم بقلوب متقلبة بلواعج فراق أرض الأجداد إلى مكان آخر جديد تماماً بالنسبة لهم ، وامتعتهم لا تزال محرومة .. ما كان لها أن تتوقع منهم أن يدفعوا زراعتهم ووحدها نحو مزارعهم ليدرؤوا القمح . كانوا في حاجة لبعض الوقت ليتمكنوا من ترتيب أمتعتهم وتهيئة مساكنهم والتعرف عليها ، ولمعرفة قراهم والتعاش

مع بينتهم الجديدة ... كانوا مشغولين بمشاكلهم ، وما كس هناك مجال للتفكير في مشاكل الزراعة وما يرتبط بها من مصاعب جسمانية وجهية نفسي . ولقد رأب اللجنة الوراقية أن تفويت دورة زراعية بعد حسارة قومية ، وكانت محقة في ذلك ، ولكن لتجنب الخسائر ، كس عليها أن تجري ترتيباتها ليصل المهجرون في وقت أبكر من الذي وصلوا فيه . كل هذه العوامل مجتمعة كانت السبب في رفض اللوبيين استلام (حواشاتهم) الجديدة، ولقد تركت مطالبهم حول رسوم المياه وبامت محاولات الحكومة في إقناعهم بالفشل . ولما كانت تلك هي النتيجة ومع رغبة اللجنة الوراقية الأكيدة في عدم حصر الموسم الزراعي ، فقد قررت منح (الحواشات) لأي مواطن ، سواء كان ثوبياً أو غيره دون أي التزامات حتى يتم النظر في الموضوع . كان هذه القرار بمثابة فتح الباب للمتقنين من غير اللوبيين ، ومعظمهم من عربان المنطقة ، الذين تمكنوا من حيازة الحواشات فوراً . ولقد حصلت القنائل المحلية وحدها على ١٤٠٠ حواشة . وأصابت تداعيات هذا القرار تعقيدات أخرى على الوضع المعقد أصلاً .

وقبل بدء الموسم الزراعي الجديد كانت الحكومة قد أعادت النظر في مسألة رسوم المياه وقررت إعفاء دورة زراعة القمح من الرسوم عتلاً هو الحال في مشروع الجزيرة . فكن الرد الفوري للوبيين إيجابياً ، ولكن العديد من المشاكل نلت ذلك بسبب رفض رجال القنائل المحلية التحلي عن حواشاتهم الألف و لأربعمئة حتى يتم تعويضهم في المرحلة الثانية والثالثة للمشروع . وهذا ما جعل التوزيع المظم (الحواشات) أكثر صعوبة . كما أن الموقف تفاقم بسبب السياسة غير المنصبطة في التوزيع نفسه . فهالك خمسمئة من أرباب

الأسر ثم منح كل واحد منهم (حواشيتين) ، وهناك اثنا عشر وعشرون آخرون ثم منح كل واحد منهم ثلاث حواشات. هذا غير خمسة عشر محظوظاً حصل كل واحد منهم على حصص أو ست حواشات . وبنتيجة لذلك سادت عمليات التعتدي على أراضي الآخرين محصص أسماء القرى هي منطقة إعادة التوطين بداية من قرية (فرص) حتى قرية دعيم ، بل أن مزارع قصب السكر تعرضت للتعتدي لدرجة ما وتم التعويض عن بعضها.

كانت (حواشات) آلاف المزارعين بعيدة عن مساكنهم وهكذا انتهى الهدف من وراء التخطيط الجيد الذي وضع من قبل . وعينت الحكومات المعاقبة لجنة إثر لجنة لمراجعة الأمر ولكن تلك اللجان لم تحرر إلا تقديماً يسيراً . فالملاك الذين امتلكوا أكثر من حواشة منحوا واحدة فقط وتم إجرامهم من الحواشات الأخرى وحملت تلك الحواشات لأرباب الأسر الذين حرموا من الحواشات هي التقسيم السابق .

أستطيع أنقول إن المشكلة برمتها كانت ترجع إلى خمسة عوامل هي :  
أولاً : تقليل عدد المساكن في القرى وإنشاء قرى جديدة لا يتناسب عددها مع عدد الحواشات .

ثانياً : القرار الذي اتخذته الحكومة من جانب واحد وهو ضم أراضي الملك الحر إلى منطقة المشروع في مراحل تخطيطه لأولى دور الرجوع للأهالي وهو نفس القرار الذي سببه أهالي ( الحصا ) في غير وقته.

ثالثاً : فرض رسوم على المياه في الدورة الزراعية للقمح وهو أمر غير ملائم .

رابعاً : العجلة غير اللاتقة في حث المهجرين على استلام حواشيتهم فور وصولهم وفي وقت كانوا فيه غير مهينين نفسياً.

وأخيراً : توزيع حواشات النوبيين على القبائل المحلية .

ومقيمت هذالك معضلة متعلقة بالأرض فعور قيام الحكومة بفصل أراضي الملك الحر عن أراضي المشروع، قام النوبيون بتسليم عريضة تحوي المطالب التالية كشرط للموافقة على تسجيل أراضيهم. والمطالب هي : أن يتم إدخال أراضيهم المملوكة ملكاً حرّاً في نظام الري فدائم وألا يتم استبعاد الأراضي التي عوصوا عنها في السابق ( إبان الإغلاء الثاني لسد أسوان ) من هذا الامتياز وأن تجمع كل الحيازات المشتركة من الأراضي لسكان كل قرية ويتم توزيعها لهم في مناطق مجاور محال أقالمتهم وأن يتم التعويض عن الأراضي التي كانت تزرع ( بالسلوكة <sup>(١)</sup> ) بسبة ٣٠١ في منطقة المشروع . وأن يتم تعويض الأراضي المستأجرة بما يساويها من مساحة . وأن يسمح تعويض بقدي لمن يرغب من مالكي الأراضي التي تزرع بالسلوكة . وأن تخصص أراضي الملك الحر لأهالي (ديروسه) في مواقع على حدود المدينة .

بدا واضحاً أن مطالب النوبيين لا تحدها حدود ولكن كان لا بد من التجميل بالصبر والنظر لكل قضية بصورة منفصلة تأخذ في الاعتبار مآلها من خصوصية بهذه الروح بطرت اللجة الوزلية لتلك العريضة ومحتيا الاعتسار السلام واتخذت القرارات المختلفة فأول القرارات كان هو أن قانون ١٩٤٨ لمشروعات أراضي حلها القديمة وقراها يجب أن يطبق في

إدارة الأرض بمدينة حلفا الجديدة وقراها النوبية الخمس والعشرين . وهذا القرار يطبق على تسجيلات الملك الحر والإيجار شريطة أن تطل كل الأراضي السكنية لكل القرى مؤجرة لمدة ثلاثين عاماً . ثانياً : أن يتم إعادة تسجيل أراضي الملك الحر الزراعية بعد مصالحة الأنصبة كما أن القانون الذي يعير مساحة محدودة لتسجيل الأرض يجب ألا يعمل به ثالثاً : استبعاد تسجيل كل الأراضي المعوص عنها عندما تم الإعلاء الثاني لحران لسوان في ثلاثينات القرن العشرين . وأخيراً : قرر وتجميع وتسجيل الأنصبة المجزأة والمقسمة لأي شخص ومن ثم تسجيلها كقطعة أرض واحدة . وأما الذين يريدون تسجيل أراضيهم في مجموعات كما كان الحال في موطنهم السابق فيمكن أن يتم لهم ما يريدون

هذه القرارات العادلة تم قبولها تماماً من قبل العوبيين ، ولكن قرر وتسجيل الأنصبة المجزأة لكل شخص من أفراد القرى والعموديات المختلفة كان معضلة بالنسبة لمعتمد التعويضات وكتبة الأراضي واستغرق العمل فيها أعواماً من الشغل الشاق .

## (٢) المنازل .

وكانت الإشكالية الرئيسة الناجمة ترتبط بصيانة المنازل ، وكيف تسلم - بهانياً - للمهجرين ؟ . فلقد أوضحنا في السابق كيف أن برنامج الإسكان قد تم إعداده في عجلة من الأمر ، وهذا لا نحمّل الحكومة ولا المفاوضين المحليين المسؤولية . وفي الوقت نفسه فإن فترة السنوات الأربع بين توقيع الاتفاقية وإحراق مدينة حلفا ، كان يمكن أن يكون مدة كافية لتعويض برنامج الإسكان ، لو لا تلك شركة (تريف) وإهدارها لذلك الوقت الثمين في نقاشات لا طائل من



ورأتها مع الحكومة . ولذلك - وعندما انسحبت الشركة - كان على الحكومة والمقاولين المحليين مسابقة للموعد المحدد لتشغيل السد العالي . فإن محدودية الوقت لم تساعد على إتمام البناء بعناية ولذلك فإنه لم يكن من الممكن الجرم بصلاحيته المباني على الرغم من أن كل الخطوات اللازمة قد تم اتخاذها للمحد من أي انهيارات مستقلة محتملة لها . ولقد احتاطت الحكومة لنفسها عدد التعاقد واحتفظت بسبة معينة من مستحقات المقاولين والمهندسين الاستشاريين تحوطاً للإصلاح والصيانة في حالة ظهور أي تصدعات أو دمار خلال القصول الأربعة لسنة كاملة تعقب تسليم المبانى . ولكن باستثناء القرية رقم واحد (فرص غرب) التي ظهرت في بعض مساكنها تصدعات خطيرة وشيء من التصدع في الأسقف ، كان جلياً أن الأسية بكاملها قد نجحت في اجتياز فترة الاختبار فيما حلا أعطاب ثلوية . ولقد وفر الأمر لنوبيين ( المحيين للتقاضى ) فرصة لممارسة هرايتهم وكان ظهور شق كالشجرة في حائط بمسرفة ، كافياً لتبنيج برقية شكوى طويلة عريضة . وتكومت العرائص والشكاوى عالياً في مكتب معتمد التوسط وفي رئاسة اللجنة بالخرطوم ، مما أجبر المقاولين على تعيين فرق تقيم بصفة مستمرة في منطقة إعادة الترتيب لتتصد أي تصدعات وتعالجها في الحال . ولقد شهد قرية (فرص غرب) إصلاحات جذرية تم دفع تكاليفها من الأرصدة التي أودعها المقول (على سقلاً) والمهندسون الاستشاريون .

وبعد مرور عام على الانتهاء من عمليات الصيانة ، طالب النوبيون بتسجيل كل المنازل في القرى ملكاً حراً . ولقد أُلححت في السابق إلى أن الوصع القانوني لمنطقة السكنية لا يؤهلها للتسجيل كملك حر والسبب

الرئيسي لذلك هو أن قبضاً ١٩٤٦م يكامل القرى القديمة وكان على السكان تشييد قراهم في مناطق عالية مما وفر لهم فرصة تحوير مناطق سكنهم إلى أرض زراعية . وكانت فترة حيازتهم للأرض السكنية الجديدة قصيرة ولا تبرر المطالبة بعمال قانون (وصع قيد) الذي يمكنهم من تسجيلها ملكاً حراً ولم يُعر النوبيون أدماً للحجة القانونية في بادئ الأمر ، ولكنهم بعد صدور قرار اللجنة الوزارية سالف الذكر من المجلس المركزي<sup>(١)</sup> استسلموا وبصاغوا القانون .

كان معتمد التعويضات بجهاز عقود تأجير الأرض عندما سقط نظام العريق عود فجأة لي ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ وقضت حكومة ثورة أكتوبر علي الثوارن للشئ الذي تم تحقيقه عندما فتحت موضوع التهجير وإعادة التوطين يرمته للنقد العلم . وعندما وجد النوبيون أن الحكومة تقبل أي نقد موجه لنظام عيود ، لم يصيغوا تلك الفرصة للذهبية ، وسلموا (العريضة) شديدة اللهجة عن الحالة السيئة لمنازلهم وطالبوا بتعيين لجنة لتقوم ببحث الأمر ومن ثم ترسل تقريرها للحكومة . ولقد أراد السرييون أن تحتم (العريضة) هدفاً مزدوجاً ففي المقام الأول منتهى لهم فرصة لمعرفة الوضع الحقيقي لمساكنهم عن طريق حصولهم على دأى في من خارج الجهات السافرة . ثانياً : كانوا يودون تأخير عملية الرحيل حتى يتم احتكار منازلهم وذلك لأطول فترة ممكنة تكون فيها مسئولية الصيانة على عاتق الحكومة . ولم تتأخر الحكومة وعينت لجنة فنية رارت المنطقة وعينت كل السارل . ولقد أوضح تقرير اللجنة أن جزءاً مقترأ منها كان في حاجة للصيانة فتم التصديق المالي لصيانتها وكلعت وزارة

<sup>١</sup> صدر سريي نومي اعطاء حكومة رئيس عود .

الأشغال للقيام بالعمل وأكملت المهمة قبل حلول موسم الأمطار . ولكن حتى ذلك الوقت ، رفض النوبيون التوقيع على عقود الإيجار واستلام بيوتهم متذرعين بأسباب مختلفة . واستمروا في المماطلة بمهارة مما يجبر الحكومة على مواصلة عمليات الصيانة حتى كتابة هذه السطور .

وتجدر الإشارة إلى أن منازل القرى رقم ( ٢٠، ٢٦، ٢٤ ) كانت مشيدة بطريقة جيدة وقد أقيمت مؤخراً لإسكان المرحلة الثالثة من المهجرين وتم تسليمها دون أن يظهر تصدع في أي منزل منها كما لم يشك أي مالك من عيب فيها . ذلك أن الوقت كان كافياً للمقاولين، فسوها على مهل وبمستوى مرض

وبينما كان النوبيون حريصين على تجميد عملية استلام المنازل، فإنهم في الوقت ذاته لم يلتزموا من حيث المبدأ بذلك ، فلقد قام كثيرون منهم بالبلاء كما يحلو لهم وأصافوا إلى المنازل إصابات كثيرة . وعندما قمت بزيارتهم في العام ١٩٦٦م وجدت أن الكثير من البيوت قد تدهلت إلى درجة أنها مهددة تصميمها الأصلي . فالعربدات الحديثة دوات الأعمدة والأسقف الأسمنتية كانت مائلة وكذلك (بمبات) الحماية من اليعرص . كما أزال بعض من السكان الجدران الفاصلة بين العرب ومجالوها إلى مصيفات فسيحة، بينما أصاب البعض غرفاً جديدة .

كانت أخطر مشكلة من المشاكل التي تتخرج تحت هذا العنوان، ذات طبيعة قانونية . فعند تقييم معتمد التعويضات للمنازل في مدينة حلوة القديمة لأجل تعويض النوبيين عنها ، اختلف بعضهم معه فيما يتعلق بقوائم التعويض النوعي التي تم إراجهم فيها (كان معظمهم من المالكين لأكثر من منزل أو

من الذين يملكون حرة في منزل ) . واشتكوا لقاضي المديرية الذي حكم لصالحهم . أما معتمد التعويضات الذي لم يقعه حكم المحكمة فقد استأنف لدى رئيس القضاة الذي ألقى حكم محكمة المديرية وأيد قراره . غير أن المشكلة هي أن ذلك الإجراء القانوني أخذ وقتاً طويلاً وعندما أصدرت المحكمة العليا حكمها كان السكان قد احتلوا المنازل التي تم منحها لهم في وقت سبق بموجب الحكم الذي أصدرته محكمة المديرية . وكان طبيعياً أن يرفض السكان النخلي عن بيوتهم ، وحاولوا أن يحلقوا من المشكلة موصوعاً إنسانياً ، وتواصلت الحرب الضروس بينهم وبين معتمدة التعويضات (حتى تاريخ حل المعتمدية ) ... تلك الحرب التي لم تصع أوراقها حتى كتابة هذه السطور<sup>(١)</sup>.

### (٣) النشاط الزراعي :

ذكرت في السابق أن كل أسرة تم منحها ( حواشة ) تبلغ مساحتها خمسة عشر فداناً ليراعها على مدى ثلاث دورات نخلي كل واحدة منها الأخرى وهي دورة القطن ودورة العول السوداني ودورة القمح . وكانت مساحة الأرض ومنط الزراعة تحرث عريضة بالنسبة للتوبيين ، وفيما عدا محصول القمح فإنهم لا يعرفون شيئاً عن المحصولين الآخرين . بل إن الدورة الزراعية نفسها والتي كانت تختلف عن الزراعة المحتلطة ، التي ألفوها ، دخلت عليهم كشيء جديد .

كانت تلك أول مرة يجد فيها التوبيون أنفسهم أجراء في مشروع منظم ونحت إدارة معقدة ، وهم الذين اعتادوا زراعة أراضهم كيفما يحلو لهم . وفي

مبتدئ أيامهم اعتادوا أن يقولوا : ( جيد من حلفا لا نعرف الفرق بين الساماريين والشككنس<sup>١</sup> ) . وألف النوبيون بكاتاً عدة عند وصولهم اليباكر لمنطقة المشروع تعبيراً عن تجربتهم الجديدة . وهناك طرفة عن النوبي الذي استلم حواشيه ورأى أبعادها الواسعة ، فسأل عن مساحتها ، وعندما أعلموه أنها خمسة عشر فدائاً صاح قائلاً ( إن فدائنا في وادي حلفا ليس بهذه السعة ) . وهناك طرفة أخرى عن المزارع الذي تم التصديق له بثلاث ركائب من القبول السوداني فسأل : لماذا منحوه يباها ؟ فأجيبوه بأنها تقاوي . فرد قائلاً . ولماذا أبدرها ؟ إنها تكفي عائلتي تماماً ولعدة عام ! ... هذه الملح حيفة الطل تعطى فكسرة عن السلوك العام للنوبيين حينما جاءوا للمشروع لأول مرة . فدوماً دراية بالأماليب الحديثة للزراعة ومن غير أنموذج يمكن اتباعه ، وجد النوبيون أنفسهم مستأجرين رواد في كل منطقة المشروع . وكانت الحصة الوحيدة من توزيع الحواشيت على القبائل المحلية هي أن تلك القبائل قد صربت للمثال الذي يحتدي .

لقد كان جلياً أن السويين كانوا على دراية بالمشكلات علاوة على أنهم لم يكونوا عاطلين عن العمل ، هي إبان تلك الفترة الانتقالية . ولقد مكنتهم حكمتهم من السيطرة على جوانب الموقف كافة ، فضلاً عن أن دفع ما تبقى من التعويض للمالي مكنهم من التغلب على تلك المشاكل . وأثبتت الجمعيات التعاونية في القرى بعد أن توفر بها رأس المال اللازم عن طريق بيع الأسهم للمزارعين . ولقد تم طلب شراء الجرارات والحاصدات من الخارج ولكن وصولها كان يتطلب بعض الوقت مما حتم الاستعانة بالوحدة

<sup>١</sup> أي انه جند من حلفا ومن لا يعرف الفرق بين الساماريين والشككنس

الميكانيكية التابعة لإدارة المشروع والتي حرثت الحواشيات لعدة مواسم إلى أن وصلت الآليات الحديثة .

أنا شخصياً ما كنت أريد أن تنشأ تلك الجمعيات على مستوى القرى ذلك لأنها ستجيء ومعها إخفاقات و مسالب الزراعة التعارفيه لمنطقة وادي حلفا ودنقلا فقد غاب معظم مالكي الأراضي ( والذين وافقوا على إنشاء الجمعيات وسحبوا قيمة أسهمهم في لحظات الحماس الغامرة أثناء الترحيل ) وتفرقوا تركيز العمل لشيوخ القرى وبعض المقيمين الذين هم يواكبوا تفاصيل العمل . ولقد لاحظت ذلك أثناء جولاتي في وادي حلفا . ففي ذات مرة كنت أمر عبر إحدى القرى فرأيت أن الأرض عطشى لأن أصحابها قد تركوها خالصة أثناء الدورة الزراعية ، وأخبرني شيخ القرية أن سائق الجرار رفض حراثة الأرض . فأرسلت له أمراً بالمجيء فأخبرني أنه بحاجة إلى (كويل<sup>١</sup>) وإلى إطار مطاطي لإحدى عجلات الحرار . وعندما طلب من الشيخ القيمة أعطاه الشيخ مبلغا لشراء (الكويل) فقط قائلا له إن هذا يكفي في الوقت الرهن ؟ " لقد رفض هذا الشيخ تبديل الإطار القالف وكأنه يريد من السائق أن يصل إلى انقلاق مع الحرار ، فصاع ما موسم زراعي كامل " . وفي قرى أخرى فقد الأهالي تقنهم في جمعياتهم التعاونية ولادوا بوسائل الزراعة التقليدية .. وقد كانت قرية دبيره مثالا صارحا لنظام تحولت الخلاقات المحلية في نشاطه و أحدثت متلا كاملا في حركته . وفي الموطن الجديد - ورغم أن الكثير من العائدين قد عانوا وانصموا إلى عائلاتهم - إلا أن عدد الغائبين كان كبيرا . فهؤلاء كانوا في وقت التهجير مع أسرهم وتسلموا حواشياتهم

(١) صومع: coil - حبل

ودفعوا ما عليهم من مال الأسهم ، وقلوا راجعين من حيث أتوا تاركين مشاكل الإدارة لشيوخ القرى وللقواد المقيمين في البلد . وعند ريارتي الأولى لمنطقة المشروع في عام ١٩٦٦م ، كنت معيقاً للسجاح الكبير الذي حققته قرية (عقش) وكنت سعيداً أيضاً لأن حصدهم كان الأفضل على مستوى المنطقة . لكنني عندما التقيت بصديقي القديم عثمان ماهر ، شيخ القرية النشط وجنده متعباً ومشمزاً واشتكي لي من الإرهاق الشاسع ومن كثرة الإعياء قئلاً : ( في يوم ما سيقصم هؤلاء الناس ظهري ، فقد ترك كل واحد عائلته وحواشيه وذهب يعمل في مكان آخر وتركنا نحوم في وحل من البلاء ) . لقد كانوا محطوطيين إذ تركوا أسرهم في رعاية شخص أميس ونشط مثل الشيخ عثمان ماهر ، ولكن ما كان يمكن للمرء أن يتوقع مساهمة الشيخ لتلك الحياة . ولم يمر وقت طويل حتى سقط الشيخ مريضاً ثم تدهورت الأحوال من بعد ذلك .

كنت أتمنى أن يأخذ النوبيون مأخذ الجد أكثر أحيي بتكوين جمعية زراعية تعاونية لها مجلس إدارتها ومجموعة من الموظفين الدائمين تدير مجمل الحواشيات كوحدة واحدة . فربما كان قسماً بهذا الاقتراح أن يجتهد المقيمون من الأعضاء الكثير من المشاكل ويكفل خدمة أكثر كفاءة . وعلى أية حال فإن النظام الحالي ليس فشلاً بالكلية ، فبحصر التعاونيات كانت الحاجة ولكن - في المتوسط - لم تكن الكفاءة عالية ومع ذلك فإن الموقف لم يكن يبعث على اليأس . فبالمحاولة والخطأ وإذا ما تم غرض المزيد من العائدين بالعودة والاستقرار الدائم بالمنطقة فإن المشروع قد يستجمع قواه ويثبت جدواه

كان ري أراضي الملك الحر يمثل مشكلة أخرى . فهي الوقت الراهن ، ولأسباب التي ذكرناها في السابق ، ليس هناك ماء كاف لري طوال العام ، وهذا يعني أن المحصولات السنائية كالحمضيات أو الموز لا يمكن زراعتها وكذلك خضروات الدورة الصيفية . فالمصحات المصنوعة في موقع الحراش كانت قوتها تكفي فقط لتأمين المياه الخاصة بزراعة قصب السكر في الدورة الصيفية وبترويد المدينة وقرى المشروع بمياه الشرب ، ولكن مع بدء سد حر<sup>(١)</sup> سواء كان ذلك في منطقة (حجر الزرقة) على نهر (سينيت) أو في منطقة (وادي حكومة) على رافد نهر عطبرة ، فمن المتوقع أن يتوفر بمسوح مياه كاف في أعالي حزان حشم القرنة يغذي القناة الرئيسية طوال العام ، مما يمكن النوبيين من استغلال أراضي الملك الحر بصورة كاملة . وإلى حين إجازة ذلك المشروع فإن على النوبيين أن يقنعوا بزراعة دورتين فقط هما السميرة والشتوي.

#### (٤) القبائل المحلية :

كانت عمالة عزقي الأرض ولقيط القطر وحصد الفول السوداني متوفرة ، كانت المنطقة لا تزال تعج بعمال أتوا من جهات تشاد وأحريين من قبائل أحري توافدوا منذ بدء المشروع . وأصبح العمال سكان شبه دائمين وابتدؤا محيماً (كمبو) إصطناعياً ، وأقاموا أكواخاً من القش عند بداية المشروع . واستمر الحال على هذا النحو حتى لكتماله . وكان لوجود منطقة متحصنة كهده هي قلب المدينة موسومة هذا وهناك بر أيات ترفرف على أماكن بيع (المريسة) وهيها التمايزات الأثيوبية اللثي جنس من وراء الحدود وقد أحضر من معين

١- السد الذي نفع به هذا الكتاب للمصاحبة اكتملت بنجاح . بناءً على خبر من عطبرة ووجهة مصر . ان به حلال عام



(الشمرى والكلوميت) . لتوفير المنفعة والنسوى لأهواج من العمال وبذلك  
الوسيلة قم بالاستيلاء على رواتبهم .. كان وجود تلك المنطقة أمرًا صغراً  
لنوبيين المحافظين الذين ما اعتدوا على تلك الطريقة العنصرية في حياتهم  
... وقد تعالت صيحات الاستنكار بوصول أول فوج لنوبيين المدينة ، وكان  
يمكن ترحيل هؤلاء النمس بيسر إلى موقع آخر لولا تحرش النوبيين بهم  
وإثارة غضبهم بالشكاوي والإهانات الواضحة . وفي البدء رفض هؤلاء  
الحاس الرحيل وهددوا بالمقاومة ولكنهم من بعد ذلك وافقوا على تحويل  
معسكرهم إلى موقع آخر ثم تخصيصه لهم خارج منطقة الإسكان ، وعلى  
السرغم من الكراهية التي كان يصورها النوبيون لأهل تلك المعسكرات ، إلا  
أنه لم يكن من الممكن الاستعناء عنهم في أثناء الموسم الزراعي ، خاصة في  
أعمال العزق والتقطيع . فخلال تلك الفترة كان النوبيون يتساحون معهم ولكن  
سرعان ما كان شعور النوبيين يتغير تجاههم عندما ينتهي الموسم . كذلك  
كانت القبائل المحلية التي أغرتها الأجور المجزية أثناء مواسم الحصاد ،  
تستأجر على المشروع عارضة خدمتها . وقد فصلها النوبيون عن العمال  
القديمين من تشاد ذلك أنها ما كانت بحاجة إلى الإقامة الدائمة في بواحي  
المشروع وقد شجع السماح للحيوانات برعي شجيرات القطن بعد الحصاد ،  
الكثيرين من تلك القبائل على الإتيان بقطعانها للصفة الشرقية لنهر عطبرة ،  
للحصول على أجر جيد من عملية جمع (التقطيع) وبعد نهاية الموسم تدفع بتلك  
القطعان لرعي أوراق القطن .

وكانت القبائل المحلية محاسن وممازئ ، ففي السنة الأولى لقيم  
المشروع حدث إتلاف للرعاة فيما بين شهري ديسمبر و أبريل عندما يكون

سهل البطانة جافا وقاحلا بينما تكون منطقة المشروع حصر ء ومرتبوة . ذلك أن الهدسدة والرشايده اعتادوا على تسريب إليهم عبر المياه الضحلة لنهر عطبرة تحت جبع الظلام ، ثم يتركونها ترعى أوراق لقطن الخصراء . فتلتهم الإبل الجائعة لورات القطن والأوراق للحضراء على السراء مسسة ثلعا بالغسا شجيرات القطن . ومن ناحية أخرى كل الشكرية والأحامدة يفودون قطعانهم عابرين منطقة المشروع مره ثلو المرة متثرعين سجة أنهم يريدون سقيها في نهر عطبرة ، بالرغم من أن قناة جانبية تم حفرها على الصاحبة العربية للمشروع حصيصا لتوفير المياه درء لدخول الإبل حرم الحيوانات . إلا أن الأخطر من ذلك كان سرقة القطن بواسطة القبائل الرحالة عند موسم اللقيط والنبي اعتادت النخول للحيوانات ليلاً وسحبيل جمالها بأكبر كمية تستطيع حملها من جوانات القطن والنسلى قبل بروج الشمس إلى "الكرب" ( وهو سهل اعتزته عوامل القصرية وتحالته الأودية والاعوار الوعة . ) وتلك هذه القوافل عبر دروب غير مطروقة (بجبال الكرب) إلى (الخمزة) و(أم حجر) و(تسلى) في الحدود الأثيوبية حيث تجد السلع المهربة موقاة راجمة . وفي السنوات الأولى كل تهريب القطن ظاهرة معتادة قدرتها أدلرء المشروع بـ : ٢٠ % من الإنتاج الكلى . وفي ريرة من ريارتي لإرتريا أكدت المعومات التي جمعناها تلك النسبة المنوية . فقسا بزيادة قوائنا عدداً وقدمنا لها ما تحتاج من إمكانات لمحاربة التهريب وإيقاف التعدي على أرض المشروع، فثبت لنا نفع هذه الإجراءات وجدواها .

## (٥) التغيرات الاقتصادية والاجتماعية :

مدرس هذا الجوانب الاقتصادية للمشروع وصلتها بدخل الأسرة ونقوم بمقارنتها بدخل الأسرة في الموطن القسيم . وسدرس كذلك المصح الاقتصادي الذي أجرته مصلحة الإحصاء في الماطق المتأثرة بفحص السد العالي حيث كانت الدحول والمنصرفات الشهرية كما يلي : الدخل ١٦,٢٩٤ مليون/جنيه والمنصرف ١٨,٦٨٣ مليون/جنيه وهذا يفيد بأن دخل الأسرة النوبية الشهري لا يفي باحتياجاتها . وكانت مصادر دخل الأسرة النوبية في منطقة المشروع كالتسي : ٣٧% من الزراعة ، ٢٧% من الحوالات العريضة التي يرسلها أرباب الأسر المعتربون ، ٢٤% من الرواتب والأجور ، ١٢% من مصادر أخرى . وحساب بسيط نجد أن الدخل السنوي للأسرة النوبية الربعية يبلغ ٧٢٠ جنيه و ٣٤٥ مليون وهذا الرقم الذي يتضمن المنصرفات الزراعية . لا يوجد مثيل له في أي مكان آخر من المصح الذي أجرته مصلحة الإحصاء . تحكم اتفاقية الأيجار بين الحكومة والمرارح المستأجر لدخل والمنصرف في منطقة حزم القرية ، وتحدد الاتفاقية واجبات وحقوق كل طرف كما يلي : يمدح الحكومة الأرض للزراعة وتوفر الري والإدارة الفادرة على تسيير المشروع ، ويتحمل المزارع تكلفة إنتاج دورة القطن ويتحمل الطرفان قدرأ متساوياً من التكاليف في الأني (وهو ما يعرف بالحساب المشترك) : إزالة البقايات الكثيفة والحشيش الصارة وتجهيز بدور القطن وورثته وتحويله إلى الحليج ومركز البيع ، الحليج و (الكبس) والتحرير في حالة الضرورة وتسويق القطن مما في ذلك التأمين ، العمولة وإجراءات السلامة واقتلاع وحرق وبطافة الأرض من سيقان القطن

ثم يقسم الربح الصافي من زراعة القطن بسبب مساوية بين المزارع والحكومة. ويتحمل المستأجر كافة الإنتاج في الدورتين :الأحريين ( دورة القول السوداني ودورة القمح ) ويحصل على كامل الربح وفي العام ١٩٦٥م أجرت مصلحة الإحصاء مسحاً إحصائياً أولياً ، وكان ذلك عند بداية إعادة التوطين . لتقدير الدخل والمصرف في المشروع الجديد . وتوصلت إلى النتائج التالية عن كل المحاصيل في الدورات الزراعية كافة :

(أ) القطن : إذا افترضنا أن متوسط إنتاج القطن هو ٤,٣٣ قنطاراً واعتبرنا أن متوسط السعر هو ٢١ جنيهًا للقنطار، فيصبح الدخل الكلي للحواشة هو ٩١ جنيه .

ومتوسط المنصرفات في الحساب المشترك هو : ٩٧ جنيه  
وبالتالي فإن إحصائي الربح سيكون مبلغ ١٩١ جنيه  
ولتزام المزارع بسبه ٥٠% هو : ٩٥ جنيه و ٥٠٠ ملجم  
وتكلفة الإنتاج هي : ٧٦ جنيه  
وربح المزارع الصافي هو : ١٩ جنيه

(ب) القمح :

كان حساب القمح مبني على متوسط إنتاج يبلغ ٤ ارانب للهدان والسعر المتوسط للأرنب هو ٥ جنيهات .

القيمة الإجمالية للإنتاج هي : ١٠٠ جنيه  
وتكلفة الإنتاج هي : ٥٠ جنيه  
الربح الصافي هو : ٥٠ جنيه

(ج) القول السوداني :

قُدر أن يتَّج القطن طناً واحداً وقدر السعر بـ ٢٢ جنيهاً لنظر

إجمالي قيمة الإنتاج هي : ١١٠ جنيهات

وتكلفة الإنتاج هي : ٢٢ جنيهاً و ٥٠٠ ملجم

والربح الصافي هو : ٧٧ جنيهاً و ٥٠٠ ملجم

ونصيب المزارع من الربح الصافي لدورات الثلاث هو : ١٤٦ جنيه و ٥٠٠ ملجم .

بعد إنجاز الدراسة لم يكن السويدي على علم جيد بالطرفين الحديثة للإنتاج في موطئهم الجدي ، وعليه يمكن أن نقرر أن الأرقام التي تم إعطاؤها كتكاليف للإنتاج كانت عالية نسبياً فضلاً عن أن الأرباح الناتجة عن زراعة أراضي المملوكة ملكاً حراً لم يتم تصويبها في المسح . ولقد اعترض معتمد إعادة التوطين على تلك الأرقام ، وقرر الربح الصافي للمزارع بـ ٤٠٠ جنيه وفي اعتقادي أن هناك مبالغة بالنسبة للرقمين وأنه ما لم يجر مسح آخر فإن القيمة الحقيقية للأرباح سظل مجهولة

وقعت حادثة مؤسفة في ٢١ أبريل ١٩٦٥م في القرية رقم (١) (فرص

عرب) بسبب الانتخابات البرلمانية، فقد كان حزب الشعب الديموقراطي يعارض قيم تلك الانتخابات وقرر مقاطعتها . وأغار عرب الشكرية (الأنواع المخلصون لذلك الحزب) بسيوفهم الحادة على مركز الاقتراع وحدثت مجزرة بموية قتل فيها أحمد منري (وهو صابط الانتخابات) مع خمسة من رجال الشرطة وسائقين كما فقد صلاح ذهب عمدة (نبيره) يده اليمنى وأصيب بجراح خطيرة أخرى . وعندما أتركت قوات الشرطة سيد نزيث حطوره

الموقف لطافت الدار على المعيرين وتمكنت من قتل أحدهم ولاد النحور بالفرار طلباً للسلامة . ومن بعد ذلك تم اعتقال الجده وقدموا للمحكمة . وقد أصابت تلك الحادثة العدائية السويين بالانزعاج الشديد ولكنهم ما كانوا مدعورين . ولقد شاب علاقتهم بقبيلة الشكرية شيء من الاهتزاز حياً من الوقت . وبعد إدراكهم الأسى الذي سببته الحادثة للمسكرية عادت الثقة بين الطرفين

لقد زرت المنطقة للمرة الأولى في الأسبوع الأول من يوليو عام ١٩٦٦م بعد أيام قليلة من بدلي إلى مديرية كملا . وهو ترابي لامتنعي هرع لرؤية صديقي السويين الذين كنت أتابع أخبارهم باهتمام وشوق منذ أن تركوا في وادي حلفا .

ولقد شهدت موصيهم الجديد وقتئذ عندما رافقت فوج قرية سره . أما في هذه المرة فقد أهاجروا مشاعري بحرارة استقبالهم وكنت حريصاً على رؤيتهم كما أنهم كانوا بالمثل حريصين على رؤيتي . وأصر كل واحد منهم أن أرى قريبته ، وفي آخر الأمر جلست في القرى كافة ، من فرص حتى دعيم ، وأمصيت أقصى ما أستطيع من وقت في كل قرية .

كنت فراحاً لأدبهم استقروا في موطيهم الجديد استقراراً تاماً ، ولأن أحراهم كانت قد تحسست . كانت نورهم مطعمة وكانت قراهم بطيعة كدأهم وكان للمساكن أثلاث حديث ، كما أن الكثيرين منهم امتلك المبردات وموائد غبار تعمل (بالبونتين) حصاة في مدينة حلفا الجديدة ولم أر أبنية من الطين لتجربن القمح وعوصاً عن ذلك كانت جوالات القمح تتكوم غالباً في الصالات . ذلك كله كان دليلاً على المستوى العالي للمعيشة

وكثر أفعال المدارس ، وبدأت علامات الامتلاء والتعبية الحيدة عليهم .  
ولقد تحسنت بحوالهم الصحية العامة ، وأحرسي المدير الطبي د. إبراهيم  
سليمان ارتفاع معدلات الولادة بسمة ٣٠% و يعود ذلك بصورة جزئية لعودة  
الكثير من المعتزين واستقر لهم بصورة كاملة في منطقة المشروع كما يعود  
الى العناية والاهتمام الصحي الذي وجدته المهجرون في مرطهم الجديد  
كعبت العقبة الرئيسية هي الافتقار للطرق الدائمة وهذا ما كان سبباً  
للمتاعب في فصل الحريف ففي تلك الوقت من العام كان الدحول إلى القرى  
لا يتم إلا عبر الطريق العالي حتى القناة الرئيسية أو عبر الطريق المعبد  
بالحمما الموازي لتلك القناة .

أسرقتي مدينة حلما الجديدة بجودة تخطيطها ، فالمدارس الدائري الذي  
كان يتوسطها في السابق والذي قامت بتصميمه شركة (كوكس) ، حيث محبه  
مساحة فسحة قبالة مبنى المجلس البلدي وفي حاصرته قام المسجد بممارته  
المسافة . وكانت منفي المجلس ومكتب البريد مدن رائعة تستشرف وسط  
المدينة . وكان السوق محطاً تخطيطاً جيداً ونبت صفوف الحوانيت متصلة  
عن بعضها البعض ، بدلاً من تلاصقها وبرور حواجرها الحشوية النعسة  
المدلاة من الأبواب ، كما كان الحال في حلما القديمة . فالحوانيت لها واسعة  
وملحق بها مخازن ، ولها (فردت) ذوات قوائم حرسانية وأسقف مبنية  
بالأسمنت تظلل الواجهات الأمامية . وكان تصميم مجمل الحوانيت يمكن من  
بناء طابق ثانٍ ، و شيد الكثيرون فادق بإضافة أجراء للسكنى فوق حوانيتهم  
ومنع ذلك كانت تصيق بالسلع والمنتجات المحلية ، وتبعج فرداتهم بالمشتريين  
من السوريين والسكان المحليين ، وفي الساحة انقصية للشمال العربي تقع

المدني الرائعة للمستشفى ومجمع الري والزراعة . وكانت هناك مشائن صناعيان في طور التشييد وهما محلج القطن الذي يقع في الشمال الشرقي للمدينة ومطحنة الجمعية التعاونية للمرار عين وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية.

كانت منطقة إعادة التوطين حالية من الاشجار ، وغابت اللمبات الخضراء التي تصفها بيانات الزينة على المدينة وراها قيدت جافة وقاحلة بحاصة في موسم الصيف . ولقد بدأت مشروعاً بالمشاركة مع مصلحة العابات كان يهدف إلى توفير ثلاثين ألف شتلة ، تم توزيعها في حفل كبير . ولقد شارك النوبيون جميعهم بمن فيهم فتية المدارس في إعداد الحفر لعرس الاشجار وفي عمل الجداول المتفرعة نريها . ولإحلال البهجة على النوبيين بإصفاء لمحبة من موطنهم القديم، أرسلت في طلب ثمانمائة شجيرة بحيل جانبها من ناحية عطرة ، لتُشتل على طول الطرق الرئيسية . وعند نموها مستند مريداً من (لشئول) ليتم غرسها على جوانب الطرق الأخرى أو في سوح البيوت .

كان الناس لا يرأون يحتاجون إلى ثلاث خدمات رئيسة هي : الميناء الجوي (المطار) والسبما وملعب لكرة القدم . وفي مستهل قيام المشروع تم بناء مهبط من لاصصا للطائرات لتيسير سفر موظفي الحكومة والشركات العاملة في إنجار المشروع . ولقد أنشأت المصالح الحكومية والشركات مكاتبها الرئيسية في منطقة حشم القرية ولكن الشركات - عند اكتمال المشروع - رحلت من المنطقة بينما نقلت المصالح الحكومية مكاتبها إلى مدينة حلف الجديدة. ولم يبق في حشم القرية من أحد يستعمل الخدمة الجوية لذلك



المهبط كما أن ساكني حلفا الجديدة ما كانوا، متخصصين لرحلة لمسطقة حشم  
القرية على بعد خمسين كيلو متراً بحاصلة عندما يكونوا في أمس الحاجة  
للخدمات أثناء فصل المطر . لذا فإن تحويل خدمات الطيران إلى حلفا الجديدة  
كان من قبيل الideيات الضرورية . ولقد سلمت في وقت لاحق مشروعاً  
لمصلحة الطيران المدني أعلمتهم فيه بضرورة تشييد المطار بمقرية من مدينة  
حلفا الجديدة ، ليس للأسباب الآتية الكر فحسب ولكن لأن مدينة حلفا الجديدة  
تقع في الطريق بين الخرطوم وكسلا . وكان موقع المطار قد تمت الموافقة  
عليه ضمن الحطة الموصوعة للمدينة ليقيم بمقرية من (سريغ) حيث  
يتوفر الحسا بكميات هائلة .

كانت هالك دار السيمما في مدينة وادي حلفا وبنيت بطريقة بسيطة  
إبان الحرب العالمية الثانية لتزويج عن الجيوش المتجهة إلى شمال إفريقيا .  
وعند انتهاء الحرب استولى المجلس البلدي عليها وقام بتأجيرها لرجل اسمه  
سيد حامد ، أحد عطية القوم من البصاولة، وقد ادارها الرجل بطريقة مرصبة  
منذ ذلك الوقت . وعندما اكتملت عملية التهجير واستقر عدد كبير من القبائل  
في منطقة المشروع ، أيقن الناس كافة بضرورة إنشاء دار سيمما راقية .  
فأسس المرارعون بقياده عسو ناشط هو محمد حسن عطية الله سيمما محلية  
جمعوا المال اللازم لقيامها عن طريق الأسهم . واكتمل البناء الحرد للسيمما في  
عام ١٩٧٣م . وعند تقييم الإستاد القديم لمدينة وادي حلفا تقييماً محرياً ، منح  
اتحاد الكرة مبلغ ستة آلاف من الجبهات لتمكينهم من بناء إستاد جديد في  
مدينة حلفا الجديدة تبر تكاليفه العالية قيمة البدء في حلفا القديمة . وقد تبني  
اتحاد الكرة التصميم والتقدير است التي شيد بها إستاد القصارف الجديد ، فوجد

أن ما بحورته من مال لا يكفي لنساء الأستاذ ، فطموا ما نقص من مال ،  
مقرص محتهم إياه و رارة الإعلام . وتم اختيار موقع جيد لإقامة هذا الأستاذ  
الذي اكتمل : بأوه حبيما ذهب هذا الكتب إلى المطبعة

ومع أن مستوى تخطيط القرى كان جيداً ، فإنه لم تبدل محاولات  
لتزويده بالتبرار الكهربائي ، بالرغم من أن (التريديات) في حرار خشم القرية  
تولد ٧٠٠٠ كيلو واط من الكهرباء وهي طاقة تتجاوز احتياجات منطقته  
المشروع والقصارف وكما من الطاقة الكهربائية ، وكانت مبرانية تنمية  
المشروع تستكمل بتزويد المدن الرئيسة بحسب بالكهرباء وقد صُمِن هذا في  
العقد المبرم مع شركة (ترف) كما أشربا اتفاقاً . ولكن من القرى بالكهرباء لم  
يتم وضعه في الاعتبار ، فيما عدا أبية المحولات القابعة في أماكن مناسبة  
على خطوط الصعط العالي قبالة القرى . وكانت القرى في حاجة فقط للأعمدة  
والخطوط المعدية لبصل التبرار الكهربائي إليها .

وفي عام ١٩٦٩م اقترحت على الإدارة المركزية للكهرباء وانميا  
توصيل الكهرباء لكامل القرى في منطقة إعادة التوطين . وذهب السكان  
لتحمل كلفة التوصيل الداخلي في حال توصيل التبرار إلى بيوتهم . ولا شك أنهم  
كانوا يشعرون بالمهانة والعيط وهم يرون خطوط الصعط الكهربائي العالي  
تمر فوق قرىهم دون أن يحصلوا على خدمات الكهرباء . ومن المؤكد أنهم  
كانوا بحاجة لها من أجل الإتارة والتزويد والتهوية ولأي خدمة أخرى من  
الخدمات المنزلية . وعلى كل فقد تعاملت الإدارة المركزية للكهرباء والسباه  
معهمم إيجابياً ، ووافقت على توصيل الكهرباء لأربع قرى في الصحابة  
انشمالية من منطقة إعادة التوطين كمشروع رائد وبحلول عام ١٩٧٠م تم

توصيل تلك القرى بالحط الذي يصل مصنع السكر بالكهرباء وأنار السوي ساكن القرية لأول مرة مدرله بالمصباح الكهربائي

وخلال إعداد مسودة هذا الكتاب ، بدأت مصلحة الطيران المدني التفكير في إقامة مهبط للطائرات بمنطقة ( مساريب ) .

وفي تلك الأثناء كانت ست من السنين قد مرت على السويين في موطنهم الجديد ، وسدت حياتهم تأخذ شكلاً مستقراً ، وفي تلك الحقبة القصيرة طفق السويون يكتفون حياتهم مع البيئة الجديدة بمختلف الطرق .

ونسبة لرموح تقاليدهم ، ولسطوة الحياة القبلية عليهم كان من الطبيعي أن يجي التغيير شديد البطء . ويمكن أن نلخص التحولات التي طرأت حتى الآن فيما يلي :

أولاً : تحالت الفتيات عن ( الجرجار ) التقليدي و أبدله بالثوب الذي تلبسه نساء أوسط السودان . وتمسكت النساء الأكبر سناً بالجرجار مع إحداث تعديلات في حوافه جراء التربة الموحلة خلال فصل الحريف . واتخذت قلة من الرجال ري الهدوء كموضة وكانوا يشبهون بسرويلهم العضاضة ويصديريانهم وعائهم ، كالشعب في ( تيمناي ) .

ثانياً : كانت التقاليد السوية لا تزال تحكم طرائق الزواج ، ولكن المهر ازداد ليصل إلى مئات الجنيهات ، وصار حاتم الذهب ، وساعة اليد ، وقطع الملابس ، علامة للمخطوبة . واتسمت حفلات الزواج بالعبث والبذخ وصارت بيوت السروح تزان بإصاءة ملوة ، وشقت الرقصات والموسيقى الحديثة طريقها إلى النوبة الجديدة

ثالثاً : بدأ النوبيون في تذوق طرخ (الويكة والكسرة) الذي اعتاد نوبيو حلف  
للقديمة على نعه بـ (طعام السودانين الرديء ) .

رابعاً . تحلى النوبيون عن التعابير المصرية للاتجاهات الجغرافية من قبيل  
(قبلي) و(بحري) واستخدموا كلمتي (شمال) و(جنوب) كسائر السودانين وبدأ  
ليعصر منهم في استخدام كلمات قبلية مثل : (السافل) و (الصعيد). وهجرو  
لتقويم القبطي الذي كان يحكم المواسم الزراعية في ديارهم القديمة . وبدأوا  
في استخدام التقويم المحلي العربي الذي يرتكز على مواقع النجوم ، وينقسم  
لموسم فيه إلى عيّنات أربع (العيبة تمتد إلى ثلاثة عشر يوماً وربع اليوم)  
وتبدأ العينة باحتفاء نجم معين فيما وراء الشمس وتنتهي حين رؤيته من قبل  
طلوع الشمس . وأكثر العيّنات شهية عند النوبيين عيّنات الفصل الممطر ،  
وتبدأ بعينة (الدُرّة) والتي ينحكم فيها نجم (الشعري الشامية) تلتوها عينة  
(النّرة) ونجمها (السرطان) ومن بعد ذلك تأتي عينة (الطرفة) التي تليها  
(الجبحة) وآخر الأمر تأتي عينة (الخيرسان ) .

وكامل الأنواء في برج الأسد (السرف) ترتبط بالجزم العائم من طرف  
المدّيب وتنتهي بـ (الموا والسالك) وهو يتألف من (السالك الأعزل) في  
برج النّيب الأكبر والعصا (العصابة) والسالك في برج العذراء<sup>(١)</sup> . وعلاوة  
على ذلك تعلم النوبيون التنبؤ بالمطر تبعاً لموقع (البرق للنعيد) . فعند  
حدوث (البرق العبادي) من جهة الشرق يعني ذلك احتمال غائب لمسوط  
المطر ، وعند ما يبرق السماء من نواح أخرى فإن ذلك يعني أن هطولاً  
للمطر في مكان بعيد سيحدث . وكان عليهم أن يذكروا أنه في شهر مايو

<sup>١</sup> لقد أشرنا إلى ثلاث عيّنات تنحى بعض النجم من طرف الكس من حزام الز. أما حيث يصعد هجرو نهر السك حلت (عبد  
نكرو في امريف وحيث السالك سما بعد موسم الأمطار غابده . ستره . تنتهي بالمسلك و ذلك في انحراف النجمي

حيثما تأفل سجمة ( الثريا ) خلف الشمس ، يكون ذلك إيذاناً ببداية أشد (العذبة) حرارة . وبدأ النوبيون في إبراك أبعم مرسوم المطر وعظم ما ينعبه من دور في الزراعة ، وبدلاً من الخوف من الأمطار والصواعق طفقوا يرحلون لها . وعند زيارتي الأولى للمنطقة وجنتهم يشكون تأخر المطر في ذلك الموسم . ونقطة ملاحظة أخيرة ، هي أن الأسرة المصنوعة من حديد النحل ما عانت تستخدم وسادت - على وجه العموم - أسرة الحديد في كل الدور .

إن الكثيرين من علية النوب ما عادوا على قيد الحياة فلقد مات العاظم صالح من مرض القلب في حلقا الجديدة عام ١٩٦٥م ، ومات بديس بمرض السرطان في مدينة أسوان ، وفقد السوق الكثيرون من أكفأ التجار محمد علي إبراهيم - وهو في طليعة التجار النوبيين - اثر هو وحسب الله لاشين (من قبيلة العقيلات) والمرحوم نصر شيق (وهو من أفضل التجار السوريين) الإقامة في الخرطوم ومن التجار المصريين رحل من السودان يحي عبد الغفار أبو زيد وحويلد واستقرّوا في أسوان . وفضل نوبيون آخرون مثل الشيخ محمد أحمد صواد وعبد الرحيم محمود وأبو روس أيوب البقاء في حلقا القديمة ، وأقامت عائلة (شريب دقود) الكبيرة والمعروفة في الخرطوم .

ولقد اهتمت الحكومات المتعاقبة بالمنطقة اهتماماً نافعاً ، وكان هنالك على الدوام مسئول كبير أو وزير في زيارة للمنطقة ، كما زار رؤساء الحكومات التي تعاقبت منطقة إعادة التوطين . رئيس الوزراء (الصادق المهدي) والمرحوم (إسماعيل الأزهرى) رئيس مجلس القيادة زارا المنطقة ، ها الرئيس نميري فقد زار المنطقة ست مرات في جولات تفتية .

إن تجربة التهجير وإعادة التوطين بهذا النطاق الواسع وبهذه التواتر 6  
لمنظمة مارقت تجربة وليدة وحديثة على السودان . ويحتاج النوبيون إلى  
وقت طويل للتأقلم مع مجتمعاتهم القديم لكي يتمكنوا من التكيف مع بيئتهم  
الجديدة . ولربما وجد الجيل الراهن الذي ولد وترى في حلقا القديمة مشقة في  
قبول التغيير ، ذلك أن ذكرى موطنهم القديم لا تزال ماثلة بأذهانهم وسنظل  
مكدا إلى وقت طويل في المستقبل فالولاء والإخلاص يشدهم لعهد ميلادهم  
، وسبق مؤثراً على وجدانهم وذكرياتهم لحيل على الأقل . وإن الجيل القادم  
دون غيره (جيل "حمد" الذي ولد في القطر وهو في طريقه نحو حشم القرية )  
هو الذي لن تكون له وشبة ولا ذكرى مع حلقا القديمة ، وسينين بكامل  
الولاء للموطن الجديد ، وسيرى الحياة هنا في حشم القرية أمراً مسلماً به .  
(٦) النوبيون الذين تخلّفوا في ولاي حلقا :

مُسكّل النوبيون الذين تخلّفوا بوادي حلقا هاجساً مؤرقاً للحكومات  
المتعاقبة ، فقد احتلّوا أرضاً مع حكومة الفريق عبود حول الرحيل إلى حشم  
القرية . وقرروا البقاء على صفة البحيرة بمقربة من بلادهم التي أغرقها النيل  
، وباعت محاولات أقربائهم على حشم ليهجروا بالفضل السريع كم أنهم  
داروا آذانهم لنصائح الحكومة. وجلّى أن النوبين ما كانوا أول أناس يقاومون  
مثل ذلك الوضع ، فتاريخ الهجرة يسجل سوابق مشابهة . فأنقرياهم (الكنور)  
الذين دمرت ديارهم عند إعلاء حزان أسوان مرتين رخصوا مبلارة الملك فؤاد  
ملك مصر لتوطينهم في (كوم أمبو) ، وأقسموا قراهم على السهوح الصحيرية  
نشاطي النيل .

وحينما تم بناء خزان (جل أنباء) على النيل الأبيض وقص سكان (القطيعة) الذين قتلوا قراهم وأرضهم الزراعية النخرة إلى مشروع الإعاشة الذي تم تخطيطه لهم في منطقة (أبو قوته) وهي على مرمى حجر من ديارهم ، ووصلوا بناء منازلهم على الغلال الرملية الواقعة خلف قريتهم التي ابتلعها اليم ، وهذا ما جيل عليه الإنسان . وما كان متوقعاً أن تلقى هجرة جماعية مثل هجرة النوبيين إلى منطقة بذاتها قبولاً من الناس كافة تجعلهم يقبلون التحول إليها سواء كانت حشم القرية أو (أبو قوته) أو جبة الحلد ذاتها ، فالرابط العاطفية تسود على الدوام . وفي مجمل الأحوال فإن هناك أفراداً وجماعات يحكمون العاطفة ، ويضطرون إلى الوصل إلى زاوية دلتية لهذه الأسباب ارتأت الحكومة أن تعالج الوصل بحكمة ، وألا يكون التهجير قسرياً .

إن العقبة الرئيسة التي كانت تعترض الموقف في حلها القديمة هي أن الحد النهائي لمستوى مياه البحيرة إلى ١٨٢ متراً (لحصانية من المسح) الذي كان يؤمل الوصول إليه بعد أن يتواصل ارتفاع المياه على مدى سبع سنوات ، كان يقع على بعد أربعة وعشرين كيلو متراً من شاطئ النيل لذا فإن الموقع النهائي لإعادة توطين الأهالي كان بعيداً عن مصدر المياه وأعلى منها ولذلك فإنه غير صالح للسكنى إلى أن يحين ذلك التاريخ في هذه الأثناء كان عليهم الانتقال بصورة متكررة إلى مناطق أكثر علواً في كل مرة تصل المياه فيها إلى مستوى الكعبين ، كانوا يعيشون في مساكن خشبية مؤقتة صنعت من خشب (فيسكات) السكة حديد والتي كان يستلزم تفكيكها في كل مرة حينما تتسرب المياه إليها لتصب ثانية في موقع ملائم لبقى إلى أن يرتفع منسوب المياه مرة أخرى ، ليعاد فكها وهكذا .

لقد احتتموا سبياً من الفؤس في حالة عدم الاستقرار وأضاف فقر بعض العائلات من صعوبة الموقف. وعندما راجعت أسماءهم في قوائم التوزيعات وحسب أن الاستحقاقات الكلية لبعض العائلات لا تتجاوز السبعين جنيتها. ولا بد أنهم كانوا يعيشون في حافة المصاعة قبل أن يثلقوا العور من منظمه الأغذية والرعاية الدوية

في ٣٠ مارس ١٩٦٧م وبعد ما يزيد عن ثلاث سنوات من الكدح والمعالجة قررت الحكومة بحياء مدينة حلغا للقديمه على صفة البحيرة ، وعهد بالأمر إلى وزير المواصلات لدرسه وتنفيذه . وشكلت لجنة سبعية تصم لفيماً من النوبيين المعيين بالأمر برئاسة السيد صالح محمد طاهر أحد مديري المديرية السابقين وصممت عضويتها السيد داؤود عبد اللطيف والسيد محمد توفيق والسيد صالح محمود إسماعيل . وقد أنجزت اللجنة الكثير من الأعمال الداعة ، واتصلت برهاء ثلاثين مصلحة ووزارة ، وحصلت على اقتراحات محددة لمساعدتها في إعادة تشييد حلغا للقديمه .

وفي الثلاثين من أبريل عام ١٩٦٧م قام وزير المواصلات بصحبة أعضاء اللجنة ورؤساء المصالح الحكومية بزيارتهم الأولى للمنطقة حيث التفتوا بالسكان وناقشوا معهم الموضوع برمته . وفي ٢٥ أغسطس عام ١٩٦٧، رار الوفد داته المنطقة مرة أخرى ليؤكد للأهالي حرص الحكومة على الاستجابة لمطالبهم وتحديد موقع بديل للمدينة الجديدة تقوم على أساسه استعدادات رؤساء المصالح لتنفيذ أعمال التشييد . وزارت المنطقة أيب بعثة من مختارب (المجر) كانت مهمة بأهل ( قبيلة المجراب ) وأجرت دراسة لتقصي أوصاعهم .



وفي ٢٣ فبراير عام ١٩٦٨م، رار المنطقة وفد من الأمم المتحدة برئاسة البروفيسور (وايت) وعقد مؤحراً اجتماعاً مع رؤساء المصالح الحكومية نقشوا فيه سبل ووسائل استغلال الثروات الطبيعية للبحيرة . وأوصى تقرير الوفد بدراسة العناصر التالية دراسة وافية وهي : دراسة كامل الحياة المائية (بداية وحيوانية) وأثر ارتفاع المياه عليها ودراسة الظروف المحيطة بالثروة السمكية مع الاهتمام باحتداد مواقع ملائمة لمصائد الأسماك . ودراسة طرق الصيد والعلاقات المختلفة للأسماك بين بعضها البعض والعداء المتوفر للأسماك من حيث تكاثر الأعشاب المائية والعوالق . ودراسة المنطقة المتوقعة للجروف التي ستظهر سوباً عندما يسحر مستوى المياه في موسم الجفاف . ودراسة التغيرات المتوقعة حطب البحيرة وبخاصة ظاهرة توالد البعوض وديدس البلهارسيا والديبة الرملية وكيفية مكافحتها . . ودراسة التغيرات الساحية الناتجة عن المعدل العالي للتبخر والثر الذي تحدثه المياه على الشطآن . ودراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي من المحتمل أن تؤثر على حياة السكان والتي تتبع التغيرات في أحوال البيئة . كل ذلك كان يستلزم توفر أخصائيين مدربين للقيام بتلك الأبحاث

في تلك الأثناء بدأت المصالح الحكومية بتزويد السكان بالخدمات الأساسية التي استطاعت تقديمها للتخفيف من حدة ظروفهم السيئة ، وأرجأت تخطيط وتعبيد مشروع التوظيف النهائي حتى يستقر منسوب المياه إلى المستوى الدائم . ورودت وزارة الأشغال السكان بالمياه النقية خلال سنوات عدم الاستقرار الانتقالية . وفي عام ١٩٦٨م - حينما تم الاختيار النهائي لموقع التوسيع ربطت المنطقة السكنية بحط للمياه يجري من الخزان (الصبريج)

الحاصل بالسكة حديد ، كما رُوِّدت مباني الخدمات الحكومية بالكهرباء في تلك الوقت . وانتعشت مصلحة مصائد الأسماك مجموعة من الخبراء لتعليم السكان الأساليب الحديثة للصيد . وقد أكد مسح تجريبي تكاثر الأسماك بكميات كبيرة وبنوعيات جيدة . وأكملت وزارة الحكومة المحلية بالتعاون مع مصلحة المساحة الحطة المتعلقة بالمدينة الجديدة وعينت مساحة الحطة ثم ورعت ٢٢٩٧ قطعة سكية على الأهالي . وتم بناء مستشفى بمواد غير تالفة في المنطقة المحاطة ، يزاول الخدمة فيه طبيب مؤهل . وحصلت وزارة الصحة ٣٠,٠٠٠ جنيه في ميزانية التنمية لبناء مستشفى لائق بصم جراحين كبيرين وغرفة العمليات الجراحية . وكانت هناك مدرستان ابتدائيتان واحدة منهما للبنين والأخرى للبنات ، ومدرسة وسطى (١) للأولاد ، وبمساعدة وزارة التربية والتعليم قام الأهالي ببناء مدرسة وسطى للبنات ومدرسة أخرى للبنين كانت تحت الإنشاء (وكل هذه المدارس تم بناؤها بمواد مؤقتة) .

وجددت وزارة الري على الأرض المستوى النهائي لارتفاع الماء بـ ١٨٢ متراً في وقت مناسب يمكن من إنجاز أعمال البناء في الموقع الدائم الذي يقع بعيداً تماماً عن نطلق المد المتصاعد للبحيرة .

وفي عام ١٩٦٨م وزعت مصلحة الغابات على الأهالي (تستول) المحيل وشتول أشجار خشبية أخرى نعرسها في الموقع الدائم . وفي الوقت ذاته أجرت وزارة الزراعة محصاً للتربة في المنطقة بعبء التعرف على مدى ملائمتها للدورات الزراعية المختلفة ولزراعة أشجار الموالح .

واستحقت مكاتب الموسسة والتلخيص الإشادة لعملها المتواصل دوماً  
انقطاع أو حصاً منذ أن انتقلت إلى المنار في سبتمبر ١٩٦٤ م . وقد قررت  
مصلحة الآثار المساهمة بإنشاء متحف صغير بآثار النوبية ، كما اقترحت  
وزارة الثروة الحيوانية بناء محجر كبير للعناية بصحة الحيوان تكون طاقته  
الاستيعابية ٦٠,٠٠٠ ألف رأس في الموسم وهي في طريقها إلى مصر .  
والتزمت أيضاً بإدخال إنتاج الألبان وتربية الدواجن في المنطقة . وتنتظر  
الآن وزارة التجارة الخارجية وصول المياه للمستوى النهائي لترتيب بناء  
أرصفة جديدة في الميناء و مبنى للجمارك . وقدمت مصلحة السكة الحديد عملاً  
قيماً للعناية عندما أنشأت صهريجاً للمياه ورودت الأهالي بحشب (الفلكات)  
الذي كانوا في أمس الحاجة إليه لتنسيق مساكنهم المؤقتة . وأخيراً أدرجت  
مطمة الممرحلة والأغذية التابعة للأمم المتحدة الأهالي في برنامج الحور  
العدائي الذي كانت تقدمه في مثل تلك الأحوال .

في الثاني من أكتوبر عام ١٩٦٩م جال الرئيس (نميري) على كل  
المناطق بدءاً من دنقلا وانتهاءً بحلف وفي صحبته وزراء الثروة الحيوانية ،  
والتربية ، والصحة والتنمية الريفية والتعاون . وقد استقبله الأهالي - جميعاً  
بحفاوة إذ أن آخر عهدهم برئيس للدولة كان الرئيس عبود الذي قام بزيارته  
الشهيرة للمنطقة في ٦ ديسمبر عام ١٩٥٩م . وحدث (النميري) مع الناس  
وبحث مشاكلهم على الطبيعة ، وقبل أن يعاد في ٣ أكتوبر سلمه الأهالي  
مذكرة طويلة بمصائبهم العاجلة

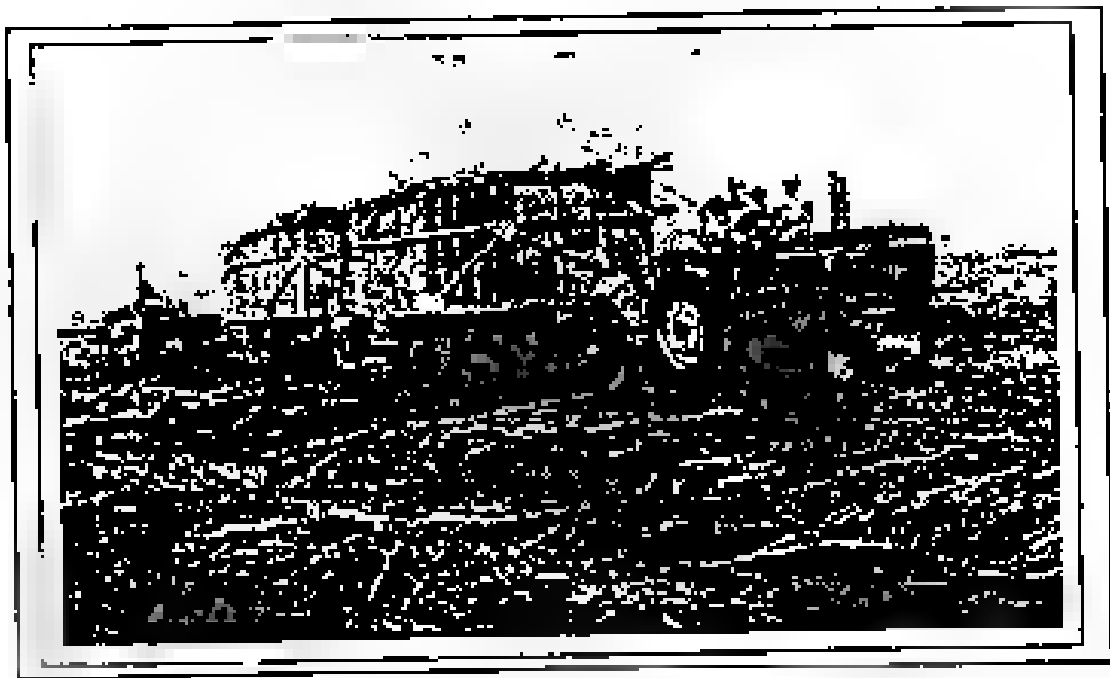
وعندما كنت أسطر حوائط هذا الكتاب كان أهالي وادي حلف قد هرع  
من بناء نورهم على النسي النوبي واستكروا في مسكنهم الجديدة المستقلة

على شاطئ البحيرة عند نهاية خط السكة حديد وهي تستתרّب الأمواج العالية التي تصح مياهها على موقع مدينتهم القديمة .

وسيمر بعض الوقت قبل أن تستقر حياتهم الاقتصادية . فليس في الإمكان تحديد منطقة الجروف ما لم تصل المياه إلى خطوط الكنتور النهائية . إضافة إلى أن شتول بحيلهم في حاجة لعقد آخر من الزمان للوصول إلى درجة الإنتاج القصوى . وكذلك فإن بناء المرسى يحتاج لوقت طويل مثلما أن لنظام لاتصال بين مصر والسودان لن يأخذ شكلاً محدداً إلا بمرور بعض الوقت . وإلى أن يتم ذلك فإن الخدمات الملاحية المحدودة القائمة ستستمر عن طريق البحيرة (إيس) التي أعيد تأهيلها وعن طريق مركب صغير وضعه المصريون تحت الخدمة . أما بواخر المصريين الصغيرة ، فقد طال انتظارها وأوشك الأمل فيها أن ينقطع ، تلك أن الأمر في مجمله كان يرتبط بالموعد النهائي للوصول المياه إلى مستواها الثابت ، والذي كان يبدو أنه قد تأخر .

إن ما ستفرد به ( وادي حلفا الجديدة ) هو العرلة ، فبيدها ومنطقة السكوت والمحس ستمتد الصحراء ، وفيما عدا صورة البحيرة فسيدوا المدينة كواجهة في الصحراء معرولة عن بقية العالم ، والأمل الأوحى هو أن يُعري برور الجروف حول شطآن البحيرة بين وادي حلفا ودال - أهالي السكوت والممس الذين يمانون من صيق لفرقة الزراعة بالمحي ، والسكنى على شواطئ البحيرة وسد ذلك الفراغ .

ومهما يحدث في مستقبل الأيام فإنني اعتقد أن ما لاگاه هؤلاء الناس من معاناة في مصائبهم الذي ما فتر يوماً وهم يواجهون المصاعب الطبيعية ، سيكون فالأحسب أنجميع يستغلون به حياة سعيدة .

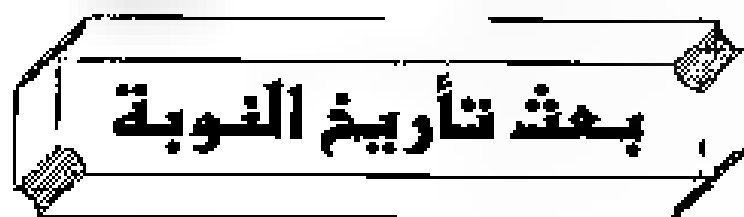


حصاد قصب السكر



حصاد القول السوداني

## الفصل الخامس والعشرون



بينما كانت ترتفع الهجرة تجري على قدم وساق، كانت هناك فعاليات أخرى دوات أهميه كبرى قد بدأت ، وهي استخراج التماثيل والحلى وغيرها من الآثار لحصارات النوبة السحيقة ، والتي كانت أما قد تم اكتشافها ، أو لا تزال مطمورة في بطن الأرض . وسد إعلال حطط بء السد العالي في مصر ، أدركت الحكومة السودانية الخطورة التي تتعرض لها الآثار غير المكتشفة . والنوبة السودانية تختلف عن النوبة المصرية ، فيما يخص بالاكشافات الأثرية ، فكل آثار الحصارات بدءً بالعصر الحجري وانتهاءً بحمله إسماعيل باشا لفتح السودان في عام ١٨٢٠م ، لم تمتد لها أي عطاء الأتسار بالاكشاف ، سوى اكتشاف أجزاء من الحصون الفرعونية في بدايات هذا القرن . لذا فقد رفعت الحكومة شارات الحصر طالبه العون السولي لإنقاذ هذه الكنوز النوبة المطمورة . وكل نطاق للعملية أكبر من مقدرات السودان المالية والعينية . ولما كانت المعرفة التي يتم اكتسابها من الاكتشافات تزيد العالم بكامله ، ولما كان الوقت صيقاً للتقريب عن تلك الكنوز ، فقد جاء طلب العون مبرراً تماماً .

وجدت الدعوة استجابة فورية من منظمة اليونسكو ، وتضمنت استجابة المنظمة إنقاذ جميع الآثار في النوبة السودانية وما بقى من آثار ماطمة النوبة العليا المصرية سواء ، وكل الوصع في النوبة المصرية محتاجاً لأن بء سد أسوان وإعلاء مرتين ، أدى إلى الشروع في عمليات التنقيب هناك في وقت مبكر حتى تكتملت عام ١٩٣١م ولكن معيدي (زمسيس الثاني) العطينين في (أبو سمبل) والذين كانوا مهددين بمياه السد العالي ، شكلاً مشكله قائمة بألفها لعفاء الآثار والمهندسين على حد سواء .

وبدأت منظمة اليونسكو في الرابع من ديسمبر ١٩٥٨م حملة للحصول على  
الأمم المتحدة للارممة لأجل إنقاذ الآثار القيمة والتعريب عنها في منطقة بحيرة  
السد. وتم تكوين لجنة برعاية دولية لذلك العرص برئاسة الملك (جوستاف  
أولف السادس) ملك السويد كما تم تعيين الأمير (صنر الدين أغاخان)  
مستشاراً حاصلاً للأمم المتحدة للعام لمنظمة اليونسكو فيما يتعلق بكل ما يختص  
بالعملية. قرار الأمير السودان في عام ١٩٦٠م . واجتمعت اللجنة المركزية  
لليونسكو في ٨ مارس عام ١٩٦١م في باريس لتدشين حملة عالمية لجمع  
التبرعات للارممة ، وأشرف وزير الثقافة الفرنسي على الاجتماع الذي  
حضره ممثلو كل الدول الأعضاء ورؤساء البعثات الدبلوماسية في باريس .  
وكان ممثلاً مصر والسودان من بين الحضور وألقى السيد ريادة عثمان  
أرملب وزير المعارف السوداني كلمة نيابة عن حكومة السودان .

وفي تلك الأثناء كانت مصلحة الآثار تشحذ قواها للعمل الصحر ،  
وعلى أنشطتها كافة في كل أنحاء البلاد ، وتم توجيه موظفيها للتحرك نحو  
وادي حلفا . كانت خطة الإعداد بدأتها عملاً صحماً استوعب أوجه النشاط  
على محورين : الأول منها كان سحاً أثرياً علمياً لكامل المنطقة المتأثرة  
بسد السد العالي ، يعنى مواقع الآثار ، ويحدد أنواعها ويقيم حجمها . وتم  
إنجاز هذا العمل عن طريق رصد علم لظهورية المنطقة التي تم مسحها  
لتمييز السمات الحقيقية للأرض التي تحوي أثراً عن غيرها من المواقع التي  
لا يرحح وجود أثر فيها . وكلما حدد موقع لوجودها يتم إبراها في سجل .  
وهي أغلب الأحيان، كان يتم إجراء حفريات استكشافية للموقع لتحديد فترته  
التاريخية وامتداده ، وحالته العامة . ولكي يتركز البحث على دعمه صلبة



قامت مصلحة المساحة بفتح جوي مكثف عبر ثلاثة مستويات مختلفة خلال عام ١٩٥٩م وهي الصور التي التقطت من علو شاهق وتم استخدامها في إعداد الخرائط الأثرية التي لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت . ثم المسح الذي تم عن طريق علو متوسط والذي أفاد في تحديد المواقع المحتملة للآثار لأنه أظهر صواب على سطح الأرض تشير إلى وجود بعض الخرائب الأثرية التي تم احتيرها بدقة لتأكيد أو نفي وجود أثر في المنطقة التي يظن وجودها فيها . وأخيراً المسح الذي تم من ارتفاع منخفض والذي اقتصر على الأماكن الأثرية المعروفة وذات الأهمية في المنطقة . كان ذلك عوياً عظيماً لبعثات النقيب هي تجهيرها للخرائط وإعدادها لحفظ الحملة .

أعد الخريطة الأثرية حيران شطرنج من منظمة ليونيكو هما : (و.و.ي . آدمز) و (أ.ملز) ، ومن بعد ذلك . وعندما توافرت الموارد المالية تم إعداد مجموعة بطاقات من الصور الصوتية المساحية المتعلقة بعملية إعادة بناء المعابد . وعلاوة على ذلك فقد تم استخدام الصور التي تم التقاطها من الجو بواسطة لرسم خريطة سيغسائية هائلة أدرجت صورها بأرقام متسلسلة تم حفظها في ملف حصص لاستخدامه في الأعمال الميدانية . وبعد اكتشاف موقع أثري جديد، يتم إدخاله في المنطقة المصورة عن طريق تحديد ثقب مكان موقعه ورسم دائرة حوله (أي الثقب) على ظهر الخريطة السيغسائية يحمل رقم الموقع . وبهذا أمكن تسجيل وتعيين كل الآثار دون إتلاف التوجيه المعطاة التي تحمل الصورة . وبعد تعريض السيغسائية إلى إضاءة خلفية تظهر كل المواقع للناظر في مشهد واحد .

والمحور الثاني من خطة التجهيز يهتم بتفكيك أربعة من معابد المملكة الوسطى (عوهين ، عكنة ، سمة شرق وسمة غرب) ومدهن فريد في برعه قائم بمنطقة (نير ه شرق) . وما كان هناك بد من تجرئة هذه المعابد، ثم نقلها إلى الخرطوم ليتم نصبها ثانية في المتحف القومي. وكان لابد من عمل صور كاملة لها من الصور المساحية الضوئية وإدراج جدرانها المخترأة في أرقام متسلسلة ليعاد تركيبها في الخرطوم . ووجدت رسومات على جدران الكنائس ، كان لابد من مزارعها بعناية من على الحوائط لتعطي في الخرطوم كما كان لابد من توثيق وتصوير النقوش والرسومات من على الصخور الجرداء في منحدرات التلال .

كانت حكومة السودان قد صممت تعاون هيئة اليونسكو معها في إنشاء لجنة استشارية تصمم خبراء لعملية إبعاد الآثار في النوبة السودانية . وقد عقدت اللجنة اجتماعها الأول في الفترة ما بين ٣ إلى ١٠ أكتوبر عام ١٩٦٠م ترأسه المدير المساع للمطبعة اليونسكو . ثم رأت اللجنة المنطقة حيث طافت على جميع المواقع الأثرية وحددت أسبقيات العمل . وفي عام ١٩٦٢م عقدت اللجنة مؤتمراً في مدينة ولاي طغا برئاسة وزير المعارف ، اطلع عليه عليه على تقرير مفصل من مدير مصلحة الآثار السيد نايب حسن ثابت . وتضمن التقرير الملامح العامة لعملية الإنقاذ ، وساول بصورة رئيسة عملية فك المعابد الأربعة ومقره منطقة نير ه ، وكيفيه نقلها إلى الخرطوم وإعادة تركيبها هناك ثانية . وركز الاجتماع أيضاً على أهمية دمج الرسومات من على جدران الكنائس ، وعلى توثيق وتصوير النقوش واللوحات المرسومة على الصخور ، وقرر عمل نماذج لبعض الآثار المهمة المبينة أصلاً من اللين

لأن تلكم الآثار يستحيل تحريكها . وكان آخر ما قرره الاجتماع هو إنشاء مكتب لتسجيل الآثار يكون مقره بالخرطوم ، على غرار مكتب الآثار بالقاهرة وأغلب اللجنة الإجراءات التي يجب أن تتبعها للبعثات التي ستتولى أعمال الحفر ، وناقشت تعهداتها من أجل نجاح العملية ، وقررت أيضاً بشتر تقارير سير عمليات التنقيب وفقاً لاتفاقها مع حكومة السودان . و تقرر تعيين اختصاصي في (الإنثروبولوجيا) حتى نستفيد بعثات التنقيب من علمه وخبرته في بحثها عن الآثار .

#### (١) بدء عملية التنقيب :

بنسبة للنداء الذي أطلقته حكومة السودان للمساعدة السوفيتية ونتيجة لتعاون منظمة ليويسكو ، صلت الكثير من البعثات الأثرية الأجنبية المشاركة في عملية إنقاذ الآثار السودانية . وفي عام ١٩٦٠م كانت هناك ست بعثات قد بدأت أعمال التنقيب في المنطقة ، وارتفع العدد إلى اثنين وعشرين بعثة من سبعة عشر فتراً ، استطاعت معظمها الوصول إلى اكتشافات جديدة .

ولإعطاء صورة عن البرنامج الذي تم إنجازه إنان تلك الفترة التي اتسمت بحمى البحث عن الآثار ، فتم بتلخيص الإصدارات التي نشرتها مصلحة الآثار وسجلت بعضاً من ملاحظات الشخصية عندما كنت في وادي حلفا . فقد تم تقسيم العمل إلى جرتين يتم كل منهما الآخر - العمل الذي قامت به مصلحة الآثار ، والعمل الذي قامت به البعثات الأجنبية تحت إشراف مصلحة الآثار

سناقش أولاً البرنامج الذي نفذته المصلحة على امتداد النهر من قرية (فرصد) في الشمال حتى (جنى) في الجنوب ، وهي المنطقة التي كانت

مهتدة بالمرحلة الأولى من تحرير المياه في بحيرة المد العالي وقد دفنت مصلحة الآثار جزء من هذا العمل منفردة وبفدت الجزء الآخر بمساعدة حيزري اليوسكو الذين أشرنا إليهما أنفاً . وقد قام بالمصاحبة الصوتية حيزران بلحكيان ونسك في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٥٩م وحتى مايو ١٩٦٢م وأدى ذلك إلى اكتشاف عدة مبات من المواقع الأثرية المجهولة على امتداد من الأرض لا يتجاوز ستين كيلو متراً . وتم تصنيف تلك المواقع بعناية وتولت مصلحة الآثار أعمال التنقيب عن الآثار في كافة المواقع التي كان متوقفاً أن تعمل فيها بعثات التنقيب .

تواصلت بعد ذلك أعمال المسح في بقية المناطق المتأثرة بفيضات السد بسلوب جمبي . وتم تحصيل مائتين و أربعين موقفاً جيداً قامت مصلحة الآثار بأعمال الحفر فيها . واستغرق العمل في تلك المواقع حتى شهر مايو ١٩٦٩م حيث تم إلقاء آثار قيمة من الضياع أصيبت إلى ما يعرض في متحف القومبي .

كانت المواقع الرئيسة التي قامت مصلحة آثار بأعمال التنقيب فيها هي :  
(أ) شمال يوهيند : تم العثور على مئتين بالغة الأهمية يرجع تاريخها إلى فترة للمجموعة (أ) . وكانت حالة هذه المدائن جيدة ، حيث وجدت الآثار للمجموعة مع لأمويت مقيمة غير أن الاكتشاف للتاريخي المهم لهذه الأعمال الحفرية يمثل في الوصول إلى علاقة يمكن تتبعها بين حضارة المجموعة (أ) وما كان يسميه (أ.ج.أركل ) . (حضارة العصر الحجري للحرطوم .) ولتأمل العمل في هذا الموقع عام ١٩٦٢م

(ب) جزيرة كسانوتني : هذه الجزيرة كانت أول مطلة سوانجه الطوفان وهي على مسافة من وادي حلما تبلغ خمسة وعشرين كيلو متراً . وقد كشفت أعمال

للتعبد آثاراً يعود تاريخها إلى العهد المروى (المجموعة س) والمعبد المسيحي وتم إنجاز هذا العمل في فترة شهرين انتهت في فبراير ١٩٦٢ .

(ج) جزيرة سيناري: وكانت من أكثر المناطق غنى بالآثار بحسبان أنها تقع عند نهاية الشلال الثاني على بعد ١٠ كيلومترات جنوبي حلفا . وقد عرفت هذه المنطقة منذ أمد بعيد بأنها من أكثر المستوطنات المسيحية أهمية في منطقة النوبة . وأكدت الحفريات وجود آثار قيمة ترجع إلى الفترة المروية والمسيحية وفترة دخول الإسلام في منطقة النوبة . ووجدت آثار هذه الحفريات على طبقات بعضها فوق بعض . علاوة على ذلك تم العثور على ١٢٤١ قطعة أثرية بعضها أجمل ما تم العثور عليه من حرفيات حتى ذلك الوقت في منطقة النوبة . ولقد توجت الحفريات في هذه المنطقة باكتشاف كنيسة عتيقة ذات لوحات ورسومات بالجص ونقوش نوبية وعمل في هذا الموقع ٢٥٠ عاملاً مدة سبعة عشر شهراً .

(٢) فسك المعابد وترحيلها شكلت مسألة فك وترحيل معابد عكشة وبو هين وسمنه وسقيرة بدير . مشكلة بالغة التعقيد لمصلحة الآثار . فهذه الآثار جميعها أصاب بدهاها الصعف وكانت في مراحل مختلفة من التآكل . فمعد بو هين (أكبر هذه المعابد وأكثرها محافظة على هيئته الأولى) لم يبق منه سوى جزء من مبناه الأصلي . وفي عكشة ما بقى سوى ندر يسير من الآثار المبعثرة من الطوب الرملية المفتتة . وظل ما بقى من جدران المعبد وأعمدته مظلوماً حتى تصفه في الكتاب الرملية . وقد رأى (د. هارولد ج. بتدرليث (١) أن هذه المعابد يستحيل إنقاذها . وأن معبد عكشة سينهدم تماماً عند تحريكه

<sup>(١)</sup> مدبر مركز تدرى ندر حلفا . ففادته عام ١٩٦٢

ورأت مصلحة الآثار أحيراً أن البدء الحجري بالمعادن لا بد من تدعيمه بمعالجات كيميائية ولا بد من حفظه عن طريق استخدام محاليل مقاومة لطقس الحرطوم . ولقد تم اتخاذ هذه التدابير تحت إشراف . (ف.و. هينكل) وهو حبيب من ألمانيا الشرقية يعمل بمنظمة اليونسكو . وكانت المعابد قيد العطر هي : (أ) معبد عكشة : وقد أقيم رمسيس الثاني ، النبأ العظيم لمعبد أبو سبيل ( ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م ) وقد تم تشييده بالطوب الرملي ، وكان مخصصاً لعرض تاريخ حياته . وفي عام ١٩٦١م وجب أن هذا المعبد يكاد يكون مهتماً تماماً كما ذكرنا أنفاً . وفي ما عدا حائطه العربي ، كان من المستحيل إصلاح ما تسقى منه ولكن المحتويات والنقوش على ذلك الحائط كانت ذات أهمية تاريخية بالغة ، فقد حوت فوائم (في جانبها الشمالي) تشير إلى البلاد السفلى التي فتحها رمسيس الثاني ، وهي جانبها الجنوبي تشير إلى تلك التي فتحها هذا الفرعون هي أعالي النهر . وهناك لوحة مصنوعة من الجص لاسرى أبيهم حلف ظهورهم تدل على خصوعهم لسلطانه . وقد استغرق العمل الفني لكشط الجدران وتحريك إلى شرائح وتعبئتها إلى خمسة وعشرين يوماً . وفي أواخر يناير ١٩٦٣م كانت القطع الأثرية جاهرة للإرسال للصفاة الشرقية وفي الرابع والعشرين من مارس نقلت الحجارة الأثرية وهي محرمة ، إلى رادي حلفا بقارب . ومن هناك نُقلت عن طريق السكة الحديد إلى الحرطوم وفي عام ١٩٦٨م أعيد نصب تلك الحوائط في أقصى الجهة الغربية من المتحف القومي في سقفة من أعمدة الفولاذ تطلها ألواح حديدية مطلية باللزنيك لدرء الصدأ . وكانت الصائفي تقوم على دواليب (عجلات) وقصبان حديدية بحيث يتسنى تحريكها إلى خارج السقفة

(ب) معبد يوهين : أكبر المعابد وأكثرها أهمية في المنطقة للمتأثرة ببعض  
السد العالي. بنى في الأصل الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق.م) وأوقفته  
للإله حورس (رأس الصقر) رب يوهين . ولقد محاط حلفها، تحتس الثالث  
اسمها ووضع اسمه بدلاً، ولم يقف عند ذلك بل غير التصميم الأصلي للوحة  
الجدريه وشو شكلها المستطيل وفتح صورة الملكة

كان تصميم هذا المعبد تقليدياً وكان مقسماً إلى قسمين - الساحة  
والمعبد ذاته . كانت الساحة تقع في الجانب الشرقي وتحتل على وجه التقريب  
ثلث مساحة المعبد . وكانت الدوابة الرئيسة تقع إلى الجنوب قليلاً من الوسط  
وتستشرف مئذنة الصفة العربية لنيل وتقودك إلى الساحة التي أحدث شكلاً  
مستطيلاً محاطاً بصفيين من الأعمدة وله ثناء قام ببنائه (تحتس الثالث)  
امتداداً للمعبد لأصفي. ونقشت أسماء (رسمين الثالث والرابع والخامس) على  
جداره.

كانت للمعبد ستة أقسام . أولها يمكن الوصول إليه من الجهة الشرقية  
وهو صالة التوزيع . وقد ربيت الحجرة الشمالية بطوئة من الجص (لتحتس  
الثاني) وهو ركن في حضرة الإله الذي وضع يده على كتف هذا العزعون  
وصورت على الحائط الجنوبي بقرة بالنقش البارز وهي تعلق عجلًا بينما  
وقفت أخرى بجانب ثور. وهذه الحيوانات كانت كتبت قرابين للإله . ولذلك الصالة  
بابان (باب شمالي يود إلى غرفة مستطيلة صيفيه وأخر يؤدي إلى العرفة  
المقنمه المرحرفه والتي كن جدرانها الشمالي يرحر نفوش عديدة لتحتس  
الثالث وهو يقدم البقر ولينة من الحمر قربانا للإله يوهين | وطهرت على

جدران الحجرة الخلفية رسومات بالألوان تصور مشاهد الاحتفالات ، وكان التشويه الذي أحدثه تحنسن الثالث بصورة (حتشبسوت) واضحاً جداً .

كانت هناك صورة نائنة على حائط المعبد الجوبي الخارجي المبنى من الطين ، لملك كوش الشهير (تيراكا) الذي يمكن تمييز أنه الأفطس وشقيقه العليظتين ، وتاجه المحروطي . وكان واضحاً أن النقوش البارزة قد تم حلقها بعد أن سب لكوشيون بوهين . وبنت النقوش أن تيراكا كان يحكم المنطقة بيد من حديد.

لقد زرت بوهين أثناء تفكيك المعبد لكي أرى الوسيلة المأمونة المستخدمة في تحريك رتل الأعمدة الصخمة للساحة ، وفي تحريك الجدران الصلبة للمعبد نفسه . ذهبت لرؤية المعبد بكملة مدفوناً تحت كتف كثيف من الرمل ولا يشاهد منه شيء سوى رؤوس الأعمدة. ورأيت منحدرين بصيقلان برفق ، أحدهما يقع في الجهة الجنوبية ويقودك من أعلى الكتف إلى صفة النهر حيث يجسر ممر ممهد من الألواح الخشبية الفرع ما بين الكتف إلى داخل العبارة . وتم بناء المنحدر الآخر في الجهة الغربية وهو يربط ما بين أعلى الكتف وكومة من رمل تكونت جراء حفريات سابقة . وقد تم استغلال هذا الطريق كخط حفيف للسكة حديد لنقل الرمال واستخدامه وسادة ذات ارتفاعات مختلفة تبعاً لمستوى قمة أقسام الأعمدة التي تم تحريكها .

وتحت إشراف (د.بلدرليث) تمت تقوية حجارة المعبد ونقوشه قبل أن يهكك . وكانت الخطوة التالية هي إزالة أعشاش الطيور والديدان والترسبات الأسمنتية التي تراكمت حديثاً باستخدام مدببة حادة ثم تنظيف مفصل الكتل الحجرية. وتم تنظيف كل المحركات والصور برفائق من مادة ( الشيلاك )



الماء في الكحول باستخدام الفرشاة . أما طبقات الجبس الصغيرة بعد  
عولجت بالشمس القطني بعد أن مسحت بسائل من مده ( السوفس ب )  
الاصقة . وبقي الشباك المذاب بالكحول أربعاً وعشرين ساعة ليحب قبل  
استخدام المادة اللاصقة . ثم نظفت مفاصل الصخور باستخدام مدية حادة  
لتحليص القمش من الأجزاء الصخرية ( ١ ) .

وفي ما يلي بورد ما تم احاده من إجراءات لتحريك الأجزاء الرئيسية  
الكبرى للأعمدة . فقد تم اكتشاف فراغات في قلب أجراء الأعمدة أدخل فيها  
البنايون المصريون القدماء كتلاً خشبية ليربطوا بين أجراء العمود ، وكان  
العمال يسرعون للكتل الخشبية ثم يوسعون الفتحة ، ويتم إدخال قضيب له  
مسار يقص على الأجراء الداخلية للجدار ويربط القضيب بسلسلة حديدية  
متصلة برافعة ذات بكرات تفصلية . ومن ثم يتم رفع أجراء الأعمدة على  
مهل قبل وضعها بحتر على وسادة الرمل في أعلى الكتيب ثم تدحرج إلى  
الأسفل حتى تبلغ شاطئ النهر . وهناك يتم حرمها مستخدماً لوحين من خشب  
المهوقسي في طرفيها ثم تربط روابيا قضيب لولبية قبل أن تتركى فوق  
المهاد الخشبي إلى ( العبارة ) في وضع عمودي .

وعندما يتم تحريك كل الأجراء العليا للأعمدة ، تزال الرمال عن  
كتيب الرمل ويبدأ العمل في نقل الأجراء السفلي على نفس المنوال وكانت  
هذه الطريقة العملية وذات الكفاءة في فك المعابد مشابهة لتلك التي بنى بها  
قدماء المصريين - أصلاً - معابدهم . وقد تم استخدام هذه الطريقة بنجاح في  
نقل المعابد الثلاثة الأخرى . واستغرق نقل معبد بوشين أربعة أشهر كاملة .

<sup>١</sup> مجلة كورس - العدد ٤٦ - ١٩٦١ - معالج نر . بورد المصري

وتم ترقيم كل قطع الحجارة و عمل قائمة لها. وأعد خبراء بالحيك صورة مساحية صوتية للمعبد ونقلت حمولة الأحجار إلى الخرطوم بقطار للشحن هي عربة مكشوفة وتمت عملية إعادة نصب المعبد في حديقة المتحف القومي عام ١٩٦٩ م .

ولكن معبد بوهيس فقد أقيمت له سقفة ذات ثلاث مجموعات من الأعمدة مفصولة عن بعضها البعض وسفقت بالحديد المطلي بالزيت ورفعت السقفة على عجلات وقصيب من الحديد حيث يطوي القصيب على العجلات كقطواء الحافظة الجانية على كاميرا كوداك (من الطراز القديم) حتى تكون درجاة السقفة إلى الحواف ممكنة متى ما كانت هناك حاجة لتعريض المعبد لأشعة الشمس

ج) المعبدون سمنة : معبد سمنة غرب مبى كشكل الحرف ، [ ل ] [ م ] ويتكون من غرفة مفردة وحائط سرر من المبنى الرئيسي . ويعتقد أن الملك تحتمس الثالث الذي بناه فوق أساس معبد أقامة في الأصل للملك سنوسيرت الثالث ،<sup>(١)</sup> وكان المعبد يشابه معبد سمنة شرق (كوما) فقد كان يقع داخل حصن حصين تم بناؤه بغرض حراسه الحدود الجنوبية للمملكة الوسطى . وكانت حوائطه تزدان بلوحات وصور من الحصن لتحتمس الثالث وسوسيرت الثالث وهما يقدمان القرابين لـ (ديوان) إله أنوبة . ويعتبر المعبد أحد أحسن المعابد المفردة لحقبة ما قبل حقبة البطالسة محافظة على هيئته وذلك في منطقة وادي النيل قناطبة .

أما معبد سمّة شرق (كوما) فيقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ،  
 قبيلة بطيريه في الضفة الأخرى وكان أكثر اتساعاً من معبد سمّة غرب ،  
 وبنيته في الأصل الملكة حتشبسوت ، وقدم بتوسيعه حليفاتها تحتمس الثالث  
 وأمنوميس الثاني وذلك في الفترة ما بين ( ١٤٩٠ - ١٤١٠ ق.م ) وكان هذا  
 المعبد مكرماً لعبادة الإله (حوم) الذي كان له رأس كبش . وبني المعبد من  
 الحجر الرملي الذي يعتقد أنه استجلب من جزيرة (صاي) الواقعة على بعد  
 ١١٢ كيلومتراً إلى الجنوب من سمّة وكان هناك جائط خارجي من اللب ،  
 شملت ثلاثة جوانب من المعبد الرئيسي جزء منه . وضم الجزء الرابع من  
 المعبد الذي يواجه اتجاه الجنوب عمودين مربعين وصفيين من المسلات كان  
 العرص منها نشيت سقف العرفة ، الأمامية وحوت جدران المعبد ستين صورة  
 بدا فيها الملكان تحتمس الثالث وأمنوميس الثاني في أوضاع جسمانية مختلفة  
 في حضرة الإله (حوم) . وكما كان الحال في بوهين ، كان يمكن مشاهدة  
 نقوش الملكة حتشبسوت المشوهة .

ثم فك هذين المعبدتين ونقلهما بالشاحنات إلى وادي حلفا في عام  
 ١٩٦٤ م ثم نقلتا للحرم عن طريق السكة الحديد حيث تم نصبهما في  
 المتحف القومي مع معبدي بوهين وعكشة . وتمت حاميتهما بوضعهما داخل  
 عربتين مثل المعبدتين المذكورتين .

(د) مقبرة دبيره : وهي صريح منحوت في الصخر للأمنير النوبي (جيحوي  
 حنب) ولكونه أقدم صريح مزين في السودان فقد اعتُبر ذا أهمية خاصة . كان  
 هذا الصريح يبعد نحو ميل واحد عن شاطئ النيل في أحضان قرية دبيره  
 الواقعة على بعد أربعة عشر ميلاً إلى الشمال من مدينة وادي حلفا . وكان

بقومته المحونة يعلب عليه الطابع المصري مما يجعل في الإمكان النض بأنه صريح مصري ، لولا اسم الأمير ونقه . وقد أوضح البروفيسور (سيف سودريج) رئيس البعثة الاسكندنافية المتحدة ، والتي كانت تقوم بتسجيل القيمة التاريخية لهذا الصريح ، بأنه يمثل دليلاً قاطعاً على أن تمصير رؤساء النوبة وصل برجه متقدمة وقت بنائه ولذلك فقد كان من الصعب التمييز بين المصريين الحُصّ والنوبيين الذين كانوا تحت إدارتهم . وكان ذلك الصريح مكرساً لتحليل آثار الملكة حشيسوت ( ملكة البرين ) .

صم الصريح نفسه حجرة مستطيلة الشكل مساحتها ٦×٤ م لها مدخل في قبالة الجهة الغربية تجاه النهر . وقد تم حفر قبر صغير مستطيل الشكل في الجدار الشرقي من الناحية المستطيلة حيث تم وضع أربعة تماثيل حجرية كانت مهيئة الحفظ لدرجة أنه كان من المتعسر تحريكها ويقود مدخل في الجدار الجنوبي إلى الصريح نفسه والذي يقبع في ممر ينتهي بحفرة مربعة حيث تم العثور على العديد من التوابيت الحشيفية الملونة داخلها . كانت كل حدران غرفة الصريح مزودة بمحوانات جميلة للأمير النوبي . مع أشكال أخرى لرجال وآلهة تصور حولها خاصة من حياته مسجلة بنفس (هيروغونفي) . وفي عام ١٩٦٣م قُطِع الجدران إلى أجزاء و رُسِلت إلى المتحف القومي في الخرطوم حيث تم نصبها ثانية في عام ١٩٧٠م .

بعد أن عُدّت مصلحة الآثار إضافة إلى المعهد الأربعة وصريح دبيره بعض أعمدة ذات قيمة منها عمود تم العثور عليه في صحرة نائية في حريسة فرص ، يصور نائب الملك (ستاو) وزوجته وهما يقفان أمام الملك رمسيس الثاني في صراعة وحشوع . كما عثر على عمود حر في صحرة

(أنو سر) عليها اسم رمسيس الثاني وللمحتب. <sup>(١)</sup> و عُثر على عمود ثالث يعتبر وثيقة ترويجية مهمة في (جبل سليمان) في الشاطئ العربي قبالة قرية - غيم - وأثر ما سجل على هذا العمود حقيقة أن قدماء المصريين قد أحصوا النوبة في عهد الملك (دجر ٣٠٠٠ ق م) ثالث ملوك الأسرة الفرعونية الأولى. وبعد هذا أقدم نفس عُثر عليه في منطقة النوبة على الإطلاق

### ٣- أعمال البعثات الأثرية الأجنبية :

باشرت البعثات الأثرية أعمالها في مواقعها عام ١٩٦٠ م. وفي عام ١٩٦٢ م بلغت إعدادهما اثنتين وعشرين بعثة من مختلف أرجاء العالم . وقد شهد شاطئنا النيل في المنطقة المتأثرة بفحصان السد العالي أعمال سقيب مكثفة لم يشهد العالم مثيلاً لها في تاريخه . كان الحفر يجري على قدم وساق في المناطق كافة وتواصل في المناطق الحالية وفي المقابر وما تحت كتل الرمل وفي الكنائس والمعابد وفي بعض الأوقات كان الحفر يجري في الدور التسي بقطبها الثوبيون . وقد تأكد أن المنطقة كانت ترحل بالآثار حتى أن المرء كان يمكنه أن يقول إن الكنوز المدفونة التي بعثت تحت أقدام النوبيين لم تكن لتصل إليها الأيدي لو لا إقامة السد العالي .

ومن المسحيل تقدير النتائج المادية للعمل العظيم الذي قامت به البعثات الأجنبية ، وكذلك مسحيل تقدير قيمته التاريخية لأن ما تم اكتشافه سيكون له وزن أكبر ودو مغرى عند الأجيال القادمة. ومأسجل هذا باختصار عمل كل بعثة وما وحدته من آثار، أما تفصيل عن تلك البعثات فقد دونه مجلة ( كوش ) وأب أنصح كل دارس للعملية الفريدة للكشف عن الآثار

بالرجوع إلى تلك الإصدارة . وحسبى هذا أن أعطي القارئ فكرة عما كان يجري من عمل :-

### ( أ ) البعثة البولندية :

وهي إحدى البعثات التي توصلت إلى اكتشافات مهمة وهي عام ١٩٦٠ سحبت مصلحة الآثار هذه البعثة حتى العمل في الموقع الأثري (بهرس غرب) وبدأت البعثة العمل في الثاني من إبرير عام ١٩٦١م تحت قيادة البروفيسور (ك . ميكالوسكي) .

كان الموقع يقوم على تل رملي نشاطين النهر شرق قرية فرص لا يميزه ما يصنّعه الإنشاء سوى غرفة حجرية كان (العمدة صلاح) يستخدمها مصنفة . وبعد أن عُرض بقليل من المال عليها ، اكتشف أن الحجرة لها (وديسوس) في عام ١٨٨٨م كنقطة مراقبة لصعد تسم عبد الرحمن النجومي نحو نوتسكي . وكانت البعثة البولندية علي علم بأن كنيسة فرص العتيقة مضمورة تحت الرمال في مكان ما بتلك المنطقة ، لكنها لم تكن علي يقين من أنها تحت ذلك التل فقامت بإزالة الغرفة . وبعد أن واصلت الحفر لعدة أيام إردانت خلالها شكوكها - ارتطمت معاولها فجأة بجانب الكنيسة وبعد ساعات قليلة من العمل ظهر قوس المدخل الرئيس ذو الطوب الأحمر . وعلقت البعثة لعدة أشهر لإزاحة الرمل حتى يظهر بدء الكنيسة من سسه . وعندما أنشأوا الحائط الشرقي وكان العمل مستمراً - قمت بزيارتهم وهناك البروفيسور (مايكالوسكي) الرجل ذو الشعر القصي بجاحه وعلقت قائلاً إنهم كانوا محصوطين لارتطام معاولهم ببوابة الكنيسة . فردّ باسماء بأن ذلك لم يكن ضربة حظ ولكنه (كان ثمرة الخربة يا بني . )

كانت للكنيسة بناءً ضخماً وكان جزء منها مبني بالطوب الأحمر ،  
ولكن أغلب أجزائها شيد بالطوب الأحمر بينما بُني الأساس من الحجر  
الرملي ، وأخيراً وبني أن الكنيسة تم بناؤها على أنقاض معبد قديم ، وظل  
الموقع مستخدماً منذ عهد الفراعنة وحتى زمن (العمدة صلاح) الحالي  
وكانت حوائط الكنيسة مكتملة حتى السقف الذي تشكل من حوائط خشبية  
ظلت تغطي جزءاً من الكنيسة . كان المبنى - عمومًا - أبلاً لسقوط وتهدمت  
العديد من أجزائه . وكبعض أعمدة أن العمل تحته يمثل خطراً . وكانت الحدران  
الساحلية مطلية بالجير الأبيض وعليها سطوحها رسومات بالغة الجمال لونت  
جدار أبيض . وهناك لوحة تجدر الإشارة إليها بخاصة وهي لوحة للسيدة  
مريم العذراء ذات قيمة فنية عالية مما أدى إلى عرضها في نيويورك . كانت  
الكنيسة بأكملها - حفاً - معرضاً لوحات بدیعة . وكان (جوريف قاري) عضو  
البعثة البولندية متخصصاً في كشط الرسومات من على الحائط وكانت مهمته  
تتسم بالصعوبة إذ أن الطريقة التي إتبعها كانت تعتمد على استعمال القرشدة  
لمعالجة الرسومات بسائل كيميائي ثم يغطيها بطبقة من قماش رفیق ويوصل  
العمل على مدى عشر ساعات في برج الرسومات من على الحوائط كما تدرج  
صمادات الشاش من مواضع الجروح . وكانت كلما أزيلت رسومات  
ظهرت أخرى من تحته . وبلغت أعداد الرسومات التي انتزعت ست  
وثمانين لوحة دون أن تُكثف واحدة منها ثم شُحبت بعناية للحفظ  
(وإرسو) لصيغتها . وعلاوة على اكتشاف تلك الرسومات القيمة فإن البعثة  
البولندية عالجت آثاراً تاريخية وثائق هامة ألقت الضوء على حقبة الحصار  
المسيحية في منطقة السونة . ووجدت عظام بيضاء لجنّة أدها المظلمة في قبر

داخل الكنيسة بالقرب من المدخل الشرقي ويرجع تاريخ الكنيسة لعام ٦٠٠ ميلادية .

#### (ب) البعثة الفرنسية الأرجنتينية المشتركة :

أجرت هذه البعثة المشتركة أعمال تنقيب لها أهميتها في منطقة (عكشة) وكانت تحت قيادة البروفيسور (ج هيركوتر) والبروفيسور (روزر فسر) . كان الموقع الذي عملت فيه هذه البعثة يقع على الشاطئ العربي للنيل على بعد أحد عشر ميلاً إلى الجنوب من مدينة وادي حلفا . وقد بدأت البعثة أعمالها في العاشر من يناير عام ١٩٦٠ وقرعت منها في عام ١٩٦٢ م . وعسالة على حفريات معبد (رمسيس الثاني) الذي أضرماً إليه آتفاً ، أجرت البعثة المشتركة العديد من الحفريات في المدافن التي تكا تنسب إلي العهد الفرعونية كافة . وهي إحدى المدافن التي يرجع تاريخها إلي ثلاث الاف سنة قبل الميلاد ، وجدت الأجساد محتفلة بمآلتها ولم يصحبها أي نظير ولو تركها جانباً عمليات البئر التي حدثت في عصور بعيدة ، كانت الأعضاء حادة ودون أن يبدو عليها أي علامات للتحنن والتلف . كانت المعالم وبصحة جداً كما أن المقل لم تتفرح وما انتفخت البطون ولا انفجرت وكانت سمات (الناقو) ظاهرة على بشرتها وقد أفادني البروفيسور (هيركوتر) أن لصيوص المدافن هم الذين قاموا بدير الأعضاء لمرفه الحلي التي تزيها ومن الاكتشافات المهمة لهذه البعثة العثور على جثة طفلة في الثالثة من عمرها محفوظة في تابوت حضيبي التهم النمل الأبيض الكثير من أجزائه ولكن جسد الطفلة ظل سليماً وعليه نسبة من قماش وحول عنقها قلادة من الخرز



وبجانب ما تم العثور عليه من حناجر عثر على العديد من التحف من بينها  
خلي من المرمر والفخار وقطعة نقدية إسلامية لم يعرف تاريخ سكها .  
(ج) بعثة جامعة غانا :

ترأس هذه البعثة البروفيسور ( ب . ل . شيب ) ، وقد قامت البعثة  
بالنقيب إلى مسافة ميلين على الضفة الغربية لنهر في منطقة نديره غرب  
لمدة ثلاثة مواسم كاملة امتدت من أكتوبر ١٩٦٠م إلى مارس ١٩٦٤م  
وجرت المسحوظة مواقع محفلة للآثار ، يتراوح من آثار فترة المجموعة (ح)  
وإلى فترة العصور الوسطى . وقد استطاعت هذه البعثة الكشف عن مستوطنة  
مسيحية كبيرة بكنائسها وأسنيها ، كما حفرت مداخل قديمة وعثرت على الكثير  
من الحصى الأثرية فيها .

كانت جامعة غانا هي الجامعة الأفريقية الوحيدة التي اشتركت في  
عملية إيقاد آثار القوية وعدم كنت أقصر على عياب الجامعات الأفريقية  
( ومن بينها جامعة الخرطوم ) شعرت بالفخر لرؤية طلاب (جامعة غانا)  
تواجههم السمرات وهم يعملون مع أساتذتهم للبحث من الأهم الأخرى .  
(د) البعثة الألمانية :

ترأس هذه البعثة البروفيسور ( م . الماركو ) ، وقد حصلت على إذن  
بالنقيب في مساحة شاسعة من لأرض تمتد ما بين أرقين وقرية عيكه  
وتتمت من القيم بأعمال تنقيب مكثفة في مدها الفراضة ومقابر أخرى  
خاصة بالمجموعة (س) والعصر المروي وعثر على العديد من الفخار  
والخلي . واهتمت البعثة في العمل بمستوطنة مسيحية قديمة بها بقايا آثار  
لكنيستين ، وبذلك في حريزة (كارلريكو) عدد حدود الشلال الثاني وعلى بعد

عشرة أميال إلى الجنوب من وادي حلفا . وسوء الحظ فقد بهتت اللوحات المرسومة على حوائط الكنيستين مما جعل من الصعب معالجة نقلها ولذلك قُعت البعثة بتوثيق تلك الرسومات وتصويرها . إلى جانب كل ذلك قدمت البعثة بحفريات في منازل عديدة .

#### (هـ) بعثة جامعة كلورالو :

أُنشئت بعثة بإجراء مسح أثري في عام ١٩٦٢م تحت إشراف البروفيسور ( ج و هير ) في رقعة من الأرض على امتداد ستة كيلو مترات على شاطئ النهر وتصمم جزيرة نبروسه . وعثرت البعثة على مواقع أثرية لم تكن معروفة وأجرت حفريات في مواقع أخرى معروفة . ، غطى نشاطها مستوطنات يرجع تاريخها إلى حضارة المجموعة (س) والحضارة المروية والحضارة المسيحية . واكتشفت البعثة كثير من الآثار غير أن اكتشافها الأعظم كان عظاماً حيوانية وادمية متحجرة وأدوات صخرية كانت مدفونة في طبقات بعضها فوق بعض . وأتمت البعثة عملها في هذا الموقع في عام ١٩٦٤م ولكن تم منحها أن للقيام بمسح أثري في منطقة واسعة جداً على الشاطئ الغربي للنيل تمتد من (جمي) شمالاً إلى (دال) على الضفة الغربية . واكتشفت أعمال المسح في فبراير من عام ١٩٦٦م .

#### (و) البعثة البريطانية :

شرعت هذه البعثة في أعمال الحفر في مدينة بوهين الأثرية في عام ١٩٥٧م تحت قيادة البروفيسور (و . ب . أميري) الذي كان يعتبر أحد أعظم علماء الآثار المختصين في علم المصريات القديمة. وقد انخرط هذا العمل نيابة عن (جمعية الاكتشافات المصرية) ، وكان عمله الرئيس يتمثل في اكتشاف

النظام الدفاعي لذلك المدينة القديمة وإلقاء الصر على تصاميم وتخطيط الحصون التي أقامها قدماء المصريين لحماية هذه المدينة ذات الأهمية والتي نفع في طردب الشلال الثاني الذي يعتبر النقطة الأخيرة على الطريق التجاري الرئيس اتمتجه جنوباً .

وبحلول عام ١٦٠م تم الكشف عن كل بقايا الحصون في غرب وشمال المدينة بعد أن أزيلت كميات كبيرة من الرمل . وقد وجدت الأجزاء السسلى من أنظمة الدفاع محفوظة بحالة جيدة تحت الرمال ، ولكن الأجزاء العليا كانت متآكلة ، وما كان من الممكن تتبع أنرها ولكن البروفيسور لميري وجد صالته فيما بقى من البناء ، فقد وجد أن للنظام الدفاعي يقوم على الآتي : تم إحداث خندق عرصه ٨,٤ أمتار وعمقه ٦,٥ أمتار في أسفل البناء وحارح القاعدة عند صحرة الأساس تصاف . وكان الجدار الخارجي للخندق موصولاً بممر صيق معطى بالطوب وهو المدخل الوحيد للحصن . وفي وسط الجدار الغربي وحول محور المدينة بالصبط كانت هناك بوابة ضخمة تقبل بواب خشبي مزدوج بطل عليها جسر متحرك يستند على بكرات . ويحيط جانبي البوابة والجسر معاً جداران ثويان يكونان دهليزاً ليس من السهل على القوات المهاجمة اختراقه ويبلغ طول صلب السور المحيط بالحصن مائة وأثنين وسبعين متراً وارتفاعه ٩ أمتار وسمكه ٨,٨ أمتار . وعلى ارتفاع يعادل ربع المسافة من قاعدة السور إلى قمته ، (مسطحة) شبيهة بالشرفة ، مكونة حاجزاً يحمي الجزء الخارجي منه و يستشرف الخندق ولقد شيدت ثمانية مواقع دائرية حصينة على هذا الجدار بها فوهات لإطلاق الأسلحة . وكانت هذه المواقع تطل على الجهات الثلاث لذا فإن القوات

المهاجمة كانت تتعرض لوابل من السهام والرماح قبل أن تتمكن من عبور  
الحدق . وفي كل ركن من الأركان الأربعة كان هناك موقع حصين . ويرتفع  
طول الحائط الرئيس من على الحاجز بحو سبعة أمتار . وهناك ستة عشر  
موقعاً حصيناً ، مربعة الشكل في تحاويف الحائط تبعد مساحة الواحد منها  
2,25 × 1,9 متر ١ . ويقول البروفيسور (أميري) <sup>(١)</sup> : قيمة الحائط تهمت  
تماماً ولكن وفقاً للأثر المصري القديم الذي يتضح من خلال الحفنة الترابية  
للمملكتين الوسطى والحيثية . نحن موقنون بأن الحاجز كان مكوناً من  
فتحات دائرية - يستخدمها رمة السهام - مبنية من طوب طيني وأن الروايا  
البارزة في أطراف الجدران تم رفعها إلى مستوى أعلى "

أعند البروفيسور (أميري) رسماً مفصلاً لكل حصن ، مصوراً هيئته  
بالكامل إبان حفة المملكة الوسطى . وقدرت كميات الطوب التي استخدمت  
في بناء ذلك المبنى العسكري بحو ١٥ مليون طوبة من القطع الكبيرة .

وبالإضافة إلى تلك الدفاعات ، تمت اكتشافات أخرى هامة . فقد عُثر  
على عظيم نيساء لهيكل عظمي لحصن مطمور في رابية من روايا إحدى  
الأجزاء الدفاعية بين الرماد ، تحت طبقة من الرمل على عمق متر ونصف  
ولم يكن هناك شك في أن الحصن يقع عندما هب الكوشيون المدينة في عهد  
المملكة الوسطى عام ١٦٢٥ ق م . وأكدت التنقيبات التي جاء بها البروفيسور  
(أميري) علمياً فيما بعد - والدلائل بأن إيريقياً قد عرفت الحصان قبل قرنين  
من غزو (الهكسوس) لمصر . وهذا ما بدحص الرعم للسائد بأن الهكسوس  
هم الذين جلبوا الحصان إلى إيريقياً

كما اكتشفت آثار أخرى بجدر مكرها هي : مجمعات لغرس النهر ،  
 وبقايا مصنوعات من الحديد الصلب والحاس . وقد دهشتُ لرؤية مئات  
 القوالب الطينية التي يصب فيها الحديد المذاب . وكانت هناك أكاس من حام  
 الحديد من المرجح أنها استُجلبت من جبال بعيدا بالقرب من قرية عكاشة ،  
 عرفت بغى صخورها بمكونات الحديد . ومن بين ما تم العثور عليه ضمن  
 آثار هذا الموقع - حركتا حمر لهما سدانتان صيبتن تشير إلى تزيح ومكان  
 صنع الحمر . ولسوء الحظ كانت الجرتين فارغتين .

وهناك نفق تحت الحائط الشرقي يبدأ من داخل المدينة وينتهي عند  
 النهر وكان واضحا أنه يستخدم لنقل إمدادات المياه للمدينة عند حصارها  
 وقد كشفت أعمال التنقيب عن مبنى رئيسة قوات الشرطة الذي يقع في اتجاه  
 الشمال الغربي من الميناء ويتميز بنرج يقود إلى استحمامات الحصر .  
 وكنت المدينة مروية بنظام ملائم لتصريف المياه يصب في النهر  
 وقد قُسم البروفيسور (أميري) أيضا خدمات لا تقدر بثمن في تفكيك  
 معبد بوميس.

## (ز) البعثة اليوغوسلافية :

بحجت هذه البعثة التي أوفدتها الحكومة اليوغوسلافية في نقل  
 رسومات جدران كبيرة عتيقة تم العثور عليها في قرية تسمى (عد القانر)  
 تقع على الضفة الغربية للنيل . وقد تم نقل الرسومات عن طريق كشطها من  
 الجدران . وهي الآن محفوظة ومعروضة بمتحفنا في الخرطوم.

### (ح) البعثة الفرنسية :

بعد أن أنهت هذه البعثة مهمتها المشتركة مع البعثة الأرجنتينية في منطقة عكاظة ، واصلت بمفردها أعمال التنقيب في موقع (ميرقيس) الواقعة على الضفة الغربية للنيل قبالة لشان الثاني . بدأت أعمالها في أكتوبر ١٩٦٢م وقرعت منها في يناير ١٩٦٩م .

وكانت النتائج التي توصلت إليها البعثة جد مرصية إذ اكتشف البروفيسور (فيركوثر) حصن ميرقيسا العتيق الذي كان أكثر تطوراً وصيانة من معبد بوهين . وقد بنى ذلك الحصن فراعنة الأسرة المالكة الثانية عشرة في موقع ما بين بوهين وسمنة لعرض حماية الطرق التجارية البهرية والبرية.

وكان تصميم النظام الدفاعي يشابه تصميم حصن بوهين لكنه كان أكبر حجماً ولربما كان أكثر أهمية منه . وامتدت الجدران إلى مئات الأمتار في كل جانب وبها دلت الحواجز ودلت الفتحات التي يطلق المحاربون منها أسلحتهم ، ولكن كانت أعداد الحواجز والفتحات أكثر . كانت حالة المسكن جيدة وبعضها ازدهرت جدرانها الخارجية بتعاريج . وتم العثور - في المدافع على نواصيت خشبية مربعة وبحالة جيدة ، كما عثر أيضاً على حرفيات دالغة الجمال على بعضها نقوش (هيروغليفية) وعلى تماثيل صغيرة وأسلحة وأدوات للرماية . ومن أكثر الاكتشافات إثارة فناء فرعية استحدثت لسحب القوارب لتصل إلى عمق المياه في النهر . وعلى السطح الطيني لهذه الفناء المظمورة الجافة طبعت آثار أقدم البحارة الذين كانوا يحرون القوارب و آثار أقدم كلابهم بوصفح تام .

ويُدعى البروفيسور (هيركوتر) أن عده دليلاً كافياً يبين أن ميرقيسا هي (حصن إكين) المفقود والذي وردت سيرته في أوراق البردي ضمن قائمة الحصون النوبية في معبد رمسيس بالأقصر  
(ط) بعثة جامعة شيكاغو:

حصلت هذه البعثة التي ترأسها البروفيسور (ك. سيل) على ترخيص للتنقيب في قرية سره شرق في عام ١٩٦١م وأكملت مهمتها في عام ١٩٦٤م بعد أن كشفت عن حصن فرعوني عتيق قامت حوله في وقت لاحق مملكة مصرية مسيحية وكشفت أعمال التنقيب كذلك عن العديد من الكنائس والدور التي يعود تاريخها إلى الحقبة المسيحية كما كشفت عن مداخل تتسب إلى المجموعة (ج) . ومن المكتشفات السائرة كتاب مكتوب باللهجة النوبية القديمة في بواكير الفترة المسيحية . وعندما أنهت البعثة أعمالها في منطقة سره شرق ، أدرك لها بالتنقيب عن حصن عتيق في جزيرة (فرغو سرتي ) عند طرف الشلال الثاني .

وفي عام ١٩٦٦م تم منح البعثة تصديفاً ثالثاً لتنقيب عن حصن عتيق وبعض المدخر في منطقة سمنة جنوب . وقد استمر العمل حتى عام ١٩٦٨م تحت إشراف البروفيسور (ن. رايدر) و أسفر عن العثور على أجمل الحرفيات التي وجدت في منطقة النوبة على الإطلاق كما تم الكشف عن بعض الأدوات القصية والبرونزية المتعلقة بالعصر المزوي و المجموعة (س) ، والعثور على مئات الأحتام المستهلكة . ثم أحرزت البعثة حفريات مكثفة على الحصن فوجدت أن بنيانه مبني وإن نظامه الدفاعي مهول . ولقد جوت أوراق البردي التي وجدت في معبد رمسيس بالأقصر اسماً لحصن سوتي في موضع

تمرقت فيه حروف الاسم فيما عدا الحرف الأخير . ويعتقد بروفيشور  
( رابكر ) أن سمة جنوب هي الحصن المفقود .  
(ي) البعثة الإسكندنافية :

وهي بعثة مشتركة لعلماء آثار من السويد والدنمارك وهنلدة  
يفودها البروفيسور (سييف سودربيرج ) . وقد حصلت في عام ١٩٦٠م على  
إذن بالتنقيب في منطقة على الضفة الشرقية للنيل فيما بين قرص وجمي على  
امتداد خمسة وخمسين كيلو متراً وهي أوسع مساحة يؤمن لبعثة بالعمل فيها .

اكتشفت هذه البعثة - إضافة إلى توثيق مقبرة دبيره - مئات المواقع  
الجديدة والصخور التي حوت رسومات منتسب إلى حقب تاريخية مختلفة  
وقد استطاعت خلال ثلاثة مواسم من العمل إجراء حفريات في ٣٦٤  
موقعاً و ١٢٩٠ قبراً . وعثرت على المئات من القطع الأثرية شملت قبة  
ذهبية ، وأدوات من المرمر والحداس والعبر وأحتام مستهلكة

كانت أكثر مكتشفات هذه البعثة إثارة للاهتمام جثمان امرأة يرجع  
تاريخه للقرن الرابع الميلادي وقد عثر على جثمانها في أحد مقابر (سره  
شرق) بحالة جيدة للغاية .. كانت ترتدي تنورة جلدية (زحط) تشد إلى  
بعضها بحزام جلدي . وكان هناك قميص خشن حول رديها وصدرها . ولعلها  
- ساعة أن لقيت حتفها - كانت في حال التجالس أو كانت راقدة على ظهرها  
وركبها مثبتتان وقد بدا وجهها الذي احتفظ بلامحه - بشعاً للغاية .  
فالجذنان مشدودتان والفم مقبوح والعينان جاحظتان وكانت يداها  
المصمبوختان بالحساء ملتصقتان بجانب وجهها وحبل من الجلد يلتف حول  
عنقها . وقد تم إرسال هذه الجثة للخرطوم تعرض في المتحف القومي ، وتك



ولم يسهل الحط فإثر رطوبة الجو عملت على نمو البكتيريا فيها مما أدى إلى تحللها . فأعينت - بعد ذلك - إلى وادي خلعا لندفها ثانية .

ومن الاكتشافات المهمة الأخرى التي توصلت إليها هذه البعثة مجموعة سلال تم العثور عليها في منزل أثري بالقرب من دبيرة ، كانت مصنوعة من المواد المحلية المعروفة بـ . (سعب النخيل) وبعض الأسلوب السدي ما يزال سائداً حتى اليوم . وعندما رأيتها لأول وهلة طبعت أنها ملك للعمال الذين استخدمتهم البعثة في عمليات الحفر وإزالة الأثرية

وبقيت حادثة ثالثة جديدة بالاهتمام ، فعلى مقربة من قرية (الصحابة) كان هناك صريحٌ يُعتقد أنه لولي مسلم مشهور هو (أويس القرسي) <sup>(١)</sup> الذي اعتاد التوبيخ ريارته في أوقات معينة طلباً للبركة وكانوا يقدمون له القرابين والذبايح . وكان قبره يزين عبي الدوام بالزيات والأعلام . وفي مطلع عام ١٩٦٤م وجدت البعثة الإسكندرية صريحاً عتيقاً تحت مزار الشيخ أويس القرسي وكان البروفيسور (سوزنبرج) حائفاً من الحفر في ذلك المكان لأن ذلك قد يثير دائرة المومبيين ، فحدث إلي طائماً مني المسعي للاستئذان منهم . ولذلك اتصلت بالشيخ صالحين ووجهاء المنطقة ، وسجحت في إقناعهم بقبول الحفر لأن الصريح بمجمله ستعمره المياه عجبلاً أو آجلاً ، فليس من الحكمة الاعتراض على انحرافات المهمة ، ما دامت البعثة ملتزمة بإخراج جسد الشيخ أويس من مرقده وإعادته دونه بكل عناية في محيط بعض المكان . رعبط البروفيسور لنجاحي في إقناعهم وأكد لي أنه سيظل وقياً للعهد الذي قطعه لي .

---

١ - زهير القرن ١ من كتاب من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويعد أيام قليلة قام أعضاء البعثة بصحبهم عمالهم وبعض وجهاء المنطقة بالحفر في قبر الشيخ (أويس الفريسي) . وقد ألجمت الدهشة المستقيم عندما اكتشفوا أن صاحب القبر كان أسقفاً مسيحياً يتدلى الصليب من عنقه مما أثار قدراً من الدهشة والضحك بين النوبيين . فقد كانوا يجهلون قسماً معتقدين أنه شيخهم ( فكي ) . ويدو أن تتابع الأنبياء واحداً إثر الآخر هو ما سبب هذا الحنط

ومع كل ذلك فإن جسد القبر تم نقله بعناية ودون في القبر الذي تم حفره ليعر جنماً للشيخ أويس . واستأنفت البعثة حفرياتها في المقبرة الأثرية التي كانت مخبئة في الصحراء مثل مقبرة دبيره فيما عدا أن جدرانها كانت خالية من النقوش أو الكتابة . وعثر في إحدى الغرف على أربعة تماثيل غير أن حالتها كانت مزربة مما أرهق البعثة في أي محاولة لنقلها . كما عثر على عمود أوصح نقوشه أن القبر كان للأمير نوبي هو ( أ م - م - حت ) شقيق أمير دبيره المسمى ( جيحوتي - حت ) .

وهي الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٦٢م تشرفت مدينة وادي حلفا بريارة الأميرة (مارقريت) ونيفه عهد الديمارك وكان الهدف من زيارتها هو المشاركة الشخصية مع بعثة بلادها في إنقاذ آثارنا النوبية ولأجل ذلك انضمت إلي البعثة الاسكندنافية . وبدلاً عن الإقامة في فندق النيل متمتعة بوسائل الراحة التي أعدتها لها هناك فصلت أن تقيم مع أعضاء البعثة في منزل نوبي في منطقة (دبيره) كان معروفاً بحصير محلي . ولا رفضت الأميرة حتى السجاد الذي أعدته لعرش غرفتها وفصلت أن تفرش العزقة بالسرويش المصنوعة من جريد النخل بدلاً مني . ولقد تم استقبالها

استقبالا حافلاً في المطار ، وعندما وصلت إلي دبيره أهداها العمدة داوود عبد الرحمن - تمثيلاً مع العذات النوبية طبقاً من الصعف عليه عياب من النمر وقبضة من قمح محمص وبعض لروع من نبات الريحان الفواح ، وحنة من ( الأبري ) أما الناظر صالحين فقد أهداها عقداً من ( المملوك ) وهذه الأشياء تعتبر قالاً حسناً لحياتها الروحية في المستقبل . وكان الجمهور الذي تقطر علي المطار ف استقبلها بهتافات الترحيب الحماسية ورنّت الأميرة علي ذلك شاكراً بكلمات بلغة . ولم يكن العويون فحورين لمشاركته للشخصية في إبقاء آثار أسلافهم فحسب ولكن لأنهم لمسوا حرصها علي تدوق الحبة النوبية أثناء زيارتها . وكان من الطريف أن أعضاء السعنة المشاركين في الاستقبال قد ارتكوا (الجلابيب) والعمائم التي أحفت ملامحهم تماماً حتى إنني حسنتهم من الحمال الصاعدة .

أضحت الأميرة جزء كبيراً من الأيام الأربعة والثلاثين التي قضتها بالمطقة ، في التقريب بالمقبرة تحت إشراف الدرويسور (سييف سودر نيرج ) وكان مألوفاً أن تراها يومئذ وهي تحمل أدواتها متهجة إلي موقع العمل . وكان العمال فحورين برفقتها وبسلوكها المتحضر وبقدرتها علي العمل . وقد حرصت - قبل معادرتها للمنطقة علي تناول طعام الإفطار معهم في سقبة واسعة من الحشب عُرشت بالنقش وكان الطعام مكوناً من رغيف وهول لا غير . وفي الرابع عشر من ديسمبر غادرت الأميرة إلي الخرطوم حيث قصت أياماً قليلة قبل أن تعود إلي بلادها .

### (ك) بعثة جامعة كاليفورنيا .

ففي أكتوبر من عام ١٩٦٢ م منح بعثة جامعة كاليفورنيا إيداً بالتقريب في جزيرة ( إسكوت ) التي تبعد خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوبي وادي حلقا كانت الجزيرة تحوي أثراً يعود تاريخياً إلى المملكة الوسطى وإلى الفترة المسيحية ، وقد أدت الحفريات التي قادها البروفيسور ( إسكندر بدوي ) إلى اكتشاف بعض المصنوعات الفخارية ونظام أثري لقياس مساسيب النيل استخدمه قدماء المصريين لمعرفة مستوى ارتفاع النيل وانحداره . ثم انتقلت البعثة إلى جزيرة ( دابرتي ) قبالة ( ميرفيسا ) حيث عثرت على جدار متصدع ظنته دليلاً على وجود حصن ، لكنها لسوء الحظ - لم تعثر على أثر ذي بال

### (ل) بعثة جامعة كولومبيا :

وهي بعثة مشتركة تكويت من مواطنين في جامعة كولومبيا وجهات علمية مستقلة . وقد بُدئ الترخيص الذي مُنح لها بالتقريب عن فترة ما قبل التاريخ في الضفة الغربية للنيل في منطقة تمتد من ( فرص غرب ) إلى القسائل الثاني خارج المناطق التي مُنح من قبل لبعثات أخرى .

امتد نشاط البعثة من أكتوبر عام ١٩٦١ م وحتى فبراير ١٩٦٥ م وأدى إلى اكتشاف المئات من المواقع ليكر التي لم تكن معروفة من قبل كما تم العثور على الآلاف من الأدوات الحجرية والعظام المسحجرة ، فضلاً عن آثار ترجع إلى ما قبل التاريخ يمكن تحليلها بطريقة الإشعاع الكربوني وقامت هذه البعثة بعمل مسح جيولوجي للمنطقة .

### (م) بعثة جمهورية ألمانيا الديمقراطية :

في عام ١٩٦٢م حصلت هذه البعثة علي ترخيص بحولها تسجيل وتوثيق كل النقوش المرسومة علي الصخور والرسومات في المناطق التي تقع خارج نشاط للمعابد الأخرى وقد شرعت هذه البعثة في العمل خلال شهر فبراير ١٩٦٢م وواصلت الجهد حتى إنتهت من أعمالها في ديسمبر عام ١٩٦٣م وأنجزت توثيقاً كاملاً للكتابات (الهيروغليفية) والرسومات المقوشة علي صخور القلل والتي بلغت المئات .

### (ن) البعثة البلجيكية :

قامت هذه البعثة بتوثيق لكامل الكتابات (الهيروغليفية) التي وجدت علي جدران معبدتي سمرة ، وهلك كتابات علي الحوائط ومسلات لم يلاحظها الأكاديميون الذين عملوا سابقاً في سمرة ( وهم البروفيسور «أوس ديهام والبروفيسور جسن والبروفيسور لبوس ) مما قاد إلي مراجعة بعض اكتشافاتهم وقامت بعثة بلجيكية أخرى بعمل مسح جوي لتوثيق معبد بو هين ومعبدتي سمرة وقد استخدم هذا التوثيق كمزئذ عند إعادة نصب المعبد ثانية في متحف الخرطوم .

### (س) بعثة جامعة براون :

تولت هذه البعثة الأمريكية توثيق كل الرسومات والكتابات الموجودة علي جدران كل المعابد في المنطقة المتأثرة بالسيلين . وقد قاد هذه البعثة البروفيسور ( ر . أ . كاميزو ) بالتعاون مع (الجمعية البريطانية لمسح الآثار المصرية) وقد استغرق العمل أربع سنوات إنتهت في عام ١٩٦٥م .

### (ع) بعثة الألمان الغربيين :

إصطَلَحَ هذه البعثة التي قادها البروفيسور (ديكلر) بأعمال التنقيب في جريزتي سمعة وتجاوز الواقعين علي بعد مئة كيلومتر إلى الشمال من مدينة وادي حلفا حيث اكتشفت في سمرة حصنا يعود تاريخه للفترة المسحية، وعثر في (تجور) على جدران حرمه لكنائس ومستوطنات مسيحية وأنهت أعمال التنقيب في ١٩٦٨م . وعندما انتقلت إلى جريزة (كلوبارتي) قبالة عكشة لم تعثر علي شيء ذي قيمة .

#### (ف) البعثة الإيطالية :

في عام ١٩٦٦م تم منح هذه البعثة - التي كان يرأسها البروفيسور (دونا دوسي) - أدباً بالتنقيب في الكنيسة القديمة بمنطقة سوكي التي تبعد مائة وعشرة كيلومترات إلى الجنوب من وادي حلفا ضد حدود بحيرة السد العالي واستمرقت الحفريات عاماً كاملاً وكثت نتيجتها عظيمة . فقد عثر علي لوحات جدارية بحالة جيدة مثل تلك التي وجدت بعرض . فتم كشطها ثم خُطمت للعرض في متحف الخرطوم . وعُثرت البعثة علي كتابات كثيرة باللهجة اللوية علي جدران الكنيسة

وأجرت بعثة إيطالية أخرى - بقيادة البروفيسور (سجنور، جرجيني) بالتعاون مع جامعه (بيرا) - لمدة تزيد عن عشر سنوات حفريات (بمعبد صُلب) رائع الجمال والذي يقع في جنوب المنطقة المتأثرة بعنصر السد العالي وتم توثيق المعبد توثيقاً كاملاً ، كما تم إجراء حفريات بمدينة (صُلب) الأثرية ومقبرتها . وكان التصريح الذي منح لهذه البعثة ذا طبيعة خاصة وحارج إطار برنامج حفريات ليوسكو .

### (ص) بعثة جامعة هلسنكي

عملت هذه البعثة - تحت إشراف بروفييسور ( جستانف دوبر ) علي امتداد ١٥ كيلو متراً علي صفة النيل الشرقية بمنطقة ( جمبي مرشد ) . وأنت حفرياتها التي استغرقت عاماً إلي إكتشاف مواقع ثم تكن معروفة وإلي إكتشاف اثر لكل العصور التاريخية .

### (ق) بعثة جامعة جنيف :

غطت جهود هذه البعثة حفريات في مصقتي ( أكمه ) و ( عكاشة ) في أقصى جنوب المنطقة المتأثرة بهيصال السد العالي وذلك بقيادة البروفيسور ( س. ما يستر ) . ثم امتدت حفرياتها إلي سلسلة من المقابر يعود تاريخها إلي كل العصور . كما شملت الحفريات بعض المستوطنات المسيحية والكنائس .

### (ر) بعثة جامعة كنتكي

قاد أعمال هذه البعثة حير الييسكو البروفيسور ( آمر ) الذي ساعد مصلحة الآثار أثناء أعمالها التحضيرية . وقد عملت البعثة في جريرة ( كلوبارني ) ابتداء من عام ١٩٦٩م إلي عام ١٩٧٠م . فعثرت علي كنيسة عتيقة علي جدرانها رسومات بحاله جيدة تم كشطها وإرسالها إلي (روما) لمعالجتها قبل أن تعرض في متحف الخرطوم .

.....

وبينما كانت البعثات المختلفة تقوم بأعمالها، كان السيد ( نجم الدين ) مشغولاً بجمع وتجهيز كل النماذج التي كانت تعرض في متحف وادي حلفا الصغير . وقبل أن يرسل تلك الآثار إلي الخرطوم ، لم يمن أن يرور صربي

لأحد تنجى<sup>(١)</sup> عمودين أثريين يعود تاريخهما للعهد المسيحي ، كان أحد الحكم البريطانيين قد نصبهما علي جانبي سرج الحديدية . وقد اقترحت عليه أيضاً أن يأخذ مدفعي ( الكُرب ) المنصوبين عند بوابة المنزل . لكنه اعتذر عن نقلهم صمم منقولاً لأنه الأثرية لأنهما لم يكونا مدرجين في قائمة الممولات التي سينم نقلها للحفظ . وقد قمنا بإرسال المدفعين في وقت لاحق إلى الخرطوم لعرضهما في القصر الرئاسي .

وما من شك أن مصير منطقة النوبة - بكل آثارها ونحفها - قد استرعت إنباه العالم عقب إبرام اتفاقية مياه النيل . كما أن التدابير التي كانت مطروحة لإنقاذ معبدتي أبو سمبل ( بما يرفعهما لمستوي سطح بحيرة السد أو الإبقاء عليهما في مكانهما وبناء سدج حولهما يمكن من يريد مشاهدتهما تحت الماء ، أو تجزئتهما ثم إعادة نصبهما بعض المنطقة في مكان عال ) قد لُتارت بمسؤولاً واسعاً وأبرزت اهتماماً عميقاً بهذين الأثرين العريدين .

يكلف المشروع الأول وحده ٢٤ مليوناً من الجنيهات وهو رقم خيالي يجعل الإنسان يتخيل أنه كيف لإعادة الحياة للمومياوات الفرعونية ويسخرها لبناء معابد جديدة مثيلة 11

لقد جذبت هذه المشروعات - وما أثير من جدل حول ما إذا كان هذان المعبدان يستأهلان حقيقة كل تلك القيمة - آلاف من السياح جاءوا من أقطار عديدة ليشهدوا هذه الأعجيب التي أبرزت قدراً كبيراً من الإعجاز الهندسي ولا عجب - إذن - إن عصفت منطقة النوبة بالسياح منذ أن أعلنت الحكومة المصرية عن عزمها علي إنشاء السد العالي . ولما لم يكن



المصريين خط ملاحى منظم من [أسوان] إلى [أبو سمبل] ولا فائق شي  
منطقة المعابد فقد كان على السياح استخدام بواخرنا إلى وادي حلفا مع البقاء  
طويلا في منطقة أبو سمبل لرؤية عجائب رسيس الثاني .

وكانت كل باخرة تأتي بالمئات من السياح الذين يقصون يومين في  
وادي حلفا ثم يعودون إلى أسوان . وكان السياح يملكون العنق وملحقاته  
ومرسي الباخرة العتيقة (السودان) التي كانت تقف قبالة حديقة العنق . وكان  
بعض السياح يستخدم المراكب الشراعية النوبية ويعبر لرؤية آثار بوهين  
العتيقة كما أن بعضهم كان يستعمل عربات الأجرة إلى قرية (عكة) لرؤية  
الشلال الثاني . ومن بين الزوار المشهورين الذين نزلوا بحلف  
سلك: المارشال (تيتو) ، (دوق أنفيرة) وبعض أفراد العائلة المالكة البريطانية  
والأمير (برنارد) الهولندي و(سومرست موم)<sup>(١)</sup> ورئيس مجلس الشيوخ  
الإيطالي



---

<sup>(١)</sup> الذي رحل عن عالمنا في ١٩٩٢م



سورۃ المدینہ کے لکھنے والے (مکتوبہ مدینہ)



سورۃ المدینہ کے لکھنے والے (مکتوبہ مدینہ)

ملحق

المسح السكاني (لواذي حلفا)

١ - مديرية حافض

توزيع التمكن حسب الجنس ومجموعات العمر - تقسم الرئيسي وكل الصبغة

مجموعات العمر													
كل الأصغر	مجموع	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١-١٥	مجموع
١١ ٥٩	٢١	٣٧٨	٦٦	١٦٥	٢٣٧	١٤٢	١٣١٤	١٣١٤	١٣١٤	١٣١٤	١٣١٤	١٣١٤	١٣١٤
٤٢٤	١١٢	٢٢٥	٢٢٤	٢٢٤	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥
٥ ١٥	٢٨	١٧٧	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦	٢٢٦
٧ ٢٢	١٨	٥٢٢	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨
١٧٧	٧	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
١ ٢٦	٢١	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٩١٤	١٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٢	١	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٥٥	٢	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١
١٥٢٧	٢٩	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٧٥٧	٢١	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٧٥	١٧	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨

١ / مديرية حلقا (تابع محافظة)

توزيع السكان حسب الجنس والمجموعات العمرية - التقسيم الرئيسي لكل المدينة

التقسيم الرئيسية	الجنس	سنوات العمر														مجموع	النسبة المئوية
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤		
المدينة	ذكور	٧١٥	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
المدينة	إناث	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
المدينة	ذكور	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
المدينة	إناث	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤
		٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤	٧٠٤



# أكبر المنطقة البريحية (تابع مازيل)

توزيع السكان حسب الجنس ومجموعات العمر (العمريات وكل المنطقة)

نوع المنطقة	الجنس	مجموعات العمر														مجموع
		0-4	5-9	10-14	15-19	20-24	25-29	30-34	35-39	40-44	45-49	50-54	55-59	60-64	65+	
جنوبي	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%
مشرقي	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%
شمال	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%
غرب	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%
شمال	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%
جنوبي	مذكر	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	انثى	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	1000
	مجموع	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	200	2000
	نسبة	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%	50%

**١٠** **المنطقة الريفية (تايغ مقبلة)**  
**توزيع السكان حسب الجنس ومجموعات العمر (المسودات وكل المنطقة)**

مجموعات العمر																الانقسام الرئيسية	الجنس
كل الأصغر	مجموعات العمر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤		
٢٠٠٠	٨٣	٢٢٢	١٥٣	١٤٥	٢١٦	١٩٤	٢٤٥	٤٣١	٢٧	١٦٠	١٥٥	٢٩٧	٢١٥	٢٥٤	٢٤٠	شخص	شخص
٢١٥	٢٣	٧	٩٩	٩٢	٥٧	٩٤	٢٩٤	٢٣	١٦	١٢٠	١٢٥	١٢٥	١٢٥	١٢٥	١٢٥	شخص	شخص
٢٨	٤	٥٣	٩١	٩٢	٢٩	٥٥	٢٨٩	٢١	٩٧	٢٢٨	٢٥٩	٢٥٩	٢٥٩	٢٥٩	٢٥٩	شخص	شخص
٨٧	٢٥	١٥	٧٤	١٤	١١	١	٢	٩١٤	٩١٤	٩١٤	٩١٤	٩١٤	٩١٤	٩١٤	٩١٤	شخص	شخص
٧٨٦	١	٢	٢٩	٩٨	٢	٢٢	١٥٦	١	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	شخص	شخص
٧١	١٥	٧٩	٢٩	٢٩	٢	٢٨	١١٤	١٧	١٥	١٧٣	١٧٣	١٧٣	١٧٣	١٧٣	١٧٣	شخص	شخص
٢٥٥٦	٤٥	١٢	٧	٩١	٧٧	١١	٢١٨	٢٧٧	١٧٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	شخص	شخص
٥١	٢٢	٢٤	٢٢	١٠	٢	٤٢	١٥٢	٢٧	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	شخص	شخص
١٢٩٩	٢٢	٤٧	٢٧	٤	٢٧	٢٨	١٩٥	١٢٤	٩١٥	٩١٥	٩١٥	٩١٥	٩١٥	٩١٥	٩١٥	شخص	شخص
٨٢٨	٢٢	٢٧	٢٩	٢	٢٧	٢٩	١٢	١٤	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	شخص	شخص
٢٣٠	٢٢	١٢	١١	١	٧٢	١٨	٧٧	١٤	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	شخص	شخص
٧٩٧	١١	١١	١٨	١٤	١	١٢	١٥	١٥	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	شخص	شخص
١٧٧	١٠٠	٢٢٢	١	٢٩٩	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	شخص	شخص
٢٩٨	٧٢	٢٢١	٩١	١١٩	١١٩	١١	٢٢	٢٩٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	شخص	شخص
٢٢٢٦	٧٢	٢٢٢	١٢٢	١	١	٧	٥٧	٢٥٢	٢٤٧	٢	١٦	٢٥٨	٢٥٨	٢٥٨	٢٥٨	شخص	شخص



## ٢. المنطقة الريفية

توزيع السكان من عمر ١١ سنة فما فوق حسب الحالة الاجتماعية والجنس ومجموعة العمر .

المجموعة العمرية	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	مجموعات العمر					
				١١-١٥	١٦-٢٠	٢١-٢٥	٢٦-٣٠	٣١-٣٥	٣٦-٤٠
ذكور	إناث	٢٠٦٩	عازب	١٣	١١	٢٧	٥٦	٣٢٥	٢٩
		١٩١٢	متزوجة	٤	٤	٩	١٦	٩	١٢٢٥
ذكور	إناث	٣٨٩٩	متزوج	٦٦١	٦٤٤	٨٧٥	٩٧٦	٧١٣	٢٩
		٦١١١	متزوجة	٢٢	٣٠٦	٩١٥	١١١٤	٧١٨٢	٨١٨
ذكور	إناث	٨٥	مجنن	١٤	١٥	٧	١٧	٢٦	١
		٢٨٦	مطلقة	٢٩	٢٣	٧٠	٨٧	١١٨	١
ذكور	إناث	١٩	أرمز	٧٠	١٧	١٣	٥	١	
		٢١٦	أرملة	٨٩	١٨١	٤٣٥	٢٢٣	٦٨	٨
ذكور	إناث	٦٧٤	المجموع	٧٥٢	٦٨٦	٩٣٢	١٠٤٤	١٠٤٤	٢٩٩
		١٠٥٠		١٠٤٢	٨٣٤	١١٣	١٨٢	٢٨	٤١

### ٣/ مدينة حلقا

تقسيم السكان من ١١ سنة فما فوق حسب القطاع والجنسية والجنس

الجنسية						القطاع	
الجملة		أجنبي		سوداني بالتجنس		سوداني بالميلاد	
انث	ذكور	انث	ذكور	انث	ذكور	انث	ذكور
٢	١٨٠	٢	١١٠		٢٢		٤٨
٤٤	٤٦٤	٢١	١١٤	-	٨٠	٢٣	٢١٠
-	٢٢٤		٣٨	-	١٩		١٦٧
	٣٢٥		١٨٦	-	٦٥		٦٠
٣١	٣٣٩	٧	٦٩	-	٢٨	٢٤	٢٤٢
٢	٢٩٠		١٣٤	-	٤٢	٢	١١٤
٢٦	١٢٢	١	٤٩	-	١٢	٢٥	٦١
١	١٢		٤		٢		٦
٤٠	٦٥٥		٥٥	١	٢٩	٣٩	٥٧١
٢٦٩٦	٢٦٠	٨٩٤	٦٠	١٢٥	٢٤	١٦٧٧	١٧٦
٢٨٤٣	٢٨٧١	٩٢٥	٨١٩	١٢٧	٢٢٦	١٧٩	١١٢٥

### ٤ المنطقة الريفية

تصنيف ارباب الاسر بحسب القطاع الاقتصادي والجنس (لكل المنطقة)

أرباب الأسر			القطاع الاقتصادي
الجملة	انث	ذكور	
٣٤٠١	٩٥٦	٢٤٤٥	الزراعة
٢١٦	٦	٢١٠	التجارة
٢٦١	-	٢٦١	النقل الحكومي
٧٧	-	٧٧	النقل الخاص
٩٥	٨	٨٧	الصناعة
٨٥		٨٥	البناء
٥٨	٧	٥١	الخدمات
٣٦	٨	٢٨	متنوع
٣٣٤	١٤	٣٢٠	حكومي
٢٠٠٩	١٨٢١	١٧٨	غير مصنف
٦٢٦٥	٢٥٢٣	٣٧٤٢	كل القطاعات

٥ / المنطقة الريفية  
تصنيف المنزل بحسب أصحاب الدحول (لكل المنطقة)

عدد الأسر			المستفيدون حسب الأسرة
لا يتقنون دخولاً من الخارج	يتقنون دخولاً من الخارج	الجملة	صفر
٢٨٧	١٤٦٠	٧٤١	١
٢٢١٣	٨٦٠	٣٠٧٣	٢
٧٧٠	٢٨٢	١٠٥٢	٣
٢١٤	٦٤	٢٧٨	٤
٧٦	١٦	٨٢	٥
٢٢	٨	٣٠	٦
٥	-	٥	٧
١	-	١	٨
١	-	١	١٢
٢٥٩٠	٢٦٨٥	٦٢٧٥	كل الأسر

٦، المنطقة الريفية  
تصنيف عدد السكان حسب الجنس، العمودية والعشيرة لكل المنطقة

العدد						العمودية / العشيرة
العشيرة			العمودية			الاسم
إناث	ذكور	الجنسان	إناث	ذكور	الجنسان	كل المنطقة
١٥٥٦٢	١١٨٦٠	٢٧٤٢٢	١٥٥٦٢	١١٨٦٠	٢٧٤٢٢	قرص غرب
			٤٠٢	٢٥٣	٦٥٥	قرص للشماليه العربيه
١٨٦	١١٢	٢٩٨				قرص للجنوبيه العربيه
٢١٦	١٤١	٣٥٧				قرص شرق
٣١٧	٢٣٢	٥٤٩	٣١٧	٢٣٢	٥٤٩	قرص شرق
			٤٩٢	٢٩٢	٧٨٤	سره شرق
٢٤١	١٣٤	٣٧٥				سره شرق (الأولي)
٢٥١	١٥٨	٤٠٩				سره شرق (الثانية)
			٤٨٧	٢٦٧	٧٥٤	سره غرب
٢٣٧	١٤٦	٣٨٣				سره الشماليه العربيه

٦/ المنطقة الريفية (يتبع)

تصنيف عدد السكان حسب الجنس (العموديات والمشيدات وكل المنطقة)

العدد						العمودية / المشيخة
العمودية			المشيخة			
الاسم	بنات	ذكور	انجمن	بيت	ذكور	انجمن
عرة الجنوبية الغربية	٢٥٠	١٢١	٣٧١			
حيرة				٢٠٨٠	١٦٩٥	٣٧٧٥
هاجر شرق	٦٢٩	٥٠٢	١١٣١			
بحيرة الوسطي	٦٩١	٥٩٥	١٢٨٦			
ديرة جنوب	٤٠٦	٣٢٧	١٣٣			
للحصاة جنوب	٣٥٩	٢٧١	٦٢٥			
اشكيت				١٠٧٤	٧٨٦	٨٦٠
اشكيت شمال	٥٦٢	٤٠٣	٩٦٥			
اشكيت جنوب	٥١٢	٣٨٣	٨٩٥			
أرقين				١٣٩٦	٨٦٠	٢٢٥٦
أرقين شمال	٦٢٨	٣٦٦	٩٩٤			
أرقين جنوب	٧٦٨	٤٩٤	١٢٠٢			
بجروسة				٣٩٧	٤٣١	٨٢٨
بجروسة	٣٩٧	٤٣١	٨٢٨			
بغيم				٣٦٢٦	٢٩٨٠	٦٧٠٦
عنقش	٧٨٧	٦٨٥	١٤٤٢			
بغيم شمال	١٨٦٣	١٥٢٢	٣٣٨٥			
بغيم جنوب	١٠٧٦	٨٠٣	١٨٧٩			
جمي				٤٧٧	١٦٠٣	٢٥٨٠
جرر كوكي	٢٣٧	١٩٦	٤٣٣			
لكمة	٣٧٠	٢٥٨	٦٢٨			
جمي شدي	٣٢٩	٢٤٤	٥٧٣			
جمي غرب	١٥٧	١٠٦	٢٦٣			
مرند شرق	٣١٨	٢٤٢	٥٦٠			
مرند غرب	٦٦	٥٧	١٢٣			
صراص				١٣٣٠	١١٨٨	٢٥١٨
صراص	٦٨٩	٦٢٩	١٣١٨			
سمه	٣٣٤	٢٩٣	٦٢٧			

٦/ المنطقة الريقية (تابع مائته)

تصنيف عدد السكان حسب الجنس (العموديات والمشيدات وكل المنطقة)

العدد					العمودية/ المشيخة	
العمودية			المشيخة			
الجنسان	ذكور	اناث	الجنسان	ذكور	اناث	الاسم
			٥٧٣	٢٦٦	٣٠٧	أثيري
١٦٤٦	٧٨٥	٨٦١				دواشات
			٦٣٨	٣٠١	٣٣٧	دواشات
			٤٣٩	٢٢٥	٢١٤	أم بكول
			٥٦٩	٢٥٩	٣١٠	مالك البصير
١٥٢٠	٥٦٤	٩٥٦				عكاشة
			١٨١	٤٧	١٣٤	سكي
			٤٩٧	١٨١	٣١٦	أكمة
			٢٨٦	١٢٦	١٦٠	عكاشة
			٥٥٦	٢١٠	٣٤٦	كلب
٩٩١	٤٢٤	٥٦٧				كوثة
			٥١٨	٢٣٢	٢٨٦	دال
			٣٧٣	١٩٢	٢٨١	سار كمتو

٧/ مدينة حلفا

عدد السكان المقيمين والغائبين

(القسم الرئيسي وكل المدينة)

عدد الغائبين	عدد المقيمين	الأقسام الرئيسية
٣٦٥	١١٠٥٩	كل المنطقة
٢٤٥	٢٠٠٢	نبروسة
١	٩٤٧	حي الجبل
٤٤	١٥٣٢	حي الزكويث
٤١	١٥٤٢	المدينة
٢٣	٢١٨	التيس
١١	٢١٥٢	انصاولة

٨ / المنطقة الريفية  
عدد السكان المقيمين وعند العائدين  
( العموديات وكل المنطقة )

عدد العائدين	عدد المقيمين	العمودية
١٤٤٣١	٢٧٤٢٢	كل المنطقة
٦٤٤	٦٥٥	فرص غرب
٢٥٩	٥٤٩	فرص شرق
٨٦٦	٢٨٤	صرص شرق
٦١٢	٧٥٤	صرص غرب
١٩٠١	٣٧٥٥	ديرة
١٢٠١	١٨٦٠	أشكيت
٢٠٤٢	٢٢٥٦	أرقين
٨٧	٨٢٨	ديروسة
٣٥٦٨	٦٧٠٦	دخيم
١٢٥٤	٢٥٨٠	جمي
٥٤٨	٢٥١٨	صرص
١٦٢	١٦٤٦	دو اشكيت
٧٧٢	١٥٢٠	عكاشة
٥١٤	٩٩١	كوشة

# الفهرسـت

الصفحة	الموضوع
(١)	الإهداء
(٢)	تقديم
(٦)	مقدمة المؤلف
(٩)	كلمة المترجم
(١١)	الفصل الأول: وصولي إلي (وادي حلف)
(٢١)	الفصل الثاني: (زيراتي للقـري)
(٣١)	الفصل الثالث: وصف مدينة (وادي حلفا)
(٣٥)	الفصل الرابع: تاريخ مدينة (وادي حلفا)
(٧١)	الفصل الخامس: أرض النوبة وسكانها
(٧٨)	الفصل السادس: السمات الشخصية للتوبيين المعاصرين
(١٠٦)	الفصل السابع: اقتصاديات الأرض في بلاد النوبة
(١٢٩)	الفصل الثامن: السد العالي وردود الفعل الأولى
(١٤١)	الفصل التاسع: الإحصاء ومشكلة التعويضات
(١٧٥)	الفصل العاشر: اختيار موقع إعادة التوطين (العمل الميداني)
(١٩١)	الفصل الحادي عشر: اختيار منطقة إعادة التوطين (القرار وردود الفعل)
(٢١٥)	الفصل الثاني عشر: تدييات بدء الوطن الجديد

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث عشر : معالجة قضية التعويضات	(٢٢٨)
الفصل الرابع عشر : إعداد برنامج تهجير السكان	(٢٤٣)
الفصل الخامس عشر : أثر التعويضات على الشعور العام (١)	(٢٥٦)
الفصل السادس عشر : تشييد منطقة إعادة التوطين	(٢٦٨)
الفصل السابع عشر : أثر التعويضات على الشعور العام (٢)	(٢٨١)
الفصل الثامن عشر : الرحلة النزيحية للأحيرة (الثري) غير المشالات	(٣٠٢)
الفصل التاسع عشر : الممسكات لأحيوة لما قبل الرحيل	(٣٢٤)
الفصل العشرون : النهجـــــــــــــــير	(٣٤٣)
الفصل الحادي والعشرون : الموقف في( وادي حلفا ) و إحصاء القرية) بعد عملية التهجير	(٣٨١)
الفصل الثاني والعشرون : بحراج أجساد العظماء من مرآئها	(٣٩٧)
الفصل الثالث والعشرون : تكاليف التهجير وإعادة التوطين	(٤١٣)
الفصل الرابع والعشرون : مشكلات ما بعده الهـــــجير	(٤٢١)
الفصل الخامس والعشرون : بحث تأريخ الــــــــــــــــــورية	(٤٥٩)
ملحق المسبح الســـــــــكتني لــــــــــــوالدي حفلا	(٤٩٥)



رقم الإيداع  
٢٠٠٢/٣٣٣

الطابعون

دار مصحف إفريقيا

تلفون : ٢٣٣٣٧١ فاكس : ٢٣٣٣٧٢

## إستدراكات وتصويبات

أولاً : الإستدراكات :-

الصفحة	السطر :	النص الذي سقط في الطباعة
١٠	١٦	ولأخ صديق مبرغنى ثبوتى لأهتمامه ومتابعته .
١٠٤		أ . سقطت العبارة التالية من بداية الصفحة وهي :- بالتخير الواحد ، إلا بعد طرح قضية التمييز ولا بعد أن أرسلنا وقد منيهم لزيارة المواقع المقترحة لوضعهم الجديد . ب . سقط العنوان الجانبي الآتي عقب العبارة الواردة أعلاه :- (٥) اللهجة النوبية .
٢٩٧		سقطت الحاشيتان (١) و (٢) أسفل الصفحة :- (١) ربه الاسم في الأصل هكذا :- محمد رضا فريد . (٢) الصحيح :- سليمان محمد حسين .

ثانياً التصويبات :-

الصفحة	السطر	الخطأ	التصواب
٢٨	١٧	باتدنا	بنثنه
٣٤	الحاشية أسفل الصفحة	قاموس	قاموس
٤٤	١٢	٢٠٠	٢٠٠ و
٢٠٥	١٨٠	تياقف	تياقف
٢٠٦	١	الكثيرون	الكثيرون
٢١٧	٢	الألمانية	الألمانية
٢٣٥	١٥	الأول	الأولي
٢٣٥	١٩	إعتباري	إعتباطي
٢٨١	١	عملية تقييم	كانت عملية تقييم
٢٩٨	٣	وقمنا	وقمنا
٣٨٨	١	الشيطان	الشيطان
٤٥٠	١٣	عيد الغفار	عيد الغفور



### عبد الله حميد

- ❖ ولد بالسودان عام ١٩١٢م.
- ❖ تخرج بدرجة البكالوريوس في الآداب من جامعة الخرطوم (١٩٣٠).
- ❖ عمل إدارياً في الخدمة المدنية (١٩٣١ - ١٩٣٨م) ثم مواقع حكومية عديدة.
- ❖ عضو البرلمان السوداني (١٩٣٨ - ١٩٤١م).
- ❖ أحد مؤسسي بنك التضامن السوداني (١٩٤١ - ١٩٤٥م).
- ❖ مدير عام الشركة المالية لخدمات الإعلام (١٩٤٥ - ١٩٤٩م) السودان.
- ❖ أمين سر مجلس إدارة بنك التضامن السوداني (١٩٤٩ - ١٩٩٨م).
- ❖ «ستشوا اعلامي واداري ومالي» (١٩٩١ - ...).
- ❖ مترجم كتاب (هجرة النوبيين) من الانجليزية (٢٠٠١).
- ❖ مترجم كتاب (الحنانة على فقلا وسكان) من الانجليزية (٢٠٠٢).



### حسن دفع الله

- ❖ ولد عام ١٩٢٤م بالسودان.
- ❖ تخرج في كلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم حالياً).
- ❖ عمل في سلك الادارة وتقلد العديد من المناصب الادارية في السودان.
- ❖ من اعظم انجازاته تهجير النوبيين (وادي حلفا) الى منطقة غشم القرية.
- ❖ سجل تجربته في كتاب (هجرة النوبيين) الذي ظهر بالانجليزية بعد وفاته بعنوان عام.
- ❖ توفي في مايو ١٩٧١م وكان قد بلغ الخمسين من العمر.

